

سَعْدُوتُ حُمَادَةَ

تَارِيخُ الشَّيْعَةِ فِي لُبْنَانَ

المجلد الثاني

تَهْجِيرُ الشَّيْعَةِ مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ





تَهْجِيرُ الشَّيْعَةِ مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ

تاريخ الشيعة في لبنان

تهجير الشيعة من جبل لبنان

سفدوت حمادة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



مركز توثيق ودراسات إسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع

بناية بمقريهان بلوك ب طابق 3 - شارع الكويت

المنارة - بيروت - 2036 6308

لبنان - طماكس - 009611-740110

E-mail: alkhayal@inco.com.lb

الاخراج والتنفيذ والخيال للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2008

تصميم الغلاف: مهدي شمع

طباعة: دار شمع للطباعة والنشر، هاتف: 00961-1-450280

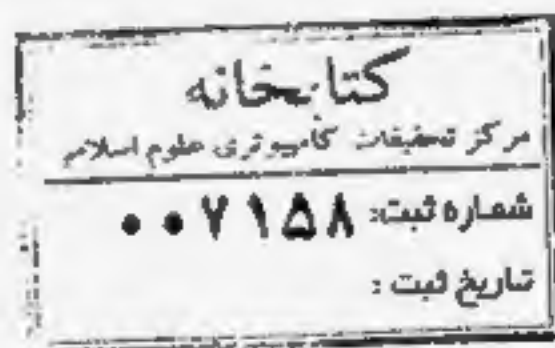
تجليد فتي: مؤسسة أنطوان جلع وإخوانه للتجليد، هاتف: 00961-1-688430

سَعْدُوتُ حَمَادَة

تاريخ الشيعة في لبنان

المجلد الثاني

تهجير الشيعة من جبل لبنان



دار الخيال
الطباعة والنشر والتوزيع



مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

حدود جبل لبنان

يقتصر جبل لبنان في الأصل على المنطقة الواقعة بين بيروت وطرابلس، وقد أطلقت هذه العبارة على المقاطعات الشمالية جبيل والبترون وجية بشري⁽¹⁾. وعرفت المنطقة الممتدة إلى الشمال من طرابلس باسم عكار، في حين أطلق اسم جبل الدروز أو جبل الشوف على البلاد التي تشكل نصف دائرة بين بيروت وصيدا، قبل أن تسلب بعض هذه المقاطعات عن ولايتي الشام وطرابلس، وتلحق مضافة إلى كسروان بولاية مستحدثة مركزها صيدا، فيتمدد طرف القوس الجنوبي لجبل الدروز باتجاه بلاد جبيل⁽²⁾. وتدخل ناحية كسروان أو قسم كبير منها في نطاقه الإداري وإن احتفظت باستقلالها الجغرافي كمقاطعة تقع في طرف جبل الدروز المجاور للبنان⁽³⁾. وبقيت هذه التسمية سائدة حتى أواسط القرن التاسع عشر، وعرف سكانه بالدروز حتى وإن كانوا من الموارنة، وكان الأمير الشهابي يدعى أمير الدروز مع أنه لم يكن يوماً درزياً، والمراسلات العثمانية الرسمية توجه إليه باعتباره أمير الدروز. واستمر هذا الأسلوب متبعاً حتى أواخر عهد الشهابيين سنة 1841⁽⁴⁾، بالرغم من تكاثر الموارنة الوافدين الذين لم يكن لهم كيان سياسي قبل هذا التاريخ، بمكس الدروز الذين برز زعمائهم كقادة سياسيين في غرب سوريا⁽⁵⁾.

كما أن التسمية نفسها بقيت معتمدة وشائعة في كافة التقارير الدبلوماسية حتى هذا التاريخ. وقبل القرن التاسع عشر لم يشر إلى سلسلة جبال لبنان باسم جبل لبنان، إلا إلى

(1) جبل عامل السيف والقلم، بحث لحسين سليمان، ص 343.

(2) D.D.C. T9, P 84 ، طرف جبل الدروز شمالاً في جبيل وجنوباً في صيدا.

(3) D.D.C. T1, P41.

(4) البحث السابق، د. سليمان ونص فرمان في:

Recueil des traités de la porte ottoman avec les puissances étrangères Testa V3, P 83-84

(5) البحث السابق عن إيليا حريق ص 16.

أجزائها الواقعة في أقصى الشمال، ويستعمل أيضاً تعبير بلاد جبيل للدلالة على كامل مقاطعات جبل لبنان وهي جبة بشري وجبيل والبترون والزاوية والكورة.⁽¹⁾ وإن كانت المقاطعات الثلاث الأولى أكثرها شهرة وتداولاً، ويطلق على جرود جبيل والبترون اسم بلاد المتأولة.⁽²⁾ كما أطلق الرحالة والقناصل على عموم هذه البلاد اسم بلاد الحماديين.⁽³⁾

أما الوثائق السلطانية الرسمية فتطلق عليها أحياناً اسم بلاد سرحال⁽⁴⁾. كما أن عقود الالتزام الصادرة عن ولاية طرابلس يورد فيها أحياناً مقاطعة سرحان علماً لبعض نواحي هذه الولاية⁽⁵⁾.

منذ العهد المملوكي كانت هذه المقاطعات ملحقة بمملكة طرابلس دون سائر أنحاء لبنان التي تتوزع بين مملكتي صفد والشام. ولم يتغير هذا التقسيم الإداري في العهد العثماني، واستمر الحكام من الشيعة في ظل باشوات الولاية سواء كانوا من العسافيين والسيفيين في المرحلة الأولى، أم من سائر الموظفين العثمانيين بعد ذلك، بإجازة هؤلاء البشوات أو رغماً عنهم.

كانت علاقة حكام جبل لبنان الشيعة مع جيوانهم أمراء جبل الدروز التابعين لولاية أخرى يسودها التحالف غالباً، وإن تطلعتها فترات من التنافس، والخلاف أحياناً، وقد فشلت بعض المحاولات النادرة التي قام بها أمير معني وآخر من آل علم الدين بالالتزام ببعض مقاطعات ولاية طرابلس وانتهت الأولى بطرد معتمد المعني من عكار، وتصيب علي بن العجال الشيعي من بشتانا مكانه سنة 1651⁽⁶⁾. وسقط الآخر قتيلاً في معركة دامية⁽⁷⁾، وكان الأمير أحمد المعني قد رفض مثل هذا العرض أكثر من مرة، ليقيته باستحالة تنفيذه على أرض الواقع وبخلفيات بواعثه المستترة.

عندما استطاع أول شهابي الحصول على التزام بلاد جبيل من والي طرابلس والإقامة فيها، لم يفعل ذلك بوصفه أميراً على جبل الدروز، وهو لم يكن قد تأمر بعد وإنما كأي ملتزم

(1) بيروت ولبنان، هنري غير، ص 220.

(2) المصدر نفسه، ص 224.

(3) D,D,C, T. P

(4) لبنان والإمارة المرزية، أبو حسين، ص 149. وقد أصبح هذا الاسم غالباً في القرنين السابع عشر والثامن عشر والكثير من الوثائق الرسمية الواردة في سياق هذا البحث.

(5) تنويرين، شربل داغر، ص 194.

(6) تاريخ النويهي، ص 534.

(7) الفرر الحسان، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص 881.

آخر، كان باشا طرابلس يتحرق منذ زمن بعيد لاستبداله بالملتزم الشيعي المتعب والمتهم⁽¹⁾. وبقيت المقاطعتان منفصلتين إدارياً، رغم أن آخر أميرين شهابيين تمكنا من الجمع بينهما بالتزامهما من ولايتين مختلفتين هما صيدا وطرابلس دون أن ينشيء هذا الواقع أي تعديل على وضعهما من الناحيتين الإدارية والتنظيمية، وهذا ما استند إليه العثمانيون فيما بعد كواقع قانوني في وجه محاولات اللجنة الدولية المكلفة بوضع نظام جديد للبنان وضم المنطقتين في صيغة واحدة بعد سقوط الإمارة الدرزية ونشوب الحوادث الطائفية المعروفة⁽²⁾.

كانت السلطنة العثمانية تميل إلى عدم إلحاق بلاد جبيل بالقائمقامية النصرانية بحجة أنها لم تكن داخلة في حكم الشهابيين، وتفضل إلحاقها بولاية طرابلس وتعيين حاكم عثماني عليها. وانطلاقاً من هذا المبدأ صدر فرمان سلطاني بإلحاق جبيل بحكومة طرابلس، واقتصار قائممقامية النصاري على كسروان والمتن، وكانت وجهة نظر الدولة العثمانية كما أدلى بها والي صيدا أسعد باشا، أن فصل جبيل وملحقاتها عن قائممقامية النصاري يعود إلى أنها لم تكن داخلة في حكم الشهابيين إلا على سبيل الالتزام، وعينت والياً عليها من عمالها المسلمين، ولكن حركة مارونية ناشطة من رجال دين وأعيان مدعومة بتشجيع دولي برئاسة حيدر أبي اللع، أوفدت إلى الأسقانة المطران نقولا مراد ليطلب بإلحاق جبيل بالقائمقامية، وقدم المطران تقريره الشهير إلى سفراء الدول الخمس بتاريخ 29 كانون الثاني 1843⁽³⁾. فأظهر السفراء حماسهم للطلب المذكور وعلى رأسهم سفير فرنسا البارون دوبوركنه وطلب بموافقة زملائه ضم منطقة جبيل إلى القائمقامية. وتحقق ذلك في 14 تموز 1843⁽⁴⁾.

في أيام التحالف والصفاء كثيراً ما قصد أمراء الدروز جيرانهم حكام الشمال عند أيام المصاعب والملمات، ينشدون اللجوء والحماية والمناصرة، كما فعل المنيون بقيادة الأميرين أحمد وقرقماس، والشهابيون بقيادة الأميرين علي ومنصور، وكما فعل الأمير حيدر الشهابي بعد ذلك فأرسل عائلته إلى الأطراف الجنوبية، وتواري مع أركان حزبه في

(1) جبل عامل السيف والقلم، ص 338. كان والي طرابلس يتمنى أن يجد شخصاً يضمن له بلاد جبيل.

(2) المقاطعات اللبنانية ونظام القائمقاميتين رياض غنام، ص 214.

(3) ما جاء في هذا التقرير:

ورد فرمان سلطاني بفصل جبيل وملحقاتها عن لبنان وهي من أهم أقسامه بحيث إن هذه البلاد والمأهولة بالمسيحيين فقط والممتدة إلى أعلى قمم جبل لبنان بما فيها وادي قاديشا المقدس مهد المسيحيين الموارنة الذين وقفوا في سوريا منذ أوائل عهد الإسلام في فتوحاته، وطلب مسترحماً أن لا توافق الدول على ذلك وأن تعمل على ضم تلك المناطق إلى قائممقامية النصاري.

(4) المحررات السياسية، فليب وفريد الخازن، الجزء الأول، ص 114-117.

أقصى الشمال حتى حصل على المؤازرة المطلوبة والفعالة من أمير بعلبك الشيعي.

يصر بعض من كتب عن تاريخ الشيعة في لبنان على افتراض محطات، هاجروا فيها إليه من خارجه، واستقروا في ربوعه ومنها جبل لبنان في حقبات زمنية متفاوت منذ أيام معاوية عند بعضهم، وفي فترات لاحقة عند آخرين، وأنهم أتوا إليه من فارس، أو من العراق وربما من أماكن غيرها؛ وهذه كلها افتراضات واهية لا تقوم على أساس يمكن التوقف عنده والاهتمام به. فالشيعة في الواقع، هم بعض من سكان لبنان اعتنقوا التشيع في فترة ما لأسباب موضوعية، أو سياسية، أو عقائدية، كما اعتنق بعضهم الآخر غير هذا المذهب من معتقدات، مثلهم مثل غيرهم من سكان طرابلس وحلب والجليل وحتى دمشق،⁽¹⁾ في ظروف سياسية مؤاتية، وخصوصاً على عهد الفاطميين ودولة بني عمار وبني حمدان، وعصمتهم مناعة جبالهم، وحصنتهم عن التحول عن معتقدتهم كما فعل آخرون بعد تغير الأحوال والظروف. إن كسروان بمفهومها الجغرافي الواسع الذي كانت تعنيه حينها، وكذلك جزين وبلاد بعلبك وجبل عامل، حافظوا جميعاً على تشيعهم في الوقت الذي انحسر فيه هذا المذهب عن طرابلس وبيروت وغيرها من المدن والسواحل والسهول، حيث يتوفر في يد السلطة مجالاً أرحب لفرض ما تريد على من تريد، بينما تقصر عن مثل هذه القدرة، أو بعض منها في مسالك الجبال والمراكز السكانية القصية والممتعة لأسباب طبيعية وجغرافية لا تخفى.

استمر التشيع في كسروان وجوارها بمن نجا من سكانها بعد حملات الإغناء المملوكية والسالم منهم تفرقوا في جزين وبلادها وبلاد بعلبك وبعضهم أعطوا الدولة أمانيهم،⁽²⁾ ولا بد أن قلة منهم قصصوا الأماكن الجبلية المجاورة، القليلة السكان في جبل لبنان، فلم يبق منهم في كسروان إلا بقية قليلة بعد أن كان وجودهم فيها كثيفاً ومعروفاً ومتقدماً، إلى حدٍّ استدعى تأليف المصنفات الخاصة بالرد على فقهاءهم واعتقاداتهم، وما اشتهر عنهم من تشيع راسخ القدم⁽³⁾. غير أن ذلك لا يمنع أن جماعات متباينة الحجم من الشيعة التحقت في فترات متباينة بإخوانها في سائر أنحاء لبنان، خصوصاً في المناطق الجبلية الوعرة، كما فعل أبناء الطوائف الأخرى، وخصوصاً الموارنة، وكان من أهم هذه الجماعات تلك التي أعطت اسمها إلى كل من سبقها ولحق بها، والتي استقرت في جبل لبنان في القرن الخامس عشر على الأغلب وعرفت باسم الحمادية.

(1) إن أهل طبرية ونصف نابلس والقدس وأكثر عمان شيعة. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله المقدسي المعروف بالبشاري، ص 179.

(2) تاريخ بيروت، صالح بن يحيى، ص 96.

(3) الرد على أهل كسروان، ابن تيمية، مذكور سابقاً.

الباب الأول

الحكم الشيعي في جبل لبنان



الفصل الأول: الأرض الموعودة

الفصل الثاني: بنو حمادة

الفصل الثالث: مصادر التاريخ الشيعي

الفصل الرابع: خصائص الحكم الشيعي

الفصل الخامس: بداية الحكم الشيعي

الفصل السادس: الشيعة في ولاية طرابلس

الفصل السابع: الثورة الشيعية العامة

الفصل الثامن: جمهورية العصاة الحرة



الفصل الأول

الأرض الموعودة

إنَّ للجهرافيا تأثيراً أساسياً ومباشراً على أحداث التاريخ وتطوّراته، وإنَّ التفاعل بين العلمين حداثيٌ وحيٌّ ومتواصلٌ لذلك كان لترايط بين الموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية، وبوارج الإنسان ودواجمه وفاليات وسلوكه من الأمور البديهية والمحتمة في مقدّمة المبادئ العامة التي لا بدّ أن تحكم السياق التاريخي لأيّ بقعة من الأرض، أو مجموعة من البشر منذ بداية النشاط الاجتماعي والمدني والحضاري للإنسان من أقدم الأزمنة، وحتى عصرنا الحاضر

انطلاقاً من هذا المبدأ الأساسي قبل أحد فلاسفة التاريخ الفرنسيين، أعطاني خارطة بلد ما وادكر لي صفاته السطحية وعين جغرافيته الطبيعية وسأخبرك ما سيكون عليه الإنسان في هذا البلد وأي دور سلعنه في التاريخ ليس خلال حقبة واحدة من الزمن بل في جميع العترات⁽¹⁾

إنَّ الموقع الجغرافي، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية الأخرى من تربة ومناخ ومياه ومسالك لأيّ حيّز جغرافي محدّد لا بدّ أن تلعب دوراً بارزاً وأساسياً في تاريخه، فإنَّ إحاطة المياه بالحريرة العربية من جهاتها لثلاث، واتّصال هذه الحريرة بالشام والعراق لعت هي تاريخ هذه الأقطار لثلاثة دوراً بحكمت هذه الحصائص بتطوّراته إلى حدّ بعيد كما أن موقع الحرر البريطانية، واتّصالها عن القارة الأوروبية قد تحكم في تاريخها الطويل، وحدّد الكثير من معالم هذا تاريخ ومظاهره شكل يختلف في الكثير منها عن (إيسلندا) مثلاً الحريرة الأخرى مواجهة لبحر الأوروني، والتي تفصلها عنه مساحات أكثر بعداً وأطول مسافة بما لا يُقارن.

(1) أصول البحث لتاريخي، عبد الوحد طه ص 58 و فيلسوف الفرنسي هو فيكتور كوزان (Cousin)

إنّ موقع جبل لبنان الذي تكاد أطرافه العربية بلامس أسوار المدن الساحلية الهامة في العهد الصليبي وقبله - بيروت، حيل، البترون، طرابلس - والذي تمتدّ منحدراته الشرقية حتى تلامس سهل البقاع لحصيب، بينما يبيع نهر العاصي من سفوحه الشمالية معترفاً الوادي الصيق المعروف باسمه، والذي يمتدّ حتى سهول أقاميا وحمّاه حيث بقيت المسيحية تحافظ على أحرّ موقعها لبعده عن بيربطية إلى وقت متأخّر نسبياً، بالإضافة إلى وعمورة ممالكه، ووفرة مياهه وأشجاره، وبدرجة سكّانه وربما اقتصرهم على عددٍ من النساك والرهبان، والمتعبدّين هي فترة ما - هي العوامل البارزة التي ستحدّد معالم تاريخه المتوّع، والراحر هي القرون العديدة المقبلة⁽¹⁾

يبدو واضحاً من جميع الروايات المتعاقبة في أزمنة متعاقدة، والمتشابهة في جوهرها رغم القرون العديدة التي تفصل بين روايتها - أنّ جبل لبنان احتفظ منذ العهد الإسلامي الأولى وحتى وقت متأخّر بهيّة وحدانية مؤثّرة من الصوفيّة والقداسة والماورائية، لأنّ الله أنعم عليه بالظلال النوارقة ونباه المطردة، والفاكهة والربوع التي لا يردّها أحد سمتع بحيراته من أراد بسون جهد أو حرج وفيه مخلوقات تشبه الملائكة تجسّد الصلاح والحير، وفيه من الرهبان و الصائحين مسلمين ومسيحيين يعيشون في وثاق وودّ، ويعاونون في ما بينهم حتى يكاد لبنان أن يكون قطعة من الحقّة الأرضية منّها الله وفصلها عن غيرها بما حياها من حيرات مادية، وأنعم عليها من حصائص علوية⁽²⁾.

لا بدّ أنّ معريّات هذا المردوس الأرضي قد وصلت توّراً بثراً وشعراً إلى أسماع الكثيرين من سكّان البلاد المحاوره وحتى البعيدة، وبألفت المحيّلّات والأساطير في الإشادة بمحاسنها، وتعداد حيراتها، عدّ عدد أمانّي المصطفيدين والمستصعفين ولطارديين، وكوّنت عامل جذب قويّ وفعال لدى مجموعات متعدّدة ومتنوّعة كلّما واجهت خطباً أو محنة من تشريد وتنكيب وعسف ومظالم حتى أصبحت قبلة الباحثين عن ملاذ آمن، وملجأ حصين بقي الهريين من سطوة مقتدر عاشم يتهدّدهم في حياتهم، أو أموالهم أو معتقداتهم، يأمنون بالاحتفاء بوعورة مسالكه، والتنعّم بمائض حيراته والاطمئنان إلى صلاح أهله وتنوّع مشاربهم، فتوات الهجرات إلى ربوعه مجموعات وطوائف وقبائل وعائلات وفرداً وعلى فترات تطول، أو تمصر تبعاً

(1) راجع فصل «جبل لبنان».

(2) المصدر نفسه.

للظروف السياسية والاقتصادية والأمنية والمعتدية التي تطرأ في مناطق الهجرة، وما تعرض له من اضطرابات وقمع وتسلط، أو هدوء وأمان وحرية

تتوَّعت أسباب هذه الهجرات ودوافعها، لا أن محاورها الأساسية توزعت على العرب والشرق والشمال حيث تجد مستقراً قريباً لها قبل أن تتجه ببطل وتأت إلى أماكن أشد إغراءً، وغالباً باتجاه الجنوب.

إن تأثير الخصائص الجغرافية في رسم الملامح التاريخية العامة لقطر ما، هي عامل ثابت لا يكتسب أهميته المطلقة، إلا من خلال الظروف والتطورات التاريخية الهامة، والتغيرات التي تحدث في الأقطار المحاورة والقريبة، وتعكس تداعياتها ونتائجها واهواراتها وآثارها على محيطها القريب والبعيد حيث يلعب العامل الجغرافي دوره في تحديد الإطار والمسار للمدنيين المكاني والزماني اللذين يمكن أن تبلعهما وتتحكما إلى حد بعيد في طبيعة الأحداث وسيبقها المنقل.

من أجل ذلك كله، تقاطر المعدن والمستضعفون والبطاردون إلى رحاب جبل لبنان الشاهة الوعرة لوضع حد لمآسائهم وقصده كل من يأبى الصيم والحصوع والمدة حماماً على السموان، وصوباً للحرمات، وصناً بالكرامات، فباعتبت هي شعابه مجموعات محتلمة الأديان والتماهات والمشارب أمته من جهات مختلفه، فحائه هائل شيعية ممرّدة من وراء المرات تركت سهولها الحصية، وتحاشت الإقامة هي بوادي الشام الواسعة لميلها الطبيعي إلى التمرد والاسفلال وتحصّنت مع من سبها من الواهدين الأوائل عاصية، وراء صحوره الصلبة، على كل تحكّم وتسلط كما تسلفت قومه من الشمال جماعات من الملاحين المواريه المنديين دفع بهم فعتت إخوانهم هي الدين، وأعدائهم هي المذهب إلى النجاة بمعتقدهم وذتية خيارتهم هاتقلوا محلمين حصونه وادي العاصي وأريحيته، وانتظام مواسمه إلى القناعة والتسليم بمسحات متناثرة من الأرض المنشودة حيث الحصول على الكفاف هو أقصى المطامع، فالتقى فيه المواريه والشيعه وعاشوا هي شعابه متجاورين وشركاء

ليس هناك من سبيل أن يعرف بدقة حاسمة أية جماعة سبقت الأخرى في الوصول، إلا أنه يمكن التأكيد بأن هجرات صغيرة متتابعة من الجماعين استمرت في التواهد إلى هذا الحبل على فترات زمنية متداخلة ومباعدة وكان الحماديون من أكبرها حجماً وأكثرها أثراً.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

الفصل الثاني

بنو حمادة

مشايخ الحمادية أقدم من كافة المشايخ الموحودين في لبنان ، وأعلامهم قدراً⁽¹⁾ ومند قدومهم إلى جبل لبنان أصبح يطلق على كل شيعته اسم آل حمادة وكل عائلاتهم تنهي أسماءها بـحمادة⁽²⁾. وقد يقال الحماديون والعشائر الحمادية وطائفة الحمادية وآل حمادة يتبادر إلى أذهان الكثيرين أنه اسم يطلق على عائلة، أو عدة عائلات لعبت دوراً معيّناً في تاريخ لبنان، ولكن الأقرب من الواقع التاريخي والمدلول الاجتماعي لأي من هذه الأسماء أن كلاً منها قد يشير إلى شخص أو شخص أو مجموعة أو جماعة، أو عدد معين من العشائر، أو صائفة معلومة مرادفة للمناولة الذين يقيمون خصوصاً في جبل لبنان وقد استعمل في التاريخ اللبناني للدلالة على شعب بهيم في جبل لبنان وينتمي إلى مذهب الشيعة الإمامية⁽⁴⁾

(1) دراسة عن القديسين «السكان والاحداس و مرتب و لاديار و ذكر عدد كل فرق و رتبة» محفوظة في بطريركية المارونية مؤرخة سنة 1860 جاور بطريرك بولس مسعد هانمضمة لنباري، ص 4. راجع الوثيقة رقم E 1

(2) رسالة تاريخية في حوال جبل لبنان - شيخ بصيف لبارجي، ص 35 وهذه الرسائل هي المصدر الأساسي في مجتمع جبل لبنان حول التقاليد والامراف المبعة في المكائنت و دحاطيات و طبقات الحكام و عاداتهم و تعاليدهم و صول الليافة «المحضان اليافا و عنام» ص 7 اقتصرت هذه الرسالة بشكل رئيسي على مجتمع جبل الدور ولم تقتصر الى القلاع و حين عد من ومن المعروف ر شيخ الهارجي والذي تدور شكوك حول صحته نسبة لرسالة إليه كان كادما في حاشية الأمير بشير حتى عرله 1840 و توفي سنة 1871 من الأمير بن كن من بني شهاب ر - في كتابه ما يدور على لكرامة هوق بني ابي النمع وهم هوق بني أرسلان وإن كان الشيخ من بني حمادة كتب له كما يكتب للأمراء بني ابي النمع والأههم على سبق واحد

(3) المسلمون الشيعة علي حيدر احمد، ص 22

(4) إن لشيعة أو المناولة أو الحماديون لها مدلول واحد في هذا البحث وهي معظم المصنابات التاريخية القديمة المحلية والأحيية التي عرصب لحبل لبنان هي خرون اثمن عشر كن المناولة تحت قياده عائلة حمادة وكان يشار إليهم في مراسلات لعصر تحت اسم الحماديين أو الحماديه

وصل الحماديون إلى لبنان في تاريخ غير محدد بدقة، تتركز أغلب التخمينات حوله على النصف الأول من القرن الخامس عشر على شكل جماعة متجاسية من عدة أسر وعشائر ترتبط في ما بينها برباط قبلي من نوع خاص يقوم على عامل النسب والولاء ويرتكز على رابطة الدم والقربى التي تدين بالرياسة والطاعة لرجل واحد يقوم على رأس الهرم شيعاً على الحمادية. والباقيون ثلاث طبقات⁽¹⁾ تؤلف بمجموعها ما عرفه التاريخ اللبناني باسم الحمادية وقد عمّ هذا الاسم وتوسّع استعماله ليشمل جماعات أخرى من الشيعة، كانت تتواجد قبل وصولهم، أو وصلت إليه بعد استقرارهم وأصبح يطلق هي وقت ما على كل الشيعة اللبنانيين⁽²⁾. ويطلقه كل شيعي على نفسه معبراً عن انتمائه⁽³⁾. كما أطلقه الرحالة الأوروبيون واصفاً لصل الأحاب على شعب له كيان مميز من أهم عناصره وحدة المذهب، يعيش في لسان إلى جانب الشعب الدرزي والشعب الماروني، ويطلق على المقاطعات التي يتواجد فيها هذا الشعب «بلاد الحماديين»⁽⁴⁾.

يقول الرحالة دولاروك DelaRoque : يسكن لبنان وأنتي لبنان Anti - Liban الان ثلاثة أنواع من الأمم (Nation)

• المسيحيون الموارنة

• الدرور الذين لا تزال أصولهم وديانتهم حتى الان سرّاً يكاد يكون مجهولاً.

• الحماديون وهم محمديون من شيعة علي⁽⁵⁾.

حاء في مذكورة مرهوعة إلى ملك فرنسا عام 1707م وعنوانها «مذكورة مرهوعة للملك متعلقة بالموارنة والدرور والحماديين الساكنين في لبنان»⁽⁶⁾.

يسكن الحماديون (الشيعة) أربع مناطق هي جبل لبنان بلاد جبيل ما عدا

(1) تاريخ الأمير فخر الدين، المجلد 71، ص 71.

(2) راجع لبنان في القرن الثامن عشر ص 261، المؤرخ الأول لجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية
(3) راجع الوثيقة مرهوعة من شيعة جبل لبنان إلى فرانسوا باشا بن معظم الوثائق الواردة في هذا البحث على اختلاف مصادرها وتواريخها تطلق على جميع شيعة الماطنين في جبل لبنان أو الذين تعود جذورهم الأولى إلى اسم الحماديين أو الحمادية أما أنصارهم والحاصرون لحكمهم فيطلق عليهم اسم طوائف الحمادية

(4) D.D C., T3, P 286

(5) رحلة إلى سوريا وجبل لبنان دولاروك G De La Roque ص 113

(6) Mémoire pour le Roi relatif aux maronites aux druzes et aux Amédiens habitants du Liban.

المدينة التي تحمل الاسم نفسه وبلاد البترون وقسم من جبل لبنان وهم يعتنقون الحمادية ولكنهم من شيعه علي مثل المصريين، وهم من الأعداء المميتين لسائر الأتراك الذين يدعونهم «أرخاص» - ومعناها هراطمة - ويكرهونهم أكثر بكثير مما يكرهون المسيحيين وهم عاديون ولكنهم شجعان يفتلون الموت على التراجع⁽¹⁾

يقول القنصل الفرنسي بولارد في تقرير دبلوماسي مرفوع إلى حكومته في 28 آب 1705م، «مع كل الأمراء المسيحيين أرى في هذه المقاطعة الحميلة من سوريا أكراداً وتركماناً وحماديين ودروراً وطوفان من العربان كنهم مزودين سلاح ناري وهؤلاء العصاة هم أسياد البلد»⁽²⁾

ونقول جمهور الشيعة في بلاد حبل وكسروان - وهم سكان نحو ثلاث عشرة قرية من بين الذين صنعوا في ديارهم بعد حجة التي حلت بهم في القرن الثامن عشر - معتبرين عن سماتهم وكيانهم في مسنهن عريضة مرفوعة عام 1860م إلى فؤاد باشا لوزير العثماني ورئيس اللجنة الدولية⁽³⁾

«يعرض عبيدكم ورعاياكم طائفة الحمادية المتأولة»⁽⁴⁾

وهم أهالي البلدات التالية: اللايا، الحصون، ريدين، مشان، هرجت، عين الدلبة، المعيصرة، بلحص، شواسا، إلح، وتعتبر طائفة الحمادية في هذه العريضة يشمل عموم الشيعة أهالي هذه البلدات دون أن يفسدوا بالضرورة إلى الحماديين أو العشائر الحمادية برابطة الدم والقربى

في رساله موجهة إلى البطريرك مسروبي مؤرخه في 7 أيلول 1860 حول هجره لشيعه من حبل لبنان إلى القناع على أثر حوادث 1860 يذكر كاتبها أن الشيخ حسن همدان أحد أعيان المتأولة في حبل لبنان تقدم بعريضة إلى عمر باشا قال فيها أنه لم يبق بعد الهجرة غير خمسمائة أسرة حمادية معرضين للفصل وهم كل من لا يرال من الشيعة مقيماً في بلاد جليل وكسروان⁽⁵⁾

(1) لبنان في القرن الثامن عشر، ص 265

(2) D.D.C. T.3, P 266.

(3) تأليف في بيروت لجنة دولية تمثل فيها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا و النمسا وبروسيا برئاسة محمد فؤاد باشا وزير الخارجية العثماني في 5 تشرين 1860 ومهمتها معالجه ديول حوادث 1860 الطائفية أزمة الحكم في لبنان، احمد طربس، ص 152

(4) راجع الوثيقة صورة عن الأصل، الوثيقة رقم E 2

(5) أرشيف بركلي، حارور البطريرك مسعد، راجع الوثيقة F17

والى جانب هذه التعابير التاريخية المتداولة هناك تعابير أخرى، نكل منها مدلوله الخاص المتميز والذي قد يشمل جماعة دون أخرى من التسمية الأشمل والأعم التي يدخل تحت مدلولها جميع التسميات الأخرى وهي «الحمادية». ومن أكثر هذه الصيغ استعمالاً

1- العشائر الحمادية

هي الأسر التي برحت مع زعيمها حمادة إلى لبنان وأقامت في مناطق مختلفة منه وحافظت على الروابط التي تجمع بينها وعبرت باسمها دائماً أنها من دم واحد فتعاطيت باسم النعم⁽²⁾ وكانت تلي «الصوت» مجتمعاً والصوت هو الدماء إلى القتال من إحدى العشائر إلى الباقيين تدعوهم لنصرتها وقد هاجر معظمهم إلى الهرمل وبعض بلاد بعلبك على أثر محنتهم وحموا معهم لغادات والأعراف نفسها التي شأوا عليها وكانوا يشكلون على امتداد القرون التي أمصوها في جبل لبنان عماد القوة المناهضة بين الشيعة ذكر المؤرخ عيسى اسكندر المعنوف أسماء ثلاثين عشيرة منها، وهي الأسماء نفسها التي عدّها العلامة الشيخ سليمان الطاهر⁽³⁾ رعينر، شمعن، دبدش، جعفر، شريف، الحاج يوسف، ملحم ناصر الدين، عواد، علوه، المقداد، جبولا، فمهر، حير الدين حيدر أحمد، علام، أبو حيدر بدير، وعمرو، وصفوان، والمسراح، الحمل، بلوط، جبلاط، الحاج حسن، نون، النمر

ويمكن بصافعة أسماء كثيرة تحت تسمية العشائر الحمادية⁽⁴⁾ التي تنضى أكثر التسميات شيوعاً قديماً وحديثاً في مختلف الاستعمالات الرسمية والأهلية والعامة، كما ورد في هذا الإعلام المرسل من الأمير مسعود حميد الأمير بشير وبائيه إلى أحد معاونيه تحب الحكم المصري.

(1) يطلق على الشيعة في بعض المصادر الأجنبية اسم حر هو Les Hémetiens وهو مشتق أيضاً من الحمادية. أما في بعض المؤلفات السمة من بلاد الشام فيصو عليهم طائفة الحمادية المتأولة الحقيقة والمجاز السابسي، ص 226، القسم الأول.

(2) الأمير عكر الدين، العلوف، ص 71

(3) تاريخ الشيعة السياسي، لشيخ سليمان الطاهر، ج 3 ص 153، يقول المؤلف الأسر الثلاثون المهاجرة والمنتمية كما تلقيت ذلك في الهرمل عن لرحيم الكبير محمد سعيد باشا (1829-1925)

(4) مثل همدن وبرو ورياح ويريك وعبيد وبرق وورعور وحيدر حسن وحمدن وزيين الدين وسيف الدين وباصيهم وهلال... إلخ. ويصعب حصرها بدقة نظراً إلى التسميات لأمرية المتعاقبة في مختلف الأجيال.

إعلام من الأمير مسعود حميد بشير الثاني بجمع سلاح العشائر الحمادية في
جهات بعلبك 1255-1839م⁽¹⁾.

حضرة الأخ العزيز الشيخ بشارة الخارر المحترم حفظه الله

من بعد الأشواق لشاهدتكم بكل خير وعافية والثاني واصليين إخواننا المشايخ
أولاد عبد الملك والمشايخ أولاد جهجاه لأجل تكونوا أتم وأياهم يداً واحدة بجمع
أسلحة العشائر الحمادية من بعلبك بحسب الأمر... عن سعادة جدنا المعظم ونحن
قدمنا الاعراض على توجههم لصدكم هذا ما اقتضى ومهما حصل عرفونا ولا
تقطعوا أخباركم منا.

التوقيع

مسعود

2- طوائف بيت حمادة⁽²⁾

شمل هذا التعبير جميع العشائر الحمادية المعروفة بأسمائها، بالإضافة إلى بقية
الجماعات الأخرى التي سبق وجودها في لبنان، الروح الرئيسي الكبير في العهد
الملوكي، أو التي التحقت به بعد ذلك، واندمجت في المجموعة الكبرى من حيث الولاء
والانتماء. فكانت المراسلات الأهلية والرسمية توجه إليها تحت هذه التسمية.

عن عيسى أسكندر المفلوف إن الحماديين ثلاث طبقات الأولى المشايخ الذين
حكموا في المنيطرة والبترون وبلاد جبيل و الهرمل والصنية، وبقاياهم في الهرمل
وحدث بعلبك ومجدل العاقورة، و لثانية دون المشايخ ويقال لهم أولاد عم الشيخ،
والثالثة البسطاء. وبقايا الطبقتين الأخيرتين في لبنان وبعلبك ووقائعهم
وأسابهم مفصلة في تواريخ لبنان وسورية،⁽³⁾

(1) راجع صورة عن الأمر، E3

(2) راجع الوثيقة لصادره في 11 ينج و 1275 هـ عن عموم شعبة في جبل لبنان والبقاع الموضحة
من أ - كامل مشايخ آل حمادة

ب - أفراد طوائف بيت حمادة القاطنين في جبل لبنان وقرى لواء بعلبك

ج - الحماديين في جبيل والهرمل وتوتنها

د - عموم أمراء آل حرهوش وسكن لواء بعلبك (من غير طوائف بيت حمادة) وهذه الوثيقة موقعة من جميع
شعبة الجبل وبقاع بما هيهم المندوب الحمادية لثلاث مشايخ الحماديين وطوائف الحمادية F 21

(3) عيسى أسكندر المفلوف، لأمير فخر الدين، ص 57

3- الشيخ «صاحب السمية»

هو الشيخ الذي يقوم على رأس الهرم، وهو الرعيم الأكبر للحمادية، والرئيس على المشايخ الحاكمين، وعصنتهم الأقربين، وسائر المشايخ الحمادية. وقد يكون الشيخ حاكماً من قبل أن يصبح «صاحب سمية وشيخاً على بيت حمادة»؛ فقد تمشيخ الشيخ سرحان بن قانصوه سنة 1638م، على المنيطرة⁽¹⁾ قبل أن يمشيخ على بيت حمادة بعد وفاة أخيه علي سنة 1641م⁽²⁾.

وقد يُطلق على البيت الحاكم أسماء الأب أو أحد الجدود بدور سبته، فقال بنو زعروق ولاية شنقاتا⁽³⁾ أو بنو سرحان «الرافضة»⁽⁴⁾ أو بالإصافة إلى اسم أحد الجدود كأبناء سرحان حماده، أو أولاد قانصوه⁽⁵⁾ أو عموم آل اسماعيل⁽⁶⁾، والمقصود بهم في هذه الحال الأحفاد من أبناء العمومة المتحذرين من حد واحد.

أما الأسماء التي تفصل الوثائق والتواريخ العثمانية إطلاقها على آل حمادة والحماديين وكاهه شيعه جبل لبنان، فمادة ما كانت تستعمل إلا الترماش الأرفاص والسرحانيين⁽⁷⁾.

نسب الحماديين

1 - «ينتسب الحماديون إلى رجل يُسمى حمادة من بخاري الفحم حرح على الشاه، عند فتح تبرير، فوجه له الشاه جيشاً قتل من تعصب له فصر بأهله وعشيرته إلى جبل لبنان»⁽⁸⁾.

(1) تاريخ الدويهي، ص 520

(2) المصدر السابق، ص 524

(3) أخبار الأعيان، ج 2، ص 190

(4) خلاصة الآثار، الجزء الرابع

(5) طر بلس هي التاريخ، ص 191

(6) راجع الوثيقة، رقم F21.

(7) التاريخ العثماني 1688-1704 عبد هادي أوركي وكن مؤرخون العثمانيون كثيراً ما يستعملون عبارة السرحانيين للإشارة إلى لسبعة المتعديين

(8) الإمارة الدرزية، عملاً عن الدويهي، ص 258 'سبحر' الأمر عبر المؤرخ حيدر الشهابي فقال إن لشيخ حمادي هو الذي افتتح بوزير أو تبرير، العزير الحصان، المحلث الثاني، ص 790 وجاء في معطوط محنصر تاريخ الدويهي لطوس الشديق أن حماده تنقل من تبرير إلى قنهر محنصر ص 138

2. « هم قومٌ من العجم من بكاره، وكان جدّهم حمادة من بعض أهلها فنشأ فيها واشتهر بين أهلها ثم أراد الخروج إلى سلطان تلك الديار فوجّه إليه السلطان جيشاً قتل من تعصّب له فضر حمادة بأهله وعشيرته فقدم جبل لبنان،⁽¹⁾»

3. « ينتسب الحماديون الشيعة إلى هاشمي بن عروة بن مدحج من آل حمير. كان جدّهم في كوفة العراق، ولما حارب يزيد بن معاوية الحسين بن علي بن أبي طالب كانوا من أتباع الحسين فقتل جدّهم هاشمي أمام الحسين، ثم قتل الحسين وطلّورد بنو هاشم وشيعتهم فهجروا بلادهم إلى العجم مستخدمين مدة، ثم ظهروا وخرج جدّهم حمادة على شاه العجم فمات له بحيشه، وقتل من تعصّب له فضر حمادة بأهله وعشيرته إلى لبنان،⁽²⁾»

4. وجاء في تقرير دبلوماسي أرسله إلى حكومته الترجمان الثاني في القنصلية الفرنسية في أرمير Smyrne في 8 تموز 1846 م. وهو عبارة عن موحّر لتاريخ الشهابيين اعتمد فيه على مصادر ذكرها في تقريره يتكلّم عن لحوء الشهابيين عند بني حمادة في كمروان فيقول: «أصل هذه العائلة من فارس من منطقة حمادة في جهات بخارى. قام أحد أجدادهم بثورة ضد السلطان فأرسل السلطان جيشاً قتل الدين أندوا بعض المناوئة، وهرّبوا إلى كمروان حيث أصبح لهم بعد وقت قصير نفوذ واسع وسيطروا على معتقدات الشيعة فلم يجد الشهابيون منهم غير حزبينهم الفيسية هلكوا إليهم مع كل ثرواتهم وحوالي مئتي ألف من رجالهم،⁽³⁾»

5. بنو حمادة عائلة لبنانية عريقة تعود بحدورها إلى قبيلة مدحج اليمنية. نرحب عن اليمن بعد حراب سد مأرب إلى بخارى في منطقة الأهوار الإيرانية⁽⁴⁾ ثم انتقلت إلى جبل لبنان وتركت في جرود كمروان، ثم ما لبثت أن أصبحت تحكم تلك المنطقة بعد تراجع سلطة آل عساف وآل سيما ثم امتدّت سلطتها إلى مناطق كبيرة من سوريا منها وادي النصاري وصافيتا ودياريس ولكن حروب الإجملاء التي تعرض

(1) الميطلوريني، ص 79

(2) تاريخ حجر الدين، المجلد، ص 70

(3) تقرير شامير، D D C. T 8 P 415 Ch. Shaefer وقال غيره إن الحمادي سبه إلى أراضي الحماد في البادية السورية، صفحات من ماضي الشيعة، عمرو، ص 60.

(4) محافظة جوزستان الحانية جنوب إيران على حدود انراقية قريبة من البصرة وليس فيها اليوم مكان يحمل اسم بخارى. وهي إيران اليوم منطقة تقع شرق تبريز لا تزال تحمل هذا الاسم

لها شعبة تلك المنطقة أدت إلى تراجع سيطرتهم نحو البقاع، فتركزت في الهرمل وجوارها⁽¹⁾.

6 - جاء في تاريخ غبالة:

«يستسب الحماديون إلى رجل من بخارا العجم يسمى حمادة بن مدحج حمادة أراد الخروج على شاه العجم سلطان بلاده، فوجه الشاه إليه جيشاً قتل من تعصب له من قومه فصر بمن بقي من أهله وعشيرته إلى جبل لبنان ونزل في الحصين من مزارع غبالة المشهورة. وكانت غبالة من مراكز المشايخ آل حمادة في المتنوح، وكان المتنوح بأجمعه من مناطقهم الإقطاعية الموروثة مدة ثلاثة قرون متوالية من الزمن من أوائل القرن السادس عشر الميلادي حتى أواخر القرن الثامن عشر يحكمون فيه ويتولون أموره. وكان الحماديون طيلة حكمهم لمناطقهم في جبيل والبترون وجبة بشري في حالة هيجان مستمر، وثورات متواصلة على الحكام محاورتهم وولاية أمرهم يوالون حيناً وينثرون أحياناً وقلما استقر لهم حال فكانوا دوماً في حل وترحال وكر وادبار مع أرباعهم من السكان»⁽²⁾.

7 - يقول الكولونيل تشرشل⁽³⁾: إن «الفترة المحددة التي بدأ فيها المتأولة بسومنتون سلاسل الحبل اللبناني لا يمكن التأكد منها، أما ما تقوله الروايات فهو أنهم كانوا في الأساس يسكنون مملكة بخاري، ومنها هربوا إلى سوريا بعد أن قاموا بثورة غير ناجحة على ملكها. كان قسم منهم بقيادة رعيم يحمل اسم حرفوش بينما القسم الآخر بقيادة زعيم اسمه حمادة توجهوا في طريقهم إلى لبنان، فعرفت ذرية حمادة بالحمادة وقد أنيطت بهم حكومات مختلفة في شمال جبل لبنان، ولم تكن هناك إلا نادراً ولا مقاطعة في شمال لبنان إلا وكانوا مكتملين بحكمها»⁽⁴⁾.

8 - أما القنصل الروسي باريلي، فيكتفي عند تأريخه لدخول العثمانيين إلى سوريا عام 1516م. بالإشارة الآتية:

«أما في جبيل وعلبك فقد هويت عائلتنا مشايخ بني حمادة والأمراء الحراشنة وكلتا العائلتين من متأولة ما وراء الصرات وقد اعترفت بهم الحكومة الجديدة»⁽⁵⁾.

(1) رسالة تاريخية لاصيف الباجي، ص 34

(2) تاريخ غبالة، فرسيم الحداد ص 157

(3) نبيل وديوماسي وعسكري إكليري، أقدم قرياً من عاليه مدة عشر سنوات، توفي سنة 1869

(4) حبل لبنان، الكولونيل تشرشل، ص 101 - 102

(5) سوريا ولبنان وفلسطين، القنصل باريلي، ص 45

9 - وقال الشيخ سليمان الطاهر⁽¹⁾

«إن من بدعي انتسابه إلى عشيرة في لعدة المتبعة في الإنسان أن تقر دعواه إلى أن يعرض ما يفسدها بدليل مقبول، والحماديون معروف عندهم متناقل لديهم أنهم عرب أقحاح ينتسبون إلى هاني بن عروة المدحجي، وأنّ أوائلهم كأوائل كثيرين من العرب الذين كانوا يهاجرون من بلادهم إلى البلاد التي انصوت تحت لواء السلطان العربي الإسلامي لدوافع وعوامل كثيرة وما زال في بلاد الفرس وهي غيرها من بلاد الأماجم من هو محتفظ بنسبه العربي».

ولما وقع بينهم وبين شاه إيران ما وقع، هجروا إيران بعشائرهם البالغة ثلاثين أسرة إلى البلاد الشامية، فأقاموا في بعض جهات حلب مدة ثلاثة أشهر. ولما كانت لهم قواعد خاصة في الزواج فلا يصحرون غير ذوي أرحامهم، فأراد بعض رجال عرب الموالي⁽²⁾ مصاهرتهم على كريمة من كرائمهم، فأبوا ذلك عليه تمسكاً بتلك العادة، وأدى ذلك إلى براع محارب بين الفريقين انتهت بصور الموالي لكثرة عددهم ولانضمام الكثير من القبائل العربية في تلك البوادي إليهم، فاضطروا للزواج إلى لبنان وسكنى القرى التي دخلت في إقطاعهم وامتد حكمهم فيها إلى العهد الذي لعب فيه الدولة العثمانية الحكم الإقطاعي من البلاد الشامية.⁽³⁾

حاء هي دراسة عن علاقة الموارنة بالحكم الشيعي في جبل لبنان شرها ستيمن وبتتر هي إحدى المجالات المتخصصة

سيطرت بشكل خاص عائلة حماده من وادي علمات على جبيل والصنوح من أيام المماليك. وامتد نطاق حكمها بعد التنظيمات المالية العثمانية في القرن السادس عشر على منطقة واسعة تشمل أكثرية الموارنة ورغم أنهم كانوا الملتزمين الرئيسيين لكامل منطقة طرابلس وبافسوا الملتزمين المهمين مثل المعنيين والشهابيين فقد أثاروا باستمرار غضب السلطات العثمانية، ولم يحلوا في أي وقت باكتساب ثقتها⁽⁴⁾.

(1) أديب وقاص ومؤرخ عاملي (1873-1960)

(2) مشهور من عصره كانت لها سيطرة فريدة على جهات حلب وحمص هي القرنين السادس عشر والسابع عشر

يقول التقليد المتواتر أن المعركة التي حرت بين «عريمين» سمي معركة حمراء الموت لأن اسم المائة التي سبقتها كانت حمراء وأنها كانت ابنة أحد رجال دين من لأشرف يرافق المهاجرين

(3) تاريخ لشيعه لسياسي الشيخ سليمان طاهر ج3، ص 152-153

(4) مجلة Arabica سنة 2004، عدد 1-51، ص 2

تكاد المصادر تُجمع على أن حمادة العجمي ثار في زمن غير معلوم على الشاه أو السلطان في بحارى العجم (عند فتح تبريز) وفرّ بعد فشل ثورته إلى جبل لبنان مع مجموعة كبيرة من الناس. فكان قدومه أقرب إلى هجرة جماعية أقامت في موقعين هما كسروان والنصّية، وانتشرت على طول المرتفعات بينهما، ثم انحدرت إلى السواحل. وبقيت في جميع الحقب تشكّل وحدة متمسكة في إطار اجتماعي موحد وتنظيم عشائري متين وفريد من نوعه في ديار هجرتها على الأقل لأنه يختلف في بعض مفاصله عن التنظيمات القبلية والعشائرية وتفرعاتها السائدة في لبنان. وتعود هذه الجماعة إلى جدور عربية من قبيلة مدحج ابيمنية القحطانية. وقد هاجرت من الكوفة بعد مقتل هاشم بن عروة أحد شيوخ مدحج في ثورة الحسين بن علي سنة 61هـ 631م⁽¹⁾

إنّ التحقق من صحة الأسباب و لأصول يجرّح هي غالب الأحوال عن مقاييس علم التاريخ وأساليبه المعتمدة وقواعده المتعارف عليها لتعدّد القيام به من جهة ولعدم حدود العملية من جهة أخرى لأنه ليس وقعة يمكن إحصاؤها لإعمال المنطق التاريخي ومطابقته على الحوادث المماثلة والمعاصرة، وإسناده إلى المصادر الموثوقة والدرية، بل يعتمد غالباً على السماع واليقول والتقليد حتى عند لعائلات والعشائر التاريخية، أو السلالات الحاكمة والقيادية، خصوصاً وأنها قد تختفي في فترة ما عن سلسل الؤهائج والأحداث، هيئوقف التاريخ عن متابعة أخبارها حتى إذا عادب إلى دائرة الصوء مرة أخرى، تكون السلسلة قد قُطعت وبعض حلقاتها قد سقطت، فالعاطميّون مثلاً رغم هرب عهدهم بسياً بما ادّعوه من نسب قرشي، بقيت صحة هذا النسب متار جدل ولا يزال حتى يومنا والتاريخ على كلّ حال قلماً يقف طويلاً أمام صحة الأسباب ودقتها، لأنّ اهتمامه ينصبّ عادةً على الوقائع والحوادث ولتطوّرات، دون الإلتفات طويلاً إلى مثل هذه التفاصيل، إلا بمقدار ما تحمله من دلالات وما تفصح عنه من صلاتٍ بكلّ ما يثير فضوله من أحداثٍ وسيّر

إنّ اقتران اسم حمادة بالعجمي وبالعجم سنة وموطناً قد لا يعني عند البطريرك الدويهي - وهو أول من قال بها ونقل عنه جميع المتأخرين - أكثر من تعبير يقصد به المذهب والمعتقد فالمحمي والشيعي مر دهاا لمعى واحد خصوصاً في عصر البطريرك، إذ كانت الحرب بين الدولة العثمانية و لدولة الصفوية الشيعية على أشدها

(1) من سلالة مدحج هي لإحساء اليوم، ال حمادة، آل عريم، بوحالد، إلخ

كما كان من عادة العمم - وربما لا يزال - نسبة كل شيعي من بلاد الشام إلى جبل عامل فقالوا - ولا يزالون - الشيخ النهائي العاملي، وينطبق ذلك على علماء من الشيعة كثيرين غيره مع أن الشيخ النهائي المعبكي الموطن والنشأة ربما لم ير جبل عامل طيلة حياته.

في القرن الذي يُرجَّح أن الحماديين هاجروا فيه من ديارهم حتى استقروا في جبل لبنان، كان جنوب العراق موطنهم الأول وبلاد هدرس - التي تسهم الدويهي إليها - يشكلان دولة واحدة تحت حكم نيمورسك (1336 - 1405 م.) وحلفائه. حتى تمكن أحدهم (السلطان أبو سعيد) (1452 - 1469) من حكم مملكة واسعة تشمل العراق وفارس إلى حدود الهند⁽¹⁾ حتى قيام دولة الصفوية في العام 1501 م وسيطرتها على العراق في العام 1508 م. قبل أن يبتزعه السلطان سليمان القانوني في العام 1534 م ويصبح محل نزاع دائم منذ ذلك التاريخ بين الدولتين الكبيرتين. لذلك يصعب تعيين حدود ثابتة بين مطربين المتداخلين طيلة هذه الحقبة مما قد يوحد الثباماً في النسبة إلى أحدهما بدون الآخر.

في الوثائق الرسمية العثمانية، وخصوصاً في مجموعة (أموري مهمة دفنري) التي لا زال بعضها محفوظاً في أرشيف رئاسة الوزراء حتى اليوم (باشكابلق أرشيفي) وهي المرممات السلطانية (أمورات شريفة) التي تمثل القرارات الصادرة عن الحكومة المركزية ممثلة بالسلطان والتي تتناول أموراً إدارية متعددة ومتشعبة أهمها التعليمات والأوامر الصادرة إلى العمال العثمانيين في مختلف أنحاء الإمبراطورية - يُشار إلى آل حمادة على أنهم قرليباش (Kizilbas) وهو اسم يطلق على طائفة من هراطقة المسلمين في شرق الأناضول وأذربيجان، والذين أصبح قادتهم في ما بعد مؤسسي الإمبراطورية الصفوية⁽²⁾، والقرليباش في التاريخ الفارسي تنظيم عسكري أسسه سلطان حيدر عندما حوّل الطريقة الصفوية الصوفية إلى حركة سياسية عسكرية بعد أن نظم مريدیه تنظيمًا حيداً، واختار لهم لباساً أكثر ما كان يعبره قلنسوته الحمراء ذات الأثني عشر شقة تيمناً بالأئمة الاثني عشر وقد أصبح هذا اللباس شعاراً للقوى الصفوية التي عرفت بالقرليباش (حمر الرؤوس)⁽³⁾ والتي ستمكّن في منتصف القرن السادس عشر من تأسيس الدولة الصفوية في إيران

(1) تاريخ لشعوب الإسلامية بروكس، ص 423

(2) الإمارة الدررية، أبو حمزة، ص 21

(3) تاريخ لعلاقات العثمانية الإيرانية، عباس صباغ، ص 41

التي ستصبح من ألد وأقوى أعداء الإمبراطورية العثمانية في الشرق.

أطلقت الوثائق الرسمية والتواريخ العثمانية اسم القرلباش على شيعة جبل لبنان منذ أوائل القرن السابع عشر، وبقي هذا الاسم هو السائد والطاعي في هنرات العداء والتعرد حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر ولم تعرف العلاقات بين الفريقين إلا القليل من فسحات السلام والهدوء.

يورد الباحث عبد الرحيم أبو حسين ترجمةً لعدة وثائق عثمانية موجهة إلى ولاية سوريا وبلاد الشام تتعلق بالحماديين، وحروبهم مع الولاة والقادة العثمانيين، ومحاولات الدولة المتواصلة القضاء عليهم، واحتشدهم من ولاية طرابلس، وتسميتهم بالرواهص الأشقياء وعالياً بالقرلباش، أو طائفة القرلباش الأشقياء العصاة الذين أكلوا وبلعوا عائدات بيت مال المسلمين، واستولوا على طرس الشام مدة عدة سنوات.

ليس القرلباش شعباً أو عرقاً أو بلداً، أو حتى مذهباً لنصح سببه الحماديين أو سواهم إليها. يقول الباحث (أبو حسين)

« هناك شواهد في الوثائق العثمانية تعزز وتوضح ما هو مذكور عرضاً أو تفصيلاً من التاريخ اللبناني للفترة نفسها من المصادر المحلية. إن مسألة أصل عشيرة آل حمادة مثال جند على ذلك فالدويهي في تاريخه يشير إليهم بوصفهم عشيرة هارسية من منطقة تبرير أما في الوثائق العثمانية، فيشار إلى آل حمادة أنفسهم بشكل قاطع على أنهم قرلباش».

إن القرلباش - كما رأينا - تنظيم عسكري شيعي خبره العثمانيون في حروبهم مع المرس، وأطلقوه على التأثيرين على سلطنتهم من الشيعة، أو العلويين في الأنابول ولربما كانوا يطلقون هذا الاسم على لشيعة بالطلق، أو على المحاربين منهم أو على من يصنموبهم هي حاة العصاة والمرتدين الذين يستوجب قتالهم وإحضارهم ربما هي لفظة جرى العرف الرسمي العثماني على إطلاقها على كل شيعي منسوب عليه من السلطة عدائية، واردة باعتبار أن حروب لقرلباش الصمويين والفوات العثمانية السننية قلما سكنت طويلاً خصوصاً في بقرون الأولى لتأسيس الإمبراطوريتين المتناهستين دون أن يكون لهذا الاسم مدلول عرقي معين، وإنما هو تفسير سياسي يُطلق على الشيعة المعادين أو المتعزدين على السلطة عثمانية وعقائهم ويبدو أن استعمال هذا

الاسم لم يقتصر على المراسلات لعثمانية الصادرة عن دوتر الباب العالي هي العاصمة فحسب وإنما كان يرد أحياناً في بعض الوثائق الحكومية الرسمية الصادرة هي ولايات الشام أيضاً ومنها ولاية طرابلس⁽¹⁾

إن منشأ هذه الجماعة، وأصولها العرقية، وتاريخ وصولها إلى لبنان تتمحور في معظم المراجع المحلية، مثل الكثير من الروايات والأساطير والتوجيهات، حول ما ذكره الدويهي في أحداث 1547 عن شيخ حمادي قتل دوتر محوم على بشري قائلاً إنه هاجر من إيران بسبب احتلال تربر الذي توهم خطأ أنه حصل سنة 1493 كما يرى كمال الصليبي⁽²⁾

وقد ساد هذا القول على آراء مؤرخي القرن التاسع عشر، فتحيلوا الحماديين كمواطنين من عدى وحنوداً للشام، ويطور هذا الاعتقاد إلى اعتبار جميع الشيعة من أصول إيرانية. وبعد سنة 1700 وهو تقريباً تاريخ وضع مؤلف الدويهي، قال دبلوماسي فرنسي مجهول: إن أصلهم لعربي مشكوك فيه

يعتقد البعض أنهم قدموا من فارس لأنهم من شيعة علي والآخرين أنهم جاؤوا من نواحي صيدا أو صيدون⁽³⁾

وكانوا دائماً يصرون في تراثهم الشعبي أنهم حمريون من مدح الكوفة وأن جددهم هاني بن عروه قتل مع الحسين بن علي في كربلاء سنة 61 هجرية⁽⁴⁾

لم يكن يميزهم الأثر عن باقي الجماعات التي تعيش إلى حواريهم، يعود إلى أصولهم أو مذهبهم، وإنما هل كل شيء إلى تركبتهم لاجتماعية المريدة، لأنهم كانوا منتظمين كمشائر متعددة لها تقاليد وأعرافها ودهبيتها الخاصة يشد بينها رباط (1) راجع الوثيقة E4 التي تطلق على حمادي، سم تاملر (وثيقة عمد شرعي صادر عن ديوان طرابلس اشتمل بحضور الوالي مصطفى باشا، يذكر فيه اسم حسين دب العرلش سنة 1053 هـ 1643 م وهو شقيق حسن دب محمد طرلس مدينة سنة 1649 ويتضمن إلى الفرع الحمادي الذي حكم الصبيه خصوصاً

الدويهي، ص 533، ولغدياق ص 192، وثيقة رقم 4

(2) يرى كمال الصليبي أن احتلال تربر جرى سنة 1514 و 1534 مماثلة بمواو ومقدمو بشري، نشرت في مجله 30 P 1976- Arabica

(3) مذكورة مرفوعة إلى الملك حول الدور و لحمدريج جس في القرن الثامن عشر، المؤتمر الأول ص 250 - 253

(4) الإمارات الشعبية ص 94 وسر وهبات، إشارة في عمر المصير إلى روح عائلة قرقمار من الصوح سنة 1520

معقد من الأواصر القبلية والأسرية، ويؤمنون وحدة اجتماعية وسياسية وقبلية كاملة الإنصهار، يحكمها شريعة من الأعراف وليس التي حملتها معها منذ تاريخ غير محدد يتنقل معظمها موسمياً بحسب الفصول وما تقتضي حاجات قطعانها⁽¹⁾

يرى باحث معاصر أن النسيج الاجتماعي والاقتصادي لهذه الجماعة يتكون من ثلاث فئات تتمايز في طريقة معيشتها

أولاً: المزارعون الثابتون المستقرون في قراهم، وعائلات التجار الذين اعتادوا الحياة الحضرية منذ وقت مبكر

ثانياً العشائر المرتبطة بأل حمادة الدين استقروا في قراهم مشكلين خط الدفاع بوجه الجماعات غير الشيعية خارج متطفيهم في القرن الخامس عشر.

ثالثاً عائلات مبروهة بمكانة علمية ودينية، ربما جاءت في الأصل من حبل عامل واستقرت في الإمارة الشيعية في أواخر لقرن السابع عشر⁽²⁾.

وهذه اندمجت هذه المناب المختلفة في مجتمع موحد شديد الترابط، لم يكتسب يوماً مزايا الحياة الرعائية والملاحية المرتبطة بالأرض كما يرى عادل اسماعيل

Cette Communauté ne s'est que fort peu attachée a la terre et est restée sans liens avec la vie paysanne⁽³⁾

لم تهتم الدولة العثمانية كثيراً بكونهم مقاتلين، أو رعاة أو فلاحين، ولا بأصولهم سواء كانوا من الكوفة أو من الأهواز أو من تبريز فقد صنمهم منذ البداية في عداد أشد أعدائهم، فهم ليسوا إلا هرطقة ورفض فأطقت عليهم سماً و حداً فلما غيرته وهو القرطاش، واعتبرت أن القصاء عليهم واجب ديني وعرض إلهي فكن على تاريخ هذه المنطقة هي لبنان أن يشهد في القرون التالية تطورات كارثية

(1) لا يزال هذا لتقليد سارياً حتى اليوم، فالكثير من عشائر بعلبك الهرمل تصطاف في الجرود وتقصي الشناء في السهول.

(2) رباح أبي حيدر، المجتمع الشيعي، ص 86-91

(3) Adel Ismail Histoire du Liban du XVIIe siècle à nos Jours T1, P 25-26.

الفصل الثالث

مصادر التاريخ الشيعي

لم يكتب تاريخ الشيعة والحمدانيين كتابةً واضحة حتى اليوم وحلّ ما هو متداول ومتناقل بعض السذات الميثوثة عرساً في تاريخ التطريك الدويهي، ومن نقل عنها من المأخرين وغيره من توارخ المواربة عند الحديث عن وقعه أو حدثٍ ساهموا في صناعه، أو كانوا هدفاً له. وقد قصت أسباب عاطفية وطائفية أن تصدق حتى هذه السذات المتصرفة إلى كثير من الموضوعية والإلزام إلا في محطات بادرة لم تترك طبعه أحداثها حقوة كبيرة لأعمال الهوى ومرصت نفسها على محاريب الوقائع بدون إمكانية تحاورها أو تحايلها، إلا على حساب ترابط الأحداث ومصداقيتها.

إن ندرة المصادر والمراجع هي في مقدمة العوامل التي تجعل من كتابة تاريخ الحمدانيين والشيعة بوجهٍ عامٍّ، محاولةً في عاية الصعوبة، محموفة بمخاطر حقيقية تتمثل في الإهتقار إلى المصادر المأدبة والمدينة، ممّا يدفع إلى توخي الحذر الشديد والخوف القلق من البعد عن الوصوح المرعوب، والتسلسل التاريخي المستمر اللامتقطع لبناء سيرة تاريخية شاملة ومعقولة تبرّر الجهد المبذول في التقصي والبحث وإزالة ما يمكن من الإبهام بالتعمق في التحليل والمقاربة وهذا ما يشير لدى المهتمين بالملاحظات الآتية

1 - إن أربعة قرون على الأقل أمصاص شيعية هي جبل لبنان أسياذ مصيرهم ومصيرهم لم تحلّف أثراً تاريخياً واحداً يختصّ بهم وصعاً أو موضوعاً وحتى في مجالات أخرى من الآداب والأفكار، فإن محاولة العثور على أثر مكتوب من تأليف أو تصنيف لأحد من شيعة جبل لبنان ظملاً أو شراً، لم تؤدّ إلى العثور على شيء يعتدّ به غير بعض

للمعاملات وللتعاملات المحدودة القليلة تاريخياً وأدبياً. ولا بدري إذا كان هذا الواقع المؤسف يعود إلى عجز وعدم اهتمام أم. بي أن الظروف القليلة والمتحفزة التي تحكمتم بهم طيلة هذه القرون نتيجته استهداف شرس ومتواصل من السلطة الحاكمة، أم أن الأيام السوداء، والنكبات التي طالت كدت في صلب معانيهم المستمرة لم يسق على النذر ليسير مما حدث له معارفهم لتتوسع والملمت أن أحوبهم في حل عامل - مع صحامة ما توارثوه من تراث مكتوب هي الفترة نفسها - كانوا وكأنهم يجهلون وجود حيران لهم هي الموطن والمعتمد ولا يتذكرون ذلك إلا عند هبوب رياح الخطوب في ربوعهم

2 - كان لابد من الاعتماد في هذا البحث إضافة إلى المراجع الكلاسيكية المعتادة التي لا تنصّر أكثر من بعض السندات المنقطة، التي لا يمكن أن تصلح وحدها أساساً لأي بحث، وهي مشوبة عالياً باليعدر الشديد والعموص بحث بلتس معيها أو موقعها في السياق العام أحياناً وتتصف بالعطحية أو عدم الاهمية هي أحياناً أخرى ومن هذه المصادر بواريج الدويهي والشذافي وأبي حنّار ومن أحد عنهم الخ إلى بعض المقررات والسندات العريضة أيضاً هي توريح القرى والعائلات، وهي متنوعة وكثيرة العدد ولكنها تعتمد على العالبي على التقليد والتسمع ومحروون الذكرة الشعبية العامة من حوادث واساطير تقصر كما سابقانها على بدر من المرويات المتشعبة قد يكون مصيدة أحياناً وأهرب إلى الأساطير هي غالب الأحيان

3 - بعض الإشارات البادرة في الحوادث التي كُتبت خارج لسان في دمشق أو عكا أو حمص مثلاً، ومعظمها - ولأسباب صنيعة وجمرافية - لا تقترب ايضاً من ميدان اهتمامنا الا قليلاً عند الضرورة القصوى وكتتها كمثلاثتها السياسة بؤرخ لطائفة معينة وتعتقد أنها غير معينة ببقية الطوائف إلا في حدود الترامها المعتقدي ومصحته كما نراها فالمحتي هي خلاصته الوافية ثم يصمّر أحرار مصنفه لأربعة إلا ترجمة وحدة لأحد الحرافشة لأنه اقرب أهله إلى السنن وببدة شيمة عن الحماديين جاء فيها

«وجورهم بالنسبة إلى أمراء بلاد الشام كالسرور بي معن والرافضة بني الحرفوش وبي سرحان» مقصور على نصهم من حيث المعتقد فحسب وما لهم في القديم والحديث كثره أدية للمسلمين

(1) أحد مشايخ الحماديين وسيدني ذكره

(2) سبق الإشارة إلى نص محلي

4 - تبقى هناك مصادر ثلاثة موثوقة ومدونة يمكن أن تشكل للباحث في هذا الموضوع حقلاً يعود منه ببعض الحس المتفرق بعد أن يعمل الفكر في تنقيته من كل ما هرسته حرفية المدونين، ومهنتهم من مسرعات المنه وأعراقها وهي

1 - سجلات الأديرة والرهبايات.

2 - مصنّعات الرحالة الأجانب.

3 - التقارير الدبلوماسية ولا سيما العائدة للقناصل الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين هي طرابلس وصيدا وسرّوب ودمشق

4 - بعض الوثائق التاريخية النادرة لأهميّة التي قاومت آثار السنين في محفوظات خاصة، صانها بعض المهتمين لسبب أو لآخر، أو عامة بقيت في بعض المؤسسات الرسمية

5 - ولكن أهم هذه المصادر واثمها بقي دائماً لأرشيف العثماني لصحيم، ووثائقه المحفوظة اليوم في الدواوين الرسمية، والسجلات الحكومية والمحاكم الشرعية والذي نقرأه اهتمام الباحثين بالتنقيب بين كنوز التاريخيه، رغم مشقة هذا الجهد، عن كل ما يسلط الضوء على أحداث التاريخ اللبناني، أو غيره من البلدان التي خضعت للحكم العثماني المفقودة أو النقصه أو المحترأه و المتسبه سبب هيمته التوثيقية الحاسمه رغم أنه من الطبيعي أن يصغر وجهة نظر السلطة تجاه الوثائق والاحداث التي يتناولها

إن اتجاه المؤرخين والباحثين في الآونة الأخيرة نحو هذا السبوع التاريخي العرير و ترحب من شأنه أن يسد الكثير من الثغرات المادحة في التاريخ اللبناني وبعد من تأثير الأهواء على صدقيته، ويجمع به نحو لمريد من الواقعية والحقيقة والموضوعية والإنصاف

بدأت هي المترة الأخيرة تظهر عن بعض لمركز الجامعة والمحلات المتخصصة، أبحاث علمية موضوعية حول تاريخ الشيعة في جبل لبنان العثماني في أميركا وأوروبا، تستند بشكل خاص على الوثائق لحكوميته لرسميه، وتماير الرحالة والدبلوماسيين الأوروبيين يبرر فيها الدور الشيعي وأهميته لواقعية، ويركز على الساهل المنهجي والمقصود والطمس لمتعمد للدور الأساسي ورئيسي الذي قام به الشيعة في المشرتين المملوكية والعثمانية في تدرج المصالح التي بتألف منها لبنان الحالي، وكيف حاول

التاريخ الكلاسيكي منذ ظهور تاريخ الطبري والدويهي، وما ظهر بعده في القرون اللاحقة من حصر للتاريخ اللبناني في منظمة صيقة هي حل الدور وتعميمه بدون مبرر على غالب المناطق اللبنانية الأخرى هي حل لسان والبقاع وحل عامل، وهي تؤلف القسم الأعظم من لسان الذي كان تحت حكم الشيعي حصراً معظم الفترة العثمانية، ولم يكن للمعنيين والشهابيين وغيرهم من حكام حل الدور موقعاً سياسياً أساسياً فيه يتجاوز دائرة الحوار والتنعية للولاية العثمانية نفسها⁽¹⁾

الاعتماد على المصادر المعروفة والمتداولة وحدها، وهي محدودة في نطاقين رئيسيين وحجراتي، تبقى أي بحث في تاريخ لبنان حل اسوار معلمه من المعلومات الموضوعه والمترصه، كي تقدم سباقاً مرجعياً ومأمولاً ومعتمداً بشكل مسبق، وحامداً لا يلامس إلا ما يتوافق معه، حريصاً على لباسه ثوب الواقعية والمصداقية الموهومتين، ولو بدون توفيق واقتناع في غالب الأحيان.

انطلاقاً من هذه المعطيات كان لا بد من البحث عن مصادر أخرى إلى جانب المصادر الكلاسيكية، تتمتع بمصداقية موثقة لا تقل الشك فصلاً عن الطعن الأمر الذي توجره وثائق رسميه وتقارير دبلوماسية ومشاهدات رحاله لم يكن التاريخ من من اهتماماتها عندما أخذت طريقها إلى حيث يمكن أن تؤدي دورها الآن.

إن الوثائق العثمانية الرسميه التي أمكن الاطلاع عليها، وتقارير القناصل الأوروبيين الباقية هي مجموعات دولهم ومشاهدات الرحالة التي تصف ما عاينته من أوصاف وأحداث عند مرور أصحابها في لبنان وصفت جميعها من أجل عاية سياسية أو مهنية أو ثقافية دون أن تكثر بعومعها في التاريخ أو في سياحه ومدلولاته وهذه الحاصة بالدات تمنحها قيمة ومصداقية عبر محدودتس أمام المؤرخ المعاصر.

ويدخل في هذه الفئة من المصادر، الوثائق التاريخية اللبنانية، الكنسية منها والمدنية، التي سلمت من الصياغ والتلف رغم بدرتها، وتشئت موضوعاتها في الرمان والمكان.

من أجل ذلك يعتمد هذا البحث على هذا النوع من المصادر الموثقة كلما تيسر له

(1) من أهم الدراسات التي ظهرت في الولايات سحدة حول هذا الموضوع

The Shiite Emirates of ottoman Syria Mid-17th - Mid 18th century

The companion against the Hamadas of Mt Lebanon 1693-1694.

الباحث Stefan H. winter

وأهم المحلات العربية التي تناولت أبحاثاً تاريخية لبنانية

Arabica 20 , 1973, P 25-52.

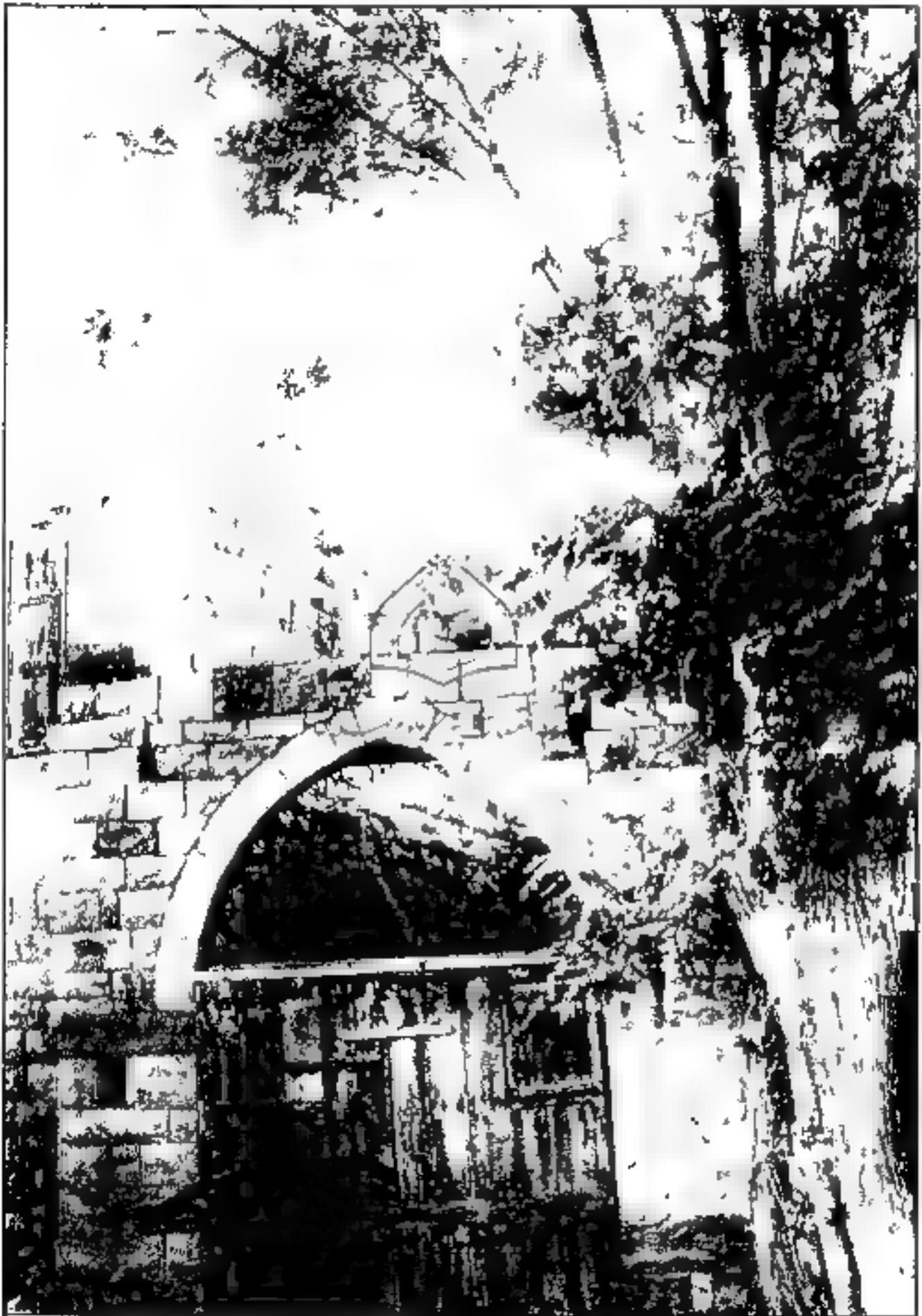
Revue géographique de Lyon 32 1957, P 117 126.

ذلك، دون أن يفصل دور المراجع المتداولة وأهميتها هي تلمس السياق التاريخي العام، رغم كل عيوبها ونقائصها. ولا بد من المقارنة بين النوعين والتكامل بينهما كلما كان ذلك ممكناً ومقتضياً

إن القسم الذي يتناول تاريخ جبل لبنان في هذا البحث، وهو الأكثر تنوعاً وتعقيداً بما لا يقاس من تاريخ سائر المناطق اللبنانية يشير في هوامشه إلى مصادر معلومات متنوعة يمكن تصنيفها في المئات الآتية

120	اشارة	I وثائق عثمانية
	60	أموري مهمة دفتري
	44	سجلات محاكم الشرعية
	4	شكاية دفتري
	12	مؤلفات مؤرخين عثمانيين شبه رسميين
80		II وثائق لبنانية
	53	وثائق كنيسة محمولة في بركي وسائر الأديرة
	27	وثائق خاصة محصورة ومذكورة في النص
54		III تقارير فتاوى أوروبيين
102		VI رحالة ومبعوثون أوروبيون وقصاص رسوليون
173		V مؤلفات رجال دين موارنة
100		IV المراجع اللبنانية المتداولة لدويهي، بندق، الشهابي
216		IIV مراجع أخرى
845		المجموع

1 إن الأرقام في هذا الجدول هي تقريبية، ابدية معها الإشارة إلى نوعية المصادر المعتمدة وحجم الإشارة إلى كل فئة منها



بیت حمادی فی القرن اسع عشر لا ار قائمہ حمی یوم فی حبہ بصری،
سبعس سور من التراث
ریشار شاہیں

جاء في مقدمة بحث لأحد المؤرخين:

«من الصعب جداً كتابة سيره المشايخ لحماديين المتداخلة مع سيرة كل أمراء لبنان طيلة قرنين ونصف من الزمن، لأن هؤلاء المشايخ تولّوا الحكم في منطقة تمتد من أطراف كسروان الجنوبية إلى أطراف عكار الشمالية، أي أكثر من نصف لبنان بالإضافة إلى انطوائهم على أنفسهم في البقاع الشمالي لأحيال طويلة حتى طرابلس عاصمة الشمال والولاية التي يعود إليها حكم الشمال تسلمها الحماديون أنفسهم أكثر من مرة وتوزعوا في ما بينهم لأقطاعات التابعة لها. والذي يريد في غموض تاريخهم تعددهم، وتوزع معاصمتهم، وعدم استقرارهم في مناطقهم وصراعهم الدائم مع الحكام والولاة والأمراء وفي الوقت الذي كان لغيرهم فيه مصر أو مصران على بعد تقدير كان لهم في بلاد جبيل والبترون وطرابلس وعكار ونشري والهرمل وعلبك وكسروان مصرانهم المتعددة.

وقال آخر: «لم يكن لهم مصر ولا مستقر يحويون القرى بحبالتهم مرتكبين الشناعات، حتى كثر مبعصوهم وحاربتهم»⁽¹⁾ للدولة⁽²⁾.

هذه بعض الصعوبات التي قد تعترض اليوم الباحث عن تاريخ الحماديين ولكن الصعوبة الأساسية والتي هي المطبق لكل هذه الصعوبات وعبرها نكن في اضطرابه إلى الاستناد والتعلق بنتف مبعثرة من وضع مؤرخين يدرين تعمّدوا عن قصد إخماء ما لا يردون إظهاره من أحوالهم وتركز على ما لا همته له منها لأسباب لا تستعصي على فهم من ينظر فيها.

إن الطربرك الدوبي الذي استطاع أن يترك بصماته العميقة على كل التاريخ اللبناني في القرنين السادس عشر والسابع عشر بحيث إن مؤلفه المريد استأثر برسم السياق العام لكل مؤرخ أي بعده وحتى عصره الحاضر هو قبل أن يكون مؤرخاً رجل دين وصل إلى قمة نهيم الكنسى فمن غير المستغرب أن يكون لتاريخ عنده وسيلة عايتها مصلحة هذا الدين وخدمته كما يراها هو في عصر له مقاييسه وأفكاره وقواعده الخاصة ولو كان ذلك على حساب الموضوعية التاريخية وحيثما لمس من خلال تاريخه كيف ينظر إلى نفيه المذهب المسيحية التي لا تختلف عن مذهبه إلا ببعض

(1) تاريخ لبنان عبر الأجيال عبد الله بي عن ج 8 ص 47

(2) الأيديولوجيا الحنمية حرشوف ص 340.

الطقوس الشكلية والسطحية، والبطريات الجدلية التي تبقى محصورة ضمن نطاقٍ بالغ الضيق من رجال الكهنة المخصصين دون النفاذ إلى اهتمامات العامة ومساوئهم، يمكننا أن نخمن كيف كانت بطرته إلى بضوء الأديان الأخرى وإلى أي مدى يمكن أن يبقى قريباً من أمانه التاريخية عندما تصطره الوقائع إلى الإشارة إليها. وسرى خلال تنمنا لهذه السيرة التاريخية أن شخصية هذا المؤرخ ومراحله واعتباره التاريخ وسيلة إلى غاية هي حتماً هي عقده نسي هدفاً. وأحل مقصداً قد ساهمت في اهتزاز الصورة التي حلصها إلى من جاء بعده من المؤرخين، فأوقعتهم أحياناً في حيرة وارتباك لعدم تطابق ما كان يعتبر أنه خارج دائرة الشك والتحليل لصدوره عن مرجع موثوق كالبطيريك، وما أوصحته في ما بعد الوقائع والأحداث المستقاة من مراجع موثوقة أخرى ظهرت بعده بر من طويل كوثائق ولسجلات الرسمية، أو تأكدت مسحتها لاحقاً رغم التناقض والمعارض بين الصورتين المبررتين للموقع الواحد

إن البطيريك المؤرخ كان يكتب التاريخ كما تمناه لا كما حصل في الواقع لذلك يقول أحد الباحثين إنه يحشى أن يكون التزييف قد وقع صحيحة تصوره للتاريخ كما ينبغي أن يكون لا كما هو واقع وحاصل على الأرض^(١) وأن هذه لحشية هي محلها تماماً

(١) بداية طرابلس هي عهد نماليت د انياس فطرس ص 276.

الفصل الرابع

خصائص الحكم الشيعي في جبل لبنان

حكم الحماديون جبل لبنان⁽¹⁾ طيلة ثلاثة قرون متواصلة لم تقطع خلالها ثورتهم وهزات تمردهم عدات لسلطتهم جميع الماطعات اللبنانية في ولاية طرابلس، من كسروان حتى أطراف الولاية في الشمال مروراً بالبيطرة وحبييل والبترون والراوية والحسيبة والكورة وحمّة بشري وعكار⁽²⁾ وصدرتهم إجازة على كامل الماطعات على بر الشام لحد بوابة حمّاه وعملوا رمية على كل صيغة من تلك البلدان⁽³⁾ وصار أمر حكامهم ساهداً إلى حد حلب⁽⁴⁾ ودخل في إقطاعهم أحياناً صافيين⁽⁵⁾ والحصن وحبييل النكبيين⁽⁶⁾ وبانياس ووادي النصاري⁽⁷⁾.

ولا يبدو ممكناً تحديد الزمن الذي استقر فيه آل حمّادة في مرتفعات حبييل بدقة. إلا أنه من الواضح أنهم كانوا العشيرة الشيعية الأساسية في المنطقة في بداية الفتوحات العثمانية، وبعد سيطرتهم على المنحوت حصفت لسلطتهم المناطق المرتفعة من جبة البيطرة وحرود وكسروان وجبة بشري وكذلك منطقة بعلبك واتحدوا من وادي

(1) D D C. T3, P266

(2) جبل لبنان، تشرشل، ص 102

(3) مختصر تاريخ جبل لبنان، لميخائيل، ص 59

(4) المرحع السابق، ص 60

(5) م. ط. ش، سجل رقم 2، ص 53 - 1667

(6) تاريخ لنبويه ص 499

(7) رسالة تاريخية، اليارجي ص 34 هـ مش

علماء مقرأ عائلياً حيث لا تزال بقايا قصر السادي للعصر العثماني ظاهرة حتى اليوم في عاصمتهم هرحب⁽¹⁾ (Farhat) في وادي علمات مثله مثل البلدان المحصنة الإقطاعية ايعال⁽²⁾ في عالي طرابلس ودير القمر في الشوف. كانت يؤمن ملجأ مثالياً في التلال الوسطى من سلسلة الجبل سبابيه، والتي تعد مضافة يوم واحد من السواحل. فمن تلك الأمكنة كان باستطاعه الفتح أن يسيطروا على البلدان الساحلية والطرق التجارية والهرب إلى الجبال لغاية عند موجه جيش الدولة وكانت عشائر آل حمادة غالباً ما يذهبون بقطعاتهم إلى المراعي لغالبية خلال الصيف حيث يقتربون من وادي المقاع في منح المنحدر المائل وهذه الغالبية على الحركة كانت عاملاً مهماً في صالح السماح العشائر المحتلّة. وانضمهم على اتصال فيما بينهم، وزدت أواصر الصرس بالروح بين هروع العشيرة المحتلّة وساعدت على نمو روابط الزواج مع آل الحرهوش وحتى مع العشائر الشيعية من جنوب لبنان ومكنتهم من إحكام سيطرتهم العسكرية على كافة أنحاء شمالي لبنان

في وقت ما من القرن السابع عشر حكم آل حمادة الشيعة مقاطعة تمتد من صافيتا في سوريا الحالية إلى منطقة الفتوح في جبال جنوبي شرقي طرابلس وبقيت أجزاء من هذه البلاد في أيديهم حتى طردوا مع عشائرتهم إلى المعنى سنة 1760. ولكن مذهب الإمامية لم يحتف تماماً من المنطقة حتى يومنا هذا إن وقائعهم ومماوصاتهم المتواصلة مع سلطات الدولة والبقاير المأرجحة حول رعاياهم ومنافسيهم تبرر كقمة لتحرر لسياسي الشيعي في ظل الحكم الاستبدادي العثماني وربما كانت إمارة آل حمادة لإقطاعية هي الوحيدة الأكثر بصوداً في سواحل المنطقة الحلبية بعد وفاة فخر الدين المعني سنة 1635، وحتى نهضة الشهابيين سنة 1698 وكان لها أن تصبح أقوى دويلة شيعية في الإمبراطورية العثمانية⁽³⁾

يختلف مفهوم الحكم والسلطة في المناطق التي تولى على حكمها الحماديون عن غيرها من المناطق اللبنانية الأخرى المنحقة بولاية دمشق، أو ولاية صيدا بعد العام 1661 من حيث هو تعبير عن أمر واقع وقائم فرصته الأوضاع المحلية والعصبيات

(1) هرحب هرية في مرمعات جبيل (راجع صورة بياي القصر اليوم)

(2) إيعال بلدة شمالية قريبة من زعرتا ترتفع 250 م عن سطح البحر.

(3) The strongest Shiite party in the ottoman Empire The shi te Emirates of Ottoman Syria. S.H. Winter, P. 91- 92.



منظر عام لمرج



بقايا القصر السجاري في مرج تصوير مؤيد الامارت الشيعية

والتفاعلات السياسية بين مجموعات السكّان المعنيين بدون أن يكون الصرمان الذي يصدره الوالي، أو العُقد الذي يرممه مع الإقطاعي هو بالضرورة الذي تبتثق عنه سلطات الحاكم وصلاحياته ويحدّد مداهما الجغرافية والرمزية⁽¹⁾، بل كثيراً ما تحوّل هذا الصرمان إلى إقرار بواقع قائم عجزت بولي عن تغييره باستعمال قدراته السلطوية، فيعتمد إلى الاعتراف به وتوثيقه وعرضه لشكك المتبع حمائماً على المظاهر الإدارية المعمول بها ورفضاً لأمر واقع وفعلي وهي وقت صار همّ معظم الباشاوات الذين تعاقبوا على طرابلس هي هذه لفترة وهدفهم هو إزالته والتخلّص منه باستعمال ما يملك الحاكم العثماني من أسباب وأساليب بحكم منصبه ليتمكن من الإمساك الكامل برمام الأمور والتحكّم بمحض رغبته ورده هي تسمية من يشاء على رأس المقاطعات لتابعة لباشويته وشكل هذا الأمر أصحّماً تولى سلطات العاصمة.

والي طرابلس كان يتمنى على فرد يصمّن له بلاد جليل أقله اذا راح شيء من الميري لا يكون بالقهر كما بيت حمادة،⁽²⁾

حاول الكثير من الباشاوات المتعاقبين على ولاية طرابلس السيطرة على كامل مقاطعاتها، ولاسيما هي القريس السابع عشر والثامن عشر، فحردوا الحيوش وقادوا الحملات، واسمّاهم بعضهم أحياناً بصوات صيرهم من الولاية المجاورين، وربما أدى ذلك أحياناً إلى الإستمالة بالفواك المركزية لسلطنة، وتدخّل سلطان ولكنهم كانوا يتراجعون في كلّ مرة بعد أن يحلّوا ورءهم اثار عاراتهم لدمره، دون تحقيق بعيتهم باستنظار حولة أخرى وقد تكون هذه حملات الموالية السمة الباردة هي التاريخ العثماني لحبل لبنان هي تلك المترة.

كان والي طرابلس هي نظر الحماديين ومنذ وقت مبكر من العهد العثماني هو الحاكم الكاهر الذي يقتل المتأولة والبصري، وأن مقاومته عمل بطولي يستثير البهوة والإعجاب ويستدعي البصرة والشحيع والمكافأة وأن المتأولة والتصارى هم سواء هي التعرّض لبطشه وتنكيله، فهو عدو الجميع، الذي يقصّي التعاون على قتاله بصرف النظر عن شخصيته واسمه⁽³⁾

(1) يلاحظ التأكيد على هذه الفكرة وتكررها في أكثر من مكان حرصاً على تفسير أدق لتوافقة التي ترد في سياقها

(2) جيل عامل، السيف والقلم حسن أمين ص 338 ومن المعروف أن بلاد جليل تستعمل أحياناً بمعنى كل مقاطعات شمال لبنان

(3) راجع وثيقة أحمد حمادة لال الحصري، B1

هذه هي النظرة الحمادية إلى السلطة وممئتها في مركز الولاية، الذي لا بد وأنه كان يبادلهم العداء، فهم أرفاص ومارقون من الدين وتمرّدون وعاصون على الدولة، أهل بغي وفساد وشقاوة ملاعين يجب إزالته ونظهير الأرض من أجسادهم القذرة وإرسال رؤوسهم إلى دار السعادة. فكان من البديهي ألا يشعر الحماديون، حكّاماً وأهالي، بالاطمئنان أبداً، وأن يقولوا على أهب دثمه لموجة هجوم أو مداهمة هي أية لحظة، إن استطاع سيوفهم أن يؤمن بهم، لئلا يبعدها، فلن يتمكن عالماً من حط بيوتهم وورعهم وطرشهم من الإنتقام والتدمير.

كانوا في حرب متواصلة طيلة قرون مهددين بالموت، في أي لحظة، لذلك قيل عنهم، كان الحماديون طيلة حكمهم الذي استمر ثلاثة قرون في حالة هيجان مستمر وثورات متواصلة وقلما استقر لهم حال فكانوا يوماً في حل وترحال وكرّ وإدبار مع أتباعهم⁽¹⁾ موصوفين بالشجاعة والكره والحد على الضيم، لا مقر لهم ولا مستمر⁽²⁾. ينامون معرضين لكل أنواع الرياح، لهم أجسام من حديد، أصحاب قوة وصحة لا فتير. يتحملون بدون تدمير أشدّ المشقات ويستعملون السيف والبندقية ببراعة مذهشة⁽³⁾. إنهم شعبان يمسكون، ثبوت على التراجع⁽⁴⁾ يطردون الاغوات والعساكر العثمانية ويحكمون كما يريدون، لا يملك باشا طرابلس من أمر لبنان إلا ما يرضون هي إعطائه،⁽⁵⁾.

هذا العداء المستحكم بين الطرفين سيحدّد في لقرون اللاحقة طبيعة التاريخ المأساوي والدموي للمناطق التي انتشروا فيها، وتولّوا حكمها والدفاع عنها بوجه سلطة عاصمة وقاسية تتمتع بطاقات وموارد لا تُحَدّ.

مال العثمانيون منذ بداية عهدهم إلى إسناد الأحكام إلى آل عسّاف، وآل سيما الدين يماثلونهم مذهباً وعرقاً وبعد انقراضهم لم يقطع باشوات طرابلس عن إصدار المراسلات التي تمنح بموجبها الترام بعض المقاطعات، لواقعته تحت حكم الحماديين إلى أشخاص، أو عائلات محلية أو موطنيين أمرت إلا أنها بقيت هي أحوال كثيرة بدون

(1) الإمارة الدرزية، ص 60 - 80.

(2) تاريخ عباله، ص 157.

(3) الأيديولوجيا المجتمعية جان شرف ص 339 نقلاً عن الأصول لتاريخية، لشيبان الحداد.

(4) دارميو، مصدر مذكور وسيرد كاملاً في فصل آخر.

(5) لبنان في القرن الثامن عشر ص 256.

(6) من تقرير الفصل بولارد، مذكور سابقاً.

مفعول عملي لتعذر تنفيذها ففُضِّلَ من التدخل العسكري وقد حاول الباشا هي مرحلة لاحقة وبدون نجاح أن يستقدم عائلات أو جماعات أو أشخاص يتمتعون بقدرة عسكرية مميزة من أماكن بعيدة ويعهد إليهم بالترحم مقاطعة ما وانتزاعها من الحماديين⁽¹⁾

إن استمر ر الحمايين في موقعهم عترة طويلة من الزمن رغم محاولات السلطة لراميه لإبعادهم، وإصدارها مرمات لمتلاحقة بهدف توزيع بعض مقاطعاتهم على ملترمين متعددين، بُرِرت مع مرور الوقت هارفاً واصحاً بين وظيفة الملتزم المحددة لفترة زمنية معينة، ومهمته التي تقتصر عادةً على جمع الضرائب، وإيراد المبلغ المنفق عليه إلى حراة الوالي. وبين لحاكم لد ثم الذي يمارس سلطات وسعة سواء صدرت عقود الالتزام باسمه أو باسم غيره، وتضطّر الولاية في نهاية إلى الاعتراف به والعامل معه وتشريع وصحه من وجهه نظرها بشكل ما

يقول أحد الباحثين الأحاب حول لحكم الشيعي في جبل لبنان إن حكم آل حمادة الشيعة على جبل لبنان في العهد العثماني يبرز من بعض الوجوه ناقصاً تاريخياً محسراً فقال رغم من أن اولاد سرحان Sirhan Oguilori كانوا من الحوارح الأهم بدون مبارع في لبنان العثماني كونهم شيوخ قبائل منمرده شيعية المذهب، فلم يجد امراء آل حمادة ثماقه هامشيه لم ترفنها السلطات الحكومية المركزية (ابتداء من المماليك) حتى ولا الارستقراطية المارونية (ابتداء من الدويهي) ما ينصوي ضمن رؤيتهم للمجتمع العثماني المحلي ومع ذلك فان البدو الشيعة الرعاة سيطروا على سلسلة جبال لبنان منذ أواخر لقرون الوسطى وإن كونهم الية آل حمادة الاجتماعية والعسكرية والروابط بين عشائره أهلته ليتولوا أمور الضرائب والأمن في ظل بخلي الإدارة العثمانية عن الكهنوت العسكري من خلال ما يسمى بعقود الالتزام في سوريا الريفية، إن مارة الشيعة في جبل لبنان لم تكن إلا نموذجاً من المجموعات الخارجية المحتلصة التي اقررها التعدد الاجتماعي في الإمبراطورية العثمانية قبل تحديثها⁽²⁾.

«إن تاريخ علاقه آل حمادة بالدولة عثمانية يظهر توتراً دائماً وفترات من لصدام وأخرى من التعاون، وهي النصف الذي من لفرن السابع عشر قام حكام الولايات

(1) راجع فصل الشيعة في عكا

(2) الإمارات لشيعة، ص 131.

السورية بعدة محاولات للسيطرة على الشيعة كلما تأحرت العائدات الضريبية، أو لأسباب أخرى، هي نفس الوقت الذي تؤكد فيه عقود الإلتزام الناقية حتى اليوم أن الدولة كانت تقدر عشيرة آل حمادة وخاصة بالنسبة لنظام والسيطرة التي فرضوها على معظم منطقة طرابلس لترسيخها اعتماداً عليهم في حفظ الأمن وجباية الضرائب وتطوير هذه المنطقة اقتصادياً لمصلحة الدولة، وذلك رغم هويتهم المذهبية الميضية. بينما الروايات الأدبية للتاريخ اللبناني منذ ولّ تقصر النظام الإقطاعي على أنه كان فقط تحت السيطرة الدرزية المارونية⁽¹⁾.

إن نجاح إمارة آل حمادة الشيعية تعمد دلالة حاسمة على الإجماع المتناس على السلطة بين بدايات الدولة الحديثة العثمانية، وأقسامها المحرقة لم يكن لدى العثمانيين أية أوهام حول هرطقة آل حمادة وعصمتهم وخداعهم الصوريين، ورغم ذلك لم يكن بمقدورهم أو أنهم لم يرغبوا في بهك أنفسهم من أجل تعبير مؤسسة ما قد بصرفت بشكل جيد هي منطوق محطط المصالح الامبراطورية العليا⁽²⁾.

كان هذا الإجماع هشاً في أحسن الأحوال، ولم يكن مقدراً له الاستمرار بعد الأزمات السياسية والاجتماعية التي أعقبت الحملة الكرشية على هيبيا سنة 1684 وهي حل لبنان كما يبدو من شهادة موثقة هي محكمة طرابلس في شربين أول 1685 بميد بأن توتراً يتأجج منذ فترة طويلة بين مسؤولي الدولة وأمرآء آل حمادة خصوصاً بسبب التحصن عن دفع الضرائب⁽³⁾.

وضع شقيقه محمد رعية في مدينة طرابلس صماناً لتسديد المبلغ المتفق عليه ومند ثلاثة أيام بينما كان محمد عند بوائه المدينة مع الجنود المولحين بحراسته حصر رجال حسين بن سرحان المسلحون وشهروا السبوف على الحرس واخذوا محمداً وهربوا إليهم يحتجبون مع الشيخ حسين ومعهم كامل أموال الدولة ومأموريهم⁽⁴⁾.

ويبدو تمييز السلطات العثمانية وصحاً بن رعاياها من السنة وغيرهم من المنتمين إلى المذهب الأخرى في هذا الأمر السلطاني

(1) الإمارات الشيعية ص 132

(2) المصدر السابق

(3) م. ط. ش. سجل 3 - 5 بالتركية، انظر صورة عن الاصل

إن سرحان وأتباعه لم يكتفوا بالاستيلاء على صربية المزارع هي جبيل والبترون والصنينة وجبه شري طيلة حكم ولاية عديدين ولتمتره من الزمن. بل اغتصبوا أيضاً صرائب عكار والزاوية والكورة بالإضافة إلى احتفاظهم بصرائب باهقة بين أيديهم على البضائع والممتلكات العائدة للسكان المحليين. والمهدده بالدمار وكثيراً ما سطوا على المسافرين والتجار. فإذا استمروا في أساليبهم للاستيلاء على صرائب عكار والزاوية والكورة وهي مناطق مسلمة بالإضافة إلى المزارع التي يسكنها الدرور والمسيحيون. والتي ما زالوا يحتفظون بها منذ مدة طويلة. فمن المؤكد أن العامة وسكان المناطق الريفية سوف يتمرقون بسبب اضطهادهم.

لا تعطوهم الصرائب في المناطق الإسلامية بالإضافة إلى الصرائب الموجودة بين أيديهم في مناطق الدرور والمسيحيين وناقضوا عن المسلمين من العدوان واغتصاب السلطة،⁽¹⁾

بالرغم من أن عكار والزاوية والكورة كانت تحت سلطة آل حمادة لأجيال عديدة، فإن هذا «الحكم» يشير بشكل استثنائي إلى التباين المذهبي بين آل حمادة وسكان هذه المناطق. والسجلات الصربية لم تذكر أبداً شعبة آل حمادة أو امتصاصهم للسلطة عموماً فهل كانت الدولة العثمانية تعتبر آل حمادة هراطقة ومقتصبي سلطة أم أنهم حكام يمثلون الدولة التي تعترف شرعيتهم طوعاً أو كرهاً؟ إن سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس تكرر علاقة منتظمة وإن كانت عامصة بين الدولة العثمانية والأمراء الشيعة في القرن السابع عشر⁽²⁾

الحكم بالتعاقد

لقد اعتمد بعض الحكام من الحماديين على عقد آخر ذي طبيعة ربما فريدة هي الولايات العثمانية يقوم على طلب من محكومين أو الأهالي أو الرعية بحسب التعبير العثماني وقبول من الحاكم كصريفين هي عقد متبادل يضمن على حقوق كل منهما وواجباته. يلتزم المحكومون بالطاعة، ويلتزم الحاكم بالعدل والإنصاف ويقتضي لصيغة هذا العقد بديهة أن تأتي المبادرة من الرعية تعرض القبول على الحاكم المقترح على أسس تحددها، لأن الحاكم إذا أدى رغبته وعرض شروطه يفقد هذا

(1) أ.م.د. (277، 278) 100 74

(2) الإمارات الشيعة، ص 118.

العقد ميرته الاستثنائية، ويصبح رهينه لكل أنواع لقهر والطمع والمداينة.

«توجه رعماء القوم في جبة بشري إلى شيخ سرحان الثاني وطلبوا إليه أن يولي عليهم واحداً من خاصته على الحبّة فوجه إليهم ابن عمه الشيخ أحمد يلي أمرهم كما يشاء فيأخذ للمظلوم من الظالم، ويحكم به (النصفمة) على العباد دون أن يأخذ بوجه أحد»⁽¹⁾.

فحين وقع تغيير الأحوال والحكام في الجبة، وما عاد هدي لها حال، التزموا أهالي البلاد، أهل العمدة والمعروف، فتوجهوا إلى عبد الشيخ سرحان، أبو الشيخ اسماعيل حمادة، وطلبوا منه أن يوجه له أحد أهليته (أسبائه) لكي يحكم جبة بشري فوجه معهم ابن عمه الشيخ أحمد، يتكنى أبو رعروعة. لأنه كان ولد (حديث السن)

وصارت شروط بني أهل البلاد والشيخ سرحان بأنه الشيخ أحمد المذكور، يحكم بلادهم كما يشاء. ويماصر (يعاقب) المدعين. ومسموح له أن يحكم كما يشاء، ما عدا ثلاثة أشياء ما له بها حق. ولا يمارش (يطالب) البلاد بها أي دينهم، وعرضهم، ودمهم، فهذه الثلاثة أشياء تكون محفوظة. ما له مقارضة، ولا معارضة بوجه من الوجوه. فحصر المذكور، وحكم جبة بشري⁽²⁾

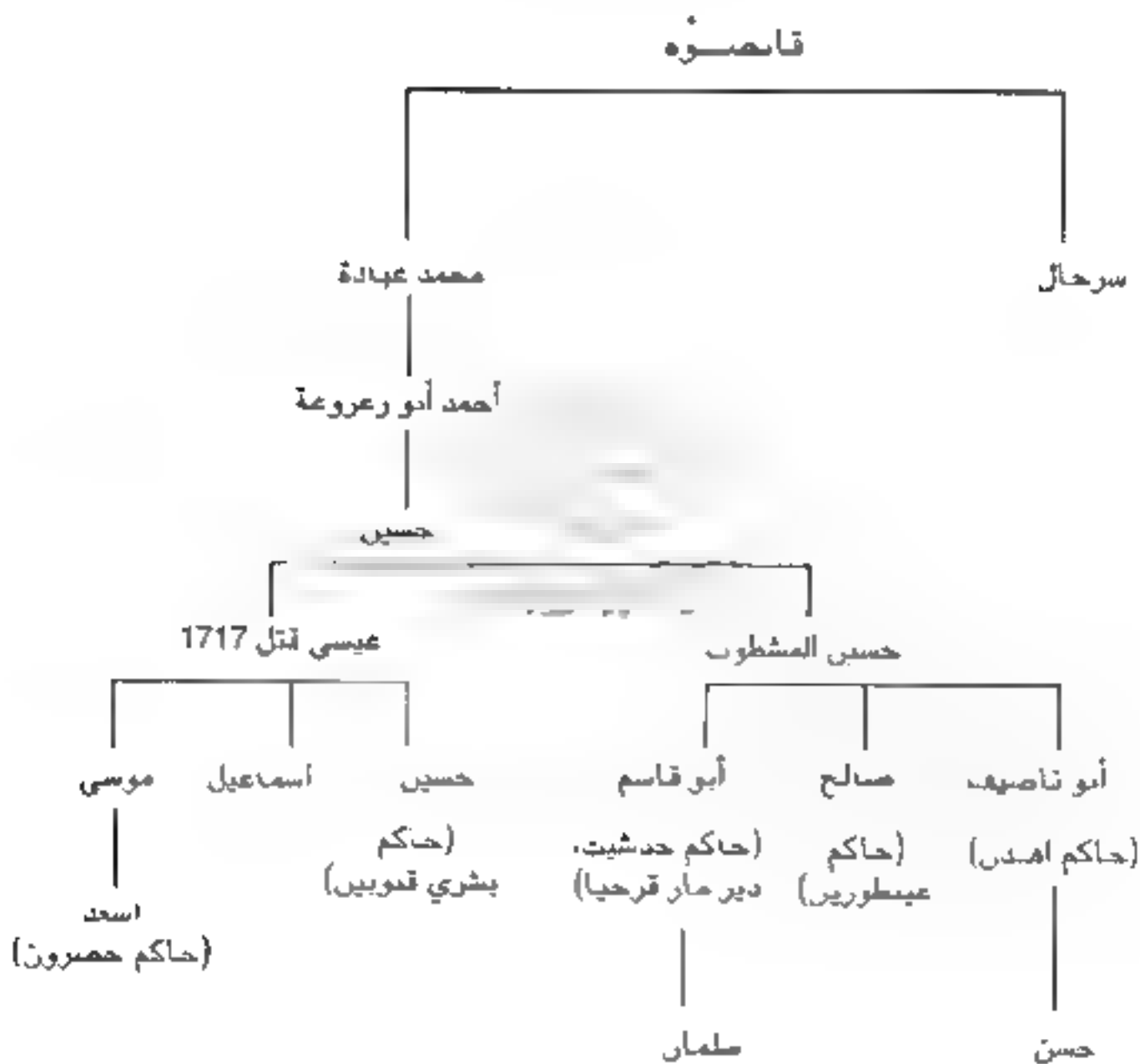
إن هذه الصيغة المرمدة هي التعاقد بين حاكم و(الرعية) تكتسب أهمية ملحوظة في التعبير عن الأساس الشرعي والواقعي لنظرية الحكم كما كانت سائدة ومطلوبة ومرعية المفهوم في الفترة والمحيط الشري حيث وصفت موضع التصيد كما كانت تمثل حالة فريدة في حرص الخيار السكاسي العام و لرعية الشعبية على الوالي الممثل للسلطة صاحبة الحق غير القابل للحدال هي اختيار من تشاء ليمارس السلطة باسمها حيث تشاء بدون الإلتفات إلى النظريات التي كانت رثية هي الفترة نفسها عن مفهوم الحكم وأساسه القانوني سواء تلك التي ترجع إلى نظرية الحق الإلهي أو حق المنتج أو إلى الحليفة السلطان

(1) تاريخ بشري، الأب رحمة، ص 348.

(2) مختصر لبنان لميطوريني، ص 131 وسرحان هو أحد سماعين وليمر ولده

إن علاقة الحماديين لسلطوية بجبة بشري تعود إلى وحر المرز لحامس عشر على الأقل عندما بدأت بعض المصادر القليلة تشير إلى دورهم في هذه المنطقة فقد ذكرهم العلاقي في رحلته وقال الدويهي أن ابن شهبوب من الحماديين، كان يجني صرث بشري سنة 1573، (تاريخ النويهي، ص 272) وأشار الميطوريني إلى اضطرابات حصلت في بشري بين شرييين حماديين وأهل بشري سنة 1574 (مختصر تاريخ جبل لبنان، ص 143) ووردت مثل هذه الإشارات في مصادر أخرى.

حكام حبة بشري وعكار الشيعة



وهي النظرية التي اعتمدها العثمانيون ولقاصية باعنيار البلاد ملك السلطان وسكانها رعيته، وهو خليفة المسلمين يؤتمن على تنفيذ أحكام الشريعة بحسب تفسيره واجتهاده، والمتاوى التي تصدر بناءً على طسه و طلب أصحاب الشأن ممن أوكل إليهم هو نفسه هذه المهمة ذات الطبيعة الإلهية.

إن توجه أهل العمدة والمعروف في الحنة إلى الشيخ سرحال حمادة والطلب إليه تعيين أحد أقاربه حاكماً، تلقي طلالاً قوية من الشك حول كل ما تردد قبل ذلك وعدمه عن ممارسات حمادية لا يقوم على صحتها دليل مقبول

إلى جانب كل هذه النظريات المتداولة حيث سرر هذا المصهوم الفريد والمستحدث، والمنسوق عن التطلعات الشعبية والعملية البعيدة عن العقيد والعموص والعينية، والذي تحول ممارسة الحكم إلى عمل مردوح، ومتدن بين الحاكم والمحكوم بشعة اتفاق يقوم ويستمر برضا الطرفين على شروط معلومة ومعددة يسقط عند الإحلال بها، أو عدم مراعاتها، ويوضح نايعار وبساطة أساليب هذا الحكم وعماياته

إن أهم موجهات هذا الاتفاق أن يحكم الشيخ بالنصفه من العباد دون أن يأخذ بوجه أحد، ومهمته الأساسية بعد ذلك هي في الحفاظ على الدين والعرص والدم، هالدين يشمل حرية المعتقد على إطلاعها دون تعصب دين، أو مذهب دون غيره، والعرص هو كرامة كل شخص وحرمة وتقاليدته وأدينته، ولدم هو كل ما يتعلق بأمنه وحياته وسلامته الحسنة

ولو لم يكن حكم سرحان أو من يمارسه باسمه، والذي استمر رهاء نصف قرن يوجي بالثقة والرصا، لكان أولى بأهل العمدة والمعروف أن يقصدوا والي طرابلس وهو صاحب السلطة الرسمية ليطلبوا منه حاكماً ينصمهم أو إلى الأمر المعني في دير القمر، الذي طالما أشار المؤرخون المواردة المحدثون إلى مفقه وإيثاره بإهم

إن مضاربة هذا العقد الإنساني الذي يؤكد على صيانة واحترام أهم الحقوق الأساسية والقيم الحصارية التي هي في مقدمة اهتمام المجتمعات قديماً وحتى ليوم بعقد الإلتزام المعتاد الذي يحربه الوالي العثماني، والذي يقصر عادة على تعهد المترم بإيراد مبلغ محدد في أجل معلوم، ويقدم صمماً شخصياً على حسن التنفيذ بدون أن يتطرق إلى غير ذلك إلا من باب الشكليات لإداريه بكل ما له علاقة بشؤون الحكم، وأمور البلاد وسكانها، لأن معظم اهتمام الوالي منصرف إلى التأكد من الحصول على

مبلغ الإلتزام، كما أنّ اهتمام المسترم ينصبّ على كيمية التحصيل من المتكلمين دون أن يكون للاعتبارات الأخرى أهمّية تُذكر لدى الطرفين هي غالب الأحيان

لا بدّ أنّ هذا العقد الذي أُبرم بين كسر الحماديين ورعماء القوم هي الحبة وحفظه لنا التاريخ أهمّ أحكامه حتى اليوم قد كان معتمداً شكلاً أو مضموناً على سائر المقاطعات التي حكمها الحماديون وإنّ روحيته في معظم الأحيان كانت هي التي تحدّد العلاقة بين الحاكم وسكان مقاطعته سواءً كان العقد مُبرماً وطارهاً، أو كان الاتّفاق على التقيّد به صمناً بحكم التقليد والعرف والنظرة الشاملة إلى مفهوم الحكم عند جميع العرفاء في ذلك الوقت.

إنّ استمرار الشيعة الحماديين كلّ هذه الفترة الطويلة من الزمن هي حكم المقاطعات اللبنانية لولاية طرابلس لا تعني أنّ عمود الإلتزام كانت تصدر عن الوالي العثماني دائماً باسمهم ولصالحتهم، بل إنّ الحكم يبقى في أيديهم فعلياً حتى يضطرّ الوالي إلى تكريس هذا الواقع والاعتراف به إلا أنّ ما يمكن تأكيده أنّه طيلة هذه الفترة لم تصدر قرارات بتلريم عدّة مقاطعات هي هذه لولاية إلى شخص واحد، أو جهة واحدة، أو تواصل مثل هذا التلريم عدّة سنوات للأشخاص أنفسهم، من خارج هذه الأسره، وإنما كان الوالي يلجأ أحياناً إلى تقسيم مقاطعات الحماديين على عدّة ملترمين سرعان ما يباكر عجزهم عن مباشرة مهامهم الجديدة، فتعود الأمور إلى حالتها السابقة بانتظار حولة أخرى من التبادلات على خلاف ما كان يحصل في حيل الدور حيث كان باشا صيد يعتمد عند سقوطه على المعيين وبعدهم على الشهابيين إلى تلريم المقاطعات إلى أمير أو أكثر من آل علم الدين، أو من غيرهم حتى يربد من اندفاع المبعدين إلى إحراء تسوية مرضية معه عادةً ما يكون طابعها المادي هو الغالب وهو الأمر الذي لم يحصل في ولاية طرابلس إلا بعد تهجير الحماديين هي لحظة الأخيرة من لنظام الاقطاعي قبل إنشاء نظام المائقميتين.

البحث عن الحماية

حكم بنو حمادة كسروان واحة المسيطرة وحيل والبترون وحيّة شرّي والكورة بالإضافة إلى عكار والنهرمل والسموح الشرقية تسلسلة حبال لبنان، والقسم الغربي من سهل البقاع حتى شمسطار دون أن تظهر طيلة فترة حكمهم وبعد انقراض آل عساف واد سيما أية اسرة تنافسهم على الحكم، أو تقاسمهم إياه حتى أيام الأميرين الشهابيين

الأخيرين يوسف وبشير. أمّا قبل ذلك، فقد تقاسم حكم لبنان التاريخي⁽¹⁾ عائلات درزية أو سنية كالتّوحيين والمسيّين والشّهاسيّين هي جبل الدروز، والحماديين وخدمهم هي جبل لبنان، ولم يكن للأمير الدروز يوماً أيّ نفوذ أو سيطرة على مناطق الحماديين، ولم يدّع أحدهم خلاف ذلك، أو يسعى إليه طامعاً منه بل كان يرفض المحاولات العثمانية في حرّمه إلى ذلك ليقيّنه باستحالته وأنّ العديّة من ورائه إيجاد ثغرة بين العائلتين والطائفتين ربّما تتحوّل إلى نزاع، أو صدام يحقق للعثمانيين ما يرمون إليه، باستثناء ما حاول القيام به الأمير فخر الدين المعني الذي شكّل ظاهرة تاريخية لبنانية استثنائية، وحملته مطامحه الواسعة إلى الاصطدام بآل سبعا وآل حمادة هي الشمال وغيرهم من القوى الأخرى في سائر المناطق

لم يكن يجمع بين ولاية الدولة في طرابلس وبين رعاياها هي المقاطعات ما يمكن أن يجمع أحياناً بين الحاكم والمحكوم من نحاس في العرق، أو المذهب، ولم تكن من أولويّات هذه الدولة إشاعة العدل والاستقرار والرفق بمصالح الرعية، فاعتمدت روابط الولاء بحومها إلا ما كان من مداخله ورياء جليلاً لمنفعة، أو دعماً لبلاء

كان الباشوات القاصون على السلطة في طرابلس كما هي غيرها من مراكز الولايات هي بلاد الشام ينتمون غالباً إلى طبقة العبيد المجدين محرومين من الحد الأدنى من المراتب العلمية والاجتماعية - مع استثناءات نادرة - التي قد دفع الإنسان إلى حسن التصرف، وتوحي الحير العدم عند ممارسته السلطة، فكانوا غالباً يعتبرون المنصب معنماً يعمي استثماره إلى أقصى الحدود بدون مراعاة للمبادئ الإدارية البديهيّة واستغلال أكبر قدر من المنفعة لدانية هي أقصر مدة ممكنة، لأنّ سيم العزل من مراكز القرار في العاصمة مستطافون رؤوسهم باستمرار. وهو سريع ومباحث وغير مصمون المصير فكانت الرعية عادةً نهياً لمشاعر الخوف والقلق من تعذيب الولاة وأعيانهم واكتشابتهم، فتحصّنت هي تجمّعات طائفية معيّنة وصارت تشد الحماية والرعاية حيثما تيسّرت لها السبل. ولئن وجد أعيان المواردية هذه الحماية هي كنف القمّصل الفرنسي ووجد بعضها الدروز هي حمى حائلهم المنيفة متسلّحين كلّما اضطروا إلى الخروج منها، والتعامل مع أولي الأمر بنقيّة حيّرت كلّ من تعامل معهم ولم يعلم من حقيقة اعتقادهم وتفاصيله شيئاً كثيراً لم يجد الشيعة حماية فاعلة إلا بالاعتماد على سيوفهم وحدهم، لأنّ سعة بلادهم وكثرة عددهم وانتشارهم هي

(1) المقصود بذلك جبل لبنان وجبل الدروز معاً

مساحات واسعة جعلت النقية سلاحاً عديم لجدوى، ووعورة المسالك لا تتوقّر في بعض ديارهم. والدولة البعيدة التي تعانهم مذهباً كانت من أسباب بلائهم، فهي العدو الأول للسلطة المتحكمة فيهم والحروب بين الدونتين متواصلة منذ زمن قديم

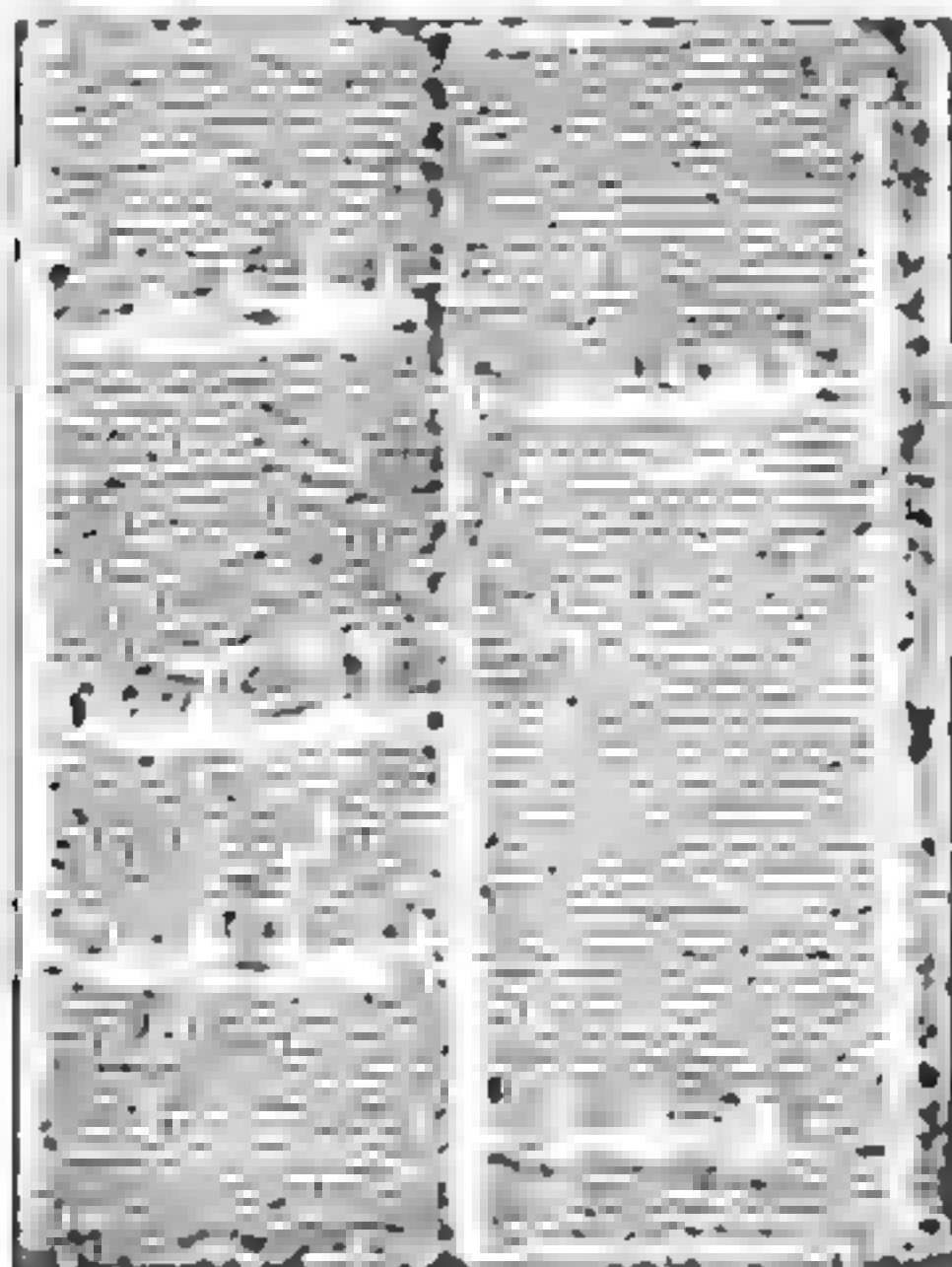
هي مثل هذه الظروف الصعبة، وهي مثل هذا الواقع الذي توهّرت في عناصره كلّ أسباب الصدام، ونتيجة النفوذ الذي مارسه الشيعة في معظم ولاية طرابلس كان لا بدّ من أن تتحدد طبيعة العلاقة التي ستسود في القرون القادمة بين ولاية المدينة من جهة وحكّام المناطق الناعمة لهذه الولاية قسراً من جهة أخرى. فكان الصدام حتمياً ودائماً وشرساً بين سلطة مستندة وبهمة تصف بعض رعاياها بالقرلباش الذي أعدائها، وهم محرفون عنها يأتون الحصون لسطوتها ويرقصون حصوفاً دفع الصرائب بقدر يرضيها، ونتيجة لانعدام التكافؤ في القدرات بين الطرفين اضطرّ الطرف الأصعب إلى استثمار أقصى ما يمكنه من طاقت دائنة فأصبح شعباً محارباً بامتياز يصنع سلاحه بنفسه، ويعتمد أسلوب الكرّ والعزّ، وتصرب المماحى للحماط على بقائه بمواجهة هذه العواصف كلّها، والمناخسة الشرسة منه ونس الوالي العثماني وأقرانه على السلطة في داخل مدينة طرابلس بنسها أحياناً.

يرى سنيماي وسر أن إمارة آل حمادة الشيعة تمثل أسلوب التعاضد ومدى التعاون الذي قام بين الدولة العثمانية والدويلات ذات الحكم الذاتي والبنية العشائرية هي نطاق المحيط الإقليمي وأن الإدارة المركزية كانت مستعدة لتجاهل أوصاع آل حمادة الديني والاجتماعية باعتبارهم أهم وأقوى سلالة في إيالة طرابلس، إن لم يكن على طول الساحل لسوري. فاعتمدت عليهم في حفظ الأمن، وجباية الصرائب في مناطق ريفية واسعة ولكن هذا الانسحاب العابر بدأ ينحل في الوقت العصيب من هترة التدخل الأجنبي وحركة الإصلاح الامبراطورية في أواخر القرن السابع عشر، فتزايد اهتمامها بالموارية المدعومين من فرنسا، وأسيادهم من أمراء الدرور في سلسلة الشوف الجنوبي وذلك لزيادة الأعباء على حكومة أرياف طرابلس⁽¹⁾

إن نظام الإلتزام العثماني يرتكز في الأساس على نظام انحباية الذي اعتمدته الإدارة لتحصيل وارداتها المالية، عن طريق إبرام عقد سنوي مع من تراه أهلاً للقيام بهذه المهمة، في مقاطعة محددة، بأقل قدر ممكن من المخاطرة والعباء.

(1) الإمارات الشيعة، ص 133

من جهته لا بد من الإشارة إلى أن هذه الحدود هي من حيث المبدأ حدوداً دينية شرعية، وليست حدوداً سياسية أو إقليمية. ولذا فإنها لا تتغير مع تغير الظروف السياسية أو الإقليمية. بل هي ثابتة ومستقرة. وهذا هو المبدأ الأساسي الذي يجب أن نلتزم به عند دراسة هذه الحدود. ولذا فإننا نرى أن هذه الحدود هي من حيث المبدأ حدوداً دينية شرعية، وليست حدوداً سياسية أو إقليمية. ولذا فإنها لا تتغير مع تغير الظروف السياسية أو الإقليمية. بل هي ثابتة ومستقرة. وهذا هو المبدأ الأساسي الذي يجب أن نلتزم به عند دراسة هذه الحدود.

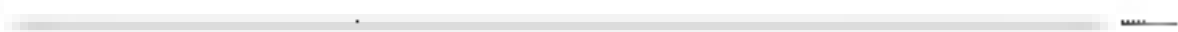


هذا هو المبدأ الأساسي الذي يجب أن نلتزم به عند دراسة هذه الحدود. ولذا فإننا نرى أن هذه الحدود هي من حيث المبدأ حدوداً دينية شرعية، وليست حدوداً سياسية أو إقليمية. ولذا فإنها لا تتغير مع تغير الظروف السياسية أو الإقليمية. بل هي ثابتة ومستقرة. وهذا هو المبدأ الأساسي الذي يجب أن نلتزم به عند دراسة هذه الحدود.

والعادت

لولي علي باشا سنة 1096-1686م.

(1) م. ط. ش. سجل رقم 3، ص 5 و 6 راجع الوثيقة رقم E 5



— 100 —

الفصل الخامس

بداية الحكم الشيعي

لا يوحد تاريخ محدد لمعرفة متى أصبحت المناطق الشيعية في جبل لبنان تحت حكم إمارة عشائرية ففي سنة 1519 كان لآل رجال السيادة الصربية في منطقة المتوح ولكنهم احتفوا من سجلات الحببات معظم القرن السادس عشر، إن سجلات الصرائ لسنة 1571. 1572 تظهر العديد من المرى والمراغ المسكونة بالشيمة في المتوح والميطرة مسجلة كعائدات للأمير منصور العساقي التركماني الموصى سنة 1580 بينما كان عدد كبير من البلدات المسيحية في منطقة المترون المربية من حبييل وبشري تحت السلطة الصرائية للقروبي أنفسهم، فإن مررعة واحدة هي منطقة حبييل «كمر دوما» كانت تحت سيطرة الأمير منصور، وكان بين الأورثودكس في «قرية الروم» وشيمة المنظمة علاقات تصامن وتقارب في المذهب والنسب والكثير من عائلات هذه الطائفة عمت هي الزراعة عند آل حمادة⁽¹⁾.

هي بداية القرن السادس عشر كان آل حمادة قوة عسكرية معترفاً بها هي مرتفعات طرابلس⁽²⁾. ففي أوائل سنة 1488 وضمت عائلة المقدم زعزوع الحمادية في الصنية إلى اليماقبة في براعهم مع «مروية»⁽³⁾ وبعد ذلك بقليل هاجم بشري أحمد بن حسن المتحالف مع حراشة بعلبك وربما يمكن الاستنتاج أن السلالتين الشيعيتين وقمتا إلى جانب المجتمع الأورثودكسي الناشئ في براعه مع المؤسسة المأروبية في ذلك الوقت، ومنذ ذلك التاريخ بدأ اسم آل حمادة ويظهر بوصوح

(1) المجتمع الشيعي، أبي حيدر، ص 73-74

(2) الإمارات الشيعية ص 109

(3) أخبار الأعيان، الشدياق، ص 193

انحراطهم في النزاعات المحلية بعد أن استقروا كحكام على جبيل والبترون

يعود تألق نجم آل حمادة في صدر السطة المحلية إلى مناوئهم الدكية من اللاعبين الأساسيين هي ولاية طرابلس، وظهروا كمساعدين لآل عساف الدين تحكموا بإيالة طرابلس من عاصمتهم في عرير حتى القرن السادس عشر. ونقيب علاقة لعائلتين وطيدة منذ أيام المماليك، واستمروا في موقعهم السياسي في عهد آل سيفا لحكام العثمانيين الذين خلعوا آل عساف بعد أن قتل يوسف سيفا حراً أمراء آل عساف وتروح أرملته، وهي سنة 1625 التحق آل حمادة بابن الأمير يوسف وحليفته قاسم في قلعة المرقب قرب مدينة بانياس على ساحل لسوري في محاولة يائسة لامتداد طرابلس من الوالي العثماني وبعد مقتل الأمير أحمد بن حمادة بيد آل سيفا في كانون الثاني أو شباط 1637 ساهم أخوه علي في القضاء على آخر السيفيين ولم يبق من يتنافسهم على السلطة، بعد أن قصوا على آل المسراح الشيعة في آخر محوم على مشان وطردهوا آل الشاعر إلى الساحل السوري شمالاً في المرقب، وبعد وفاة علي بن قابصوه سنة 1640 أصبح سرحان رئيس مشايخ آل حمادة رغم أن وصوله إلى الرئاسة لم يكن بإجماع الحماديين⁽¹⁾.

في مسهل الحكم العثماني عاود الحماديون من جهتهم على رأس المحاولة تنمية الدفع المردوح إلى الأمام، وكان المماليك قد تمكنوا من شنه في ما مضى⁽²⁾.

إن استطاع المماليك شلّ هذا الدفع كما يقول نانتة Nantet أو تجميده، فقد كان ذلك أنباءً هي الرمان ومحصوراً في المنكر وهذا بحثٌ يخرج عن نطاق العصر الذي يؤرخ له، فما يهمنا أن هذا الاندفاع قد استعاد حيويته في مستهل العهد العثماني رغم أن سياسة العثمانيين، والعوامل العرقية والمذهبية المحركة لها لم تكن لتسمح لهذا الاندفاع بالذهاب بعيداً، بل حاولت ما أمكنها تمويقه، والقضاء على جذوره ومنابعه، ولكنها لم تحرر نجاحاً ملحوظاً قبل مرور ثلاثة قرون عندما ساهمت مع قوى قادره أخرى ولأسباب متباينة ربما في تحقيق بعض ما سعت إليه منذ البداية بعد صراع عنيف وطويل، شكّل المحور الأساسي في تاريخ جبل لبنان طيبة القرون الثلاثة وكان سمته الأكثر بروزاً.

(1) مقدمو بشري كمال الصليبي، ص 76 77، نقلاً عن بن الفلاحي.

(2) لإمارات لشيعة، ص 117.

(3) تاريخ لبنان، ص 94 G Nantet.

إن تحديد الصرة الرمزية التي بدأ فيها الحكم الشيعي هي جبل لبنان يتجاوز قدرة الباحث المهتم ليس لانعدام المصادر الموثوقة فحسب بل لأن هذا الحكم والوجود القائم حلصه أو حوله هو في طبيعته على علاقه عدائيه ومتوترة مع السلطة المملوكية الحاكمة، مما حال دون منحه الشرعية الرسمية وتكريسه، والإعتراف به بالطرق الحكومية المعتادة، بل كان كما بقي في العهد العثماني يعتمد بالدرجة الأولى على أمر واقع مصروض بحكم العصبية القبائلية والذهبية التي تلزم السلطة بالتعامل معه حرباً أو سلباً، وغصن الطرف عن وجوده أحياناً تحت وطأة الضرورة ومراعاة واقع الحال.

كان الإحتلاف في تحديد مبدأ هذا لحكم مفهوماً ومبرراً، فقد أعاده بعض الباحثين إلى مطلع العهد المملوكي ورأى آخرون غير ذلك.

«في نهاية الحكم الصليبي ومطلع عهد المماليك كان التمرركز الإقطاعي في لبنان يتميز بوصوح قام في بعض المناطق، فقد رافق التشنج الصليبي وروال سيطرته عن المناطق توسع هائل في نفوذ آل حماد الدين سيطروا على مناطق كسروان وجبيل والبترون وجبة المنيطرة والضنية وعلبك والهرمل لذلك اعتنوا سموك طرابلس بيد المماليك إدارة لهم بزوال نفوذهم، فأعلنوا العصيان صدهم منذ البداية»⁽¹⁾.

ويرى بعضهم أن حملات كسروان في أو ثل القرن الرابع عشر كانت موجهة ضد الحماديين باعتبارهم أصحاب النفوذ على المناطق الشيعية المستهدفة. ويرى أن نتائجها حدثت من نفوذهم. ونواجههم وأجبرتهم على الانكفاء إلى مناطق محاورة على أمل استرجاع ما فقدوه نتيجة هذه الحملات.

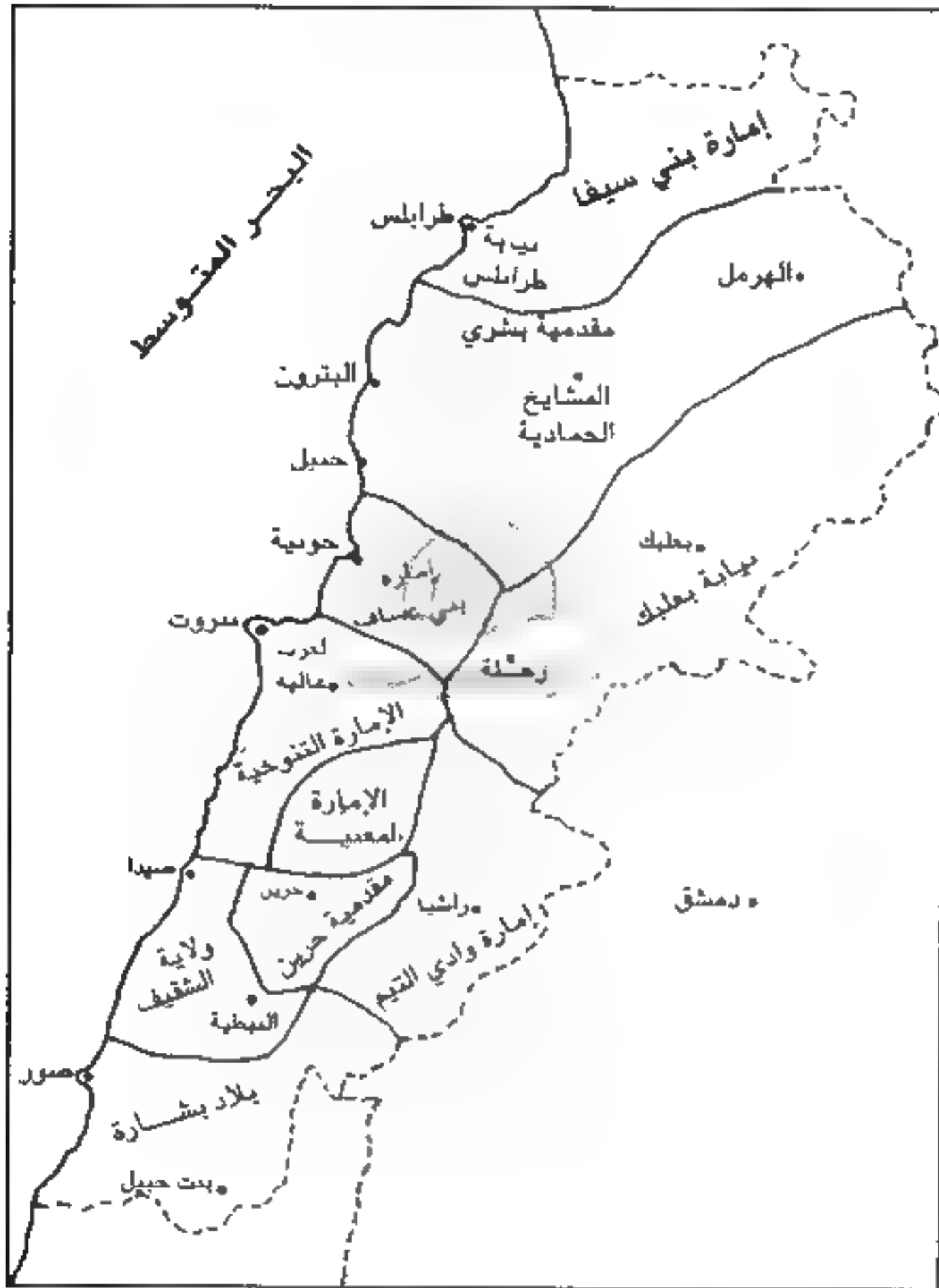
«بعد حملة كسروان التي قام بها المماليك فحصر نفوذ آل حمادة الشيعة إلى جهة المنيطرة وبعض مناطق بلاد جبيل بعد أن كانت لهم مزارع في الكورة والزاوية وحكموا مقاطعة الضنية فترة طويلة من الزمن وقد حاولوا استرجاع ما فقدوه نتيجة تلك الحملات من إقطاعات كانت حكراً عليهم منذ عهد الفاطميين»⁽²⁾.

إن تاريخ الحماديين المتداول والمكتوب لا بدأ في نوافع قبل القرن الخامس عشر

(1) تاريخ الضنية، قاسم الصمد، ص 16

(2) المصدر السابق ص 23 و 28

الإمارات الإقطاعية في لبنان في القرن الخامس عشر



«لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني محمد علي مكّي ص 324»

الميلادي¹ عندما برزوا كأسرة قوية وناهدة هي مقاطعات عديدة من جبل لبنان وسهل البقاع.

يقول محمد علي مكّي

«برر المشايخ الحمادية الشيعة في القرن الخامس عشر وتمكنوا من الحصول على العديد من المقاطعات الممتدة من سموح صنين الشمالية إلى جنة مشري في الشمال بما في ذلك بلاد جبيل والكورة والبترون وعلبك، ووصلت مقاطعاتهم إلى الناصرة وكان سينتهم وبين الموارد منافس دائم على ملء المزارع البشرية في المناطق الجبلية التي نجمت في القرن الرابع عشر عن تشتت الشيعة والنصيرية»⁽²⁾.

توسع الموارد بحروجهم جنوباً نحو بلاد جبيل وكسروان ولكن في القرن الخامس عشر تعرض هذا النزوح إلى تحميد مؤقت بسبب انتشار القبائل الشيعية الحمادية في بلاد جبيل والمنيطرة وجبة مشري والبترون»⁽³⁾.

لم يذكر المؤرخون اللبنانيون الأولون شي حمادة قبل القرن الخامس عشر وجاء ذلك في إشارات متتالية هي ممر من تمصيل المزارع المذهبية المحتدمة في ذلك الوقت بين المسيحيين أنفسهم من سيطرة وعاقة، وتدخل الحماديين أحياناً المناصرة هريق على آخر أو محاولة إحماد هذه الفترة على نحو ما، قد يشهر ردود فعل متناقضة من هريق النزاع

من أقدم الآثار المارونية المكتوبة التي وصلت إلينا رجليات الفلاحي كما هو معروف، ويبدو أن واضعها كان معاصراً للأمير أحمد⁴ الذي ذكره أكثر من مرة بوصفه صاحب

(1) ليس من أسهل متابعة تاريخ هذه الأسرة بشكل مقنع وجدي قبل هذا التاريخ رغم ما وردناه من إشارة إليها في العهدين الماطمي والصليبي

(2) تاريخ لبنان محمد مكّي ص 266 ثم نجد أي شيء يؤكد أن جماعات من طائفة النصيريين قد تواجدت في منطقة لبنانية طيلة العهد المملوكي وحتفسي رغم أن كثيرين من الساجين المعاصرين توهم ذلك واعتادوا أن لهذا التوهم سببين.

أ - عدم التمييز الدقيق بين الامامية والنصيرية لدى البعض وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه

ب - عبر بعض الجغرافيين العرب لبنان من جبل لكمة وهو ليس شرف على أنطاكية وطرطوس ولا يحصى وجود تنازع هذه لطائفة في هذه الأماكن منذ قديم مخرج بلدان، ياقوت الجوزء الخامس، ص 22

(3) المصدر السابق، ص 265

(4) الأمير أحمد، هو أحمد بن حسن المذكور في الفصل السابق

سلطة وسطوة أرسله الله ليعاقب لمقدمين لما رقي من الإيمان الدينيّ السليم كما يعتقدون
الفاطم، ولكن أولاد الشيخ زعزوع ولادة شتاتاً لتوا بداء أساع المذهب الآخر المطرودين من
إهدن، فنهضوا برجال الصنية سعدة بمقدم عبد المنعم وشيخ حدشيت ورجال دير
الأحباش وقصدوا إهدن حيث تمرصو لكمين في مكان ما يسمى «حمينا» حيث هلك
الكثيرون منهم وتشتت اليعاقبة حتى وصل بعضهم إلى قبرص وكان ذلك سنة 1488م⁽¹⁾.

وعلم أهل إهدن بقدمهم فأقاموا لهم كميناً في «حمينا» ولما برز رجال الصنية من
الحبل وثب عليهم الكمين فأهلك كثيرين منهم

ويروي المطران يوسف الدبس أسباب هذه الحادثة، فيقول «إلى أنه في سنة
1488م يعقوب أسقف إهدن وأهلها من إندار القس يعقوب والأحباش الفاطميين
بدير مار يعقوب بإهدن ليرعوا عن صلاتهم وعن بثه بين العامة فلم يقلعوا عن
حبهم فزقوا إلى درجة الأسفمية إبراهيم بن حنص وأرلوه عليهم في الدير فلم
يتحملوه ليحكم فيهم فزحلوا إلى وادي حدشيت وجعلوا نموسهم تحت حماية
الشدياق جرجس ابن الحاج حسن وسكنوا في دير مار جرجس وسمي دير الأحباش
بإضافة إليهم عشق أمرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وعلى المقدم
عبد المنعم ولما لم تكن لهم معصرة على مناوأة أهل إهدن استنجدوا بأولاد زعزوع مقدم
بشانتا فجمع هؤلاء رجال الصنية وقصدوا إهدن في صباح الأحد وعلم أهل إهدن
بقدمهم فأقاموا لهم كميناً في حمينا ولما برز رجال الصنية من الحبل وثب عليهم
الكمين فأهلك كثيرين منهم ونسب أهل إهدن من بقي منهم يقتلون فيهم إلى مرجة
تولا ولما علم اليعاقبة بذلك صرستهم أيدي سنا وبشتت شملهم وفر بعضهم إلى
حردين وبعضهم إلى كمر حورا وبعضهم سارو إلى قبرص وارتحل القس يعقوب
ورهباناه إلى دير مار موسى في البرية»⁽²⁾

أمّا البطريرك الدويهي، فيعطي هذه الحادثة بعداً سياسياً إلى جانب حتمياتها
الذهبية؛ فينسب لأسباب إلى تولي أولاد الشيخ أحمد حمادة حبة شري فدفع
استبدادهم وظلمهم البطريرك بطرس لحدثي ورجال إهدن إلى مهاجمتهم في الوقت
الذي كان اليعاقبة ومقدم بشري اليعقوبي عبد المنعم إلى حاسهم وحررت المعركة هي
مرجة تولا قرب زعزونا، فانهزم المتناوئ لجماديو وعادوا إلى الصنية وفر اليعاقبة إلى

(1) أبحار الأعيان، لشديق، أورد ذلك تحت أخبار الحمادية، ص 193.

(2) إجماع المصل، الدبس، ص 160

حردين وكفرحورا ولم ينج من المتأوبة سوى نفر قليل، أعطوا الخبر في طرابلس والضفة عند ذلك اجتمع النصاري وألقوا لقتلى وخينهم وأثرهم في معارة قريبة ثم حرقوا المرجة وقلبوها فلم يبق للمعركة أثر واضح،⁽¹⁾

ويبدو أن توزط الحماديين في خلافات السكان المواربة المذهبية والعائلية لم تقطع بعد دخول العثمانيين إذ يحدثنا البطريق ندويهي عن اتفاق بين ست الملوك روجة كمال الدين عزيمة مقدم إيطو وأحد لحماديين سنة 1584م. على التآمر لزوجها من قتاله عبد المصم مقدم بشرى، فقام بقتل عبد المصم وأولاده منهياً بذلك سلالة سيما من المقدمين لمواربة بعد أن دفع حياته ثمناً لذلك عند انتهاء المعركة⁽²⁾

إذا كان هناك صعوبة في تحديد التاريخ الدقيق لظهور لحماديين على مسرح الأحداث في لبنان فإنهم كانوا موحدين تحت قوة وفاعلية كشعب وكطائفة وكحكام في القرن السادس للمصم العثماني وبالمعنى في منتصف القرن الخامس عشر كما يرى Nantet بأنه في هذه الحقبة ظهرت عند المتأولة الحماديين والحراش عائلتان كبيرتان سلتان في ما بعد دورا غير محدود في تاريخ لبنان⁽³⁾

إن أول ذكر لآل حمادة يمكن تأكيده، أوردته مؤرخ معاصر لحادثة حصلت في العام 1470 عندما تمّ قتل ابن حمادة لخصومة وقعت بينهما⁽⁴⁾.

(1) عبد الله أبي عبد الله بقلأ عن نسخة لماتكن "مخطوطة بدير بستان الدويهي، ورقة 97 تاريخ لبستان عمر الاحبال، ج B ويبدو في رواية هذه مجموعة الكثير من الخلط بالمواريح والوقائع والأسماء وحتى عند الدويهي ولشدياق والديس وغيرهم أيضاً

(2) يسميه الدويهي الشيخ حمادة وكذلك شدياق تاريخ الدويهي ص 417

(3) Histoire Du Liban G. Nantet, P78.

(4) هو القاضي أبو بكر بن محمد بن مرمر بن ندين ولد في القاهرة 831 هـ 1428م. ربي في حجر اسعاده وبرع في الفقه والحكم والنسب التركي وشا مؤلف الدكاء فولي نظر الاسطول ثم صيف ليه الجوالي المصري ثم استلمه ثم حاكم سعيد المنعم ووكالة بيت المال ثم نظر لجيش وحصل الاقتصار عليه والامر به مرة بعد أخرى ثم كتبه لمر 866م. 1462م واستمر فيها حتى مات 893 هـ 1488م وكان من آخر مهده في دمشق من وفاته عين تجهيز امر المشاء لتجريدة عثمانية لفي انتصرت على جيش بن عثمان في العاشر من رمضان من نفس السنة بعد وفاته بأربعة أيام ابن الحمصي، ص 214. والصوم للامع، ج 11، ص 78

(5) هو السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد حشقد حاصري تسطن سنة 865 هـ 1460م ومات سنة 872 هـ 1467م

(6) وثائق بادرة لتدمري، ص 52 بقلأ عن مخطوطة ر الكتب بمصر به يرجح الدكتور التدمري أن يكون مؤلفه يرهس الدين النيقعي المتوفى سنة 1480م

لم يأت هذا المصدر أو غيره بمعلومات حول ابن حمادة الذي كان على حصومة مع أحد أهم الشخصيات الرسمية القضائية والإدارية والعسكرية في العصر المملوكي مع أنها دلالة قوية على أنه كان منذ ذلك التاريخ على الأقل من أصحاب النفوذ والسلطان حتى تنشأ حصومة بينه وبين إحدى أقوى الشخصيات هي مركز السلطة هي القاهرة، والتي كان يهرع للسلام عليها عند قدومها إلى بلاد الشام كبار رجال الدولة وقضااتها في مختلف النيابات⁽¹⁾.

إذا كنا لم نستطع أن نحدد بدقة صفة من حمادة هي ولاية طرابلس في هذا التاريخ، إلا أننا نعلم من مصادر أخرى أن عدائته كانت في ذلك الوقت من الحاكمين والناهدين في أكثر من مقاطعة فيها وربما في المدينة نفسها.

إن الحراقة التاريخية التي تداولها بعض حول الوحد اللبناني الذي مثل بين يدي السلطان سليم في دمشق بعد انتصاره بحاسم في مرج دابق 1516م والتي تقتصر إلى ما يوقر لها بعض الصدفية التاريخية بحمل الحماديين في عداد أعضاء الوحد اللبناني الراثر إلى حاسب فخر الدين المعني الأول وأمراء عساف والأكراد⁽²⁾ مما يلقي مريداً من الشك على صحة هذه الواقعة، لأنه لم يكن من المنطقي أن يسحراً الحماديون ويأمنوا إلى متولهم بحث رحمة السلطان المنتصر بعد أن وصلت إلى مسامعهم حتماً أخبار المذابح التي تعرض لها الشيعة على يديه في طريقه نحو الشام، وبعد أن فقد حليفهم (الشيعة الآخر) رأسه بسيف هذا السلطان حال وصوله⁽³⁾.

الحكومات المحلية

كان من نتائج الاستقرار الإقطاعي في القرن الخامس عشر أن تحوّل الإقطاعية إلى حكومات محلية مصغرة تميزت بطابع طائفي لم يظهر واضحاً من قبل، وقد استمر في ما بعد على حاله في العهد العثماني، ولا بد أن هذا الطابع الطائفي لعب دوراً هاماً في تحديد علاقة هذه الحكومات المصغرة بالحكومة المركزية في عواصم القرار من جهة، وبين بعضها البعض من جهة أخرى فكان من البديهي ألا يشعر الشيعة بمرق كبير عندما حلت الدولة العثمانية لحيدة مكان السلطة المملوكة البائدة، والسلطان محكومتان بالموقف نفسه وبالممارسة دأبها نحو الجماعات والمجموعات والقوى التي

(1) مصالحة الحلان، بن طبلون، ص 81.

(2) بطارقة موازية من القرن 13 إلى 15، الأب فهد، ص 155.

(3) الأمير الجرهوشي، أمير بعلبك الشيعي ودأبها.

تحالفهما مذهباً واعتقاداً، وبما أن الحيوش لعثمانية المطهرة أكملت زحفها إلى مصر دون أن تطأ أقدامها الماطعات اللبانية فلم يشعر أحد بتغيير هام في أمور السلطة خصوصاً أن العثمانيين تركوا الوحوش نفسها بعد أن بذلت ولاءها ونقلته إلى السيد الجديد.

كانت دولة المماليك قد أسندت إلى بني عساف التركمان مهمات أمنية وسلطوية، وأوكلت إليهم حكم بعض الجهات لشمالية من جبل لبنان. فلما جاء السلطان سليم «وافقتن بالاصول التركمانية لهؤلاء الحكام السنة رادهم بسطة نحو الشمال وأعطاهم بلاد جبيل»، فأتحدوا من غزير التي كانت حينئذ قرية محتلة من عدة مذاهب قاعدة لإمارتهم الصغيرة، التي ما لبثت أن توسعت وأصبح الأمير العسافي ممثلاً للسلطان العثماني في كامل المنطقة الممتدة من بيروت حتى عرقا بها فيها طرابلس قبل أن تتحول من سنجق إلى باشوية «واستطاع بحسن ادارته أن يؤمن تعاون عائلة حمادة المتوالية التي تحكم مدينة جبيل»⁽¹⁾.

انحار الأمير عساف إلى حاسب السلطان سليم في معركة مرج دابق، فلما رجع من مصر بعد المصاء على طومان باي آخر سلاطين الشراكسة، ولاء كسروان وبلاد جبيل وسلمه بذلك خطاً شريفاً وما لبث حفيده منصور بعد سنوات قليلة أن أصبح والياً على طرابلس سنة 1523م. وصدرت الأوامر السلطانية بأن تكون ولايته من نهر الكلب إلى حماة يولي عليها من يشاء.

كان العسافيون في الواقع أسرة محلية رعم أصولهم التركمانية، وقد برلوا منذ أكثر من قرنين في ساحل كسروان ليحافظوا عليه من الإهراج حيث كانت مهمتهم حماية الساحل الواقع بين انطلياس وحسبر المعامتين وبما أن الحماديين كانوا في الفترة السابقة للاحتلال العثماني متواجدين في بعض قرى كسروان، فلا بد أن علاقات جيدة كانت تجمع بين الطرفين فلم يكفد الأمير العسافي يكلف بمهمته الجديدة التي أولاها السلطان سليم حتى منح سرحان حمادة⁽²⁾ سنة 1519 صكاً بولاية جبيل باعتباره أصبح يمثل السلطة المخولة بذلك، مع أن هذا الصك لا يعدو كونه اعترافاً وثبتيّاً لوضع قائم فقد كان الحماديون عند انهيار الدولة المملوكية حكّاماً هي مدينة جبيل وكسروان ومناطق لبنانية أخرى.

(1) Histoire Du Liban G Nantet, P. 92

(2) يتكرر اسم سرحان أو سرحال هي أجيال متعاقبة هي الأسرة نفسها

يذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان لهدم الصلح ثمناً هو رؤوس المقدمين السنة الأربعة هي حاج التي قدمها سرحال وأخوته إلى أمير العسافي في عرير لنصرة كانت بينهما، ومن سرحال تولّى مكابهما على بلاد حبيب بينما ينقل أخواه إلى حاج للإقامة فيها⁽¹⁾.

إن هذه الواقعة التي تتردد في تواريخ هذه الحقبة موصولة عن مصدر واحد تبدو أنها واهنة الأساس ولا تتوافق مع الحقائق التاريخية الآتية

- إن المقدم هو أحد الوجهاء في القرية، لذين قد يعهد إليهم صاحب الشأن بالإبلاغ عن بعض الحوادث الأمنية، أو الحالات نصريية وليس منصفاً سياسياً مهماً يمكن أن يثير التنافس خارج نطاق القرية المحدود بين سكانها وحدهم، وصاحبه هي جميع الأحوال أقل شأنًا من أن يشر هبهم أمير العسافي حتى يسعى للتخلص منه بهذا الشكل المعقد والمكلف والحماديون على كل حال كانوا قبل كل ذلك وبعده حكاماً على المنطقة كلها ولا يمكن أن يكون هتاهم منصرفاً إلى الحلول مكان مقدم قرية محلي من قرى المقاطعة التي يحكمونها فعلاً. إن أغلب الظن أن المقصود بالمقدمين الأربعة هو لتعير عن وجهاء هذه القرية أو أعيانها، لأنه من المستغرب أن يكون لحاج أربعة مقدمين بينما يقتصر الأمر في شري مثلاً على مقدم واحد وهي أكبر القرى في المنطقة بأسرها ولمدتها التمدد على جميع أقربه

ذكر الناقلون عن تاريخ الدويهي في حوادث سنة 1600م حادثة أخرى معادها أن يوسف سيماء أرسل يوسف وقاصصوه حمارة فقتلا مقدمي حاج الأربعة مرة أخرى بعد مرور هاربة قرن على الحادثة لمناقته لأنهم أخلاف الأمير حجر الدين⁽²⁾ ولكنهم مسيحيون هذه المرة مما سبب لدى الكثير من المؤرخين تحفظاً واضحاً في سرد تفاصيل كل من الحادثتين.

ويذهب بنا الظن إلى الترحيح بأن رعاية من وضع هذه الأساطير المبالغ فيها هي إعطاء المقدم حتماً سياسياً وسلطوياً يحوئه المشاركة في الأمور العامة عداوة أو تحالفاً مع السيميين والمعنيين والحماديين ورحه ولو قليلاً هي واجهة الأحداث، مع أن المقدم ليس سوى الكاشف الذي تنحصر مهمته في حدود قريته للقيام ببعض المهمات الإدارية البسيطة والسطحية مثل الإبلاغ عن الحوادث الهامة الطارئة التي تحدث في قريته أو معاونه الحادي على إعداد كشوفات بصر ثب، ورسوم في القرية ومن المرحح أن هذا

(1) تاريخ لبنان العام مرمر ج2 ص وأحب لاعيان ص 192

(2) تاريخ الدويهي ص 455

التعبير الإداري قد احتضن مئسراً في الحال أمام تعبیر شيخ القرية الذي أصبح متداولاً ومعتزلاً به من سلطات الولاية فيذكر عادةً أمام اسمه لقبه واسم قريته، فمري في وثيقة تلريم جبيل والبترون وحية بشري والهرمل من عثمان باشا والي طرابلس إلى اسماعيل حمادة سنة 1730م ذكر تسع عشرة قرية شملها الالتزام وحصر شيوخها في مجلس العقد الشرعي في قلعة جبيل وهم شيخ حنا ولد حرحس، وإبراهيم موسى شياحي قرية معاد، وشيخ عيسى ولد يحنا شيخ قرية بعمار، وشيخ منصور شيخ قرية منصم، وعقل ولد ياسف شيخ قرية بتاعل وعاصي ولد ررق شيخ قرية جاج، وميخائيل ولد حرحس شيخ قرية شحس، وباقي مشايخ الناحية المربورة، وموسى ولد ياسف شيخ قرية عليون، وشيخ حرايل ولد مهنا شيخ قرية لحمد، وهرج ولد عيسى شيخ قرية مصاران، وحنا ولد موسى شيخ قرية حبالين، وشيخ يوسف ولد عبد الله شيخ قرية بجة، وباقي مشايخ الهرمل، وشيخ زعيم ولد ياسف شيخ قرية كمرحى، ومخلوف بن مهنا شيخ قرية كيمان، ونصر ولد فرحات شيخ قرية عين كماع، وباقي مشايخ ناحية البترون، وشيخ يوسف ولد حنا شيخ قرية إهدن، وعبد الله ولد ررق شيخ قرية نقاع كمره، وميخائيل العصريت ولد ديب شيخ قرية حصرون، وعيسى ولد إلياس شيخ قرية حد شنت، وبولص ولد بطرس شيخ قرية إهدن تابع زعرتا، وباقي مشايخ ناحية حية بشري⁽¹⁾

روى الشهابي حول مقتل المدميين رويتين تتفقان في بعض التفاصيل وتتباعدان في أخرى ويمضل بين تاريخ وقوعهما نحو قرن من الزمن

استدعى الأمير عساف أحمد وديب وخاطبهما سراً أن يقتلوا مقدمي جاج فيوليهما عوضهما، ولما رجعا سألهما أخوهما الصغير فكاشفاه بذلك فتوجه سراً إلى غزير وتعهد للأمير بقتل المقدمين المذكورين وأحد منه صكاً بولاية جبيل وعاد إلى أخويه فأخبرهما فارتضيا وتوجهوا جميعاً إلى جاج، فقتلوا مقدميهما وأتوا برأسيهما إلى غزير هولي الأمير الشيخ سرحان بلاد جبيل ومكث أخواه في جاج،⁽²⁾

وهي الرواية الثانية يحل يوسف باشا في موقع الأمير عساف وتدخل الواقعة ضمن مصاعم الصراع بين العسيمي والأمير فخر الدين وهي الحالتين يكون المقدمون هم الصحية.

(1) سجل رقم 6، ص 5 لسنة 1134 هـ، 1730 وثائق بادرة، عمر تدمري، ص 270، راجع الوثيقة E6

وهي عدد آخر من مشايخ انقري في حية.

(2) أخبار الأعيان، ص 192

وفي سنة 1600م، أرسل يوسف ناشا سيما يوسف وقانصوه اني أحمد يقتلان مقدمي جاج لأنهم أحلاف الأمير هجر الدين فوجدوا المقدمين الأربعة عند البيادر فقتلهم وسلبوا أموالهم وأخذوا مشيخة بلاد جبيل عوضهم⁽¹⁾

كان ديب حمادة قد استقر في بشناقاً حاكماً على الصنية ثم روج انتييه إلى مقدمي جاج المسلمين، وقد ثمرد المقدمان على الأمير عساف فطلب إلى ديب وأخيه أحمد أن يقتلا المقدمين ويحلا مكانهما

ولكن الأمر صعب على ديب وتردد، فأقنعهما أخوهما الثالث سرحان حاكم قمهز فقتلوا المقدمين وتولى الشيخ سرحان حكم بلاد جبيل بما فيها جاج وبعده تولى أولاده جنة المبطرة⁽²⁾.

لقد ترددت رواية قتل المقدمين في معظم تواريخ هذه الحقبة نقلاً عن الدويهي والشدياق وهي رواية موضوعة بكاملها وتناقض وهاث تاريخية مثبتة ومؤكدة.

كانت إيليج بن حبيب والسترون مركزاً للحكام الشيعة الحماديين منذ استيلاء الأتراك على جبل لبنان، وكذبوا قتل ذلك قدموا إليها ولم يكن يسكنها أحد فتملكوا هذه البلاد وحكموها⁽³⁾

إن العودة إلى إحصاء 1519 عند حصول هذه الواقعة المرعومة تدل أن سكان جاج والمنطقة المحيطة بها مثل كمرشلي وطورزبا وحدثون وبرناسا كانوا من الشيعة ولم يكن في كل منطقة جبل سبي واحد خارج مدينته جبل بفسها، وإن هذه البلاد كانت تحت حكم الشيعة منذ زمن، واستمرت بعد ذلك فزروهم من أن أتى هؤلاء المدممون السنة، وما الذي يدفع الظالمين بالحكم إلى قتلهم وهم حكم قبل ذلك وبعده⁽⁴⁾

إن الإخوة أحمد وسرحان وديب هم أولاد قانصوه حمادة المقيم في عرير وقد استمروا حكاماً، ديب هي الصنية وسرحان وأحمد هي جبل والبترون وحنة شري وعكار وصافيتا وأحياناً الصنية حتى سنة 1668، على الأقل تاريخ موت أحمد واستمر سرحان يحكم هذه المناطق منفرداً أو مع ولده حميد حتى سنة 1686 تاريخ وفاته ولم يعد بعدها يظهر اسمه في عقود الأكرام هي محكمة طر بلع الشرعية⁽⁵⁾ فكيف يمكن

(1) المصدر السابق ص 193

(2) تاريخ لبنان الحصري، يوسف السموا ص 225-226

(3) تاريخ حدثون، حليلة، ص 17-18.

(4) المصدر السابق ص 70

(5) راجع جداول حكام هذه المناطق في امرن الساب عشر

أن يقتلوا، المقدمين قبل وفاتهم بحوالي قرنين من الزمن؟

«منذ أيام المماليك باق مناطق لبنان السكانية حكراً على عائلات إقطاعية معينة، ولم يتغير هذا الوضع مع قدوم العثمانيين الذين ثبتوا الوضع الحديد مع بعض التعديلات فكرر الحمادية محاولاتهم لاسترجاع ما فقدوه أيام المماليك»⁽¹⁾ «فنزلوا الحكم لمدة قرنين ونصف في مناطق مساحتها أكثر من نصف لبنان»⁽²⁾ «وتمكنوا من بسط نفوذهم على الشمال بكامله بما فيه طرابلس التي استلموا ولايتها أيضاً»⁽³⁾

انقراض العائلات التركمانية الحاكمة

هي اقرار الأول من الحكم العثماني برر في المقاطعات السنية التابعة لولاية طرابلس، ثلاث عائلات نافذة هي حمادة وعساف⁽⁴⁾ وسيما

وقد تعايش الأسر لثلاث هي فترة رمنية واحدة وهي لحير المكاسي نفسه، والذي يُعرف إدارياً في العهد العثماني بولاية طرابلس شام ولكن هذا التواجد المشترك لم يدم طويلاً بعد أن انقرض العسافيون قبل نهاية القرن السادس عشر بموت الأمير محمد قتيلاً بدور عقب في كمين نصبه له يوسف سينا بن السرون والمسيلحة سنة 1590م وما لبث آل سينا أن لاهوا المصير نفسه بعد أقل من نصف قرن بعد صراع طويل مع الحماديين وعلى يد هم⁽⁵⁾ سنة 1634 بعد معارك متعادية في حويل والبترون والميطرة⁽⁶⁾

فما هي طبيعة العلاقة بين هذه الأسر الثلاث التي تختلف عرقاً ومذهباً، وقد تصدرت واحدة الأحداث لأكثر من قرن من الزمن⁽⁷⁾.

(1) تاريخ النسيه، الصمد، ص 23

(2) تاريخ لبنان عبر الأجيال، عبد الله أبي عبد الله، ح 8، ص 47

(3) حيدر ولبرون ولشمان في التاريخ، المؤلف نفسه، ص 170

(4) أسره تركمانية تولى حد أفرادهم لأمير عساف تركماني على حيدر وكسروان في مستهل العهد العثماني اشتهر منهم منصور، توفي 1580

(5) أخبار الأعيان، الجزء الأول، ص 190

(6) الأيدولوجية ص 306

(7) بهم بعض المؤرخين أن بني عساف كانوا من الشيعة، ومهم هيب حتى (مختصر تاريخ لبنان، ص

بنو سيماء عشيرة من الأكراد أو التركمان من وجهاء بلاد عكار حار عليها بنو شعيب⁽¹⁾ بعد أن تولّى أحدهم «محمد عا شعيب» ولاية طرابلس، فنزحوا إلى الباروك ولم يتمكنوا من العودة إلا بمساعدة الأمير منصور العسافي الذي هيأ لهم سبل القضاء على أحصائهم سرورهم بعدد من المحاربين، واعتبال الوائي الشعبي في طرابلس، فصمما لهم الحو وتولّوا بلاد عكار (935هـ / 1528م)

بعد سنوات قليلة عصمت الدولة على الأمير منصور وأصدر السلطان فرماً برسم طرابلس ناشوية لأول مرة بعد أن كاب سيجقاً ونعس يوسف سيماء بكليركي عليها قضى هي منصبه مدة طويلة أراد أنهاءها بموده، وعظمت قوته حتى تمكّن من القضاء على أحر العسافيين والاستيلاء على كل ما خلعه من مناصب وأمالك وأموال⁽²⁾

هي القرن العثماني الأول كادت ولاية طر سس أن تكون حكراً على العائلات الثلاث عساف سيماء وشعيب وربما يعود ذلك إلى صولهم العرقية المتشابهة التي دهمت الباب العالي إلى الركوز اليهم باعشارهم من رجاله المخلصين خصوصاً وأن مذهبهم السنّي، وانتماءهم الكردي التركماني قد يكون من الأسباب التي يسّرت لهم بلوغ هذه المرتبة التي لم يصل إليها أحد بعدهم من لرحلال المحلّس حتى الناشوات الأتراك الذين تعاقبوا على ولاية طرابلس هي المرون القادمة لم يستطع أحدهم لاحتفاظ بمنصبه لمدة طويلة كما فعل منصور عساف (57 سنة) ويوسف سيماء (45 سنة)⁽³⁾

كان سو عساف وبنو سيماء يمارسون السلطة على حين لسان باعتبارهم ولاية عثمانيين معيّنين بمراميات من الدولة يستمدّون منها مدى وحدود سلطاتهم. فإذا أبعثوا عن هذا المنصب بحسب تأثيرهم وضعف شأنهم وبرجع ما كان يدهم من قوة وسلطان

وبقي لحماديون وحدهم حكماً محليين في مناطق معيّنة يمارسون سلطة عامة لا تقتصر على جمع الضرائب وتحقيق أوامر ليكليركي وإنما تقوم بكل مهمات الحكم دون أن تستمدّ قوتها ومبرّر وجودها من إراده بدولة سواء أكان والي طرابلس سيماء أو عسافياً أو أي تركياً آخر وإنما هي قائمة منذ أيام لماليك بقوة ذاتية وواقع مستمر

(1) عائلة من اعيان عرقا تولى احدها ولاية طرابلس بالإنابة سنة 1523، وكانت لا تزال سيجقاً.

(2) الأمير محمد قتل سنة 1590، وقد سبقت لإشارته

(3) تولى الأمير منصور لأول مرة سنة 1523 و ستمر على قدر من منقطعه حتى وفاته سنة 1580 وتولى هذا المنصب يوسف باشا بين 1579 و 1624

غير معني بتبدل الولاية وأحكام المرمادات. لقد طرد بنو شعيب آل سيما من ديارهم عندما أسندت إلى أحدهم ولاية طرابلس ولم يعودوا إليها إلا بفصل الثلاثماية مقاتل الدين رؤدهم بهم الأمير العثماني⁽¹⁾ ونكر يوسف باشا استطاع أن يسأصل آل عساف ويقصي على وجودهم برمته بعد أن عينه الدولة والياً على طرابلس بسلطات الكبيركي كاملة. فلما فقد السيفيون هذا المنصب بعد موته سنة 1632م وعدم حدارة ولده قاسم لحلافته رعم الممود الكبير الذي حاره في حياته. سدد وجودهم تماماً بعد سنوات قليلة 1637م، ولم يبق لهم أثر.

بقيت علاقات التعاون التي أرسى قواعدها الأمير عساف بحسن تديره مع الحماديين ثابتة ومستمرة حتى آخر أيام هذه الأسرة وتم تحدثنا كتب التاريخ عن أي صدام بينهما. فمن الواضح أن العسافيين، رعم المناصب الرسمية التي أسندت إليهم من اسطمبول، ظلوا يصرفون كعائلة محلية خبروا طبيعة البلاد وتنايب مداها وعصبيات سكانها فلم يحاولوا كما فعل حلفاؤهم تنفيد سياسة رسمية قصيرة النظر تعتمد على البطش والاستعراف قبل الانتقال إلى موقع آخر لا يعلمون متى يعين أحله السريع.

كان الحماديون يعودون إلى هواحبهم العلاقة مع العثمانيين هي المترات التي ينقطع بها الأمير منصور عن ولاية طرابلس، وتسندها الدولة إلى أحد الولاة الأتراك فتسوء العلاقة بين الطرفين كما حصل في ولاية حمص بك ومن حلفه من أبناء حمص⁽²⁾ ويعود الحوف المرم من تهليل المتاولة والبصاري والتكامل بهم على يد العثمانيين، لتعود هذه العلاقة إلى طبيعتها عند عودة العمهي إلى الولاية كما حصل بعد عودة الأمير محمد من اسطمبول على أثر حادثة حو عكار الشهيرة⁽³⁾ بعد أن تيقن السلطان من براءته وعهد إليه مرة أخرى بولاية كامر مقاطعات طرابلس ما عدا المدينة هبادر فور عودته إلى دعوة الشيخ أبو قابصوه محمد بن همام حمادة للإقامة في مركز حكمه فغريه بعد أن منحه داراً هيباً⁽⁴⁾ ولم يتعرض لأي حاكم حمادي في إدارة مقاطعته فقد كانت الألفة والمشاركة هي السنطة قديمة العهد بينهما فإن السلالتين

(1) تاريخ سوريا جرجي بشي، ص 319.

(2) فترة بقطاع الأمير منصور عن ولاية طرابلس 1549 - 1573.

(3) ملف انعموص هذه لحادثه التي يبدو أن سفطات بعض مرجع المحلية قد تلاعبت بوقائعها (1584).

(4) تاريخ سوري ص 448.

(5) تاريخ سوري ص 448.

القبليتين حمادة وعساف كانتا تسيطران على كسروان منذ العهد المملوكي⁽¹⁾، وكان الأمير العسافي قد شاح ولم يرق ولداً فأصبح آل حمادة ورثة الإمارة العسافية قبل ست سنوات من زوالها⁽²⁾.

بعد انقراض آل عساف أصبح يوسف دشا سيفا والي طرابلس الحديد صاحب السلطة الرسمية، فأوكل تدبير كسروان وفتح وبلاد جبيل والبترون والحبية إلى رؤساء عشيرة آل حمادة، وبعد وفاته في العام 1624م، أصبحت الفتوح مقاطعة مستقلة مفصولة عن كسروان تحت ولاية بيت حمادة الشيعة، لأن أكبر قسم من أراضيها كان ملكهم ومقر حكمهم كان في غبالة ويحشوش⁽³⁾.

بني الحماديون متواجدين في عرير بعد مقتل الأمير محمد وانقطاع دياره 1590م، ويبدو أن أرملته ووارثة أملاكه بقيت هناك حتى حطها يوسف سيفا بعد ثلاث سنوات وانتقل بعض رجالهم معها إلى طرابلس حيث بقوا هناك كمتسلمين يمارسون السلطة الفعلية في داخل المدينة كما هي خارجها ومن أولى مهماتهم حفظ الأمن والدفاع عنها ضد كل أعداء خارجي، إلا أن علاقات العائشين ما لبثت أن تدهورت وبشيت معارك بينهما في المنطقة وبلاد جبل والنرون وعكار حتى نهاية السبعين وامنهم.

الانتشار الشيوعي في جبل لبنان

وصل الحمادية إلى لبنان وهم مجموعة قبائل وعشائر، هانتشروا في منطقة واسعة من جباله، وبسبب طباعهم التي تميل إلى التمرد والاستقلال ورهص الظلم والتحكم⁽⁴⁾ وانسحاباً مع بؤافع هجرتهم وهو أجسهم وتعدد عشائريهم وبمط سلوكها وما ألفت وتعودت عليه، فصلوا الإقامة في لحرود والسموح والمزارع على الإقامة في السهول والسواحل والمدن خصوصاً في يد به فترة انتشارهم.

إن الأماكن الأولى التي سكنوا فيها تبتدئ من أقصى كسروان جنوباً حتى أقصى المرتفعات الغربية القائمة عند سهول عكار في سلسلة الجبال المقابلة للبحر بين بيروت وطرابلس، فكانت أهم مراكز نواحيهم لأولى مسكنات، فارياء، حراجل، عجلتون،

(1) كمال الصبيبي Northern Lebanon

(2) تاريخ الكمور، الحوري يوسف أبي صعب، ص 76

(3) تاريخ لبنان عبر لأجيال، أبو عيد الله، ج 8، ص 47

الحكم الشيعي في جبل لبنان



يعشوش، عبالة، فمهر، الحصص، أفا، لاس، كهر حلد، ميموق، جران، المحدل، حدتو،
كهر حلد، بنهران، بشتليدا، مرهجين، بشري، حصرون، إهدن، حدث الحلة، قنورين،
المعيري، وادي علمات، جاج، أهيج، العافورة

ثمّ ما لبثوا حتى امتدوا إلى سائر المناطق المحيطة. وأنشأوا بينها قرى ومرارح
حديثة، وبزلوا إلى المدن والسواحل كعريز وجيل والبرور، كما أنه قسم منهم شرقاً
وجنوباً إلى المنحدرات والسموح الواقعة على الأطراف العربية لسهل البقاع كالهيرمل
وشمسطار والحدث دون أن تتجاوزوا عليك ودون أن يتوغلوا شمالاً بعيداً عن أماكن
تجمعهم الأولى.

بعد انحسار العائلات التركمانية التي كانت تقاسم البؤود في البلاد التي حلّوا فيها
وتعاقبوا على ولاية طرابلس متمتعين برعية الدولة الحاكمة في العهدين المملوكي
والعثماني، أصبحت أيضاً عائلات أخرى أقلّ شاباً، كانت تتحكم في بعض المقاطعات
الصغيرة كالمستراحين والمقدمين من الشيعة وآل الشاعر وقد أدّى الانتشار الحمادي
إلى اصمحلال معظم هذه العائلات وهجرتها إلى أماكن أخرى ودولها هي المد
الحديث الواقع.

بعد مقتل مقدمي حاح حارب الحماديون "معتزاً حيين" الذين كانوا قد تمشيحوا على
حبة المييطره منذ عام 1480م هملوا كبيرهم جمال لدين سياله¹ وانتقل الباقون إلى
حدث عليك كما انتقل بنو المقدم إلى كفرحوب في حرب²

أما الحكام السنّة فكان أهمهم بنو الشاعر حكام بلاد البترو ومركزهم تولا.

يصول مؤرخ قديم من البترو

«كان من حكام البلاد في ذلك الحين المشايخ الحمادية الذين برع جدهم من الكوفة
وأقنى إلى هذه الربوع وحكم بسبمه وكان مقد ما شجاعاً بشد أزره أعوان لهم من الصولة
والباس ما حملهم فور وصولهم إلى هذه المنطقة على إشهار الحرب على المشايخ بني
الشاعر حكام هذه المقاطعة من لبنان واستطهروا عليهم وهتكوا بهم فتكاً تريفاً وأجلوهم
عن بكرة أبيهم إذ قتل منهم من قتل وهو من عز لا يلوي على شيء»³

(1) تاريخ الدويهي، ص 507، وهم بعض لخمانيين ومأهله منهم 451، الدويهي.

(2) معجم أسماء الاسر، أبو سعد، ص 862

(3) الحوري بولس روحانا أبي براصيم، (نومي 1893)، أوراني ليدنية، ج 3، ص 231.

كسروان

كانت كسروان من المناطق الأولى التي سكنها الحماديون وتولوا حكمها وتملكوا بعض أراضيها بالشراء من أصحابها السنة¹ وبدأوا منذ ما قبل سنة 1505 في استقدام عائلات من الشيعة وتشجيعهم على الإقامة في حرودها وتعميرها⁽²⁾ بالإضافة إلى من بقي من سكانها الأصليين بعد احتياحها في عهد المماليك، ومن عاد منهم بعد أن هاجر منها إلى حريص والبقاع وحرود لبنان المتحمة إلى الحبوب⁽³⁾

وقد استطاع فخر الدين بعد حروب صويلة من السيطرة على قسم منها فأصبحت بعد ذلك تقسم عملياً إلى ثلاثة أقسام

أولاً القسم الشمالي أصبح مقاطعة مستقلة بقيت تحت حكم الحماديين ومعظم أراضيها من أملاكهم⁽⁴⁾ وعرف باسم الفتوح أو (فتوح بني رجال)

ثانياً القسم الجنوبي الذي دخل تحت سلطة حكام جبل الدروز يعهدون بقرية أو عدة قرى منه إلى وكلاء أو ملترمين ثابوتين من المودة المحليين.

ثالثاً القسم الثالث ونصم على المنطقة الحدودية بقي تابعاً لوالي دمشق يستوفي من سكانه الاغنياء والعمد بواسطة حوالية مباشرة⁽⁵⁾. ومعظم سكانه من الشيعة ونصم عملياً تحت سلطة الحماديين وشراعتهم ثم ألحق بولاية صيد بعد ذلك، وتعرض الوجود الشيعي الكثيف فيه إلى ضغط مكرر أدى إلى انحساره تدريجياً لمصلحة هجرة مارونية واحدة، بدأ الشيعة في المرحلة الأولى في استقدامها ورعايتها لأسباب اقتصادية واجتماعية، قبل أن تتحول إلى عملية استيطان ذات بعد سياسية وسلطوية ترمي إلى الاستيلاء المنهجي على أراضي لشيعة ودفعهم إلى الهجرة إلى مناطق أخرى

وقد سخرت أجهزة الولاية العسكرية والإدارية سندخ ساهر أو مستتر من جهات فاعلة استطاعت أن تدفع والي دمشق أو حاكم جبل الدروز إلى القيام بحملات تهجير منتظمة ومتواصلة من أجل دفع الملاحين الشيعة المتشككين بأرضهم إلى معادرتهم والتنازل عنها تحت أقصى الظروف بعد أن أصبحوا بدون حماية إدارية أو قضائية، وبدون

(1) رجوع البصاري، الحوري رقيب ص 19

(2) المرجع السابق، ص 19.

(3) قصايا في تاريخ المماليك أحمد حطيط، ص 151

(4) تاريخ المقاطعة الكسروانية، الحوري جتوي، ص 9

(5) رجوع البصاري، رقيب، ص 12

قيادة سياسية يلتفون حولها، ومع ذلك فقد تمكنوا من الصمود لسنوات طويلة، وظل المتأولة محتلين جرود كسروان حتى قوي شأن النصاري فأخذوا يرحفون رويداً رويداً إلى السواحل ويصعدون إلى لحبال إلى أن تمكنوا منها نهائياً في أواخر القرن الماضي⁽¹⁾.

لم يسلم الحماديون سهولة لم حري وصلوا يعتبرون أن حكم كسروان هو من حقوقهم المشروعة والمتوارثة، وبحاولون اسعادتها بشئ الوسائل في فترات مختلفة؛ فقد كانت عرير لا تزال أهلة بالحماديين حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر، ويقوا يرمون الصوت على أهلها كلما دعت الحاجة إلى ذلك كما فعل سرحال حمادة في إحدى معاركه مع الأمير علي علم الدين⁽²⁾، ولم ينوقف لحماديون عن مهاجمة كسروان بقصد العودة إليها؛ فقد قاموا بعارة على عشقوت سنة 1684م⁽³⁾ وأخرى سنة 1691م⁽⁴⁾، وهي سنة 1725 تلاقى ناس من بيت حمادة نحو ثلاثين رجلاً كان مرادهم مسك عبدالله الحارث وإمانته لأنه كان حيد ك حاكماً على بلاد كسروان⁽⁵⁾، وكان بيت حمادة المذكورون يدعون أن البلاد هي لهم إرثاً حلقاً عن سلف⁽⁶⁾ ويلعانون إلى شعابها في الملمات، ويمتدرونها حمى بهم ولم تنوقف هذه المحاولات حتى منتصف القرن التاسع عشر⁽⁷⁾.

كانت «الحمادية» إحدى أبرز العشائر التي سكنت كسروان منذ القدم، وكانت مدينة طرابلس مركزاً مهماً للتعليم والثقافة الشيعية تحت الحكم العاطمي. لذلك كان من الطبيعي أن تكون المناطق المحاذية لها امتد⁽⁸⁾ لسكان شيعية خلال العهدين المملوكي والصلبيبي وهي معظم الأحيان كانت القبائل الشيعية الريفية تمضي فصل الشتاء في بعض القرى القريبة من الساحل، أو البقاع وتعود بقطعاتها نحو الأماكن العشبية المرتفعة في الصيف وكانوا يمارسون الشيعية الإمامية الاثني عشرية غير الكهنوتية

(1) فخر الدين المكي لثاني، الحوزي بولس فرالي، ص 3

(2) تاريخ الدوبهي ص 525

(3) أخبار الأعيان، ص 194 والمطبعة الكسروانية، ص 100

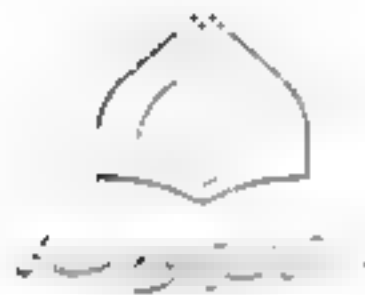
(4) تاريخ الكفور، أبي صعب، ص 79

(5) بقي القسم الجنوبي من كسروان المنحى بولاية صيد تحت حكم المنيير وبعدهم انشاهيين وكانوا يهدون إلى بعض الاعيان المحبيين باستيلاء الصرائف في بعض القرى

(6) وقد روى المطران الدبس مثل هذه الحادثة عن مكارم جامع بمصطلح في تاريخ الموآرة المؤصل الدبس، ص 266.

(7) رجوع النصاري، رغب، ص 25

فلم يشتهر منهم رجال دين وفقهاء كما كان الحال في جبل عامل وكان الأوروبيون منذ بدأ اهتمامهم السياسي والتجاري، وخصوصاً الرسولي في لبنان يراقبون الحمادية في الحبل ومهاراتهم وقوتهم العسكرية⁽¹⁾.



(1) الحملة ضد الحمادية، ص 6

الفصل السادس

الشيعة في ولاية طرابلس

ستطيع من خلال الوثائق العثمانية الرسمية الناقية حتى اليوم، سواء هي الأرشيف العثماني في عاصمه السلطنة، أو هي سجلات محكمة طرابلس الشرعية، أو ما حصل من التلغ في دواوين السلطنة الأخرى، أن تعرف إلى طبيعة العلاقة المتقبة التي قامت بين السلطة العثمانية وهذه العائلة الشيعية التي حكمت جل لسان ومعظم ولاية طرابلس لأجيال متعاقبة وما نعلدها من حملات عسكرية تكاد تكون متواصلة لوضع حد لسيطرتها. وما أصدرته من مراسيم تعطي هذه السوطة إطارها القانوني والشرعي، طبقاً لأنظمة هذه الدولة وأعرافها وأساليبها الإدارية

إن بعض ما أمكن مراجعته من هذه الوثائق والمراسلات والسجلات ودهتر المهمة، يعود إلى أيام حكم سرحان حمادة الذي ازدهرت الإمارة الشيعية في عهده والذي أصبح رئيس العشيرة سنة 1640¹¹⁹ وبقي في واحدة الأحداث نحو نصف قرن من الزمن إن سجلاً مهماً وفريداً «دعتر مهمه» موجوداً في مكتبة Bliothek Sachsische Landesbi يحتوي على أمر صريح وقصير يعود إلى بداية 1661 موجه إلى والي طرابلس يطلب منه إلقاء القبض ومعاينة سرحان حيثما وجد في ولاية دمشق أو منطقة ابن معن أو أي مكان آخر بأي وسيلة ممكنة¹²⁰ ومن الممكن أن أحكاماً سابقة كثرة ضد آل حمادة قد فقدت، وكان كوبريو Kopriolu الذي أصدر هذا الحكم قد أرسل قبلاً مصطفى باشا والياً على طرابلس سنة 1659 ومعه فرمان ملكي بمقاومة آل

(1) الإمارات الشيعية، ص 119

(2) تاريخ السويهي، ص 520

(3) Dresdev Eb, 387, fol 28b عن الإمارة الشيعية، ص 119

حمادة، ثم أرسل ابنه أحمد والياً على دمشق وقام بحملته الشاملة التي أجبرت المغنيين والشهابيين على الفرار واللجوء إلى آل حمادة في قهمر التي هاجمها قبلان بأشأ بناء على أوامر كوبريلو بقوة قوامها خمسة آلاف جندي حولت المنيطرة والمتوح وحبيل والبثرون إلى حراب وقتل فرعمار المعني في السنة نفسها على يد والي صيدا⁽¹⁾. وتمديد مستندات أخرى من سجلات Dresden أن أوامر مشابهة وصلت إلى البكليك في طرابلس وصمد وصيد، وبيروت بالتعميق مع والي دمشق هي حملته ضد ابن مع وسرحان والمقدمين مراد وهارم⁽²⁾ وقطاع الطرق الدروز الآخرين، ليس سبب عصيانهم فقط، بل بسبب تأخرهم في تسديد الضرائب أيضاً وبسبب خوف الباب العالي من لجوء الثوار إلى مناطق بعضهم، فقد أمر السلطات بتجاوز مبدأ عدم التدخل في الولايات الخارجية عن سلطاتهم ومطاردتهم ومماقتهم حيثما وحدوا⁽³⁾.

تؤكد الوثائق العثمانية نفسها، أن هذه الحملات لم تحقق أهدافها هي القضاء على الإمارة الشيعية، أو الحد من سلطة الحماديين وامتداد نفوذهم. فإن عقد الالتزام المبرم سنة 1667 ينص على تسليم المقاطعات الرئيسية الست وهي عكار والصنية وحبية بشري وحبيل والبثرون والكورة إلى الحكم الشيعي، ويضع كافة جبل لبنان عملياً تحت سيطرة آل حمادة ونعترف بموقعهم وبهكمهم المتعاون في طرابلس⁽⁴⁾ ورغم أن المفاوضات حرت في سرايا طرابلس بين نوالي و الشيخ سعد بن علي حمادة فقد صدر العقد باسم أحمد بن محمد، ومن الواضح أن الشيعيين يعملان تحت إشراف كبير الحمادية سرحان إن المسؤولية عن حماية وتطوير هذه المقاطعات وإبراد المبالغ المستحقة على عاتق أحمد، ولكن التعهد بالتعميد كان للشيخ سرحان وأولاد عمه.

إن مدة عقد الالتزام هي كما حرت العادة سنة شمسية تبدأ هي إدار (مارس) وقيمة الالتزام مائة وعشرين ألف فرش تسدد على دفعتين، وتشمل جميع أنواع الضرائب، وينص العقد على إقامة لشيخ سعد وعائشه وعائلة الشيخ أحمد في طرابلس تحت إشراف الباشا حتى يتم سداد المبلغ المتفق عليه. وقد كان لعدم التقيد

(1) تفصيل هذه الحوادث العظيمة في مكان آخر، «ثورة أولاد العرب».

(2) من أعيان الدروز

(3) Dresden Eb 387, fol 102a (1-2)

(4) الإمارات الشيعية، ص 122 راجع الوثيقة رقم 7E، ويموحها تعهد الدولة إلى الشيخ سرحان وسائر أبناء حمادة بمقاطعات حبيل والبثرون وحبية بشري وعكار والصنية والكورة م.ط. ش سجل 1، ص 11-12 بالتركية

الدائم بهذا النمذ انعكاسات مهمة على علاقة بين طرفي العقد .

إن الوثائق العثمانية لرسمية العائدة لسنة 1668 تسجل الامتداد الجغرافي الكبير لإمارة آل حمادة مع توسع ملحوظ في محط الضرائب والحياته لتشمل بلاد النصيرية وصافيتا في جبال العلويين التي دُخِلَ صرائفها في عهد الشيخ أحمد بالإصافة إلى عكار وحبّة شري، بينما بقيت بلاد حبير والترون في عهد ابن عم سرحان ديب بن عيسى بواسطه وكيله مصطفى بن ناصر الذين وضعت عقود الالتزام بالإصافة إلى الضرائب العادية والرسوم المفروضة على فائل العرب ومشاائر التركمان والحزبة على المسيحيين⁽²⁾ وتعد الوثائق المسجدة في محكمة طر بلس في الفترة اللاحقة عن انتشار نمود هذه العائلة ووجودها وممتلكاتها في خارج المناطق اللبنانية ومدينة طرابلس نفسها⁽³⁾، حتى صافيتا⁽⁴⁾ وحريرة إرواد على الساحل السوري⁽⁵⁾.

حكم بنو حمادة جميع المقاطعات اللبنانية التابعة لولاية طرابلس بما فيها صواحي المدينة نفسها فأصبح الباشا التركي عميداً مجرداً من أهم مظاهر السلطة، وهي تعيين الحكام والمسلمين في سائر مفاصل ولايته وسديهم بما يحقّ له أكر قدر من المصلحة المادية، واليحكم السلطوي في ما يراه أولى مهامه وحقوقه كان الولاة الأولون من آل عساف وآل سيماء يمتنعون بنمود شخصي وعائلي فاعل لا يتعلّق حكماً بما يربط بالمتحسب الرسمي من مزايا «صافية» رغم أن المتحسب قد صاف إليها ولاشكّ حتماً أكبر وسلطة أشمل، ربّما استعملت لدعم سيطرة أسرهما باعتبارها أسراً متعمدة بينما لم يكن للولاة الذين تعاينوا بعد ذلك سوى السلطة الملازمة لطبيعته الوطنية والمستشفة منها، فكان من ثمديهي أن يتواصل سعيهم لحلو الأوصاع المناسبة التي تمكنهم من استعمال صلاحياتهم بأكبر قدر من الحرية والتفرد حتى لا يكون «الكليركي في طر بلس بمجرد الاسم لا عبر كلفناطوره»⁽⁶⁾ أو يقع أسير الأمر الواقع لمصوص رغم إرادته بالتعامل من مركز ضعف وإدعان مع حكّام مشاكسين ومتفردين ومحاربين قبل كلّ شيء.

(1) م. ط. ش. سجل 1-2.

(2) م. ط. ش. سجل 1-2، ص 76-77.

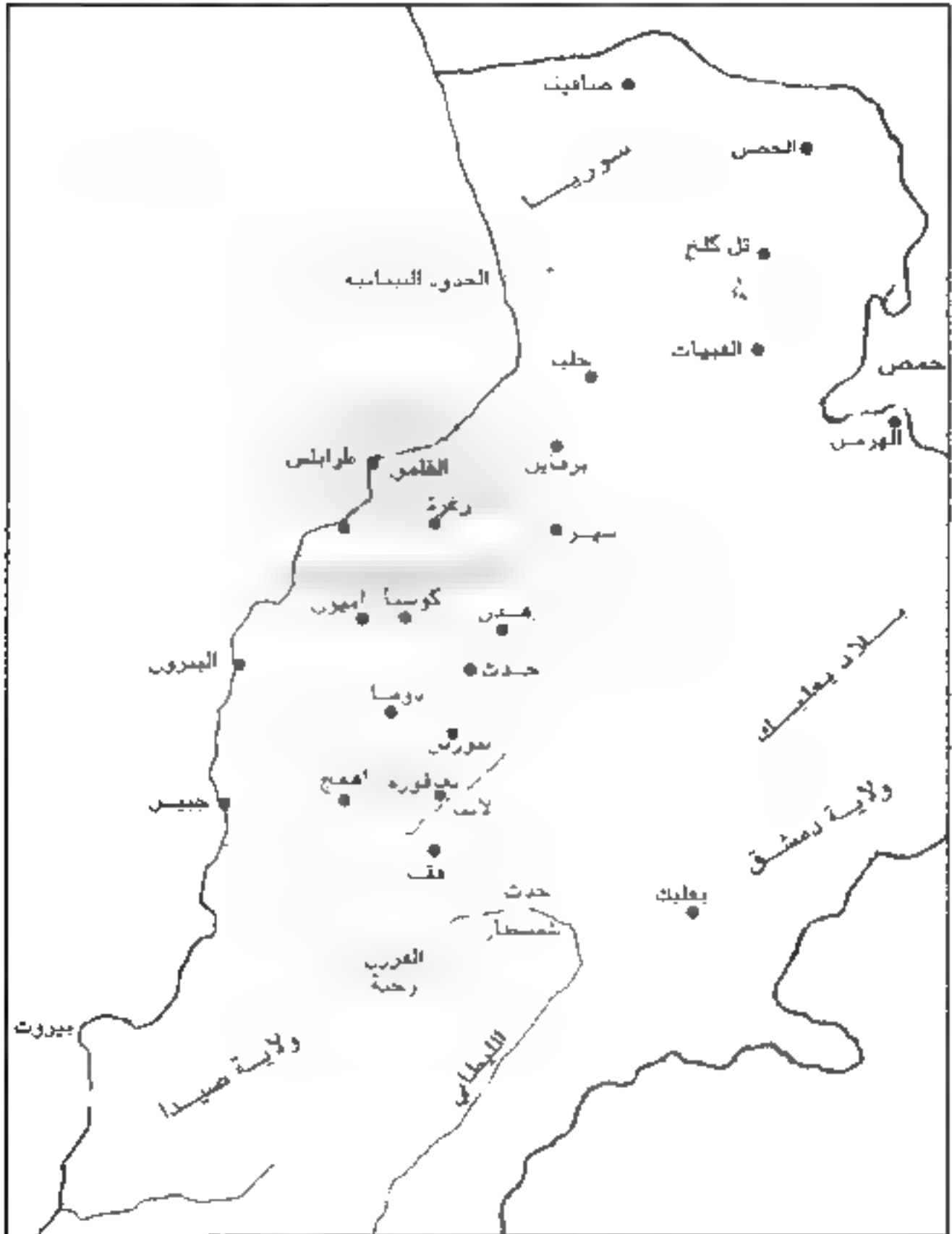
(3) م. ط. ش. 1-2، ص 21.

(4) م. ط. ش. 1-4، ص 13.

(5) م. ط. ش. 126، ص 53-55.

(6) تاريخ النويهي، ص 546.

الحكم الشيعي في ولاية طرابلس



كانت المشاعر عدائية بين لوالي العثماني و لحكام الحمادية يزيد هي تناقضها تاريخاً دموياً يرحر بالماسي والعدو وانعدم الثقة وأوامر شريفة" غالباً ما تأمره عند تعيينه بقصاص بني حمادة ومعاقتهم وإبعادهم عن الحكم ممّا جعل استهدافهم بحملات عسكرية متلاحقة من ثواب السياسة العثمانية وتقاليدها.

إن أبرز ما يرحر به تاريخ ولاية طرابلس هي قسمها اللبناني خصوصاً هو استعراض مراحل الصراع الدامي والدائم بين حملات القمع العثمانية، ومماومه الحماديين المتتمردين والثائرين على سلطة لم يعترفو يوماً شرعيتها وعدالتها، وهي لم تنظر إليهم إلا بوصفهم عاصين على سلطانها ومارقين من أحكامها وشرعها.

لم تمنع هذه العلاقات المؤثرة من لحوء الولي في أحيان كثيرة بعد كل معركة فاشلة، أو حملة منعثرة، إلى إصدار القرارات التي تشرع وحود الحماديين على رأس مقاطعاتهم هوجة إليهم حلع لولاية ونعير في الحد الأدنى ما يترتب لها من التزامات صربية معينة المقدار والأحال لا أنها قلماً تصمد طويلاً بعد أن يمتنع الحماديون عن الدفع أو يعود الدولة بعد استجماع أسباب قوتها إلى محاولة صربهم من جديد حتى أصبح هذا الواقع يدخل في صلب التقاليد السياسية المتكررة التي لا جديد فيها إلا عند تدخل عنصر طارئ عبر مسطر، أو عندما تتدخل سلطة عثمانية عامة سدرج من تجمع ولاية بلاد الشام الآخرين حتى تدخل الباب العالي وصدر الأوامر السلطانية على أعلى مستوى: هتري الدولة بسلطانها وعساكرها لتحاول وضع حد نهائي لهذا التمرّد الذي يمس هبتها، إلا أن النتائج لم تكن دائماً متطابقة مع ما تتمناه

هي الفترة التي أعقبت مقتل الأمير فخر الدين سنة 1635م، وانتهاء ولاية آخر السيميين على طرابلس، وبين شمال حكم حسن الدور إلى الشهابيين سنة 1697م تعاقب على طرابلس عدد كبير من الباشوات من نادر ألا يكون أحدهم قد قام بحملة واحدة على الأقل ضد الحماديين ولم يصدر في لوقت نصه هراماً بتقريرهم على مقاطعاتهم. وكان يشترك في بعض هذه الحملات عدة باشوات عثمانيين، فيجتمع أحياناً هي حملة واحدة إلى جانب باشا طرابلس باشا الشام وباشا صيدا (بعد 1660م). وقد تتوسع الحملة لتضم ولاية عزة وبابلس وحلب وغيرهم ونعهد بقيادتها إلى عسكري محترف ذي رنة عالية ومرؤد بأمور سلطانية، تستمر الجيوش وتوجه

(1) كان والي طرابلس عالماً بخصائص هذه المنطقة، من سبغانية تامة بمصاه على الحماديين وسائر الشيعة في ولايته

الحملات إلى مختلف ديار الحماديين تهدم لبيوت، وتفني الررع، وتُكل بالناس، فيواجهون أحياناً أو ينتقلون إلى أماكن أكثر أمناً يشتنون فيها عارات ومداهمات خاطمة، ثم يعودون إلى مراكزهم بعد هدوء لعاصفة لأن كل هذه الحيوش التي جردت لقتالهم وكل المراسيم التي قصت ناستدالهم بحكم آخرين بقيت دون معمول ثابت ودائم، ونادراً ما اقترنت بتخمين على الأرض مما يضطر السلطة التي أصدرتها إلى الإقرار بالواقع وصعوبة تبديله (والاعتراف بهم كحكم وقعيين)

حملت التحولات والمصادر الرئيسية بأحبار الحروب والمعارك بين الحماديين والعسكر العثماني، التي تتكرر وتتداخل بانتظام فيصبح عسيراً معرفة نهاية إحداها من بداية الأخرى وكأنها حرب مستمرة تحم أحياناً لتتجر في أية لحظة وغالباً ما تنهي هذه المصادر بماصيل معركة وبنائنها بعبارات مثل «ظهرت هذه الأرجاء منهم»⁽¹⁾ و«لم بعد يسمع بأحد منهم»⁽²⁾ حتى يعود هي نفسها إلى التحدث عن معارك جديدة نشبت بين المريقين نفسها أشد عنفاً وضروفاً هي العام نفسه أو هي العام الذي يليه

إن العلاقة الموثرة أبدأ بين الطريين تكاد أن تكون مسلسللاً استمر عشرات السنين من الصدامات التي تشابه نظروفها ونماصيلها، بحيث نشن بعد استعراض بعض منها على سبيل المثال أن الأمر محكوم بروتين مكرّر يبدأ من المتطلعات نفسها وينتهي عالمياً، إلى النتائج نفسها لذلك قد تكون الإشارة إلى عدد منها تعني عن استعراض الباهي بسبب التشابه إلى حد النطاق هي الاسماء وسماصيل، وتعطي الصورة الواضحة الكاملة عن نوعية العلاقة وتماصيل الحريات التي تتحكم بالعلاقة بين المريقين

في هذه الفترة عرفت المدينة عدداً كبيراً من الولاة ليس من اليسير حصره وتعيينه بدقة⁽³⁾ إلا أنه يمكن أن يكون أشهر الموطلين الذين شغلوا منصب الوالي حتى نهاية القرن السادس عشر وهو التاريخ نفسه الذي انتقل فيه حكم جبل الدور من أحر أمير معني إلى أول الشهابيين 1697م هم

(1) حطط الكشام، كرد عبي، ج 2 ص 220

(2) ما عاد ظهر أحد من آل حمادة، «لمرد الحصار»، ص 880

(3) وضع حكمت شريف يكن قائمة باسماء الولاة صر من العثمانيين وكذلك الأب أنصاطيوس الحوري وسميح لريين في تاريخ طرابلس وبين هذه لمو ثم خلاف واضح في التواريخ والأسماء وهي تاريخ بيان لحديث لعادل ومير سمعيل جدو من سبع وعشرين والياً هي الفترة نفسها لا تتطابق غالباً مع ما هو وارد في وثائق محكمة طرابلس لشرعية وبعض المصادر انما صرة للأحداث

- 1 - مصطفى باشا كجاج 1636.
- 2 - برجال أحمد باشا 1637
- 3 - شاهين باشا، 1638
- 4 - محمد باشا الأرنؤوط 1639
- 5 - الأرنؤوط مرة أخرى بعد أن أصيب إليه ولاية صيدا 1642
- 6 - حسن باشا 1644
- 7 - محمد باشا الأرنؤوط (مرة ثانية، 1645)
- 8 - محمد باشا الصوفي، 1647
- 9 - الأرنؤوط (مرة ثالثة) 1648
- 10 - عمر بك⁽¹⁾ 1649
- 11 - حسن باشا (مرة ثانية) 1651
- 12 - الأرنؤوط (مرة رابعة) 1652
- 13 - قره حسن، 1653.
- 14 - محمد باشا الكري⁽²⁾، 1654
- 15 - محمد أعا الطنج 1656
- 16 - هبلان باشا⁽³⁾ 1658.

ثم يدع الباب العالي وسيلة إدارية أو عسكرية لا يحاول استخدامهما للقضاء على بني حمادة وبموذهم في ولاية طرابلس، وربما قدر أن هذه مهمة تتجاوز قدرات واليها وإمكاناته فاتحد تدييراً سلطانياً يفصي بمصر بلاد الحماديين عن هذه الولاية وإلحاقها بولاية الشام كما حصل أثناء ولاية شاهين باشا 1638.

- (1) عمر بك هو صهر الوالي الذي سببه محمد الأرنؤوط
- (2) كوبريلو، عائلة عثمانية شهيرة بنى الكثير من قرانها منصب الصدارة العظمى وقد استقل محمد باشا من ولاية طرابلس إلى الصدارة، سنة 1656 وبقي حتى 1661
- (3) والي طرابلس أثناء ثورة أولاد العرب.

«هي غرة رجب قدم من الشام عبد الرحمن أبا بأمور شريفة بأن بلاد جبيل والبترون وجبة بشري يمسطعوا عن طرابلس، ويكوبوا تبع الشام، فانهزم الشيخ علي ابن حمادة من طرابلس إلى الكورة مع توابعه وعينت الدولة بعض الأغوات ليحكموا بلاد جبيل والبترون وبشري»⁽¹⁾

ولكن الشيخ سرحان بن قانصوه حمادة وتوابع بيت حمادة أفسدت هذا التدبير في هجوم قامت به في آخر شهر كانون الثاني الموافق لشهر شوال قتل فيه الحاكم المعين وتعيشيخ أبو محمد سرحان على أثره

عين الولي ابن رين الدين حاكماً على مقاطعات الحمادية ولكن علي حمادة انقص جماعته من الكورة وقتلوا الحاكم المعين وسموا ولاية طرابلس إلى سرحان حمادة المعروف بأبي محمد حاكم جبيل والبترون في سنة 1638⁽²⁾.

عزل شاهين باشا عن إيالة طرابلس، فتولاها محمد باشا الأرباؤوط أحد أطول الولاة مدة⁽³⁾ فزحف هذا الوالي بعسكره على بيت حمادة سنة 1641⁽⁴⁾ واصططهدهم وطردهم من وادي علمات وبلاد جبيل وقتل محمد ياعي بن قمر الدين وصعب بن حيدر وبعض تابعيهم

وولى الأرباؤوط الأمير علي علم الدين على مقاطعات الحماديين وكان قبلها أميراً على جبل الدرور ثم هرب لاجئاً إلى جبل عامر وأقام بعدها في بيروت فدهم الشيخ سرحان في غيالة في المتوح ههيه، وقبض على بعض أولاد من أقربائه وقتل خمسة منهم هتبعهم الشيخ سرحان بأهل غرير واشبك معهم ثم اجتمعت الرجال على سرحان وقبضوا على بعض أتباعه ولحقوا بالاقون وصار صميم عظيم على الرعايا بسبب التفتيش عن جماعته⁽⁵⁾

وروي أحد الآباء اليسوعيين في تاريخ ، لسيدة العدراء في لبنان، أنه في سنة 1641 كان الأمير علي علم الدين حاكماً على بيروت فصدر إليه أمر والي طرابلس الأرباؤوط بتعقب أشقياء المتوح لمناولة

(1) تاريخ الدويهي، ص 519.

(2) المرجع السابق، ص 520 وجبيل والبترون، أبو عبد الله، ص 168

(3) تولى أربع مرات على طرابلس لمدة تقارب عشر سنوات.

(4) طرابلس في التاريخ، البابا، ص 178

(5) تاريخ الدويهي، ص 526

واتخذ الأمير لعملياته العسكرية قرية علمات قاعدة له، ومنها سار بحملة عسكرية قوية إلى غزالة مقر الشيخ سرحان وهاجمه في داره في الحصين وقتل أربعة من أبنائه ونهب القرية وطرده من فيها من المتأولة⁽¹⁾

استمر حسن باشا والي طرابلس الجديد 1651 في سياسة العداء للحماديين التي مارسها أسلافه فكان من أول أعماله إنشاء حلف من أبي رزق الشعلاوي الترتحي والمقدم علي بن الشاعر والأمير اسمعيل الكردي ضد بيت حمادة وأعطوا حكم عكار للأمير ملحم بن معن للاستقواء به على حماديين ولكن الشيخ سرحان طرد معتمده حسن اعا أبو دية وحكم عكار كما حكم حبة بشري علي ابن العجال من شمانا وانهزم أبو رزق من طرابلس⁽²⁾

عزل حسن باشا وعاد محمد باشا بكري ولياً على طرابلس للمرة الرابعة سنة 1654، واستخدم لمحافظتها الأمير اسمعيل الكردي والشيخ سعد بن علي حمادة حاكم الكورة ولكن العداء ما لبث أن انفجر حصاماً وصداماً مع انكشاريته، هجم على عسكرها ابن الباشا وأخرجهم إلى أطراف الزاوية فأعلنوا التمرد وسلبوا شاشات الفواصة وسلاحهم وحصوا بالمال الأميري فهاجمهم محمد باشا وأوقع بهما عند حريشة الهري وكسرهما فاسلموا إلى الكورة واستمرا في عصيانهما هناك⁽³⁾

ثورة أولاد العرب

رغم تعدد الحملات العسكرية التي دأب الدولة على سوقها ضد بني حمادة أو غيرهم من الحكام العاصين والمتمردين في مختلف المناطق اللبنانية، كانت المرة الأولى التي نكتسب فيها المقاومة طابعاً شمولياً وعمومياً وتبدو حريصة على الاصطدام في حصة واسعة تلاشت فيها العائلية ولطائف المذهب التي كانت عادة المحور المركزي في الظروف المشابهة نحت من خلال الاستهداف العثماني والتحالف الذي قام للتصدي له، مظاهر الانتماء حول موقف تحاور الأطر الصيقة والعصبيات المعتادة ليأخذ بعداً وطنياً عاماً يرتكز على إحساس بوحدة المصير وبحي رابطة وثيقة وفاعلة أبعد من مشاعر الولاء القبلي أو الالتزام لمصالح والانتفاء المذهبي فاجتمع ورنماً لأول

(1) تاريخ غزالة، ص 160

(2) الدويهي ص 534 والمرز الحسان، ص 863

(3) تاريخ الدويهي، ص 538

مرة الشيعة والعنّي والدرزي والماروني هي جهة واحدة أمام عدو واحد يستهدفهم جميعاً دون تمييز، وكان ذلك في مجموع التدمير والحملات والمطاردات التي كان لبنان مسرحاً لها في الأعوام 1658 و 1660 والتي نجمت عن ثورة هي في الواقع ثورة أولاد العرب⁽¹⁾، نظراً لما بدا في حتمياتها من صراع عرقي واضح انعكس على نوعية المستهدفين والمقاومين، وبدأ حباً هي التحالفات التي نشأت لمقاومة الحملة وتدابيراتها، والواقع الإداري الجديد رسمته السلطات العثمانية بتقسيم ولاية الشام واستحداث ولاية صيدا من بعض مقاطعاتها اللبنانية لتعظيم درع أولاد العرب⁽²⁾. كما استنتج البطريرك الموارح المعاصر لهذه الأحداث.

بدأت هذه الثورة عند تعيين قنلان باشا و بياً حديداً على طرابلس فقدم إلى المدينة

(1) كان هذا الشعور بالحمية العربية يظهر جواً في مناسبات عديدة ويدفع بعض الأحداث في تحركات معينة بخلاف عن تلك المرسومة بها نجواً مع حذر عرقي يتجاوز المشاعر النفسية من قيس ويم، واندھبية على اختلاف مشاربها وسيطع ظلم على هذا الشعور وحيويته هي مواقف كثيرة تقابلها تدابير رسمية سلبية تستهدف المنصر العربي دون اعتبار لتقاليد والأعراف والأنظمة العثمانية المرعية الاحراء و لبي نادراً ما تلاحظ مثل هذه الاعترافات وأن تقصير لدويهي للمعري الكامل وراء إنشاء باشوية صيدا والتي غير عنها ببلوى ذراع أولاد العرب في ثورة عارمة اسرقت فيها دبابيون من مستلم المذهب فساهم فيها الماروني (البحار) والدرزي وأبو النعمان، وتشيعي حمادة وعلي الصغير، والنسي (المعني و لشهابي) تدل على مواقف متناقضات مع صفتهاهم المنصر العرقي عند الجهات دوراً أساسياً نتج عنه قيام مؤتمر دير القمر من جهة وإنشاء باشوية صيدا من جهة أخرى، وحسم النزاع على إثر مفاوضات ثنائية انتهت بعودة الأمور إلى ما كانت عليه من هجوم الحشوش العثمانية وإطلاق الرهائن الشيعة من قلعة طرابلس وإرسالهم بحراً إلى مائتهم دون أن يحرر فريق منهم بصراً حاسماً على الفريق الآخر وقبل ذلك وعلى إثر سفر محمد سديد إلى أوروبا لعهد يوسف الحشوش بتصفية ديول الخلاف بين الأمير والسلطة بإحلال القلاع التي استعصت على لحصار عثماني وسليمانيا إليهم ولكن الأمير يوسف حنّال على هدم هذه القلاع لئلا تنقل سيطرة من أيدي أولاد العرب إلى أولاد الترك كما ذكر الناصبي

وأثبت له حميته العربية ذلك دعم من الاتفاق كان ينص على أمر معاير ويدخل في باب هذا الشعور أيضاً حماس الحاكم الشيعي في جبل لبنان على مناصرة سمي بوجه حاكم طرابلس لكاهن الذي يقتل المتدونة والناصرى إن الجهود الموصلة والمصيبة التي قام بها بصيف النصارى لتأليب سائر القوى المحلية لمحاربة العثمانيين والحروب الطاحنة التي حاصها إلى جانب حليلة التريدي صيدهم تحمل في حتمياتها الكثير من بدور هذا العامل لمتي وهذا ما جعل منصف المندفق ناريلي يمول عند سقوط عكا بيد الحجازي الحصن الذي أسسه المدافع المتقدم عن القومية العربية في سوريا (صاهر العمر) تحول إلى عش ظل الأكثر وحشية من الباشوات الأتراك بمسك منه سلاح معدة ويعد مرثسه أكثر من ثلاثين مئة سوريا ولبنان وفلسطين، باريلي، ص 91

(2) تاريخ لدويهي، ص 551.

ومعه «أمورات شريفة» - كما حرت العادة - بالقضاء على بيت حمادة وتأديبهم. فقام نوالي بحملة على رأس ألف من حدوده وهاجم البترون وبلاد جبيل دون أن يتمكن من النيل من أحدهم لأنهم استقلوا مع عائلاتهم ومواسيهم إلى كسروان. هدم الباشا وادي علمات وهدم دورهم ونهب فراهم ثم برل بعسكره إلى جبيل وصبط الحبوب التي وحدها هناك لأهالي كسروان وكست قيمتها ثلاثة آلاف قرش. وعين حكاماً على مقاطعات الحمايين فكتب بلاد البترون على امقدم علي بن الشاعر سبعة عشر ألف قرش وحنة بشري على قاتبيه بن الشاعر مائتي عشر ألفاً. وحيل على كاور جلي وعكار على المقدم فارس مراد بكالة روم أحمد وعاد إلى طرابلس⁽¹⁾.

ظهر عجز المسلمين الحدد عن تقديم بما كُلفوا به فقتل النوالي بعضهم وصادر البعض الآخر في الوقت الذي اتحد الحماديون من كسروان مركزاً لعملياتهم وبطلقوا هي أعمال الثورة واستمرّد حتى وصلوا إلى انوب طرابلس⁽²⁾ ولما وجد الباشا نفسه عاجزاً عن مواحيهم أرسل الشكوى بحقهم إلى الباب العالي طالباً المساعدة والعون. وأصبح كالماتور لا يملك من أسباب الولاية غير الاسم، كما أرسل في الوهت بمسه من الشام عروصات إلى الباب العالي لتهم الاميرين الشهايين علي ومنصور والحمادية بأنهم منعوا النوالي مريضاً باشا من الدخول إلى المدينة وأنهم يسوسون أهل المدينة ويرها بغير أمره⁽³⁾.

أثارت العروصات التي قدّمت إلى الباب العالي على الحماديين والشهايين تحركاً على أعلى المستويات فأرسل الصدر الأعظم محمد باشا⁽⁴⁾ ولده أحمد باشا إلى إيالة الشام، وقلان باشا إلى إيالة طرابلس ومحمد اعما الأرباؤوط إلى صيدا وبيروت⁽⁵⁾. واستقدمت البحدات والعساكر من مسحو صعد وناش عرة وناش القدس وأبصار الدولة من الأعراب. فجمع أحمد باشا جيشاً من خمسة عشر ألف مقاتل وسار على رأسه من الشام إلى سمع لتأديب المتمرّدين⁽⁶⁾.

فشلت محاولات لشهايين في إيفاد نفوس بدفع مبلغ من المال، فهربوا بعيالهم إلى

(1) تاريخ الدويهي، ص 546

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها

(3) المصدر السابق، ص 546، 547 ومخطوطة مختصر تاريخ الدويهي - طنوس شدياق، ص 180

(4) والي طرابلس سابقاً وعدو الحماديين

(5) كان والياً على طرابلس وفي حرب دئمه مع الحماديين

(6) تاريخ الدويهي، ص 547

كسروا عنده بني حمادة ولجأوا إليهم مع كل ثرواتهم وستماية من رجالهم⁽¹⁾ وعلى رأسهم الأميران منصور وعلي

دخل الحيش إلى وادي التيم وهدم حارات الشهابيين وأكواحهم وقطع أشجارهم وأعطى حكم وادي التيم إلى أولاد عدم الدين و لمقدم زين الدين وابن أخيه عبدالله، ثم سار إلى قب الياس وكتب إلى الأميرين المعنيين أحمد وقرقمار يطلب منهما الشهابيين والحماديين بعد أن أرسل الشوانصة⁽²⁾ إلى صمد وبلاد بشارة وصيدا وبغروت ليجمع مريداً من الرجال استعداداً للتطورات المقبلة.

جمع المعنيون رجالهم وساروا على رأس سبعة آلاف مقاتل إلى عن رحنا حيث لم يعد يفصل بينهم وبين جيش الكري إلا قمة الحرس ولم يجتمع معهم الشهابيون والحماديون لأنهم كانوا هدفاً لحملة الباشا، فكتب إليه منصور، بأن بيت شهاب وبيت حمادة ما دخلوا بلادهم وتعهّدوا بدفع مبلغ مئتين وخمسين ألف قرش في مدة أربعة أشهر وأرسلوا أمير الشويمات وممدّم حماداً ليكوبا رهينة عنده إلى أن يتم إيراد المال، فرضي بذلك وعاد إلى دمشق

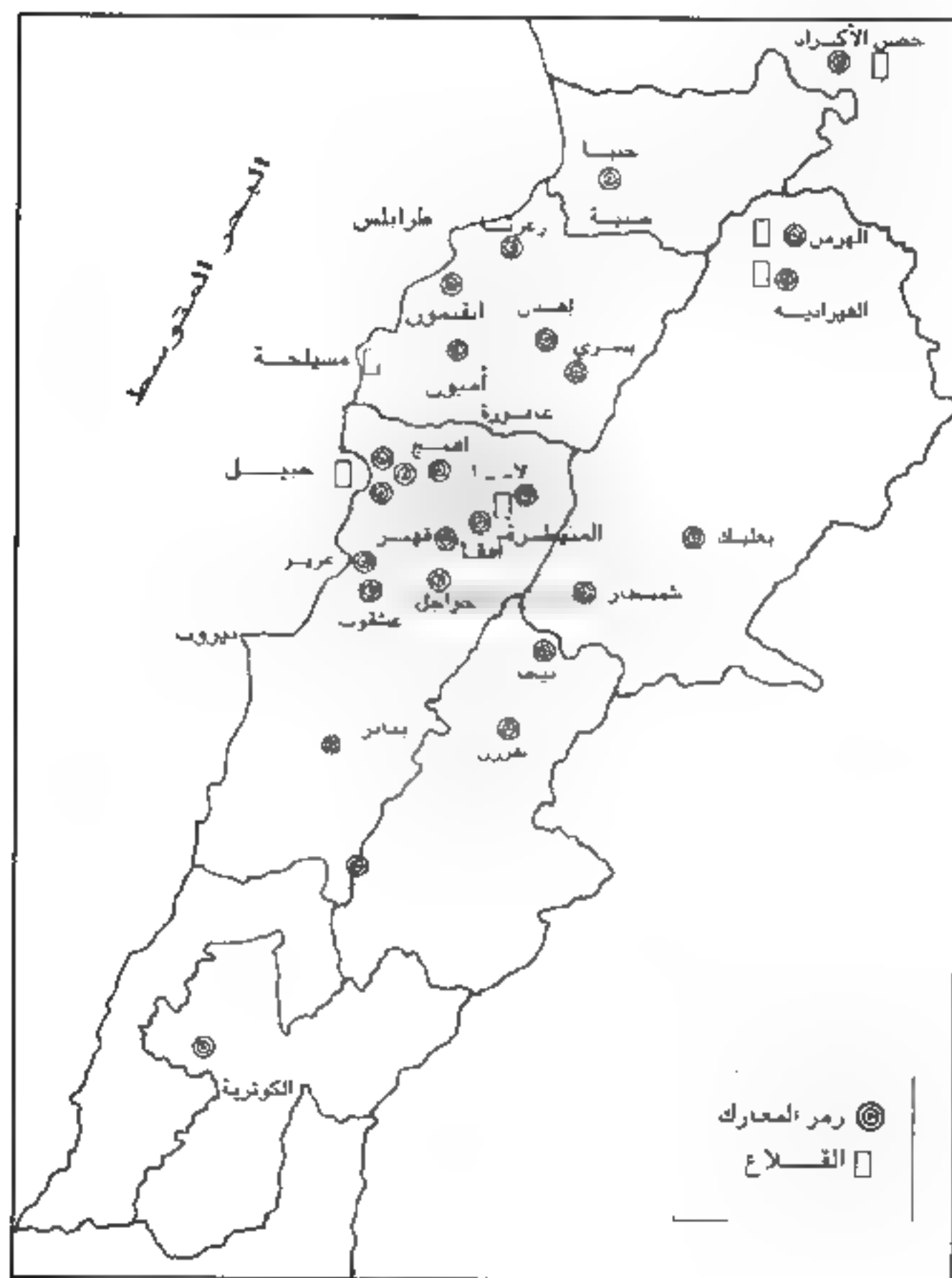
كان محمد باشا والياً على طرابلس قبل أن يصبح صديراً أعظم، فلا بدّ أنّه اكتسب من خلال إقامته في بر الشام خبرة ومعرفته بالأوضاع السائدة فيه هيئاً عصر قبال باشا عن تنفيذ الأوامر السلطانية التي كانت سبب تكليفه بمهامّ الولاية أرسل ولده الحديث السن وجمع له جيشاً يبدو من كثرة عدده أنّ مهمته تتجاوز الحملات السريعة العادية التي تكتفي بالنحرير والبلص إلى لقيام بأمر أكثر أهمية وأعمق تأثيراً، وهو القضاء على حكم أولاد العرب في لسان، وتخصّص منهم، وتعيين حكام غيرهم من أصحاب العصبية الصعيمة التي يمكن تبديدها بسهولة في أي وقت لاحق

استمرت قوات الدولة من بر الشام حتى عريش مصر، بما فيهم حكام طرابلس والشام وصعد وغرة والقدس بالإضافة إلى أنصارها وتوابعها وعيّن أحمد الكبري والياً على الشام ليقبى مدة طويلة في قيادة لأحداث على رأس جيش كبير الحجم، وأدخل تعديلاً إدارياً جذرياً وأساسياً باستحداث ناشوية صيدا وسلح مقاطعاتها عن ولاية الشام وتعيين آل عثمان³ عليها وحتى يحطم ذراع أولاد العرب، وهي هذا التعبير

(1) لإمارة الشعيمة، ص 415، والقرى لسان ص 866.

(2) تاريخ النويهي، ص 548.

بعض المعارك والقلاع الحمادية الشيعية في جبل لبنان



ما يكفي للدلالة على عاية الحملة وهدف إحداث لباشوية هي وقت واحد.

تأخر المعنيون عن دفع المال المتفق عليه فعادرت لحيوش إلى قب الياس، وعادر الأميران أحمد وقرقمار إلى كسروان عند الحماديين حيث كان الشهابيون لا يزالون عاصين هناك وأنفق المتمردون الثلاثة بعد التشاور أن يرسلوا المقاتلين والصكمانية واللاوند عند الأمير كنعان ال عساف الحيارى، وأن يحتفي الأميران علي ومنصور الشهابيان والأمير قرقمار المعني في جهات حب بيما يبقى الأمير أحمد محتفياً في كسروان وحيل

وحه أحمد باشا جيشاً من خمسة آلاف مقاتل مع بعض ليعنيين إلى بلاد الحماديين وكتب إلى قبلاز باشا والي طرابلس أن ينهض لمساعدتهم

دخلت الحيوش بلاد حيل والبترون وحنة المنيطرة والمعاقورة وكسروان ومشمش وقمهر ولحمدهم حرقوا للبيوت وقطعوا الأشجار وبشرو الخراب حيث مروا

وعثر أحمد معظم الولاء، هكتب الشوف على الشيخ سرحان بن عماد والمرب والحد والمث على أولاد علم الدين وكسروان على محمد آغا، ووُزِعَ على كل مقاطعة عشرين ألف قرش غير الميري المعتاد، وأصبح علي باشا الدهتر دار ول والي على صيدا

فاجتمع المعية والشهابية وبيت حمادة في قهمز وأنفق الرأي بينهم أن يصرفوا رجالهم وأن يحببوا الأميران أحمد وقرقمار المعنيان في جبل كذلك الأميران منصور وعلي الشهابيان مع خمسين من رجالهم⁽¹⁾ فأرسلت الدولة جيشاً من خمسة آلاف رجل على رأسه قبلاز باشا ومن أطاعه من اليميين وهاجموا مراكز الحماديين في قهمز ووادي علمات ومشمش ولحمدهم وجبل والبترون وجبة المنيطرة والمعاقورة وأحرقوا دور بيت أبي المصع وبيت لخار وبيت حمادة وقطعت أرواقهم⁽²⁾. ولم تلبث هذه الثورة العامة أن امتدت إلى جبل عامل فوُقت العتة العظيمة بين والي صيدا علي باشا الدهتر دار ومشايع المتدولة⁽³⁾.

استطاع الحماديون مواجعة هذه الحملات في لشرق والشمال والحفاظ على مواقعهم المعتادة ومع المسلمين المعيين من ممارسة مهامهم والاستقرار في

(1) الفرز الحسان ص 867

(2) تاريخ الدويهي، ص 551

(3) تفاصيل ذلك في فصل آخر وتعبير لسة العظيمة للأمير حيدر الشهابي

المقاطعات التي عينوا حكاماً عليها كم حفظو صيوفهم وصابوا سلامهم. وكان شيخهم في هذه المرة الصعبة هو سرحال بن فاصوه التأثير الدائم والذي بقي في صراع مستمر مع العثمانيين حتى وفاته معتصماً بمنعة بلاده وصعوبة مسالكها، مستميصاً عن موارد المواضعة بصلابة روحه وتمرسهم بالحرب وصبرهم على الشدائد⁽¹⁾. وقد اشتهر أمره وداع صيته حتى أطلق اسمه على جبل لبنان فعرفه هي بعض المصادر والوثائق ببلاد سرحال⁽²⁾ أو منطقته سرحال كما أطلق هذا الاسم أيضاً على دربته فضيل عنهم بنو سرحال وبقي الاسم قيد الاستعمال طويلاً، وأطلق الباب العالي على المتمردين الشيعة اسم السرحانيين⁽³⁾

يأتي المؤرخ البطريرك على ذكر هذه الحوادث بإيجاز ويحفظ زعم معاصرته لها نظراً لعلاقته الوثيقة بالأمر أحمد المعني، ومحاولته إبعاد صفة التمرد عن صديقه⁽⁴⁾ وموقفه السلبية من المتمردين الآخرين فيقتصر على القول

«في سنة 1658 اخذ إمامه طرابلس قبلان باشا وجاب معه أموراً شريفة هي بيت حمادة فجمع نحو ألفين من الرجال وسار بهم إلى بلاد جبيل والبترون فما استطاع أن يلحق بأحد منهم لأنهم قطعوا مع عائلاتهم ومواشيهم إلى بلاد كسروان فحرق حاراتهم وقرى وادي علمات

ثم عين على بلاد الحماديين ملترمين من خواصه وعاد إلى طرابلس وأما بيت حمادة فتهبوا، وخصصوا، حتى وصلوا إلى أبواب طرابلس وثم يحتموا في كسروان فأرسل يعرض بهم إلى الباب العالي»⁽⁵⁾.

في حصص هذه الحرب المستعرة وبعد شهرين من قيامها، هيأت الظروف لرحالة أجنبي كان في صيافة «نطربرك» الماروني في قنوبين⁽⁶⁾ أن يلتقي بمفرزه من الجنود الشيعة وترك وصفاً دقيقاً لهم وما حلوه لديه من بطاع،

(1) دارهيو، ص 189

(2) الإمارة الدرزية، أبو حسين، ص 149

(3) خلاصه الآثار المحني، ج 4، مصدر مذكور سابقاً وتعبير السرحانيين سيرد في وثائق لاحقة

(4) لدولة الدرزية أبو حسين موقف لدويهي من أحمد المعني والحماديين ص 204-205.

(5) تاريخ الدويهي، ص 546.

(6) هو البطريرك حرجس البسمللي، (1657-1670)

وما تميروا به من قدرة على تحمل المشاق وبرعة في حوص الممارك⁽¹⁾
 ، كنا نتأهب للمعاركة في صباح العد عندما وصل عشرون جندياً مسلحين ببنادق
 جيدة، أفرعتنا وجوههم، كانوا أناساً جاهلين، أجسادهم لنخيمة خالية من اللحم، وقد
 لوحتها الشمس، بحيث يعيونهم السواد، وهم عراة نصرباً
 دخلوا بوحشية إلى فناء الكنيسة دون أن يسلموا على أحد، ونظروا إلينا طويلاً
 بانتباه دون أن يقولوا شيئاً

كانوا سبرعبوننا أو التقينا بهم في هذه السروب الصبقة حيث أقل خطوة حائلة
 يقوم بها حصان كميله بأن تلقى به وبمارسه لي أمكنة من الصعب العثور عليها على
 ما قد يتبقى من أجسادنا فمهما فعلنا رغم تسليحنا الحديد فإن هؤلاء الرجال
 المعتادون على تسلق الحبال مثل الماعز ليري سينالون منا لو وقعنا في أيديهم.

عرهنا حيرة أنهم من أتباع أمير من عائلة حمادة هو سرحد من حمادة يحوضون
 حرباً مع والي طرابلس تركوا قراهم وبيوتهم منذ أكثر من شهرين وانسحبوا إلى
 قهم الصحور حيث ينامون معرضين لكل أصوار الرياح دون أن يزعجوا. إنهم أناس
 ذوو قوة وصحة لا تتعبون يتحملون بدون تعب أشد المشقات صبرا، ويتحلون بصاعة
 وشحاعة لا تصاهيان. إن أشد الانكسارية شجاعته ومراسا في الحرب لا نجعلهم
 يتراجعون خطوة إلى الوراء يستعملون السدقة والسف بصوة وبمراعاة مذهبة

وعندما يمتصهم البارود يصعوبه بأنفسهم لذلك يحمل كل منهم كيساً صغيراً
 يصنع فيه الكبريت والبارود ويستخرجون لصحم ببراعة من خشب الصمصاف
 ويدخلونه بواسطة قضيب إلى مقر في لبحر يصعقون فيه المقدار اللارم من
 الكبريت والبارود وهكذا يحصلون على ذخيرتهم وهي من النوع الممتاز إن قدومهم
 أزعجنا في البداية، فتناولنا سلاحنا قبل أن نعلم أنهم لم يأتوا إلى قنوبين إلا ليسألوا
 عن أحوال البطريرك من قبل أميرهم ويقدمون له ما يحتاج إليه من خدمات.

ولنا تعارضا وتحدثنا وأكلنا وشربنا معاً تأكدنا أنهم من حيرة الناس،

(1) Laurent D'Arvieux Memoires, (1615-1702) P189

المارس لور د'ارفيو مذكرات، ص 189 النص الفرنسي في حلب (1679-1686) ولد في مارسيليا سنة
 1653 سافر إلى سوريا مع قربه النصص ببتوديه Bérondie أقام خمس سنوات في لأمير وسبع سنوات
 في سيدا (1658-1665) درس العربية والتركية وترجم مؤلفات عدة وراة قنوبين بعد أن حصل على إذن من
 الحماديين بواسطة البطريرك بسبب حالة الحرب التي كانت قائمة وقد كلف سنة 1671 بمهمة رسمية فوق
 لعادة لتمثيل البلاط الفرنسي لدى الباب العالي وكان يصحح أن يكون سفير الملك في القسطنطينية

مؤتمر دير القمر

أمام عجز الدولة عن القضاء على الحماديين بقوة عساكرها وسياسة ولائها حاول الوالي الجديد حسن باشا 1673 الإيقاع بين عناصر العصبية الشيعية الداخلية بهدف إبعاد انقسام في صفوفها ليوهن من وحدة التلاحم التي عرف شيعة جبل لبنان بها أمام عدوهم الدائم، فيسهل عليه القضاء على عنف صمودهم ومقاومتهم، ومن جهة أخرى فإن الشقاق الداخلي يقطع الطريق أمام بادرة بدأت تظهر كحولة على مسرح الأحداث بين العائلات والقبائل ذات الأصول العرسية، وتدفعها إلى مناصرة الحماديين أمام الفارات العثمانية حتى بين الجماعات الذين اعتاد الدولة أن تمنحهم بعض الامتيازات الرسمية لبقائهم في صفوف عساكرها ولتحقيق هذا الهدف سعى إلى اصطناع نوع من عداوة الدم والثأر بين الشيعة فيما بينهم ومع مجموعة من أولاد العرب⁽¹⁾

بعد الباشا خطبه الحديدية ثر وليمة أقامها لأهل دولته، وكان منهم الشيخ أبو طاهر بن الحاج يوسف وأبو عساف مدلع بن شريف والحاج بار بن أبي رعد وغيرهم من أولاد العرب ثم أحضر الشيخين السعبيين أحمد ومحمد وقتلهم ثم أشاع بأن أولاد العرب الذين كانوا على مائدتهم هم المسؤولون عن قتلهم ولكن مسرحية الباشا هزلت في تحقيق هدفها وحملت موجة عارمة من الثورة وأعمال العنف

وحين شاع خبر قتلهم هاجت الحمادية وتوابعهم وتصدعت أحوال الرعايا ووثب رفاقهم على جبيل والبترون والجمعة، وبنشرت الثورة على سلطة الوالي في سائر الأنحاء فسمعت ثلاثة عشر قتلاً في جبيل ودمرت قرى كثيرة في البترون وأحرقت حصرايل وحصرون في الحبة ومار الناس في وجل عظيم من العاصيين والظانعين⁽²⁾.

عندما انتشر التمرد وحرحت الأمور عن سيطرة الوالي كتب حسن باشا إلى الباب العالي عن عصاوة البلاد طائلاً لمعوية والسجدة فحصر أمر إلى باشا الشام وباشا صيدا أن ينحدا باشا طرابلس على العصاة وخرج على رأس قواته من مدينة طرابلس عصر يوم 29 أيلول 1675 على طريق حدث تحديد التي هي جبة بشري فما أن وصل إلى جبة المنيطرة حتى تصعصع عسكره فارتحل إلى بعلبك دون أن يحقق غايته⁽³⁾ وفي

(1) تاريخ الدويهي، ص 560

(2) المصدر السابق، ص 561

(3) تاريخ لدويهي، ص 561

أول تشرين أول بلغ عدد الحيوث التي اجتمعت في قب إلياس هي البقاع نحو خمسين ألفاً⁽¹⁾ وطالبوا بتسليم العصاة واتهموا الأمير أحمد المعني بمصاعده الحماديين سرا⁽²⁾. وبدأ الاستعداد للهجوم فخرج الناس وهاجروا بعائلاتهم إلى ساحل البحر وتداعى الأعيان إلى الاجتماع لمناقشة الأمور في دير القمر.

حصر هذا الاجتماع الحاشد مشايخ البلاد وأولاد العرب والأمراء الشهابيون وكان عددهم نحو أربعة آلاف أرسلوا إلى الباشوات لعثمانيين حوياً يمين أن آل حمادة ليسوا في بلادهم، وأنهم مروا في دير القمر دون أن يستقروا فيها وتولى الماوصات الأمير أحمد عن أهالي البلاد واسماعيل باشا والي صيدا عن الدولة وتم الاتفاق على ما يلي.

أولاً يتكفل الأمير المعني مبلغ عشرين كبساً يدعيها والتي طرابلس على بيت حمادة 14 كيساً مكسورة من العام الماضي وستة أحدها الشيخ سرحان متسبباً

ثانياً، تخرج الدولة عن الرهائن الحماديين الموجودين في قلعة طرابلس.

وبالمعل عندما وصلت الرهائن بحراً إلى صيدا أورد اسماعيل باشا المبلغ المنفق عنه واسحب العسكر⁽³⁾.

استمر حسن باشا في منصبه سنة 1676 والياً على طرابلس فعين حكاماً من حواصه على حبل واليترون والحية وورع الجنود السكمان على جميع المقاطعات حوفاً من بني حمادة⁽⁴⁾. ثم سار لمحاربة تركمان البعدلة

ثار الحماديون في غيابه. واحتلوا طرابلس وهاجموا البترون واعطلوا مرعب الشاعر الحاكم المعين وسجنوه في قلعة طرابلس التي استولوا عليها حتى مات غماً⁽⁵⁾. وقتل الشيخ حسين بن أحمد الحاكم الذي هبته الباشا على الصنية الحاج بار في أرض لحصد. فلما عاد الوالي، سار برحله إلى حبل، وقتل شيخ البرنارة، وقيص على بن الحسامي، وعلى مشايخ عرور لأنهم صرخوا آل حمادة من أملاكهم. وأمر الباشا بحراب قرى بيت حمادة ونهبها، فأحرق قرى علمات، مشان، طورريا، الحصون،

(1) القدر الحسن، ص 872.

(2) الإمارة الدررية أبو حسين، ص 94 وحول حقيقة موقف أحمد المعني من الثورة الشيعية وثائق عديدة سترد في فصول أخرى.

(3) تاريخ الدويهي، ص 562.

(4) القدر الحسن، ص 874، وتاريخ الدويهي، ص 563.

(5) حبل واليترون والشمال، أبو عبد الله، ص 171.

أهمج، حاح في وادي علماب وكمر حبر المعبري لاسا وفقا في جبة المنيطرة فأحرق الحماديون بالمقابل قرى الموائس للثالث المرافقين له من آل الحسامي والشاعر مثل قسوبا، تولا عبدلي، بربينا سمار شبطين، وبيوتهم في كفر حندا ومصرح⁽¹⁾. وأحرقوا بلاد جبيل والبترون فخرت جميع البلاد ورح الرعايا وتصرقوا⁽²⁾.

بعد حسن باشا تقرررت ولاية طراسر على محمد باشا فاحتجع النوايان ليتشاورا حول وصع الحماديين فقدم المدمم للجديد بالإضافة إلى خبرته أعاوته وبعض رجال حكومته لمساعدته في قتالهم⁽³⁾ فاستنجز محمد باشا ولايته بأرسال حملة بقيادة كاحيته إلى نهر إبراهيم حتى لا يصرفهم في لحكم، ولا هي أرافقهم ولكنه سرعان ما اقتنع بعدم المحاولة وعدم جدواها وصطر ربحاً عنه أن يدريهم هكتب بلاد حبل على الشيخ سرحان والبترون على إسه حسن وبشري على حسين بن أحمد وكرر ذلك سنة 1680⁽⁴⁾.

إن هذه السلسلة من الحملات العسكرية المتواصلة وما تحره من قتل ودمار وتهجر يبدو أقرب ما تكون إلى حرب مستمرة ميدانياً حبل لبنان ساحلاً وحيداً قد طمعت بأرباحه بطلالها ولم يمكن من تحمق هدفها الأساسي إلا بعد أكثر من قرن على هذا التاريخ وبعد أن اتحدت بعداً دولياً وطائفاً معيماً وتداخلت فيها عوامل داخلية وخارجية متنوعة ومعقدة.

ولا بدّ للباطر إلى كل هذه الأحداث ونوشت من الاستناد إلى تاريخ التطويرك الدويهي قبل أي مصدر آخر فهو يكدس الوحيد الذي ذكرها بعض تفاصيلها وأحد عنه كل من أتى بعده، كما أنه المراقب المعاصر لكثير من أحداثها والمطلع على أبعادها بسبب علاقته المباشرة ببعض أبطالها من الأضراف المحتملة ويبدو واضحاً أن عواطف هذا العالم المؤرج وأهوائه قد تركت بصمات عميقة على إبراز الأحداث وظروفها بحيث أفقدتها الكثير من قيمتها التاريخية وموضوعيتها سيما وأن من أحد عنه في عصور سابقة نادراً ما حاله في الأهواء ونعوظف بعضها فسار على متواله وبالع في تحيره على حساب الحقيقة المطلقة وأمانة التاريخية لمصرصة فاحتجت حقائق هامة وانقلبت

(1) تاريخ الدويهي، ص 565

(2) لفرر الحسن، ص 874

(3) تاريخ الدويهي، ص 565

(4) المرجع نفسه، ص 567

مواقف أساسية بعمل الميل و لهوى كما يذهب بو حسين في دراسته لوثائقية التي رجعا إلى مدلولاتها الحاسمة مرات عديدة⁽¹⁾.

لم يحاول البطريك المؤرخ إحصاء ميونه شخصية وإبرارها في كل مناسبة، ولا سيما تحيره الواضح ضد الحماديين ليس هي علاقتهم مع المعنيين وبافي الأطراف المحيية الأخرى، بل حتى في صراعهم مع عثمانيين وعصيانهم على لولاة طيلة لقرن الذي عاش فيه، ففي الوقت الذي كان عبره من بعض رجال الدين المؤرخين يدكرون بأمان سادح مرافقه السيدة العذراء للحماديين في بعض حروبهم ومعاركهم حماية وانتصاراً لهم، كان البطريك بصر على تسوية شهود بأسمائهم قد عاينوا السيدة العذراء تشارك في المعارك ضد الحماديين حمادة لأعدائهم⁽²⁾، حتى أن المؤرخين العثمانيين أنفسهم كانوا أقل تحيزاً وأكثر إصفاً وموضوعية في سرد هذه الأحداث أحياناً

العلاقات الإقطاعية

من بين العائلات الخمس التي تأسست حكم لبنان حصراً طيلة القرن الثامن عشر ومعظم الصرة الباقية من الحصنة العثمانية حتى انهاء الحكم لإقطاعي وسدال الهيكل الإداري لطريقة الحكم هي الدولة هي منتصف القرن التاسع عشر كان ثلاث منها من الشيعة وهم الحماديون والحراشنة والصميريون⁽³⁾، وكانت علاقات الوؤ والقربى وطبيعة الروبط الاجتماعية والأعراف وأنواع الحكم هي لا تسمح بتفحاح أي محاولة ليزد الفتنة هي ما بينها، فاحصرت محاولات لولاة عثمانيين في العائلتين الباقيتين، وهما آل معن وآل سهاب للسمعي إلى يحاد اسدب تؤذي إلى الساهر والساحر بينها وبين الحماديين، وتؤذي بالنالي إلى إصفاة إحداهما أو كلاهما، ولا سيما بعد التعاون

(1) الاماره اندريه بو حسين وقد عرض بعد موضوع في مكان آخر وقد اظهر وثائق الارشيف العثماني، التي صار بعضها في لتداول بيوم اهمية هذه معارك وماصيلها وحدثها مع قتل كثيراً من اهمية وقررة تاريخ لدويهي كمصدر وحيد لبعض الحوادث

(2) تاريخ الدويهي ص 563

(3) لعائدين الباقيتين هما المعبون في جبل لدرور وشهابيون في ورو الليم قبل انتقال بعضهم إلى حكم نشوف، أما في لشمال فلم يظهر عائله حري غير حماديين بعد امراض آل سيما وآل عساف وهي جبل عامل كان لماكرة والصميريون يحكمون في صر ل عبي لصغير وبحث رئاستهم أم الحراشنة فقد امردو هي حكم بعلبك حتى سقوط الحكم الإقطاعي نهائياً وسرى انه كان هناك تحالف وتوافق بين العائلات الشيعية الثلاث على لوقوف مما هي المواجبات الصعبة

والتحالف اللذين طهرا بين العائلات الثلاث هي ثورة أولاد العرب هي قمهز وحال إلى حد كبير دون قدرة العثمانيين على التحكم بأمور الحكم والتولية كما يرغبون.

حاول العثمانيون إلقاء يدور فتنة بين الشهابيين والشيعة عندما عمد والي الشام سنة 1680م. إلى تولية فارس الشهابي على بعلبك ممّا سبّب «معركة بيحا التي قُتل فيها فارس مع خمسة وخمسين مسلحاً من أحباب وادي التيم». ولكن الأمير أحمد المعني جاء إلى بعلبك وأجرى الصلح بين الفريقين بدفع الدية، فقُصي على هذه المحاولة هي مهدداً والمحاولة الثانية كانت بإصدار المراميات القاصية بتولية أحمد المعني على مقاطعات هي جبل لبنان ولكنه كان في كل مرة يتهرب من قبول ذلك بأعذار تؤكد إدراكه للمايات الحقيقية الكامنة وراء مثل هذه المروص.

كان علي باشا والي طرابلس - كما سبقه - ببعض بني حمادة فحاربهم حرباً لا هوادة فيها، وأحد بعصهم رهائن وسحبهم في قنعة طرابلس فسلموا ابن أخته شيخ عكار في حلبا وهاجموا طرابلس فاحتلوا قلعتها وأخرجوا رهائنهم بالسيف⁽²⁾. وأغاروا على كسروان فطلب الوالي مساعدة الأمير وعرض عليه أن يتولى قطائع ال حمادة مرة أخرى.

أظهر الأمير المعني للسلطات العثمانية أنه على الطاعة مقدم على رأس عساكره إلى كسروان وقام ببعض الأعمال الحربية التي قصد من ورائها إثبات البرامه بأوامر الباشا دون أن تؤدي إلى نتائج تذكر. ورفض القول بما عرصه الباشا من توليته على مقاطعات الشيعة في ولاية طرابلس⁽³⁾ ونهى الهجوم أخيراً باحتماع بينه وبين الشيخ سرحان أكد العلاقة الودية بين الحاكمين كما يعود ندويهي ويذكر ذلك⁽⁴⁾.

إن الأمير المعني - بسعيه إلى عقد صلح وحرص الدية عند مقتل الأمير فارس ورفاقه، ورفض الولاية على مقاطعات حماديين - حال دون نجاح مخططات السلطة الرسمية إلى التخلص من الحكم الشيعي في جبل لبنان بافتعال فتنة بينهم وبين الحلف المعني الشهابي خدمة لأعراض الباشا وتهدأهم.

(1) كانت السلطات في سطنبول تنهم الأمير أحمد بالوقوف إلى جانب الشيعة سرّاً ومؤازرة القرلباش في عصيانهم حتى عزلته من أجل ذلك وأمرت ولاتها بعثه.

راجع المراسلات لعثمانية حول هذا الموضوع في فصل لاحق.

(2) تاريخ الدويهي، ص 572، وانظر الحسان ص 876.

(3) تاريخ طرابلس، ص 189.

(4) تاريخ الدويهي، ص 573.

سنة 1686م تولى علي باشا المكدي بإيالة طرابلس، هشار لمتال عرب البكدلة في الشمال؛ فثار الحماديون وقتلوا داغر شيخ حردين وابن رعد شيخ الصنية، فقبض نائب الوزير على اثني عشر رجلاً من أتباعهم وقتلهم على الخاروق⁽¹⁾. ولما عاد الباشا إلى طرابلس تلقى أمراً من ثباب العالي بمهاجمة الأمير شديد الحرفوش؛ فاجتمع إليه الأمير بشير شهاب والمقدم قيتبيه ابن الشاعر ورعد شيخ الصنية وابن دندش من اغوات الأكراد في عكار وساروا إلى بلاد بعلبك على طريق الهرمل أما الأمير شديد، فهرب إلى بلاد جبيل مستجيراً بالحمادية⁽²⁾، فنزل الباشا على العاقورة وأحرقها كما أحرق أربعين قرية من قرى الحماديين وقطع أشجارها وهدم حارة الشيخ حسين بن سرحان كبير الحماديين في إيليج وقبر الأمير عمر في طورزيا. وأهدى العسكر إلى خباياهم في معارة قتات في جرد تنورين. ولكن الشيعة هاجموا العسكر ليلاً في عين الباطنية وقتلوا منه خمسة وأربعين رجلاً ونعموا أسلابهم فاحذر باشا مهرباً إلى جبيل فكنها وعاد إلى طرابلس. وهرب يوسف اعد مع حماهته إلى بعلبك وانصت الدروز والعرب والتركمان إلى مناصمهم، وهرب ابن الحمادي المعين على جميل إلى بيروت

فدخل حرب الحمادية إلى حيل وأحرقوا قلعتها ونهبوا ما وجدوه في المدينة⁽³⁾ وكالعادة عندما تفضل الحملات العسكرية هي الوصول إلى هدفها بالفضاء على الحماديين لا يجد الباشا العثماني حلاً أمامه غير الاعتراف بالأمر الواقع وتشريعه؛ لذلك عاد محمد باشا إلى تولية الحمادية فسلم الشيخ حسين مريحان بلاد حيل والبترون وأبى الشيخ اسماعيل الكورة ولاحق موسى حمد الحنة وأولاد حسن ديب الصنية⁽⁴⁾.

هاجمت جيوش الدولة قبائل الشيعة وعشائرها في جبال طرابلس وكانوا مستشرين من بعلبك والهرمل في النفاع إلى جميع مناطق جبل لبنان كجبيل والبترون وجبة بشري والصنية والزاوية وعكار في الشمال وحرقت القرى وهشوا

(1) تاريخ السويهي ص 574

(2) المصدر السابق الصفحة نفسها، وفيها حتم تدريجي وتاريخه، وسيرد تفصيل هذه الأحداث من

خلال الوثائق العثمانية وحذف

(3) القرار الحسان، ص 877.

(4) المصدر نفسه ص 897

عليهم وقرصوهم على بكرة أبيهم ثم ارسل والي طرابلس إلى ابن معن يعرض عليه مقاطعات آل حمادة فرفضها بحجة خراب لأقاليم فاستعان بولاه دمشق وحلب وصيدا وغزة ولاحق من بقي من بني حمادة في سهل والجبل حتى أقتلهم وساق عليهم وعلى ابن معن ثلاثة عشر ألفاً فهرب ابن معن ونولى مكانه موسى علم الدين كما ولي على بلاد جبيل حسين صعب الكردي وعلى البترون قديتبيه ابن الشاعر وأخذ والي طرابلس يتاثر من بقي من آل حمادة في سهل والجبل حتى أقتلهم⁽¹⁾

ويقل كرد علي عن راشد في حوادث (1105 - 1693): في سنة 1105 هـ رأت الحكومة أن أبناء سرحان حمادة عادوا فحجم ناجم شرورهم فأقامت الدولة التورير طوسون باشا قائداً عاماً عليهم، فجمع من اطراف سورية ألف مقاتل من العرب والاكرد ثم جمع ما قدر عليه من الجند هو وحكام سورية، فالتقى عشرون ألف مقاتل في بعلبك والبقاع فلما علم العصاة بذلك، أوحسوا خيعة وتأثرهم العسكر فقبضت عليهم وظهرت تلك الأرجاء منهم⁽²⁾

كان الحماديون يحكمون بلادهم كما يريدون بدون منطاد الصرمانات البركية لمنحهم هذا الحق، أو لتحديد لهم كمية ممارسته ومدته وحدوده كما كانوا يمارسونه في العهد المملوكي، تسالط وسعروا في القديم به في العهد العثماني وبالطريقة نفسها في 28 آب 1705 م أي بعد عدة سنوات على انهاء هذه الحروب المستعرة مع

الولاة العثمانيين كتب فحصل فرنسا في طرابلس ميسو بولارد Poullard

«Le pacha de Tripoli n'a de revenue sur le Liban que ce que les Amediens veulent bien lui donner. Ils enchassent les agas et les soldats et commandent en souverains»

«ليس لباشا طرابلس من عائدات على لبنان غير تلك التي يرغب الحماديون حقاً في إعطائها له فهم يطردون اعدائه وعساكره ويحكمون بسيادة»⁽³⁾

إن السيادة التي ذكرها الفحصل بولارد تعني عبد الحماديين التمرد بإدارة شؤون مياطقتهم ومقاطعاتهم بدون مراعاة سلطة باشا طرابلس أو غيره من لياشوات الأتراك، وما يدعونه من سلطان بموجب مياصصهم للحكومية ولم تكن قضية

(1) حطط الشام كرد علي، ص 270

(2) المرجع السابق، ص 271 وميأتي تفصيل ذلك في فصل خاص

(3) من تقرير لفحصل إلى حكومته في 28 آب 1705 الإمارات الشيعية، ص 266

الصرايب ونحصيلها أكثر من شأن لي جانب غيره من شؤون الحكم والسلطة لم يكن الحماديون جناة صرايب لحساب. يشاء بدءاً على تكليفه ولا بدواً أن يتهم كانت منصرفة إلى ذلك وبأدراً ما تركوا له بعضهما لا تنجعة صدامات وتدخلات ووساطات، بدون أن تعتبر من حقوق السلطان المسلم بها وإنما هي أقرب إلى أن تكون حلاً لنزاع أو إكراماً لتوسيط ولا يبدو أن الكره المتبادل من جانب الحماديين على الأقل يتصل بهذه العلاقة «المرمائية» فحسب، وإنما هو شعور عميق ومتأصل يرتكر على أسباب عامة وثابتة ذات طبيعة مذهبية وعرقية واجتماعية. فالحاكم الحمادي تدي يعتبر عن عدائه ووجوب مقاومته للوالي العثماني هي وقب مبكر (1552م) من وجود دولته بوثيقة رسمية تحمل حاتم وشهادة شهود يعبث فيها عن كسر الوالي العثماني وإدائيه بقتل المأولة والنصارى ويدعو إلى بدون الطنميتين لمحاضته حدياً باعتبار أن التعرض له بأدوية هو عمل بطولي يثير الإعجاب ويدفع إلى وجوب المساعدة والمؤازرة كل ذلك يسم عن تحدر الشعور بالتمايز والعداء وعمق الاستعداد للمقاومة والمحاضه دون الالتفات كثيراً للعلاقات الصرايبية والإدارية وكل ما يحصل بها

كانت حالة الحرب التي عالياً ما تكون قائمة بين الحماديين والباشوات العثمانيين معرض عنهم اتحاد بعض لدانس التي لها نتائج امنية والتي يحظر على كل من له علاقة بالعثمانيين وكل غرب من لدحول إلى بلادهم بدون إذن مسبق منهم وهذا ما أكد الرحالة الفرنسي D'arvieux الذي بقي منتظراً في طرابلس حتى وصله الإذن بالسماح له بريارة جبل لبنان سنة 1658م

«في هذا اليوم نفسه، عاد الرسول الذي كد قد أرسلناه إلى البطريرك جبل لبنان حاملاً معه رسالة شديدة التهديد من جانبه حيث كد لنا أنه لم يعد علينا أن نحشى شيئاً على الأطراف لأنه أرسل اناساً يتلغون في حمادة بريارتنا لانهم كانوا في حرب مع باشا طرابلس ولا يسمحون لأحد بدحول أراضيهم بدون اذنه»⁽¹⁾ وهي الحالة نفسها التي اعترضت رحاله آخر هو لدمشقي بعالم عبد العتي السالسي بعد ذلك بحو نصف قرن، حينما أثنى على «الوزير العثماني المكرم علي باشا حينما أمن وصوله إلى جبيل رغم الحرب القائمة في تلك الأنام في 2 تشرين الثاني 1693 بينه وبين طائفة الحمادية الروافض»⁽²⁾

(1) Memories D Arvieux، وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

(2) الحقيقة، وبتحار ليدلسي، القسم الأول ص 226 والروافض هو التعبير لمصطلح عبد عمماء لسنة بلدالة على لشيعة

إنّ هذا الاستقلال في إدارة شؤون حزب لبنان لعامة فرص التعامل معه ولاعراف به كأمر واقع ثابت ومستمرّ من قبل جمع المعيين، بما هيهم فواصل الدول التي لها مصالح آنية ومستقبلية هي حزب لبنان وهذا ما يبدو واضحاً في تقرير القنصل الفرنسي دوبيواسمون، المرفوع إلى الكويت بوشترتان التورير الأول الفرنسي في 30 حزيران 1715م

إن شيخ الحماديين عنده الكثير من لاصتاح والصدّاقة لرعايا الملك. وقد أكد لي أنّه طالما هو وعائلته يحتمطون بحبل لبنان فإن مرسلينا الذين يكنّ لهم تقديراً خاصاً سيحدون كلّ ما يرغبون به من الرعاية⁽¹⁾

إنّ السبب المُعلن لمعظم الحملات العثمانية على سى حمادة هو الامتناع عن دفع مال السلطان لأنّ القيام بذلك عند الإدارة لحاكمة هو التعبير الأمثل عن الطاعة والولاء. وهو في الوقت نفسه العايق الأولى التي سبقت لبها هذه الإدارة بمعظم أجهزتها العسكرية والمدنية بدون الالتمات فكثير إلى مائتة أمور الحكم والسلطة سواء بمصمومها الشرعيّ والسياسيّ أو بمظهرها الشكليّ المراسميّ هالولاية بمنح الترام حياية الصراف إلى من تعهد بدفع السعر الأعلى ويقدم أمامها كصلاً بضمن حسن السعيد بدون اعتبار لشخصه وهليته وتاريخه المعلوم. هذا من حيث المبدأ النظري الذي قد لا يكون له الأهمية المطلقة أمام الاعتبارات الواقعية و لعملية التي يصعب تجاهلها وتجاوزها عادةً

إنّ الماشا في طرابلس قد حصل على منصبه بطريقة مشابهة وهو في الواقع ملتمس كبير لمجموع مقاطعات الولاية يعيد تتركبها بالمسح الأعلى الذي يتمكّن من تحصيله وتصرق بين مبلغ الترام الذي تعهد به لوالي لبنان العالي والمبلغ الإجمالي لكامل المحصّل من كامل مقاطعات ولايته يشكل ربحه الشخصي من هذه العملية بالإضافة إلى ما يمكن أن يحصل عليه بطرق أخرى مستترة ومتعدّدة، ولا تحصص بطبيعتها للتسجيل والتوثيق.

إنّ مدة الالتزام هي دائماً لسنة واحدة تبدأ وتنتهي في أجل معلوم يُصار خلاله إلى دفع المبلغ المتفق عليه هبداً، أجل التلزم بذلك و متنع لأيّ سبب كان عن إيراد المال المُحدّد بدقة إلى حريضة الإيالة أو تأخر عن أدائه بعد انقضاء العام، لا بدّ أن يعتمد

(1) الإمارات الشيعية، ص 274

نوالي هي هذه الحال إلى لامتناع عن تحديد لعقد لعامٍ آخر، ومطالبة المتخلف بأية وسيلة يراها مناسبة

إن تراكم هذا المال في دمة الحكّام من لحمايين لسنوات طويلة وبشكل مستمرّ ومتمادٍ، رغم الصعوط العسكرية التي بلغها إليها الناجا أحياناً يدلّ على عزّه عن استبدّاهم بمن يحقّق رعاياه، ويصيف على مع الالتزام ما أصبح عرفاً وعادة لا بدّ من تأديته للحريّة العامرة، وهو ما كان يحلّو منه عقود الالتزام الحمادية وحدها، والتي تفرد بميرات خاصّة عديدة هي الشكل والأنسب والمصموم بل تتعدّى كلّ ذلك لتصل إلى مدلول العقد وأثره ونتائجه⁽¹⁾

إن العقد الذي يتعلّق بموضوع التزام حمادي لمنطقة ما، ليس أكثر من توثيق موافقة متبادلة يقرّ فيها نوالي بوجود الحمادي حكماً لهذه المنطقة مقابل موافقته على دفع مبلغ معيّن من المال إلى حربية الولاية بدور أن يكون له فعالية تنفيذية إدارياً أو سياسياً أو حتى صرائفياً على المقاطعة المعنية.

إنه أشبه باعتزاز بأمرٍ وقع سابقاً لعاء إبداء رعية لافق هولاً، وهي تفصي دفع مبلغ سنويّ دتما يحتصر ويحصر كلّ علاقة المقاطعة وحكامها لمحليين نواليها الموحود هي طرابلس، محارج هيرات العداء والجماء والحروب التي حكمت العلاقة طويلاً بين الاثنين، كانت تأتي فترات السلم والهدوء، تمرص عليهما التعاون المشترك واتّباع الأعراف العثمانية السائدة والقوانين المتبعة لا سيما في أمور الأمن والإدارة والالتزام بخصوصيّة ناسب وطبيعة الوجود الحمادي في القسم الجنوبيّ من الولاية وطبيعة الانتشار الشيعي هي أرجائها

عقود الالتزام

إن حجة الالتزام هي الصيغة القانونية الرسمية التي تحدد الإطار الإداري الشامل لعلاقة المقترّم بالنوالي ومن خلاله بكامل مؤسسات الدولة وأجهزتها. لذلك كان المكان الوحيد المعتمد لاعتقاد مجلس الشرع الشريف لصياغة نص حجة الالتزام وإصداره بوصفه وثيقة قانونية وشرعية وعلاوة على الملأ وتسجيله في السجل الرسميّ المحصوص هو المحكمة الشرعية في طرابلس لمحمية بحصور كبار رجال الباشوية

(1) المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس، ص 80-79.

وموطئيهما كالمعتي والقاصي وبقبب الأشراف و لمائعقام والكتعدا ومتسلّم المدينة
وكانت العربية والترحمان والصمرحي دس وعبرهم بالإصافه إلى طرفي العقد لوالي
والمترم أو وكيلاً شرعياً ثابت الوكيلة عن كل منهما

إن عقود الالتزام الصادره عن ولاية طرابلس هي القريين التاسع عشر والثامن
عشر والتي يكون فيها أحد الحماديين طرفاً إلى جانب الوالي، تنمرد عادة عن سائر
لعقود بخصائص هي الشكل و مضمون يمكن من خلالها قراءة طبيعة هذه العلاقة
وخصيائتها. ومقاربة بعض الأوضاع التاريخية و لوقائع السياسية والإدارية التي كانت
سائدة عند توقيعها، لأن ذلك لا بد أن يعكس مدى الحق العام الذي صدرت هي طلة هذه
لمر سيم، وعن العمليات التاريخية والاجتماعية و لسياسة التي تحكمت فيها ورعتها
أن أبرز المورق تظهر هي مقدار الالتزام ومكان توقيع العقد والكمية الصامه لتتميده.

إن جمع التزام أكثر من مقاطعه سد عائله و حده هي ظاهرة نادرة الحصول في
ولايه طرابلس تحمل دلالات تاريخية وسياسية معقدة فلا بد من الاستنتاج، عندما تقع
جميع المقاطعات الجنوبية من ولاية طرابلس كالبيرون وحبل والحب والكورة والنصية
وعكار والرويه والهرمل تحت الحكم الشيعي، وهي شكل معظم الولايه عملياً ولا يبقى
خارجها إلا مقاطعتي طرطوس وصافيتا وهما المقاطعتان اللتان دخلتا أحياناً هي التزام
الحماديين. يتأكد أن هناك و فماً تاريخياً يحرص نفسه على لسلطة والإداره وسائر
أصحاب الشأن

إن نعت هذه العائلة وقنامي قوتها ل عسكرية أديا إلى احبار والي طرابلس على
إيلاء امر جناية الأموال الاميرية فيها، إلى كميها أو أحد المقربين منه⁽¹⁾ لصعوبة أي
حيار آخر رعم التاريخ الطويل من العلاقة المتوترة و لمشجعة والدمية أحياناً بين
لطرفين، وليس أدل على ذلك مما يظهره حجج الالتزام في سجلات المحكمة
الشرعية من تمنع مشايخ ال حمادة من الحصول إلى مجلس الشرع في مركز
الولاية والاكتماء بارسال وكلاء عنهم،⁽²⁾ أو انتقال مجلس لشرع إلى حدود المقاطعات
أو إلى سراي بيروت أو إلى أي مكان آخر خارج المدينة وربما أحياناً خارج الولاية، وحتى
الوكيل الشرعي الذي يحصر المحصر في هذه الأحوال لا يكون عادة من العائلة ولا من

(1) المؤتمر الاول لتاريخ ولاية طرابلس، ص 66

(2) المصدر لسابق ص 69

(3) المصدر السابق، ص 70

العصبية الحمادية والشبيعة عموماً، بن عالد ما يكلف واحداً أو مجموعة من مشايخ القرى «الدميين» بذلك.

وعالياً ما يعقد المجلس الشرعي في مقرات الحماديين أو هي قرى شبيعية كما حصل هي لاسا هي حرود الميطرة عند تلميم مال نفس جبيل وتواضعها مع جميع ناحية جبيل ولواحقها لسنة 1161هـ 1748م.⁽¹⁾ أو هي كفر حلداء عند تلميم، البترون وحيل⁽²⁾، أو هي قلعة جبيل مقر الشيخ الحمادي نفسه بعد أن وصل إليها وقد كبير من المشايخ والموظفين وجماعة من المسلمين كما حصل عند تلميم نفس جبيل وبواحيها وناحية البترون وناحية حة بشري وناحية الهرمل. سنة 1143هـ / 1731م⁽³⁾.

كما انعقد المجلس خارج ولاية طرابلس في سراي بيروت 1162هـ 1749م حيث حصر العقد ممثلي بيروت ونقيب أشرفها ود زدار قلعتها وعدد من الخطباء والمشايخ والوجوه⁽⁴⁾ كما اجتمع المجلس على شاطئ نهر بريزه النافع لناحية الكورة من أعمال طرابلس المحمية، عام 1756م. عند تلميم جميع مال ميري نصب مقاطعة البترون لأولاد الشيخ ابراهيم حمادة بمبلغ 2250 عرشاً وقد ناب عن الناشا، فخر أقرانه ابو بكر أغا مصرحي باش الوزير المحتشم بوكالته عن سعادته،⁽⁵⁾

إن باشا طرابلس هو ملترم الاكثر في باشويته لأنه بمادة ما يتعهد بمنع معن يسلمه إلى حربه الدولة معجلاً أو مؤجلاً سوارج محددة عند تسليمه منصبه بالإضافة إلى مبالغ أخرى كان يعرف العثماني يلزمه بدفعها إلى أصحاب الحظوة والسيطة والسمود هي دوائر المرار هي العاصمة وكان ينبغي عليه تقديم كميل مصرحي بصمر حسن إيمانه بتعهداته في مواعيدها.

إن مبالغ إصاحية كانت تراد على مال الالترم الأساسي يتوجب على ملترم الولاية المحلي تأديتها بعد إصاقتها إلى حجة الالترام وتذكر هذه المبالغ على أنها دين شرعي تحت تسميات عديدة صموم معادة مصارف عو يدات، فنوخرحي، ررحليه مشاهرة المحكمة العلية، حدم استعجالات مصارف الرحاير

(1) سجل رقم 15، ص 1، لسنة 1161هـ 1748م، راجع الوثيقة رقم F19

(2) سجل رقم 9، ص 129 و 148، سنة 1160هـ 1747م

(3) سجل رقم 6، ص 5، لسنة 1143هـ 1731م، وثائق سرية، ص 269.

(4) سجل رقم 15، ص 163

(5) السجل نفسه، ص 100

يعمد الباشا حرصاً منه على استيلاء كامل مبلغ الالتزام في اجاله المعينة وتضادياً لأي حسارة قد تلحق بحزائنه من جراء عجز الملتزم أو تهريبه أو امتناعه عن الدفع لأي سبب كان، إلى طلب كميل يصمن حسن التصيد وأهم أنواع هذه الكمالات وأكثرها فعالية وتأكيداً على الأهمية المطلقة لعملية تسديد أموال الالتزام والمبالغ الإضافية، هي تسليم الملتزم أحد أولاده - وخاصة القاصرين منهم - إلى لحاكم الشرعي، وربما أحد أقربائه أو من له علاقة متينة به على سبيل رهن والاسيثار وإسناد أمر حفظ الرهينة وسحبها إلى «داردار» القلعة في صرابلس أو أرواد أو أي مكان آخر يقع تحت سلطة الوالي، وقد اعتمدت هذه الطريقة بشكل يكاد أن يكون عاماً هي العقدين الخامس والسادس من القرن الثامن عشر بحيث قلما تخلو حجة التزام مقاطعة، أو ناحية تابعة لولاية طرابلس من ذكر تسليم أحد الملتزمين إليه القاصر أو أحد أقربائه للحاكم الشرعي

«إن محمل حجج التزام المقاطعات التي يتولاها مشايخ آل حمادة حلت تماماً من ذكر صوم أو مصارف أو عوايدات وسائر المبالغ الإضافية التي اعتادت سلطة الولاية ريادتها عن مبلغ الالتزام الأساسي في العقود الأخرى كالديون والضرائب والمصاريف الخ... فنقصر العقود المبزمة مع خدمهم على ذكر مبلغ الالتزام محرداً من أية إضافة أو زيادة وهو في الواقع مبلغ رهين يمي ثانياً ثم يعبر طيله أكثر من قرن بالمقارنة مع الريادات التي طرأت عليه مباشرة بعد ذلك منذ العام الأول الذي عصب نهجير الحماديين ونهاية عقودهم المنشبهه ولا بد من الإشارة إلى أن المبالغ الإضافية الواردة في العقد تحت أسماء محتلمه ليست وحدها التي تذهب إلى حرية الوالي ومصمعه، فهناك حتماً مبالغ أخرى من رشوى وهدايا يستفيد الباشا وأعواده منها بدون أن يلحقها التسجيل والتوثيق

«إن استثناء عقود الحماديين من لاصافات و لريادات يرجع انه عائد إلى طبيعة العلاقة التي قامت بينهم وبين ولاية طرابلس المتسمة غالباً بطابع التغلب والسيطرة أكثر مما اتسمت بروح التعاون والتألف⁽¹⁾».

وكاتب المراسيم العثمانية تحمل عادة مقاطعات جبيل والبترون وجبة بشري والكورة والصنية وعكار في عقد واحد وقد تصيف مقاطعات أخرى من ولاية طرابلس كحصن الأكراد وصافيتا وغيرها⁽²⁾

(1) المصدر السابق، ص 80

(2) راجع لوثيقة رقم E7، م. ط. ش. سجل 1، ص 11

كذلك خلت العقود العائدة إلى مقاطعات ل حمادة هي جميع الحقب والمناسبات عن ذكر رهينة أو تعييبها⁽¹⁾ رغم أن هذا النوع من الكمالات كان شائعاً وامتد ولأ هي سائر الولايات العثمانية وطالما استعمل مع الشهابيين وغيرهم من ملترمي المماطعات⁽²⁾.

كان على الحماديين جناية جميع الرسوم في مناطقهم بما في ذلك المداخل العسكرية، والتمياز، والصرائب الزراعية الميري ورسوم لمرامات والطرق وسواها من الحمايات الأقل شأناً وكان العقد ينص عادة على دفع ثلاثة أرباع المبالغ المتفق عليها في موسم التحرير والربع الباقي في موسم التريتون قبل نهاية السنة المالية في آذار شهرين أو ثلاثة

وهي كثير من الوثائق كان يطلب منهم لشهر على رخاء البلاد وتسميتها وحماية الأهليين والمسافرين من جسر العامدين حتى قلعة المسيلحة

لم يظهر الأمراء الحماديون الكبار شخصياً في المحكمة أبداً، وذلك حتماً لأسباب أمنية بل يتمثلون بعدد من جماعتهم بصفة وكلاء. ولم يحاطروا بالذهاب إلى طرابلس للمفاوضة على عقود الالتزام حول مقاطعاتهم الخاصة، بل كانت المحكمة الشريعة تنتقل إلى قلعة جبيل أو إلى قرية شبيعية في الجبل حيث يشعر المشايخ أنهم آمنون من قبضة السلطة. ومنذ عام 1740م كانت المجالس تعتمد في الكورة في قرية كمر عما، على حدود مقاطعاتهم كمطبعة محايدة بين الدولة العثمانية والإمارة الحمادية⁽³⁾.

ومنذ عام 1740م أصبح كملاء الحماديين تقريباً بدون استثناء من شيوخ القرى المسيحية الخاصة بسلطنتهم وليس من نواصح إذا كان هؤلاء الوجهاء الصغار يحصلون على أية منفعة شخصية من هذه المسؤولية عبر المراجعة وهناك حالات قليلة يقوم بالكمالة فيها بعض الرجال المتعدين مثل سليمان أعا في الهرمل⁽⁴⁾، وباصيف بعد

(1) المؤتمر الأول لتاريخ ولاية صرابلس، ص 88. سببت قضية الرهائن الحماديين مشاكل خطيرة في القرن السابق.

(2) كان بعض الأمراء الشهابيين يقدمون أولادهم رهينة تضمن إيمان التزامهم المادي نحو لوالي، رهن الأمير حيدر ولده أحمد ومجموعة من مشايخ الدرور بقاء 20 ألف عرش. (الجدور التاريخية صاهر، ص 97) كما رهن الأمير يوسف ولده حمن ومندبريه سعد وعندور الحوري، الإمارة الشهابية، أبو صالح، ص 157

(3) Arabica، ص 7، راجع م. ط. ش. سجن 8، ص 172 تاريخ مارس 1138

(4) م. ط. ش. سجل 7 ص 5، آذار 1738، وهو أحد عيين منطقة حمص.

هي بشري وهناك وثيقة الترام هي بيروت خارج ولاية طرابلس ضمن الأمير ملحم الشهابي بنمسه ديواناً على الحماديين سعت خمسة وعشرين ألفاً وسنماية وقرشين ونصف القرش⁽²⁾

وعندما تختصي طبيعة العلاقات لقائمة من الوالي والحماديين أن يعهد الالتزام مقاطعاتهم إلى ملتمس غيرهم، كان لا بد أن يصيب على عاتقه تلميذات استثنائية ليس أقلها إمداد الملتزمين بالحرفين بألف رحل من رجال طرابلس المحمية وبأنظاره الأكسيريبة وتتابع أفكاره اللودعية، وهي تعبر تعني بلعة ذلك العصر أن الإدارة العسكرية والمدنية والسياسية تنق تحت إدارة لوالي المباشرة ويصبح الملتزمون في هذه الحالة مجرد موظفين لحماية صرنا الشا وإرادتها في مواعيدها لإمداد الشاب البائع العاقل ابن الملتزم المسجون في قلعة طرابلس على طريق الاستيناق لإبناء المبلغ كاملاً على أن يمددهما بألف رحل وبأنظاره الأكسيريبة وبسائج أفكاره اللودعية⁽³⁾ ومثل هذه التقديمات والتدحيلات لم تعرفها عقود الالتزام الحمادية التي كانت بعض أحياناً على بعض لوحيات الأمانة والسياسة مثل تأمين النواحي المحورة لهم، وحطوط التواصل مع دمشق الشام والبقاع وغيرها⁽⁴⁾

إلى جانب عمود الالتزام وما تقتضيه من تعامل داري ومالي واحتشالي بين الحماديين وباشا طرابلس، كان هناك من كان حرص مثل هذا التعامل إلا أن الطابع المالي كان أكثر بروزاً فيه بينما انقلبت الأدوار من الناحية المالية فأصبح الوالي هو الذي يدفع المال والحمادي هو الذي يقضه لقاء مهمة دئمة بكلمة لقيام بها وتعلق عادة بالإشراف على حماية المدينة والأمن فيها. وقد يتسبب إحلال الوالي بالدفع بمشاكل خطيرة⁽⁵⁾

كان الحماديون يسيطرون عملياً على كامل الأرض الواقعة حول طرابلس وتمتد سيطرتهم حتى على صواحي المدينة ومشارفها وكانت طرق المواصلات الأساسية التي تربط المدينة بمناطق المناطق من أيديهم وتحت سلطتهم فكانت تسلك الطرقات وتأمين أنباء السيل والمارين من جسر المعاملتين إلى قلعة المسيلحة - وهي الطريق

(1) م ط ش سجل 15 ص 194

(2) م ط ش، سجل 15، ص 262 في آذار 1749

(3) سجل رقم 7، ص 205، سنة 1152 هـ 1739 م

(4) سجل رقم 6 ص 5 لسنة 1143 هـ 1130 م

(5) تاريخ الدويهي ص 524

الساحلية التي تربط مدينة طرابلس بولايتي الشام وصيدا - من المهام التي يحرص الباشوات على تسليمها إلى الحماديين في عمود الالتزام،¹ وهي الطريق نفسها التي تقفل عادةً هي وجه رجال الولاية وحنودهم وهي وجه العرباء عموماً، بدون إذن من الحماديين، يسمح بدخولها عند أي توتر أو عداء أو صدام مع سلطة

إن طبيعة هذه الأوضاع التي أصبحت مع مرور الوقت بمثابة العرف الإداري السائد قصبت أن يكون للحماديين دوراً أمنياً وسياسياً في دحل المدينة نفسها فحرت العادة أن يكون أحدهم أو بصر منهم محافظ البلد وهي مهمة تسيطر بهم مسؤولية الدفاع عن المدينة أمام أي هجوم خارجي تعرض له أو أي إحلال بالأمن بحري داخلها

ظل معمولاً بهذا التقليد فترات عديدة منذ أيام العثمانيين والسيديين إلى الولاية العثمانية في قرون متأخرة وكان الوالي يعهد إلى بني حمادة بالأمن في طرابلس هي حصونه واستلام المدينة في عيانه، أو عند حلو المنصب لأي سبب كان

لقد قام الحماديون الذين سبموا هذه المهمة بالدفاع عن المدينة أكثر من مرة وواجهوا محار الدين المعني الثاني مرين على الأقل بهذه الصفة

عندما حاصر الأمير فخر الدين طرابلس وبدأت طلائع عسكره لدخول إليها. هرب بنو حمادة محاطوا البلد ودخلوا المنطقة وتحصنوا فيها²

سنة 1631م تورع الفضلاق³ على الداس وهي صربية مستحدثة أثملت كاهل الكلدانيين فتدمروا منها وسعوا إلى الغائنها وكان فخر الدين المعني تولى إيالة طرابلس قبل ذلك فهدم إليها من صيدا لاستملاء هذه الصربية فخرج السكان ملاقاته ومطالنته أن يمنع عنهم هذا العبء الأصافي. وحصر الشيخ أحمد حمادة فطلب منه ألا يدخل المدينة ووعد بمبلغ من المال فلم يرض. فهاجم عليه وقتل بعضاً من جماعته⁴ باعتباره حافظ البلد وطال حدث تناحر أيام السلم بين رجالهم

(1) سجل 15، ص 32، سنة 1756م

(2) تاريخ طرابلس سميح الرين ص 190

(3) صربية غير دئمة تورع على لبلاد بسمات بحد ومعناها عسكر اشتوي

(4) تاريخ سوريا، جرحي بني ص 325 يبدو من المؤكد أن فخر الدين لم يعين يوماً وانبأ على طرابلس كما يدعي التاريخ اللبناني المدرسي، وأن رفع منصب عثماني وصل إليه هو ملزم منحه صيدا قبل أن تصبغ ولاية ثم سبجى صمد دجج لإمارة لدية عند لرحيم بو حسين ص 19 كما يبدو أن عارته على طرابلس سنة 1631م حرب بهدف فرض مبلغ من المال على أهالي المدينة ولو كان ولياً لما منعه محاطها من الدخول إليها

وعساكر الولاية المتواجدين في المدينة من انكشارية وقواصة وغيرهم تؤدي إلى مواجهات دامية هي داخل المدينة وحارجها كما جرى أيام كان سعد بن علي حمادة محافظ البلد⁽¹⁾.

ومهما كانت طبيعة هذه العقود ومعالسها فلم تكن بالنسبة للحماديين أكثر من اعتراف رسمي بأمر واقع ومستمر مستمر عن معاريلها فهي لا تنشئ حالة سياسية قائمة بالمصر ولا تلميحاً فهم يحكمون بلادهم سواء رصي ولاية الأمر أم كرهوا. وليس لوالي طرابلس إلا القبول بهذا الواقع وتحريك قوته بحوميايين القتال، دعم ما يحتمل هذا الإجراء من كلمة ومشاق ومخاطر المشل و لحيه.

يقول محمد جميل بيهم

عهد باشاوات طرابلس إلى مشايخ آل حمادة الحمميين بإقطاعات جنة شري وحبل والبترول بيد أن الحماديين تجاوزوا هذه المهمة إلى بسط سلطتهم المباشرة على هذه الإقطاعات، وعلى الضمية، وأسأثروا بكل مراقبتها في إبان ما كانت السلطة العثمانية مشتبكة مع الدول الأوروبية بحروب متصلة⁽²⁾ وقد أترك آل حمادة من الجاه والنمود حدا جعل بطارقة الموارنة يرجعون إليهم في شؤونهم الخاصة⁽³⁾.

وقد عر عن الواقع نصه أحد الأساقفة المنحصرين للشرعية العثمانية، هي معرض بقدته والتهجم عليه.

«إن البلاد، كان متسلطاً عليها قوم من المسلمين وكانوا من الشيعة أي من أتباع علي «بني حمادة، وكانوا حاكمين البلاد رغمًا عن بيت عثمان أصحاب الملك»⁽⁴⁾.

(1) تاريخ لدويهي، ص 537

(2) قوافل المروية وموكنها، محمد جميل بيهم، ص 41

(3) المصدر السابق، ص 43

(4) المطران حرمابوس مرحبات، تاريخ تاسيس لرهبة لسة (تورين، ص 26).

الشهابيون والحكم الشيعي

مات الأمير أحمد المعني في 12 نلؤل سنة 1697م. وحلمه في حكم جبل الدروز الأمير بشير الشهابي الأول 1698م وقبل ذلك بسنوات قليلة انتهى البطريرك الدويهي من تسوين تاريخه المشهور. وأصبح تاريخ الأمير حيدر العرر الحصاره هو الممول عليه في فترة الحكم الشهابي فهو من المعاصرين لبعض أحداثه والمطلعين عليها بحكم موقعه العائلي وإن كان هذا الانتماء يستدعي تحذر الشديد في قبول رواياته بدون رؤية بسبب العصبية العائلية التي قد تمنعه من رؤية الأمور محددة من بوارع الهوى. وعمر القليل والتجرب. لذلك لا بد من مناقشة بعض ما جاء على ذكره من علاقة الشهابيين بالشيعية وتحليله في ضوء المنطق والواقع. ومقابلته مع المراجع الأخرى المعاصرة التي عرست للموضوع نفسه، على قدرتها وعدم شموليتها وتقيدها بالسرد المتواصل بدون محطات وهو صل بمقد الحادثة التاريخية شيئاً من وحدتها وسياقها المتوافق مع تسلسل الأمور وتطوراتها.

إن أول ذكر للحماديين في عرر الأمير الشهابي جاء في حوادث عام 1110هـ/ 1698م حول حلاهم مع ولي طرابلس وقد حث الأمير بشير الأول⁽¹⁾

بوصي تلك السنة كان قبلا ناسا أخو ارسلان باشا والياً على طرابلس. وكان ببعض بني حمادة الشيعية اصحاب ديار جبل والبترون لعدم ثباتهم في طاعته. ولكسرهم المال السلطاني المترقب على ديارهم فوجه إليهم جيشاً داهمهم على بعنة فقبض على بعض أكابرهم وعلى جماعة منهم فأحضرهم إلى طرابلس واعتقلهم جميعهم في السجن وفر من بقي منهم إلى دير الصمر فتراهموا عبد الأمير بشير والتمسوا منه الإغاثة، فأرسل إلى قبلا ناسا يلتمس منه إطلاق الجماعة الحمادية من الاعتقال، وإعادتهم إلى ديارهم ولائاً وتعهد له بدوام طاعتهم لأوامره وكفل له ما كان مكسوراً عندهم من المال السلطاني وما طلبه جرماً عن دينهم، فبلغ ذلك مائتين وخمسين ألف قرش ولما كسر الأمير بشير ذلك المبلغ أطلق الورير المشار إليه بني حمادة من الاعتقال وهوص ولاية ديارهم للأمير بشير على أنه يوليهم هو من قبله فرضي بذلك، وصدر منك الولاية باسمه ثم ولاهم هو عليها من قبله وأرسل معهم بعض حوصه أقام عندهم يستورد المال المذكور حتى استورده جميعه ودفعه لوالي طرابلس حسب لكفاءة واستمر الحال على ذلك رهائاً مديداً، فكان كل عام

(1) تاريخ الأمير حيدر (رستم ونبستاني) بيد مولايه الأمير بشير في بعض العام

يموص والي طرابلس على ولاية ديار بني حمادة لأمير جبل الشوف في ذلك العصر، وأمير الشوف يوليهم عليها من قبله ويرسل من خواصه من بعثته، يقيم عندهم لتقاضي الأموال السلطانية فيجئونها ويدفعها لوالي طرابلس. وساد الأمير سيادة حسنة وبيع أمره وشاع ذكره، ولقب بحاكم بلاد الحمادة⁽¹⁾.

بينما اقتصر التاريخ المطبوع في مصر على ذكر هذه الحادثة باختصار شديد جاء فيه: «كان أرسلان باشا و لي طرابلس قد غصب على مشايخ بني حمادة ونزع من أيديهم ولاية بلاد جبل فشمع عليهم الأمير بشير وكمل كل ما يحدث منهم وأعادهم إلى ولايتهم»⁽²⁾.

إن الاختلاف في معنى كل من النصين ومدلوله لا يحتاج إلى شرح مسهب فالنص الأخير يقصر الدور الشهابي على تشيعة والكمالة وهو أمر مألوف وشائع في العرف الإداري العثماني، وأثره محدود في ولاية حسن دون غيرها من مقاطعات الشمال اللبناني أما النص الوارد في الطبعة الانكليزية⁽³⁾ فيذكر تفاصيل تعامل أدري غير مسبوق وغير مألوف لا بد من التوقف عنده، ومعرفة مدى إمكانية ممارسته للواقع الإداري والتاريخي، وبطابقه على التطروف الموضوعية وما إذا كانت تسمح أو تنبئ بإمكانية حصوله كما جاء في هذه الطبعة وقبل كل ذلك بين أيدينا ما يلقي على كل من النصين ظلالاً من التساؤل عن مدى رصديتهما واطنهما على مجريات الأمور، وعن قيمة ما أوردته بعض المصادر عما هو متداول وشائع عن اجتماع أعيان جبل لبنان للمشورة بهدف اختيار والٍ منهم على ما كان في بدال من بعد وهام الأمير أحمد المعني بدون عقب.

يبدو من فرمان سلطاني موجه إلى ولي صيد قبالا باشا أن الأمير بشير الأول لم يحلف الأمير أحمد المعني مباشرة لا بوصفه وصياً ولا أصالة. بل إن الحاكم على مقاطعات صيدا بيروت بالإصافة إلى صمد الذي حلف الأمير المعني وكان أميراً حتى أواخر محرم 1111هـ - 1699م على الأقل هو الأمير منصور الشهابي كما يؤكد هذا فرمان.

(1) لبنان في عهد الأمرء الشهابيين، حيدر الشهابي، ص 6

(2) الجذور التاريخية مسعود صاهر، ص 220

(3) برهه الرسم، ج 2، الشهابي، ص 885

(4) شرف على نشر هذا التاريخ مؤيد أفرام اليمعني وأسد رسم

محكم إلى والي صيدا - بيروت وأمير الحج الشامي حالياً قبلاً محمد باشا،

أنت أيها الوالي المشار إليه، لقد عهدت بمقاطعات صيدا - بيروت وصيدا إلى الشقي الدرزي المدمو منصور أن الشقي المذكور يقوم بممارسة كافة ضروب الظلم والفساد والتسلط على أهالي البلاد، وبالإضافة إلى هذا، فقد اغتصب أموال وأرزاق المتوفى أحمد بن صالح باشا واعتدى على زوجته المعتدة ووضعها تحت تصرفه (تزوجها) بالقوة والإكراه خلافاً للشرع الشريف. كما أنه زوج بنات (أحمد بن صالح باشا) إلى أشقياء من الدرور وقتل أخته عمداً، وقد استنجدت البنات ومربيتهن بدمشق ووصلن إلى هناك بمساعدة أهاليها.

أما زوجة (أحمد) فما زالت معه وتحت سيطرته، هذا ما أعلم به الآن ولدي وصول أمري الشريف، يجب معاقبة مبيع لفساد (وصاحب) هذا الاعتقاد الشقي الدرزي الذي وليته وسلطته على أهل الإسلام وهذا المذكور على قدر كبير من الفساد والشناعة والحسار، ولد، يجب عليك إلقاء القبض عليه بأي طريق ممكن وهذا مطلوب منك وبإختصار لا تخلف الأعذار وكبحج، وإذا كانت حيانتك تهملك الق القبض على المذكور واقتله وارسل رأسه المقطوع إلى مصر دولتي، وقد صدر فرمان عالي الشأن بهذا الخصوص⁽¹⁾

نؤكد هذه الوثيقة الرسمية أن أمير بشير لم يصل إلى حكم الشوف إلا بعد 1111هـ/1699م وبعد فرار شقيقه الأمير منصور الذي يذكر بعض المصادر أنه كان حاكماً على وادي التيم في وقت ما أيضاً، وأن كماله بشير للحماديين ذكرها الأمير حيدر في حوادث 1110هـ/1698م. وقد مات بشير مديوناً بـ 250 ألف عرش كان تعهد بها عندما أعطاه قبلاً باشا حلقه الولاية. فكيف تكون كماله لعمره مقبولة وهو لم يكن قد حكم بعد في هذه الفترة ثم مات بعدها بدون أن يسد ما تعهد به لحرارة السلطان.

إن قبول كماله الأمير بشير لمبلغ حيالي هو 250 ألف عرش لا يمكن أن يكون واقعياً لأن مجموع المبالغ الذي بحري به للزيم أكبر مقاطعات الحمادية الثلاث⁽²⁾، والذي بقي

(1) لبنان والإمارة الدرزية عبد الرحيم أبو حبيب دمر مهمه 111 271 ص 95 96 أمر والي دمشق بمثل الأمير منصور سنة 1118هـ/ 1706-1707م

(2) وهي جبل 9600 عرشاً

البيرون 4500 عرشاً

جبة بشري 6500 عرشاً

ثابتاً طيلة القرن الثامن عشر على الأقل، لا يمكن أن يقارب هذا المبيع لمدة عشرة أعوام متتالية ومن جهة أخرى، فإن الأمير الشهابي كان يضطر إلى رهن ولده القاصر أو شقيقه أو كبار رجال مقاطعته لأقل من عشر هد لمبيع، فكيف يكتفي الوالي بقبول كفالة معنوية وحدها صماماً لمثل هذا المبيع الكبير؟

عندما عصب والي الشام على الشهابيين قس ذلك، قاموا باستماتة من رجالهم وثرواتهم ونجاوا عند الحماديين في قمهر لمدة شهر قليلة مما أدى إلى حروب طاحنة، وجماعات تأديب أحرقت الررع والصرع في بلاد الحماديين، فكيف تكون ريادة أحد الحماديين أو بعضهم إلى دير القمر بعصر ترامياً عند الأمير بشير والتماس استعانة أدت إلى قبولهم بكل ما اتفق عليه الوالي والأمير بدون اعتراض. مع كل هذه المعارك التي سبقت والتي سبقت هذا الاتفاق العريب لدي يعترف الحماديون بموحدة ليس بسلطة الوالي ولتعهد بدفع هذه الثروة الصالحة إليه فحسب، بل تشمل القبول بسلطة الأمير بشير الشهابي أيضاً وبصدور حلع الأحكام باسمه على أن يحولها إلى من يشاء من الحماديين، مما لم نجد له أثراً في أي مرجع آخر لم ينقص عن الأمير حيدر ولا في أي سجل أمكن الاطلاع عليه من سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس العائدة لهذه الفترة⁽¹⁾

إن ما يريد في بعد رواية الأمير حيدر عن الواقعية والمصداقية بعد ذلك كله أن شاهد أ معاصراً ومطلعاً بحكم منصبه على دهائن الأمور وحلمياتها وبوطنها بحرم هي تقرير رسمي ردهه إلى حكومته في التاريخ نفسه يؤكد أنه منذ سنوات قليلة سبقت انتقال الأمير بشير إلى حكومة جبل الدروز وبعد سنوات طويلة من وفاته عموماً بيد حلمه حيدر.

«إن شيخ الحماديين يحكم جبل لبنان منذ ثلاثين عاماً دون أن يتمكن باشاوات الأتراك مهما بلغت قوتهم أن يحدوا من سلطته»⁽²⁾

(1) ورود هذه الحادثة في طبعه بيروت مسورت الجامعة اللبنانية دون ما سمها ينفي ظلالاً من الشك على أنها تم تكل ولیدء مواطن الأمير حيدر العائلية وميله الشخصي لتقرير سيرة عشرينه وإنما قد تكون موضوعه برمنها لأنها تنوع مع انعطافه لافتراضيه لوهيمية لتاريخ الإمارة الشهابية كب تمام وجهه من اجل نشره وتعميمه المشرفون على هذه طبعة وهذا ما يبدو أنه حصل في نشر مخطوطة طنوس الشدياق أيضاً تاريخ الاعيان في جبل لبنان فمن يؤكد أن حديقاً متعمداً قد أصابها عند النشر فهي تقمر من غير مرة 1711م إلى سنة 1840م أي 130 سنة مسعود صاهر، الجدور التاريخية، ص 85 ومن المعلوم أن التاريخيين من نشر المشرف نفسه

(2) من تقرير المصلح العربي في صيد بولاد من حكومته في 21 آذار 1717م D.D.C., T1, P180

إن ما يبدو وأقرب إلى الواقع هو ما ذكره مؤرخ معاصر للأمير حيدر وكان من المقربين له والعاملين معه، وربما نقل لحادثة لتاريخية عن معلمه بعد أن حذف منها ما لم يقتنع بصدقه وصوابيته ومطابقته للواقع

«في هذه السنة 1697م كان حكم بلاد جبيل في أيدي المشايخ بني حمادة وكانوا يلبسون خنعة الحكم من يد وزير طرابلس، فحدث منهم مطاوعة على حقوق رسلان باشا، فعصّب عليهم وبرز الولاية منهم، فتوسط أمرهم الأمير بشير واسترصاه وأعادهم إلى الولاية»⁽¹⁾.

ويأتي مؤرخ معاصر يستعين بهذه التبعة التي يسندها إلى مصادر شهابية لتأكيد ما يريد إثباته من توسع الأمير بشير هيمنة على طرابلس وأصفاً له صيغة تنميدية عملية بأن يرسل الأمير بعض حواصه لجمع الأموال الأميرية المفروضة ودفعها إلى والي طرابلس. وبهذا أصبحت جبيل والبترون عملاً ضمن دائرة حكم الأمير الشهابي لأنه توسط لدى والي طرابلس متمهداً له بتأدية الأموال المطلوبة، فميل والي وساطته وفوضه بأمر تعيين من يحضره من الحماديين لتولي شؤون المفطعتين⁽²⁾ من هذا التفسير هو شخصي صرف يتناهى مع الواقع التاريخي ومع التعامل الإداري السائد في لولايات العثمانية عموماً في ذلك الوقت بالإصافه إلى تعارضه مع موارد القوى، والأعراف السائدة في هذه الفترة التي ظهرت الدولة العثمانية عاجزة أمام حمادة وبدأ تحليها عن السيطرة على مقاطعاتهم كان شبه كامل حتى أنه قيض لإمرتهم أن تصبح جمهورية عصاة مستقلة، كما يقول ووتر⁽³⁾.

ليس في سجلات محكمة طرابلس الشرعية ما يؤكد أو يشير إلى أي تدخل لتشير الشهابي في أمور ولاية طرابلس وهناك وثيقة عقد الترام حمادي أبرم في بيروت وكان الأمير حيدر الشهابي كميلاً لدين على الشيخ الحمادي استحق سابقاً.

ولم تكن الصيانة الشهابية تمنى شيئاً كثيراً لدى الولاة العثمانيين، ففي هذه الفترة تأخر عبد الأمير حيدر الشهابي من الأموال السلطانية عشرون ألف عرش عند والي العثماني عثمان باشا نفسه، ما حتمه بأكابر بلاده وانفقوا على أنهم يرسلون إلى الباشا

(1) الدر المرصوف في تاريخ الشوف، دار لرائد نفس حسانا لمير ص 12 وبين تاريخ العس وتاريخ الأمير توافق كبير يكاد يصل إلى النقل الحرفي (نوهي 1823)

(2) الإمارة الشهابية، عباس أبو صالح، ص 45

(3) تفصيل ما يراه الباحث في فصل لاحق.

رهنأ على هذا المال، فأرسل الأمير حيدر وبنوه أحمد والأمير حسين أبي اللمع ولده حسن والشيخ قبلاز القاصي المقدم شرف الدين مرهر لانه لم يكن له ولد والمشايخ اليزيدية (تلقوا عبد الملك عماد ومن والاهم) أحد فتيانهم. أما الأمير مراد أبي اللمع، فلم يكن عنده من يرهنه. فاجتمع أصحابه من أهل بيروت ودفعوا عنه ما يحصه من المال المكسور

فبقي الرهائن عامين في صيدا، فعاد عرل عثمان وانتقل إلى الناصرة أخذهم معه فكابدوا مشقة عظيمة وهواناً حتى رجع عثمان ولياً على الشام فعادوا معه بعد سبع سنوات واستوفى المال من الأمير حيدر⁽¹⁾

إن هذه الواقعة موضوعة من أساسها، ولا يستند إلى منطق مقنع أو مصدر مقبول وليس لها في ما نعلم أي سند تاريخي يركن إليه بل على العكس، إن كل الوقائع والمصادر الأخرى تدحضها وبمقدار أي وزن أو قيمة هي تعاطي الأحداث بالإصافه إلى ما ذكرناه آنفاً وما ورد في تقرير القنصل الفرنسي بولارد فإن الحماديين استمروا في حكم مقاطعاتهم كما كانوا منذ قرون بدون أن يكون لرصا والي طرابلس أو لمرمانه تأثير حدرى في شئون الأمور واستمرارها على سبيل المعتقد فلا والي طرابلس ولا الأمير بشر قطماً هو من يوزع المقاطعات على حكامها من الحماديين، بل هو كبير المشايخ الحماديين المقيم في حبل والمرجع الوحيد لتوزيع الحكام على مقاطعاتهم في بلاد الحماديين⁽²⁾. تشاء الصدق أن يلتقى رحالة أصيبي بأحد الحماديين في هذه الأثناء ويترك لنا وصفاً حول ما شاهدته وما عرف عن الحماديين في هذه الحقة⁽³⁾

هي الطريق من إهدس إلى طرابلس وفي أكثر هذه الأحرش كثافة التقيا بواحد من أهم أسياد البلاد اسمه الأمير علي أمير لتركمان أو الحماديين المسيطرين على جبل لبنان⁽⁴⁾. ومعه عائلته ووراءه منس إلى ثلاثمائة فارس أنه داهب لحضور رفاق أحد أقاربه. تعرضوا إلى بعض الشنائع من المرسا لذين يتقدمون مسيرة الأمير وقد سر بعضهم بمداعبتنا لإرهابنا فانتركمان ينسحون بالأسلحة النارية، ولا يحبون ملاقة

(1) برهة الزمان، حيدر الشهابي، ص 892.

(2) الإمارات الشيعية، ص 286، ولجودور التاريخية، د. محمود صاهر، ص 229.

(3) من المرجح أن هذه المقابلة حصلت بين 26 و 31 تشرين أول 1689م.

(4) يحاط لرحلة بين لتركمان والشيعة، والأمير علي هو على الأرجح ابن سرحال وشقيق حسين الذي حلف والده في الحكم وقتل 1692م.

التصاري سبب عراية معتقدهم وقد وُجدت تكريماً أكثر لدى الأمير الذي التقينا به في سهل صعب في نهاية الغابة وقد أُحاطتُ برمائه وكأساً محاصرون طيلة المدة التي أراد أن يكلمنا خلالها. وقال له الأب الذي يحسن العربية إننا رجال دين فقراء هرنسيين نبدأ من لبنان في رياره الأماكن المقدسة في فلسطين. هأتى الأمير على مشروعتنا الكبير الذي يعرضنا إلى الكثير من المشعات وسألنا أسئلة عامة عن أمراء أوروبا وحروبها، وبدأ مسروراً من أحوبة الأب وبعد أن منحنا حمايته هي هذه البلاد تركنا بأدب عرّ نظيره⁽¹⁾.

يقول القنصل الفرنسي في تقريره عن هذه الفترة: «يقوم باشا طرابلس باستعدادات كبيرة للحرب ضد اسماعيل الشيخ الحمادي الذي هو سيد البلاد الواقعة بين طرابلس وبيروت»⁽²⁾.

إن السلطان العثماني بمسه يؤكد في أحد أوامره إلى ولايته في بلاد الشام أن الروافض الأشقياء قد استولوا في تلك الفترة على نواحي طرابلس الشام منذ سنوات، واضطربت هذه الطائفة «الفرلهاش» العائدات التي هي حسب الشرع ملك لبنت مال المسلمين⁽³⁾.

من كان يحكم «بلاد الحماديين» في الفترة نفسها التي كان فيها الأمير بشير الشهابي حاكماً على جبل الدروز بين 1698م - 1706م؟

قال القنصل الفرنسي عن عيسى إنه كان يحكم جبل لبنان منذ ثلاثين سنة دعم محاولات باشوات طرابلس لمنعه أو للحد من سلطته، إذ استمر في حكومته منذ 1687م على الأقل، أي منذ أيام المعنيين في نشوف حتى انتقال الحكم إلى الشهابيين. فعاصر فترة وجود الأمير بشير في الحكم وبعد أكثر من عشر سنوات على وفاته.

إلا أن عيسى - وإن كان من كبار شيوخ الحماديين - فإن الشيخ الأول الذي ترحع أمور الحكام وسائر القضايا الهامة الأخرى إليه كان الشيخ إسماعيل حمادة.

(1) رحلة إلى سوريا وجبل لبنان دولاوك ص 63 سبق أن جاء ذكر هذا الرحالة في حصول سابقة وكان قد قابل شيخ بعثري اشيعي وحين منه رسالة إلى أمير بعلبك انحر فوشي حيث مكث في صيافته مدة رياره إلى المدينة ولاوك (1661م - 1745م) عام وعوى ومزج وربما كان في مهمة حكومية في ريارته إلى لبنان 1689م.

(2) الإمارات الشيعية، ص 180-181، مذكور في فصل آخر

(3) الإمارة الدرزية، أبو حسيب ص 150-151



إسماعيل حماده

الشيخ إسماعيل بن حسين

هو الشيخ إسماعيل بن حسين بن سرحان حمادة الذي أصبح كبير الحماديين، «وصاحب السمية» بعد مقتل والده في إحدى معارك مع العثمانيين سنة 1692م. حيث قتل مع ابن أخته حسن ديب وسبعة من الحمادية الآخرين بين قمهز ولاسا. وبدأت شهرته بعد أن داهم العثمانيين بعدد قليل من مقاتليه وثأر لأبيه في معركة عين قبل في الفتوح ملحفاً بهم هزيمة قاسية⁽¹⁾.

يقول عنه القنصل الفرنسي المعاصر له في تقرير رسمي مرهوق لحكومته «إسماعيل الشيخ الرئيس الآخر للحماديين الذي هو سيد البلاد الواقعة بين بيروت وطرابلس والذي جعل مقره في مدينة جبيل»⁽²⁾.

كانت البلاد «شراكة» له ولإخوته إبراهيم وعيسى في أيام أبيه فلما توفي، قسموها بينهم؛ فأخذ الإخوة بلاد البنرون وكانت حصته بلاد جبيل ووادي علمات وفتوح كسروان وجبة المنيطرة، وسمية بيت حمادة تبعه، أي خاصة له تدفع ميرتهم ويدفع صاع السمية⁽³⁾.

ثم نقل مقره من إيليج حيث كان أبوه، بسبب قربها من الدولة وسواحل البحر، وعمر سرايا في قرية لاسا في جبة المنيطرة وسكنها، «هاضت بأسه في كامل المقاطعات وصارت تهانه، كافة حكامها ويعي أمره نافذ إلى حد جلب من خوف الناس منه»⁽⁴⁾. ومن أجل الحماديين ومن بعدهم شهرة الشيخ إسماعيل بن حسين بن سرحان حمادة، الذي تولى بعد أبيه وجده بلاد جبيل ووادي علمات وجبة المنيطرة والفتوح. وجعل مركز إقامته في قرية لاسا، حيث بنى له داراً لا تزال أنقاضها بارزة إلى اليوم. وقد تحول بعضها كنيسة صغيرة للمسيحيين على اسم «سيدة قبل»، أيام السعيد الذكر المطران يوحنا مراد مطران بعلبك⁽⁵⁾. كذلك الجامع الذي بناه في يحشوش حول إلى كنيسة باسم مار سمعان بعد التهجير⁽⁶⁾.

(1) سبق ذكر هذه المعركة وتفاصيلها

(2) التقرير المذكور سابقاً، D.D.C. T1. P180.

(3) مختصر تاريخ لبنان، الفيثوري، ص 59.

(4) المصدر السابق وربما يقصد بتعبير «خوف منه» أن يعود «متد إلى جهات حلب رغم إرادة لوالي وبدون فرمان منه».

(5) تاريخ عبال، ص 159.

(6) صفحات من تاريخ الضيعة، عمرو، ص 72.

الحكام الشيعة في جبل لبنان

●سورحالی الأول 1516م

● **حاصل**

● قامصوه قتل في المديطرة ودفن في كفتين 1590

معهد عبادة

1
2

أحمد بن قاسم

کعبہ

قتل 1636م

ت 1686م

ت 1641م

1634 فتا

أحمد

1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 277: 1039-1043.

1999

12

1

وَعَدُوهُ

فصل 1692م

محكمة الصلابة

مكة المكرمة

Abstract

1745

براهيم

حکومت

— 443 —

1717 قتل

حکام مکار و حبیة

بشری وصافیتا

أبو العصور

● **عبد الملك**

عبد السلام

100

—

حکام جبیل والمیطرة والفتوح

حکام البتروں

● الشيوخ أصحاب السمعة ومراحم الحكم على كل امناطق

واشتدت شوكة بيت حمادة وصار لهم جايز تعود على كافة المقاطعات وأخذوا في الكورة والزاوية مزارع وأوراق بقوا بكليكا إلى يومنا هذا⁽¹⁾. وخلف الشيخ إسماعيل ثلاثة أولاد هم عبد السلام وعبد الملك وأبو النصر ستقاموا في طاعة والدهم واشتدت شوكتهم وتعاضمت دولتهم وصاروا ملحقاً للهادي والعادي، وامتد جايزهم لحد بلاد بعلبك وأخذوا شمسطار بكليكا لهم واستقام الحال معهم سنين، وبعد وفاة أبيهم اقتصوا آثاره وتملكوا مكانه⁽²⁾.

ويقول الحوري بولس روحانا:

اشتهر الشيخ إسماعيل حمادة بالعدل والإنصاف وكان يقيم غالباً في ميموق ووهب لدير السيدة أملاكاً كثيرة فيها ويروى بالتقليد أنه استعاث بها (بالسيدة العذراء) مرة إذ أحرق به أعداؤه وكاد يسقط بين أيديهم، فادرلت عمود غمام حصه عن أنظارهم فصحا من شرهم وأوقف ثها وقتل السهلة المعروفة إلى اليوم بسهولة كرم الشيخ وموقعها بين حدتون وميموق⁽³⁾.

ومن مآثره المشهورة أنه كان إذا أدب أحد الملاحين حبسه في بيت المؤونة، ولا مثل من ذلك أحاب. إن معاش الحكام هو من نعب الملاح لذلك يجب أن نمزج له القساوة بالرفقة⁽⁴⁾.

الشيخ سرحان بن قانصوه

بدأ إسماعيل حياته العملية وهو فتى يافع في حياء حده المشهور سرحان بن قانصوه وقتل والده حسين 1692م بعد سنوات قليلة من وفاة حده 1686م. الذي تمشيخ على بني حمادة بعد وفاة شقيقه علي 20 شوال 1641م⁽⁵⁾. وأمضى أكثر سنوات حكمه في معارك شبيه متواصلة مع العثمانيين وهو الذي لحاً إليه المعيون والشهابيون في حركة أولاد العرب، وكان شيخاً على المنيطرة منذ 1638م فتكون المدة الواقعة بين مشيخة

(1) توفي المؤلف سنة 1821م.

(2) مختصر تاريخ جبل لبنان، الميخطوريني، ص 60

(3) عن مخطوط للحوري بولس روحانا أبي برهم (توفي 1893م)، عن أوراق ليسانبي ص 213 سنة 1957م.

(4) المرجع السابق، أوراق ليسانبي المخطوطة بمصها

(5) تاريخ لدوبيي، ص 524.

سرحان و وفاة إسماعيل تفوق قرناً كاملاً من الزمن استمرّ يحكمان خلاله بلا انقطاع رغم الصراع مع الباشوات الذي لم يتمطع أبداً

والغالب أنه توفي في مستهل المواجعة العامة التي ابتدأت 1685م واستمرت حتى سنة 1700م وتولى بعد سرحان ولده حسين الذي سقط في المواجعات سنة 1692م

الشيخ عيسى بن حسين

في الوقت الذي كان فيه إسماعيل يحكم المنطقة الواقعة بين طرابلس وبيروت، كان يحكم جبل لبنان بما فيه حبة بشري وعكار والكورة شيخ حمادي آخر هو عيسى بن حسين بن أحمد وأحمد هذا هو المتى الذي أرسله سرحان صاحب السمية ليحكم حبة بشري بعد أن طلب منه أعيان البلاد أن يرسل أحد أقاربه ليحكمها على شروط توافقوا عليها.

فحكم أحمد حبة بشري سنة 1654م، ومشي كل عدل ورحمة وساق كل طريفة وأرض الجميع من حكام البلاد وأهلها حتى خلفه في الحكم ابنه الشيخ حسين الذي حافظ على سيرة أبيه في العدل والرحمة، وترك ولدين هما حسين المشطوب وأبو محمد عيسى⁽²⁾

كان أبو محمد عيسى حاكماً عادلاً مشى بكل طريقه تناسب الملاح، وعمر البلاد ووضع سناً وهرالص مثل حدود قرى وأراض وتمشي طرق وسواق وما رآل الأهالي حتى اليوم «1818م»، يسيرون بموجب سنته وهرالصه وهو الذي وضع بنظام السقاية في البلاد الشحيحة المياه بنظام لم يزل مرعياً حتى يومنا هذا⁽³⁾، وتعهد للقصل الفرنسي في طرابلس برعاية المبشرين الفرنسيين ما دام هو وعائلته يحكمون جبل لبنان⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الدويهي، ص 520 - 524

(2) مختصر تاريخ جبل لبنان، العبطوري، ص 131

(3) المصدر نفسه، ص 131 - 132

(4) D.D.C. T3, P. 274.

يتناول بعض رجال الدين المؤرخين تفاصيل حادثة يعولون بها حوت بين عيسى والبطريرك دويهي. في أرشيف بكركي - حارون لبطريرك الدويهي - عدة رسائل إحداها من بشير حسين الشهابي وأخرى من كهيها وألي طرابلس تتناول تمرص لبطريرك الدويهي إلى معاملة عنيفة من عيسى حمادة إثر تمنع البطريرك عن دفع مكر للصربية وقد بائنت المصادر بحديثه في إبراز هذه الحادثة التي يعلو من أي إشارة إليها تاريخ الدويهي نفسه و لو تاريخ لاحقة مثل لشدياق و لشهابي والعبطوري.

وبعد أن هرع صمصى سلطانه على جبل لبنان لمدة ثلاثين سنة استطاع العثمانيون بتدبير من الباب العالي، وتنفيذ من والي طر سس أن يصيبوا له هجاً فقتل عدراً في مطلع شهر آذار سنة 1717م وأرسل رأسه إلى بقسطنطينية⁽¹⁾

يبدو واضحاً مره أخرى أن الحماديين حكموا بلادهم حكماً وراثياً شاملاً كل مناحي الحياة العامة، ولم يلتفتوا كثيراً إلى عقود الاحترام التي كان باشا طرابلس يصدرها كاعتراهم بما هو حاصل فعلاً، وأن عدم صدورها لا يعبر عن الأمر شيئاً كثيراً، لذلك كان من الطبيعي أن يحاول الباشوات استرداد ما أمكن مما يعتبرونه من صلب صلاحياتهم وطبيعة مناصبهم، ولما حاول أحد الباشوات الأقوياء محمد باشا تحدي الحماديين بتعيين ابن أخته حاكماً على عكار لم يتوانوا عن قتله في حلما ومهاجمة طرابلس نفسها واحتلالها ودخول قلعته⁽²⁾

الشيعة في عكار

بدأ الصراع في عكار بين العائلات المتنافسة في مهنتهم العهد العثماني 1528م واحتفى آل شعيب أصحاب عرفا أولاً لينقى الفناهم محصوراً بين آل سيم وأل عساف وبدخل الصراع بينهما على منصب والي طر لمن عاصر أساسياً في هذا الصراع، من أن يحسم نهائياً لمصلحة يوسف سيم بعد مقتل آخر الساهيين وبروز الحق التاريخي المترسب بين السيميين وآل حمادة منذ أيام آل شعيب⁽³⁾ ويعبر بعض الوهم أن حرباً طائفية عليية دارت بين العائلتين⁽⁴⁾ هيأب السيل لعائلة آل حمادة أصحاب جليل وكسروان لد تصودهم إلى عكار وبسط سيطرتهم عليها⁽⁵⁾ بالإضافة إلى اقسال آل سيم. فيما بينهم ومناصرة آل حمادة لمروق على آخر⁽⁶⁾

لم تكن نظرة ولاية طرابلس إلى وجود الحماديين في عكار تحتف عما كانت عليه في سائر المقاطعات التي كانوا يحكمونها عصباً غالب الأحيان فحاولوا في مناسبات عديدة التخلص منهم وتكريم المقاطعة إلى بعض الموظفين أو المتنفذين والقوى الناشئة،

(1) راجع تفاصيل مقتل صمصى في فصل الشيعة في عكار

(2) طرابلس في التاريخ، البابا ص 189

(3) تاريخ عديت، مطاويوس عريية، ص 186

(4) كما ذكر في المرجع السابق، لصحة نفسها

(5) تاريخ عكار، د. حبص، ص 21

(6) تاريخ عديت، ص 186-187

وخصوصاً في فترات هروب آل حمادة إلى حارح عكار مطاردين من عساكر الدولة. ولكنهم كانوا يعودون لبسط سلطتهم من جديد بعد أن يعمدوا حتى خلال فترات نزوحهم إلى تهديد الملتزمين الجدد والتصييق عليهم عن طريق نشر الموضى والإغارة وأعمال الشعب⁽¹⁾.

إن مرسوماً سلطانياً صدر في العاصمة يقصو بإخراج عكار والمناطق السنية الأخرى عن سلطة الحكم الشيعي لأسباب مذهبية وبقاء كما جاء في المرسوم على شكاوى رجال الدين السنية وأعين الطائفة في المناطق المذكورة.

وصلت الأوامر إلى ولاية دمشق وطر بس في حزيران 1690م، برفع يد القرلباش عن التحكم بأمة محمد، وإبعاد عكار والمناطق الأخرى من ظلمهم وسلطتهم

، أنهم إذا استمروا في الاستيلاء على صرائب عكار والراوية والكورة المسلمة، بالإضافة إلى المزارع التي يقطعها الدرور والمسيحيين، فمن المؤكد أن المؤمنين الروعين (السنة) سوف يتعنثون ويتفوقون

لا يعطوهم الضرائب في المناطق الإسلامية، والمزارع المسكوبة بأمة محمد، بالإضافة إلى ما بين أيديهم من صرائب الدرور والمسيحيين داععوا عن المسلمين من العدوان واغتصاب السلطة⁽²⁾.

حاولت السلطة أن تقصى على وجود الحماديين في عكار بالمؤه العسكرية وحملات التاديب؛ فقامت بالإضافة إلى الحملات العامة التي تستهدف وجودهم في سائر المقاطعات بالإغارة على عكار بشكل يكر أن يكون متواصلاً ويمكن أن نحصى أكثر من خمس حملات كبيرة متتالية في فترة لا تتجاوز لأربعين عاماً (1651م-1691م) قامت خلالها بأعمال قتل وأحرق قرى ومدن وقطعت أشجاراً إضافة إلى غيرها من أعمال الإصرار والتكيل والنهب مما أدى إلى إفقار الملاحين وسبب الكماشاً رراعياً و بهياراً سكانياً، هدمت قرى بكامبها، فتراب لبروح وعم الحرات

حاول الحماديون معالجة هذا الواقع بالانصاف مع أعيان الأهالي ومشايخ القرى عن طريق إبرام عقد توفيقي بين مشايخ إحدى وعشرين قرية من أهم قرى عكار والشيخ

(1) الإمارة المرحبية، خالد مرعب، ص 42

(2) ا.م.د سجل 100-74 ص 277 وسجل 100-74 ص 278

أحمد قابصوه حمادة⁽¹⁾ يقضي بأن يقوم الشيخ أحمد بدفع صرائب هذه القرى وإعادة أهلها النازحين ومدهم بالمساعدة المالية لإعادة الحياة الطبيعية، ودورة الإنتاج إلى البلاد عام 1667م.

كانت الأحوال السكانية والاقتصادية في عكار قد بدأت تتدهور قبل ذلك نتيجة للحروب المدمرة التي قامت في وقت سابق بين عكر لذين وآل سيما، ثم تصاعدت بعد حملات التآديب ولقمع التي وجهتها الدولة على لحمايين، فتعطلت الأملاك واصمحل الكثير من البلدات والقرى والمرع ونزح عنها أغلبية أهلها ولم يبق من متحصل مالها إلا القليل⁽²⁾ وكانت الأحوال لسياسية والعوامل الطبيعية تزيد الأوضاع سوءاً وتدهور⁽³⁾ ففي سنة 1663م - 1074هـ تعرضت طر بس إلى ظلم شديد ومحل في الررع وهي الحرير حتى وصل رطل الحرير إلى عشرين قرشاً وقلة الريت إلى سبعة قروش وشبس الحبطة هي اليدر إلى قرش ونصف هشت الناس عن مواظهم من شدة العور⁽⁴⁾.

كما فعل بأهل العمدة والمعروف، في حنة بشري عندما ساءت أحوالها كذلك فعل أعمار عكار ومشايحها واتفقوا مع الشيخ أحمد فأنصوه حمادة على أن يصوم بإعمار القرى المدمرة والمهجورة ويعيد النازحين من أهلها ويدفع عنها صربية الميري إلى الدولة ويهدم للأهالي ما ربحا حونه من مساعدات مادية وعينية، همدهم بالهدور واللات الصلاحه وأسباب التقوية لإعادة إعمار عكار وعودة أهلها المشتتين خارج ديارهم، وقد صادق السلطة الممثلة بولاية طرابلس على هذا الاتفاق لقاء الترام الشيخ أحمد بدفع ما يترتب من صرائب على القرى المدمرة وني تشملها إعادة الإعمار وبيع عن تسع سنوات هي مدة العقد (106380 مئة وسنة الاف وثلاثماية وثمانون عرشاً) أسدياً بواقع 11820 إحدى عشر ألفاً وثمانمئة وعشرين عرشاً هي السنة الواحدة. وكان الشيخ أحمد يحكم في الوقت نفسه بالإصافة إلى عكار صاهيتا وحه بشري⁽⁴⁾ والصبية⁽⁵⁾ وحصن الأكراد وحل الكنيس⁽⁶⁾

(1) في الوقت نفسه كان الشيخ حمد هو حاكم عكار و قسم شمالي من ولاية طر بس

(2) أشكال الملكية وأنواع الأراضي، عبد الله سعيد، ص 100.

(3) وثائق بادرة، ص 51، نقلاً عن تاريخ لأرمية، ص 553

(4) م طر، ل سجل رقم 2، ص 52 في ولاية جبل باشا، 1667م وثائق بادرة، تدمري، ص 85.

(5) العشيرة، مؤيد خليل ص 180، رقم النصية 2 و 22، سنة 1666م - 1685م

(6) تاريخ الدويهي، ص 499.

وقد تم تصديق هذا الاتفاق في محكمة طرابلس الشرعية على يد نوح أهدي القاضي والحاكم الشرعي في ولاية طرابلس وقد حضر مجلس العقد الشرعي اثنا عشر شخصاً من أعيان ومشايخ عكار، وهم ⁽¹⁾

- 1 - الحاج حسن ابن الحاج مرعي شيخ قرية عرقا.
 - 2 - مراد بلك ابن محمد بلوكباشي شيخ قرية بقرولا
 - 3 - الشيخ عيد بن البحين شيخ قرية تل عباس.
 - 4 - الشيخ مصطفى ابن الشيخ مرعي شيخ قرية النيرة
 - 5 - حسين كاخية ابن الدالي محمد شيخ قرية الدانة
 - 6 - المقدم موسى بن خليل شيخ قرية رماح
 - 7 - الشيخ حسين العيتاوي شيخ قرية دير جبين.
 - 8 - الشيخ حسن ابن الحاج محمد بن طاهيا شيخ قرية بفس عكار
 - 9 - الشيخ حسن بن محمد شيخ قرية مشحما
 - 10 - المقدم محمد ابن المقدم أحمد مقدم قرية بركايل.
 - 11 - الشيخ علي بن يوسف شيخ قرية رحنة
 - 12 - الشيخ علي ابن المقدم يونس شيخ قرية حلبة (حلبا)
- ويشمل العقد البلدات والقرى التالية هي عكار

بيدين، الحديدية، السمية، إبرال، حشيت دسو، حربية الحرد، الحويش بفس عكار، حدودا، بربينا، تكريت بيت ملات، عين باقور، عيات، حلبا، حيزوق حبريل، قرية رحبة مع لبة، مررعة قنولا

ويبدو أن ولاية الأمور في طرابلس وأصحاب لقرار هي الدوائر العليا قد توصلوا إلى قناعة بأن استمرار الضغط العثماني لن يؤدي إلى العاية المتوحاة بكسر شوكة الحماديين والخلاص منهم، فاستقر رأي على اللجوء إلى أماليب حديدة ومبتكره وأقل كلمة ومشقة تقضي باستقدام قوى خارجية ودمعها ومساندتها لمواجهة الحماديين

(1) سجل رقم 1، ص 61 1667م - 1078هـ، وثائق مارة من 43 وثيقة رقم E9

لحاً والي طرابلس مصطفى باشا بدعم من كبار موطني الصدر الأعظم إلى واحدة من القبول المتوسطة حديثاً، فلم عكار إلى هريم عا دندش وقامت الدولة هي عهد السلطان محمد خان الرابع⁽¹⁾ بإصدار فرمان تملك الدنادشه بموجبه عدداً من قرى عكار كما منحهم لقب آغا⁽²⁾ دعماً لهم بمصد عدادهم لتصدى للحكم الشيعي في عكار، ومنع الحماديين من السيطرة عليها وإثارة المتاعب في وجه بعض ولاية طرابلس الصغاف⁽³⁾، ولكن سرعان ما بدا بوصوح أن هذه الخطوة هشت في تحقيق النتائج المرجوة، «وعجز الدنادشه عن السيطرة على أوضاع عكار ومواجهة الحمادية، أو الحد من صعودهم في هذه المنطقة لأنهم كانوا أكثر قوة وعدداً وأعرق انتشاراً ونصوداً، وعكار كانت ربما أكبر من قدرة الدنادشه على السيطرة عليها، أو ربما لم يكن عند هذه العشيرة الرغبة أو البنية في مساواة الحماديين بل اضطرب إلى مسيطرة الوالي دون معادانهم»⁽⁴⁾.

بعد هذه التحارب الشاقه في الحروب والمواجهات بدا لأصحاب القرار وولاية الأمور أن النخلص من الشيعة هي عكار بالوسائل العسكرية المباشرة هو أمر عسير وفادح الثمن، فإن تمرس الحمادية بالحروب والقتال وتاريخهم في أعمال الكر والفر ونورانيهم المستمره ضد السلطة العثمانية مع وهرة عددهم ومماتليهم وسعة مناطق انتشارهم وقدرتهم على الصمود وبحسن عياء القتال والمعارك الشرسة والماسية مما جعلهم مصرب المثل وحديث لباس في ذلك الوقت، فتحدث الناس عن مفدرتهم وقوتهم وانصاراتهم مما مكبهم من احتكار السلطة في عكار واحبار كل ملتزم مهما علا شأنه على الهروب سريعاً⁽⁵⁾، بن سمعة الحمادية «والدعاية الواسعة التي كانت منشورة عنهم وعن مفدرتهم وقوتهم جعلت لجميع يحافوهم ويهانون مقارعتهم»⁽⁶⁾.

(1) الدنادشه عشيرة قديم من حورن في بقر السابع عشر إلى برج الدنادشه فوق تل كلخ قاتلو الشيعة في حصن الأكراد وأرموا قليم شمر وشهرو بالمروسيه واقتناء انجيل أطلق عليهم مدد انقديم لقب اغواب مما شكك في سبهم العربي. (الرحلة الشامية، محمد علي باشا، ص 6)

(2) هو السلطان العثماني اتامع عشر 1648 م 1687 م

(3) آغا لمب تركي من القاب التعظيم قد يعني سيد رئيس حال الأخ الأكبر رئيس الحدم ورئيس الانكشارية

(4) تاريخ عكار فاروق جيلص، ص 26.

(5) الإمارة المرعية، ص 46

(6) الإمارة المرعية، خالد مرعب، ص 91

(7) المصدر نفسه، ص 92

لم يبقَ أمام السلطة العثمانية إلا البحث عن وسائل مستحدثة وغير عادية للحصول من نمود الحماديين في عكار وتصرفهم بحكمهم منذ لتقديم فحطط حسن باشا والي طرابلس للقضاء على الشيخ عيسى الذي كدت منظمة عكار كغيرها من مناطق جبل لبنان داخلية هي حكمه منذ ثلاثين سنة.

وبما أن المواجهات السابقة مع هذا الشيخ العجور قد أثبتت عقمها مراراً، لم يعد أمام الوالي إلا اللجوء إلى كمين عادر ربما يحقق له مراده إذا حطط له بسرية ومكر وبراعة وقد وجد الوالي فرصته عندما جاءه جماعة من الأكراد الرشوانية - وعلى رأسهم شديد الناصر - من منازلهم بين مدينتي مرعش وبسما مصحوبين بتوصية من والي حلب موجهة إلى كل من والي طرابلس ووالي صيدا تطلب إعطائه الترام عكار وذلك سنة 1714م فأعراه حسن باشا وسفراء به واستخدمه لتحقيق مأربه المنعد سائماً «فكاتب شديد الشيخ عيسى ملاطفاً ومحاسناً وطلب لقاءه سرا للاتفاق على الباشا وأن تكون عكار لهما معاً، فأرسل عيسى إليه لأنه لم يكن بينهما غل سابق ولا عداوة، ولا زال شديد الناصر يكاتبه أو يرثده بالابمان إلى أن دخلها مع الباشا وعينوا عسكرياً سرناً»⁽¹⁾

«كان في قلب الباشا من عيسى فحلم إلى شديد أنه ان مكبه منه يعطيه ما أراد»⁽²⁾

صرب الشيخ عيسى موعداً لشده في دير حيطورة⁽³⁾ في الكورة حيث وفد الشيع مع عدد قليل من رجاله فأرسل الباشا حملة من جنوده اللاوند من نحو 150 مقاتلاً ومعهم شديد حرقوا في الليل ومصوا في دروب مسلوكة واحتاروا عكار والصنيه ثم وصلوا إلى الدير في الليل وقتلوا عيسى وأتت عشر رجالاً من جماعته بينهم ابنه حيدر وعنده بلال ومراسله سمياً الماروني وهم غالباً بياض لأن ذلك حصل ولم يشعر به أحد من أهل البلاد⁽⁴⁾.

(1) لتاريخ اللباني الاب أموسطين ريدو ص 19 و لأب ريدو. راجع منير بلحل، سبل بين الرهبانيات النيبانية والحبشية وسفر إلى روما سنة 1757م وهو يرى أن هناك سبباً إلهية لقتل عيسى لصافة إلى الأسباب البعثية

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها

(3) يقوم هذا لدير على لصفة الشرفية من نهر سي عي (و ديشا) في صمخ الراوية مقابل بلدة كوسيا هي الكورة

(4) يرى صاحب بحث «الامارات الشيعية في سوريا العثمانية» الصادر عن جامعة شيكاغو أن عيسى الذي أصر على تفيد فر البابا بشأن قصصه البطريرك عواد، ربما سقط شهيداً بشرعية الكاثوليكية وقرارات البابا نتيجة مكيدة قام بها عيان الموريه لدى والي طرابلس

جهز الباشا عسكرياً من خمسة آلاف رجل لمهاجمة الحماديين وطرح الشيخ إسماعيل الصوت وجمع عسكرياً ليأتي إلى الحنة ويأخذ نساء عيسى خوفاً عليهن من الدولة. فاجتمع أعيان طرابلس وتواستطوا بين الباشا وإسماعيل وقاموا بزيارات للطرفين بعد أن توقرت الأجواء بينهما⁽¹⁾.

جاء في تقرير القنصل المرسى في صيدا بولارد إلى حكومته حول هذه الحادثة «وفي مطلع هذا الشهر داهم والي طرابلس بدهائه وحيلته، الشيخ عيسى من آل حمادة، في قرية حنطورة التي تبعد عن تلك المدينة حوالي أربعة أميال. وهذا الشيخ الحمادي، من شيعة الإمام علي يمرض سلطانه على جبل لبنان منذ ثلاثين سنة. ولم يستطع الناشوات بما لديهم من حول وقوة ان يتخلصوا منه وقد داهمه رجال الوالي ليلاً، وقطعوا رأسه الذي عرض في طرابلس ثم أرسل إلى القسطنطينية. وهكذا كان أيضاً مصير أشقائه وعشرة من أتباعه الذين ألقوا القبض عليهم معه.

وقد أدى هذا الحادث إلى اضطرابات من المتوقع أن تنتهي قريباً، لأن والي طرابلس يقوم باستعدادات عسكرية كبيرة لأجبار الشيخ إسماعيل أحد المشايخ الرئيسيين لآل حمادة، وهو سيد البلاد الممتدة من طرابلس إلى بيروت ويقع في مدينة جبيل، على وضع اتفاق سلام بضمين أمير جبل الدرور التابع لولاية صيدا، وقد لحا إليه الشيخ إسماعيل لأن هؤلاء المتمردين على السلطة العثمانية متمقون جميعاً على مساعدته بعضهم البعض لضمان وجودهم واستمرارية مصالحهم».

والحرب التي يموه بها والي طرابلس ضد آل حمادة تجعل التحارب الرئيسيين في ضيق منها لأنها تعيق الأشخاص الذين يحملون رسائل تجارية في تنقلهم من مكان لآخر ومن المتوقع أن تنتهي هذه الحرب في غضون أيام قليلة، وقد أدب إلى مقتل اثني عشر رجلاً قطعت رؤوسهم، كما تسببت بمعركة طاحنة لم يشهد أحد مثلها في السابق».

وتجدر الإشارة إلى أن عثمان باشا كان قد حاول منذ سبع سنوات الصمود إلى كسروان فمقد بين 400 و 500 رجل وخسر 200 كيمي من قيمة الالتزام الذي جباه من هذه المنطقة⁽²⁾.

(1) المصدر المذكور، الاب ريد، ص 20

(2) D D C T1, P179-181 وهذه ترجمة تقرير في تاريخ لبنان الحديث، عادل ومير إسماعيل،

ج¹ ص 82 في 21 أ د ر 1717

إن تقرير المنصل المرسي لا يشير إلى وجود شديد الناصر. كما يتردد في بعض الروايات المحلية - أو الأمير موسى كردي أو بيت رعد في عداد حملة ناشأ طرابلس، «بينما تروي وثيقة، نسب آل المرعي أن الشيخ شديد دخل إلى الدير حيث كان الشيخ عيسى بالحيلة والحداع واقع الحرس بأنه مكاري مع قافلته يؤد السلام على الشيخ الرصيم ثم أطلق النار من غدارته عليه ونسحب. ويقول المراعية إتهم يحتفظون ببعض الذكريات الشعبية عن عمليات القصد على من تبقى من الحمادية في عكار. والمحازر الدموية التي قصت على وجودهم فيه ورسمت حدودها الشمالية الشرقية»⁽¹⁾. بينما تحصر المراجع الأخرى دور شديد في الاشتراك بتدبير الكمين ومراقبة حملة ناشأ الليلة إلى دير حنطورة أم لتقرير دبلوماسي المرسي، فلم يأب في روايته عن الواقعة على أي ذكر له أو لغيره من العائلات المحلية، وإنما يسببه إلى دهاء وائي طرابلس وحنكته وإلى رحاله الدين فطمو رأس عيسى لبتهم عرصه في اسطمدول باعتباره عدو الدولة والسلطان⁽²⁾.

إن ما لم يلاحظه المنصل المرسي في تقريره وربما غاب عن ذهنه كما غاب عن ذهن المؤرخين الدين ذكروا مقتل عيسى أن القرائن والدلائل تشير أن بشوة أن الشرك الذي نصب للشيخ الشيعي كان من فراج ورسم الباب العالي في عاصمة السلطنة وليس من نبات أفكار وإلى طرابلس الذي كان يتعرق إلى مثل هذه المصلحة التي انتظرها طويلاً.

بعد فشل الدباشة في تحقيق المهمة التي أوكلتها السلطنة إليهم رعم دعم الباب العالي وهران السلطان محمد حن الرابع⁽³⁾ قدم من حلب سنة 1127 هـ 1715م صابط كردي هو شديد الناصر ومعه تقرير رسمي من سلطنة العثمانيه موجه إلى وإلى حلب سابقاً وإلى صيدا حالياً هذه ترجمته⁽⁴⁾.

محافظة حلب سابقاً وصيدا وبيروت حالياً، حصرة صاحب الدولة الوزير المكرم

(1) الإمارة المرعية، خالد مرعب، ج 1، ص 94

(2) وهذا ما يؤكد أن دور شديد الناصر في مقتل عيسى لم تعدد القيام باستدراج الشيخ إلى الدير وتسهيير وصول العسكر العثماني إليه.

(3) راجع صورة عن هذا الفرمان لصائد سنة 1685م في تاريخ عكار، فادوق حبص، ملحق رقم 13 ص 403

(4) المصدر لسابق ص 392 الاصل في سجلات معكمه طر بس الشرعية مجل رقم 5، ص 104 وثيقة رقم E 10.



وثيقة E 10 رسالة من الباب العالي حمله
شديد الناصر إلى والي صيدا

إبراهيم باشا، بعد أنى من حلب وذهب إلى صيدا شبح شديد الناصري الذي برل في
محلة اسمها صاحب الطاحونة الواقعة في ناحية حصن الأكراد من نواحي طرابلس
الشام وأصبح صابطاً للناحية المذكورة بعد مكثه فيها يومين.

ليكن معلوماً لديك أيها الوزير بأنه قد تم تلريم شبح شديد مقاطعات عكار
وحصن الأكراد من مقاطعات طرابلس الشام وذلك بالتلريم، هيحب إشاعة الخبر
واعطائه إلى الأهالي والرعايا بعدم تعطيل التلريم وعدم إشاعة الموضي وقد
يعرض عليك أيها الوزير قريباً منصب طرابلس وهي هذه السنة سوف تتكرم عليك
الدولة العلية بمنصب طرابلس الشام وأعلم أيها الوزير أن شديداً أصبح ملتزماً
للمقاطعات المذكورة في عكار، وليبقى شبح شديد في عكار بين إخوته وأقربائه
وسوف توجه لك قريباً منصب طرابلس وتليرم شديد مقاطعات عكار وليصبط
الأمور فيها وليصار إلى عدم التشويش وعلى هذا لتوالى حرر هذا التقرير 1127هـ.
إن الوقائع الواردة في هذا التقرير تمرر لاستنتاج الذي يرحح أن حطه القصاء على
الحاكم الشيعي قد رسمت في عاصمة سلطنة وكلف صابط مقاطعة صافيتا الذي

أصبح صابط ناحية حصص الأكراد المتاحمة لعمكار يحمل هذا القرار إلى والي حلب سابقاً ووالي صيدا حالياً وبلاعه مضمون هذه المهمة والاتفاق معه على اعتماد أيسر السبل لتنفيذها.

إن شديد الناصر «صابط مقاطعة صافيت» مكثت بمهمة رسمية وأنه حائز على ثقة ورصد جهات باهدة حتى يتمكن من الحصول على هذا التكليف الذي هو عادة من صلاحية والي طرابلس وبإدراك ما تقوم به أو بعثه عاصمة السلطنة أو ولاية حلب.

إن هذا التقرير المختص أصلاً بشديد عاصر يؤكد على لتلويح لوالي صيدا بأن الدولة ستمنحه منصب والي طرابلس في السنة المقبلة إذا استطاع أن يؤمن لحمل الرسالة الترام عكر ويبدو واضحاً أن حصوله على ولاية طرابلس منوط بأمر لا بد من القيام به ولشديد دور ما هي تنفيذه.

إن الصابط والوالي مكلمان بمهمة رسمية ذات أهمية خاصة فإدراكاً لحمايتها تنفيذهما نكاهاً الأول بمنحه الترام مقاطعة عكار، وتكون حائزة الثاني هي تولية ولاية طرابلس لشام قريباً.

إن ما يؤكد أيضاً صدور الأوامر وزعم الحطط كان في عاصمة السلطنة بمسها ن رؤوس عيسى ورهافة قد أرسلت لتعرض في القسطنطينية دلاله على تنفيذ أوامرها وهو التقليد العثماني المعروف الذي كان سبباً وشائعاً في أعراف إدارة اسطنبول وتقليدها

بقي الحماديون بعد مقتل الشيخ عيسى يعتبرون أن حكم بلاد عكار حق إرثي لهم انتزعه منهم العثمانيون سطوة وقتراً ومع كل محاولاتهم التدميرية والدموية، لم يتمكنوا من إرجاع الشيعة إليها² ولكنهم ستمرو في محاولاتهم للعودة إلى حكم عكار مما كان يستدعي أحياناً إرسال الحملات العسكرية لثنيهم عن مطالبهم كما حصل سنة 1725م عندما تولى هاصل بن حطار الحارث ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قرحيا التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشايخ الحماديه وأباعهم وأرادوا إهانته لأنه تولى الناحية المذكورة وهم يدعون أن لهم حق الولاية عليها فعادوه عليهم لرهبان فتملص منهم، وشكا آل الحارث الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل

(1) تقرير القنصل لمرسي، D.D.C., T1, P180، وأيضاً التاريخ الليباني، الأب رند، ص 20.

(2) عتدقيت وقراها الخمس مطبوعون عربية، ص 184

عسكراً فقتل بهم ونهب عسكره بلاد حبيش والبترون⁽¹⁾، فبعد تولوا عكار عند اندثار آل سيما المشاهير⁽²⁾ كانوا متربصين يوم لكل من يتحرراً على الإقدام على التزام عكار خاصتهم⁽³⁾

ترك الشيخ عيسى ولدين هما حمص وموسى استمر في حكم حنة بشري بالاشتراك مع أولاد شقيقه حسين المشطوب وهم أبو ناصيف وأبو حسين وأبو قاسم، وقد قسموا بلاد الحنة مناصفة بينهم على الوجه لاسي

حمص، بشري وقنوبين وقيطوا وبرعون

أسعد بن موسى حصرون، بلورا، كفر صعب وتولا وكرمسة وراسكيا
أبو ناصيف إهدر

أبو حسين صالح عيطورين ومردعة لتفاح وششي وقنات وسرحليون وحماطورا
وكفر صارون وبیت رعيت

أبو قاسم؛ دير قرحيا وحدثيت ونفاع كمر⁽⁴⁾

«حكم المذكورون البلاد بكر هدوء وراحة ومثوا على موجب الشروط القديمة واستقاموا مدة سنين واستعموا رزق مكثيك في البلاد المروية إلى الآن، واستقاموا حكماً بكل عدل وحلم»⁽⁵⁾ قبل أن تعصف رياح الهوى والمصالح من الدارح وتشير الممرات الطائفية وتشتر الحروب والشجاء في كل مكان

كان من الطبيعي أن يؤدي مصطل عيسى عدر في دير حنطورة - بترتب من ناسا طرابلس - التي لتسبب معركة طاحنة لم يشهد أحد مثلها في السابق كما يقول القنصل الفرنسي في تقريره متوقعاً قيام معارك أخرى مكيفة للعثمانيين، كما كانت حملة عثمان باشا في وقت سابق على كسروان ومحاولته الدخول إليها فحصر بين أربعمئة إلى خمسماية من رجاله بالإصافة إلى مبالغ بقية كبيرة لا تقل عن مائة ألف عرش.

(1) الجامع المفصل لطرابلس - من نقلاً عن سحر برهسانه ناروبيه، ص 266 وقد حدث مثل ذلك في كسروان إذ كانوا أيضاً يعتبرون أن لهم مثل هذا الحق في كسروان أيضاً البطارقة الموارنة، انظر ص 18، الأباتي فهد، ص 138.

(2) مصطفى أغا بربز، الاب أعماطيرس الحوري، ص 118

(3) الامارة المرحمية، خالد مرعبي، ص 91

(4) تاريخ بشري الأب فرسيس رحمه (نقلاً عن وبيقة موحودة في «صرح البطريركي»، ص 350

(5) مختصر تاريخ لبنان العيطورسي ص 132

الفصل السابع

الثورة الشيعية العامة 1685م _ 1700م من خلال الوثائق العثمانية

ينمير العقد الأخير من القرن السابع عشر بأفكار كبري شامل من السلطة العثمانية والإمارة الشيعية لم يسلم من آثاره باقي المناطق الشيعية في العراق وحبل عامل.

إن توهج المستندات حول هذا الحدث في الأرشيف العثماني تظهر لهذا الصراع حواف سياسة امبراطورية عليا.

لم تحط هذه الحركة حتى الآن باهتمام لتاريخ اللبناني ولم يتمكن لها أن تشعل حيراً ولو موقظاً من صمغاته. إن مقارنة سادحة بين حجم أحداثها ومدلولاتها وغيرها من محطات التاريخ اللبناني الكلاسيكي، التي احتلت بصوره مصطنعة أرباب المراتب فيه، تثير الحيرة والتساؤل والشك لدى غالب المتتبعين الموضوعيين إن معركة عنجر، وهي ليست أكثر من مناورة بلوكناشيه قام بها بعض أعيان ديوان الولاية في دمشق بجهازها الإداري والانكشاري أثارت ولا تزال هيضاً من مشاعر المحار وعواطف التقريط ومظاهر الاهتمام. هي الوقت الذي يصح سذكر عابر يلامس عشرات المعارك الكبرى التي شاركت فيها حياقل الامبراطورية الواسعة في ثورة لبنانية شاملة ألهمت معظم مناطقها هي جبل لبنان وحبل عامل و سقاع بن وحتى حبل الدور ثم يتأى عن المشاركة فيها تأييداً ومناصرة وقواعد أمان لتثريين فدفع حاكمه أحمد بن معن وكبار رجالاته ماصهم ثمناً لمواقفهم الداعمة حتى صطروا إلى الهرب والاحتباء.

لذلك كان لا بدّ من متابعه أحداث هذه الحركة التي يرى باحثون عربيون أنها أهمّ الانتماءات السورية على الحكم العثماني والأكثر تأثيراً في تاريخ الشيعة العثمانية وأبرز التحديات اللبنانية هي وجه «مسطحة المهيممة»⁽¹⁾، من خلال الوثائق والمصادر العثمانية وحدها لأن ما رواه اسويهي حولها وأحد عنه كل من خاء بعده حافل بالمشاعر الشخصية و لعواطف الخاصة و لهوى سياسي وهذه كلها أفرغته من محتواه التاريخي وقيمتها وفائدته

السياسة والمذهب

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تسبّر الدولة قواتها وعساكرها إلى جبل لبنان، مستهدفة الوجود الشيعي فيه، ولكن طول مدة التي لم ينقطع خلالها تواصل هذه الحملات (خمسة عشر عاماً) واتساع نطاق الاستعمار الإداري والعسكري الذي شاركت فيها جهات الدولة من الاتصال حتى مصر، وتجاوز السياسات والمراسلات والمراسيم الصادرة عنها اللغة الرسمية المتعارف عليها في ظروف مشابهة، وتداول تعابير شرعية ودسيسة ومذهبية مستحدثة لأمس فيها لصرع لمبادئ الأساسية التي قامت عليها الدولة باعتبارها حاميه الإيمان السليم هي وجه انهز طمعة والمروق من الدين كانت من أهمّ مبررات هذا الصراع الطويل في الفترة الأخيرة من القرن السابع عشر.

فما هي الأسباب الحقيقية الكامنة وراء هذا الإصرار والاستعمار الغير مسبوقين من قبل الدولة والتصميم على حسم عسكري حدي لم يظهر بمثل هذه الحدة في مراحل أخرى قبل ذلك

دأبت المرجع المحلي على التأكيد أن لحكم الحمادي الحائر والمستبد هو المسؤول الأول عن قيام الدولة بإرسال قواتها لتدبيرهم ورفع الظلم والصيم عن الرعايا. وهذا ما يراه المصادر العثمانية أيضاً التي تعتبر أن سبب هذه الحملات التأديبية على أولاد سرحان وسائر الحماديين هي ذمهم وشرورهم قبل أي أمر آخر⁽²⁾ في الوقت الذي تكاد الوثائق العثمانية الكثيرة التي تحصى بهذه المواجهات سواء الأحكام السلطانية أو دهر الشكايات أو وثائق المحاكم لشرعية تركر على القزلباش الأرهاص الملعونين الذين سلعوا صرافات ولاية طرابلس وأساقوا إلى الرعايا المؤمنين الوريثين، فما هو دور التباين مذهبي في إبحار هذا الصراع؟

(1) لإشارات الشيعية وشر من 134

(2) حطّط الشام، محمد كرد علي، الجزء الثاني، ص 271

يقول عبد الرحيم أبو حسين الذي أخذ نظرية الدويهي على مظهرها حول أصول آل حمادة الحمزية⁽¹⁾

إن آل حمادة كمشيرة بعود ولاؤهم إلى الصمويين في إيران، وهم الأعداء التقليديين للسنة العثمانيين وهم ينظرهم أيضاً عصاة متمردون وقرلباش ويبدو أن آل حمادة استغلوا فرصة التورط العثماني الكارثي على لحيمة الهنغارية بعد فشل حصار فيينا سنة 1683م فقاموا بعصيانهم ضد الحكومة العثمانية في ولاية طرابلس⁽²⁾

ليس هناك دليل واحد يركن إليه على قيام علاقة ذات طابع سياسي بين الصمويين وشيعة لبنان بشكل عام، وليس هناك ما يثير "الشكوك"، بأن هجرة أعداد من علماء جبل عامل إلى المراكز الدينية في إيران وإلى حمى الصمويين تحمل حصيات تتجاوز العلاقة المذهبية والثقافية، بالإضافة إلى أن لعلاقات بين الدولتين العثمانية والصموية التي ميرها تاريخ طويل من الصراع والحروب، ثم تكن يوماً بأفضل حال من الفتنة التي قامت فيها ثورة الشيعة السياسيين، بعد أن سم بين الدولتين تبادل التمثيل الدبلوماسي والهدايا والوفود وغير ذلك من مظاهر التعاون، فقبح الحملة العثمانية الأولى بأيام ضد آل حمادة استقبل السلطان العثماني السعوث الإيراني الحاكم كلب علي خان «Kelb Ali Khan» محملاً بالهدايا التبادلية⁽³⁾

وربما كان إطلاق العثمانيين على الشيعة و آل حمادة بوجه خاص اسم القرلباش، بهجماً وتحقيراً، هو ما أوهم الكثيرين بأصولهم المارسية ودفع بالمؤرخ أبي حسين إلى الشك بوحود علاقات سياسية بين الصمويين وآل حمادة كما بوهم كمال الصليبي وجودها أيضاً مع الحرافضة قبل ذلك⁽⁴⁾

أما الباحث ستيف ووتر فيحالف أبا حسين فيما ذهب إليه، ويرى أن هناك أسباباً عديدة لتبرير التوقيت الذي حصلت فيه هذه بو جهات

«إن تحدي آل حمادة للعثمانيين عمل على صعود متوالية فعلى المستوى الشخصي تميزت سنة 1685م باختماء الأمير العظيم سرحان الذي كان أسلافه أقل منه مقبرة في توجيه الإمارة خلال مخاطر السياسة الإقطاعية وتسوء حظهم استثمار الموارد كرم

(1) سبق مناقشة أصول آل حمادة العرقية والعشائرية في فصل آخر

(2) أبو حسين Unknown Career p244 بصها ووتر، ص 166

(3) المصدر لسابق ص 167، نقلاً عن تاريخ سلطنة البحر الثاني، ص 620 وتاريخ راشد، الجزء الثاني، ص 182

(4) بهت وممازل كثيرة كمال الصليبي، ص 165

فرنسا المادي والدبلوماسي لتوطين الموربة والرهبايات في المرتفعات التي يسيطر عليها الشيعة. كما أصبحت هوية آل حمادة موضوعاً رئيسياً على نحو غير مسبوق في الأحكام السلطانية فأصبحوا بوصفهم ويشكل ثابت أنهم أرفاص وقزلباش ولصوص كما أن الأوامر التي صدرت في أواخر سنة 1694م تضمنهم بالمعويين الروافض، وأن القضاء عليهم هو واجب الزامي وأن صحاياتهم هم الرعية أي رعايا السلطان من المسلمين المطيعين بالرغم من أن الأغلبية كانت في الواقع من المسيحيين المؤارنة

يحاول مؤلف تاريخ برلين المجهول أن يقلل من أثر عصيان آل حمادة حين يذكر بأن الروافض يعتبرون من واجبتهم محاربة المسلمين وأكثر من ذلك فإن حكماً سلطانياً صادراً في أيار وحريرا 1694م يصيد بأن علي باشا عين لإزالةتهم وطردهم بحسب أمري السلطوي المنبثق في السنة الماضية عن هوى جليله وإذا كانت الفتوى لم تقتصر بشكل واضح على آل حمادة أنفسهم فإن شيخ الإسلام الشهير أبو السعود أجاز قتل أي شخص من القزلباش منذ أكثر من قرن ونصف^(٦)

لا شك أن العامل المذهبي لعب دوراً مهماً وثابتاً في العلاقات المؤثرة عاكساً من السلطة المركزية وأحكام الشيعة في جبل لبنان وعصره من المناطق اللبانية الأخرى التي يسيطر عليها الشيعة إلا أنه قطعاً لم يكن العامل الوحيد، وربما ليس السبب الرئيسي لهذا التاريخ الطويل من العداء والمجاهرات. فهناك عوامل أخرى قد يكون لها الاعتبار الأول في نظر السلطة وطبيعة ممارسة وطبقتها بتعلق بالسعود الواقعي والتوسع الذي فرض نفسه على واقع هذه السلطة دون أن تكون المرميات الرسمية وحدها هي التي تمنحه القدرة والشرعية على تقديم مهامه في ظل حيز واسع من الاستقلال الذاتي، ونوع من فرض الأمر الواقع على الباشا العثماني الذي كثيراً ما وجد نفسه محرداً من القدرة المطلقة على لتحكمه بأمور ولايته وهو أمر أشرب إليه مراراً لأنه شكل دائماً أساس العلاقة بين السطنتين المركزية والواقعية وهو العامل الذي أهدم القيمتين على تضريبة التي يعصون على حبايتها أهمية أساسية كما يبدو من خلال المراسيم العديدة التي تشير إلى هذه الحسارة بمرارة تكاد تقارب حد التحسر.

«إن الرعايا المضراء لا يستطيعون دفع صريبة الميري، بينما ضالبيتهم هجروا»

(٦) الإمارات لشيعة وسر، ص 165 ستر. 95 Anonim Osmanh Tarihi والأحكام السلطانية في دفتر المهمة 105 10 - 32 105 8 - 105 6 17

وإن تاريخ برلين المجهول مؤلف هو معطوط لا يعرف كاتبه إنما يبدو أكيداً اشتراكه في حملة علي باشا الهنمارية وأنه كان وثيق الصلة به والمخطوط موجود في (برلين)

staatsbibliothek preubisher kulturbe- وهي معني الأحداث الواقعة بين سنة 1039 و1116هـ

1629 1704 م

منازلهم وتركوا أرضهم، ومصير الباقيين يزداد سوءاً لأنهم ينشقرون إلى الوسائل اللازمة والمقدرة على دفعها.

إن اللصوص لا يدفعون الميري. ويتسببون بظلم الرعية وافقارها. فوجودهم في هذه المناطق هو سبب نشوب الموصى واستمرارها وافقار الأرض. فمن الضروري القضاء على ظلمهم للرعية، وعدم دفعهم صريبة الميري، وانتهاء وجودهم في هذه المناطق⁽¹⁾.

The impoverished reaya are unable to pay the miri tax and most have left their homes and quit the land. The fate of those who stay is worsening, for they do not have the resources and ability to pay the miri. In the measure that aforesaid brigands refuse to pay the miri and oppress and tyrannize the impoverished reaya, their presence in these regions is the cause for the start and perdurance of upheaval and the reason for the [ruin] of the land. It is necessary to repulse their Tyranny and oppression of the impoverished reaya as well as their excuses and sluggishness concerning the miri tax, and eliminate their presence from these regions

إن المبادئ الراديكالية التي فرضها القانون الإسلامي العثماني للتعامل مع العصاة من البروافص وسائر الهرطقة لم يكن هو وحده المبادئ في براعمانية الإدارة الامبراطورية. ولم تكن فتوى الشيخ أبو السعود هي التي تحدد خطوات الإدارة وتعاملاتها إلا حينما تصي مصلحتها بذلك. في سنة 1690م وفي حصص المنازعات الدائرة اكتمت السلطة بإحراج المناطق المأهولة بالسنة من حكم آل حمادة مثل الصنية وعكار، وأصدرت المراسيم التي تعترف بهم حكماً على المناطق لأخرى وعندما كانت أوامرها تؤكد على قتل الأرهاص وقلعهم وإزالة حتى أبدانهم من على وجه الأرض كانت ترسل أحكامها إلى آل شهاب وآل معين طالبة مساهمة مجتمعاتهم الدرزية في قتال الكمار

إن الالتجاء إلى الداهع الديني وإثارة الحماس المذهبي وحشد المؤمنين لقتال الكمار وتأديبهم والاستناد إلى المتأوى ذات لحدور لإلهية. وكل الأساليب المشابهة أثبتت دائماً جدواها في كل الحروب. ولم تكن الدولة العثمانية أول من رجعها ستاراً يحمي الأهداف الحقيقية في سعيها للتخلص من الأرهاص المذققين، ففي الوقت الذي كانت عاية هذه الحملات المعلنة تحسين أوضاع المؤمنين ورفع الظلم عنهم⁽²⁾ كان قادة

(1) أ.م.د. السجل 709 - 180.708 102 663 622 155 104

(2) أ.م.د. السجل 105 7 18 105 8 24

الحرب أرسلان باشا وطررس باشا يستلمون بعليهمات محددة لمصادرة ممتلكات المهرومين وإن كان لازماً بالتعديب والإيلام.

«صادروا الأمتعة المنصولة وغير المنصولة التي تحدونها المال النقدي، الأمتعة، الحيوانات والماشية، وكل أملاكهم ومخزنتهم مهما كانت».

«استعلموا واكتشفوا الأموال المدفونة في أماكن سكنهم أو محيمااتهم وفي أماكن أخرى يمكن أن تشكوا بأمرها وبأية وسيلة ممكنة كاستحواب المحتجرين أو من يعرف شيئاً من الناس احصروا الأماكن المشكوك فيها وسموا نطاق التفتيش وابدلوا الجهد حتى تجدوا الأموال، صادروها من جل الضريبة وارفعوا السجلات والتقارير إلى العرش».

Seize all the mobile and stationary goods that are to be found, their cash effects, beasts, livestock and all of their property and stores, whatever there is, for the tax registry, the accountancy, and the fisc. In addition to this investigate and discover the money buried and hidden in the places where they live or camp and in [other] sites you might think of and suspect, by whatever means necessary, [interrogating] the captured men and those people who know. Dig up the suspected places. Widen the search and efforts and have it found. Seize it for the fisc, and report to and appraise my august throne with a register

ويبدو من هذه المراسيم أن الحصول على الضريبة هو الهاجس الرئيسي لحكام أسطنبول وإذا كانت الأوامر نصفي غالباً بقتل المقبوض عليهم من الثوار فهي لم تأت أبداً على ذكر استنابتهم وعودتهم إلى الاعتقاد القويم وهو ما قرره بعض الاحتجاجات الشرعية بالمطلوب من قربلاش قبل أي شيء آخر هو الحصول للوالي ودفع الضريبة للحرية قبل تمييز المعتقد ولرجوع عن الكفر إن القتل وخصوصاً على الخاروق هي عقوبة الرخص الشرعية وقد أرسلتها الدولة بالعديد ممن وقعوا بين أيديها، إلا أن من بترك بلائه قد ينحو من هذه العقوبة ولو بقي على مذهبه النهرطوقي وقد صدر مرسومان في أواخر سنة 1691م إحداهما يتعلق بأل حمادة والآخر بفصاة من النصيريين في منطقة اللادقية تنصان فقط على نفي من لا يستحق الإعدام على أن تكتب أسماؤهم في السجلات الحسابية⁽²⁾.

(1) م.د. سجل 105 16 40 و سجل 105 18 45

(2) أ.م.د. سجل 100 137 521 سجل 100 140 532



وثيقة E11 مرسوم ملكي صادر في أدرنة 19 يونيو 1685م حول تحصين سرخان والأوامر بالقضاء عليه

بهذا المدير تطمئن الدولة إلى حصوع المتمردين لسلطاتها بعد إبعادهم عن مناطقهم العاصية وتأمين الحياية منهم بعد تسجيل أسمائهم في السجلات الصرائبية

بدايات الثورة في الوثائق والمصادر العثمانية

كان العصيان الشيعي ضد السلطة سنة 1685م حلقه في سلسلة طويلة بدأت قبل ذلك بوقت طويل. إن مرسوماً ملكياً مرسلأ من أدرة Edirne في 19 أيلول يبيد أن سرحان العاصي على الدولة لم يقدم لها من أموال الحياية من صربية جبيل والبترون غير خمسة أكياس وهرب إلى الأراضي التابعة لولاية دمشق ليحصل على مساعدة أحمد بن معن الذي يرفض حماية الأمير الشيعي والذي يجب عليه أن يلزمه بدفع المتأخرات⁽¹⁾.

كما قتل سرحان رئيس الحياية في الكورة ووضع مكانه كردياً معز عن تنفيذ عقد الترامه⁽²⁾.

كما صدر هرمان من الحاكم يدكر نشيخ أحمد بالدين الكبير المهرب على مقاطعة الصبية الواقعة تحت إشراف الإمارة لحماية⁽³⁾.

اشتد تمرد الشيعة في الأسابيع اللاحقة وتوالى العنف وسفك الدماء بين سرحان ورجال الدولة في صواحي العاصمة وبدأ واضحاً أن الدولة عجزت عن إخصاعهم.. كما تؤكد وثيقة لا تزال محفوظة في محكمة طرابلس الشرعية مؤرخة في بداية أيار 1686م.

دقبل شهرين من تاريخ هذه الكتابة عندما عين الباشا المحترم لحرب الببدو واتجه إلى الرقة هجم سرحان مع شعبه وأقاربه وأتباعه على المؤمنين الوريين فقتلوا عدة رجال وهدموا منازل في مقاطعة حصن الأكراد والضنية⁽⁴⁾. وذلك

(1) م. ط. ش سجل 165 - 3 بالتركية وهو موجه إلى قاضي دمشق والي بن معن راجع الوثيقة E 11

(2) م. ط. ش سجل 5 3 بالتركية

(3) م. ط. ش سجل 11 3 بالعربية

(4) إن وصف سكان الصبية بالمؤمنين الوريين وإشارة إلى أن الوضع الخاص لمريه يعطى تبرر الملامح المذهبية للنزاع كما نراه محكمة طرابلس الشرعية التي أصدرت هذه الوثيقة

لإخافة الناس وترويعهم ونهب ممتلكاتهم ومواشيهم معدياً العديد منهم هرب كل سكان الصنية وهم مقهورون وفقدت أموال الحباية بالإضافة إلى ذلك فقد حضروا مع خمسمائة أو ستماية من الرماة إلى يعال وهي قرية في الصنية مملوكة للحرمين وطردوا عمال دودة الصر وهرب سكان الحوار وتصرى عمال الحرير

عين الصايغ الانتكشاري السابق ابراهيم ساقوس اما وأرسل للاقاة سرحان في القرية المذكورة وسأله عن سبب تعديبه واصطهاده لمؤمنين فأجاب

لدي السلطة والقوة للدمار وللتهسين وللهدم والنساء فإذا لم يحرر نائب الباشا الرهائن من القلعة ويبيدهم سالمين معافين من الال وحتى صلاة العصر فأني سأقتل أناساً في كل اتجاه وسأعاقب وأصرب وأدمر البلاد من حصن الأكراد حتى قلعة جبيل وأقضي على محاصيل الحرير وأنهت صر ل الدولة ولا أحمل بتأيب السلطان ولا عمله⁽¹⁾

Two months before the date of this writing, as the honorable Pasha was delegated to the bedouin war and headed toward Raqqa, the aforesaid Sirhan had his people and kin and the thugs affiliated with them fall upon the righteous believers. They killed several men and destroyed houses in the districts of Hisn al Ekrad and Zanniye in order to terrorize and intimidate the subjects, and stole and plundered their property, supplies and livestock, tormenting and afflicting a great many folks. All the people of Zanniye have fled and are dispersed and the state tax moneys are lost. Moreover, they came with 5 to 600 archers and wiped out the silkworm and thread of Lal, a village belonging to the Harmayn foundation in Zanniye the men of the environs have disappeared and the silk-growing subjects have scattered.

The ex-Janissary officer Ibrahim Cavus Aga was appointed and sent to meet with Sirhan in the said village. Asked "what is your aim in oppressing and tormenting the righteous believers?" he answered, "I have the power to improve or to waste, to build or to destroy your land. If, between now and the afternoon prayer, the Pasha's lieutenant [...] does not release our hostages from the citadel and send them safe and sound, I will kill people in every direction. I will wreak havoc and destruction from the country of Hisn al - Edrad to the citadel of Jubay. I will ruin the silk crop, vivify the state taxes, and not care about the sultan's reproof or punishment.

(1) م. ط. ش. بالتركية سجل 3 ص - 64 65 مترجمة إلى الإنكليزية ومنها إلى العربية

وثيقة E 12 قبل مرور اسبوع
على الانذار الذي وجهه
سرحال إلى سلطات الولاية
وفشل المفاوضات صدر
مرسوم الاعتراف به حاكماً
على البلاد التي يسيطر عليها
من حصر المعاملتين حتى
حصن الأكراد

وثيقة E 13 مرسوم يقر الترام سرحال حبيب وابيترون
وجبة بشري والضحية - مقطعة سرحال - من مهر
إبراهيم حتى حصن الأكراد 1067 هـ 1686 م ونطاط
به المحافظة والحراسة وجمع الفتن فيها

وثيقة E 13 مرسوم يقر الترام سرحال حبيب وابيترون
وجبة بشري والضحية - مقطعة سرحال - من مهر
إبراهيم حتى حصن الأكراد 1067 هـ 1686 م ونطاط
به المحافظة والحراسة وجمع الفتن فيها

وثيقة E 13 مرسوم يقر الترام سرحال حبيب وابيترون
وجبة بشري والضحية - مقطعة سرحال - من مهر
إبراهيم حتى حصن الأكراد 1067 هـ 1686 م ونطاط
به المحافظة والحراسة وجمع الفتن فيها

وثيقة E 13 مرسوم يقر الترام سرحال حبيب وابيترون
وجبة بشري والضحية - مقطعة سرحال - من مهر
إبراهيم حتى حصن الأكراد 1067 هـ 1686 م ونطاط
به المحافظة والحراسة وجمع الفتن فيها

رضحت السلطة لمطالب سرحان ونصحتها قبل بقضاء مهلة الإندار⁽¹⁾ وقبل مرور أسبوع على هذا الحادث صدرت عقود الالتزام لمصلحة الحماديين في حبل والبثرون⁽²⁾. واقتربت تتوابع الأمر الشخصية وأحتمالهم. وأكد لطرهان الالتزام التام بتعهداتهما ومنها قيام الحماديين بدفع المتأخرات الصربية عن سنين سابقين ويسري ذلك على جبة بشري والصنية والراوية وعكار وحسن الأكراد أيضاً⁽³⁾. ويرى هلموت أن هذه السياسة العثمانية غير المسبوقة رسمت دروة سلطنة إمارة آل حمادة في حبل لبنان وولاية طرابلس⁽⁴⁾.

رغم اعتراف الدولة بالسلطة لشيعية في ولاية طرابلس وتوثيقها بعقود رسمية استمرت العلاقات متوترة وعدائية بين الجانبين، وتحدثت المحادثات الدموية بعد لجوء أمير بعلبك الشيعي المطارد شديد الحرغوش إلى حماته في حبل لبنان وحاول والي طرابلس التملص من الأوامر السلطانية بمهاجمته عارصاً للباب العالي الصعوبات التي تعترض تنفيذ هذه الأوامر.

إن قاطع الطريق سرحان قدم له الحماية، وأوى عائلته، وخأ له كل حاجاته وأغراضه وظللاً ثم ينعهد بالامتناع عن إلحاق الضرر والتعديت سكان طرابلس وبعلبك فقد أصبح من الضروري مهاجمة سرحان

وقبل يوم من وصولهما إلى القرية لبى أحميها فيها في أعالي جبيل دفلاً عائليهما وحوانجهما وأملاكهما إلى قرى كسروان في أرض ابن معن

ولكي يحافظ العصاة على عائلاتهم صبحوا أشد بطرفاً في تمردهم فانقسم رجالهم إلى مجموعتين مسببين صرراً لا حدود له في منطقة طرابلس فعدوا وجرحوا المؤمنين النورعين بالإصافه إلى عزل وهدم مناطق جبيل والبثرون وجبه بشري والصنية. وسعوا إلى إنلاف وخفاء إيصالات الصربية لكافة المناطق الأخرى⁽⁵⁾.

بعد أن أكد الحواسيس أن حمدي سرحان اسماعيل وسرحان وأمهما وعائلات اللصوص وعامة سكان حبل والبثرون متورين في قرى كسروان، قامت سلطات ولاية

(1) الإمارات الشيعية = ص 136

(2) م. ط. ش. سجل 3 ص 69 - 70. الوثيقة رقم 12E

(3) م. ط. ش. سجل 3 ص 129 - 130 الوثيقة رقم 13E

(4) الإمارات الشيعية، ص 137

(5) راجع، الإمارات الشيعية ص 138 وم. ط. ش. سجل 3 ص 185. الوثيقة رقم 14E



وثيقة F 14 أولاد سرحان واسم اعميل حمادة وشديد وسعد أولاد حرموش اوقعوا صرراً لا حد له في ولاية طرابلس وهدموا مناطق حبيب والبشرون وحنة بشري والصنبه وانلقوا سجلات الصربية. مرسوم صادر في أوائل سنة 1687م

طرابلس بوصف استراتيجيه حارت على موافقه الوزير الأكبر بسرعة، وتقضي بإلقاء اللوم على والي صيدا بما أنه كان قد استنم وأمر صارمه بجمع الصربية من كل من تشملهم سلطته دون أن يتأخر عن تنفيذ هذا الأمر لأي سبب كان واعتبرته مسؤولاً عن الضرر المادي الذي لحقها من جراء عصيان الأمراء في ولاية طرابلس⁽¹⁾.

وبعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، في دار 1687م صدرت عقود الالتزام التي تعترف لال حمادة بحكم مناطقهم بما فيها حبييل والبترون وحبية بشري والصنية والكورة⁽²⁾. واستمر ذلك في السنوات اللاحقة

في شباط 1691م صدرت عن الباب العالي أحكام Hukums، موجهة إلى ولاية دمشق وطرابلس وسنحى عجلون حول، لأشقياء شديد بن خرفوش والهرطقة الشيعية والأرهاب، الذين هاجموا بعلبك ونبهوا وهم يستمرون بالقتل والنهب ضد المسلمين⁽³⁾.

وبمصر وثيقة وردت في سجل لشكايات Skayet Dejfteri مؤرخة في اذار من العام نفسه حريمه شديد بأنه احتفظ لنفسه بكامل أموال الصربية البالغة 24,000 قرشاً بالإضافة إلى ثلاثة قناطير من الحرير الخام وأن من شركائه في الاستيلاء على صرايب بعلبك حسين بن سرهان وأمنه إسماعيل وعيسى بن أحمد وحسن بن حسين ديب حمادة⁽⁴⁾.

ويخص الأمر السلطاني أحمد بن معز، بعد أن يأمره بالانضمام إلى القوات الحكومية في قمعها للثورة الشيعية، بإصدار شديد النهج جاء فيه

احذر... إن وصل إلى علمنا الملكي أنك تتآمر أو تخفي أيأ من أولئك المحرمين فإن العصابات الكاسر وعواقب العضب الملكي الذي خبره أبوك (فخر الدين) سوف يطالك أيضاً⁽⁵⁾.

ويبدو من أحد الأحكام السلطانية أن لمعارك كانت محتدمة بين قوات الدولة والروافض في البقاع في شهر تشرين الثاني من العام نفسه⁽⁶⁾.

(1) م ط، ش المصدر نفسه

(2) م ط، ش سجل رقم 3، ص. 149 الوثيقة رقم 15

(3) أ م د سجل، 100، ص. 137، 521، 522

(4) شكايات دفتري سجل، 15، ص. 113، 473

(5) أ. م. د سجل 100 139 531

(6) أ. م. د 102 78 355



وثيقة E 15 عقد القرام حبة بشرى والصحية والراوية وعكار وحسن الأكراد إلى الشيخ حسين حمادة وتكليفه بحفظ هذه المناطق وحراستها وتأمين الطرقات وعبور أبناء السبيل وسائر الرعايا 1098 هـ - 1688 م

إن هذه الوثيقة تؤكد الأسباب لحقيقة تمرد الأمير شديد وانضمامه إلى ثورة حلفائه. بينما يذكر الدويهي وتبعه كلعادة جميع المؤرخين إن الدولة طاردت شديداً بعد أن أحرق قلعة رأس بعلبك فالتجأ إلى الشيعة الثائرين في جبل لبنان.

بينما تؤكد الوثائق العثمانية أن الثورة كانت عامة وموحدة هي جبل لبنان والبقاع هي وقت واحد وأن المتمردين كانوا يسيطرون على بعلبك وبحيون صرائها. تلقى حاكم طرابلس تعليمات تقضي بعدم منح سرام عكر والروية والكورة إلى آل حمادة باعتبار أن هذه المناطق مأهولة بالسنة⁽¹⁾

يميد حكم سلطاني صادر في تشرين الثاني 1691م أن سكان مقاطعات الكورة والضنية، تقدموا إلى السلطات بشكوى على الأرفاص القرلباش، أنهم ومنذ عدة سنوات قد بشروا الفساد في بلادهم بمساعدة أربعة أو خمسة من العناصر المحلية وهرصوا سيدلرتهم على هذه المناطق⁽²⁾

وبعد أربعة أشهر من هذا التاريخ حاولت الدولة تخليص حملة نأديسة ضد الأمراء الشيعة وأمرب ولاية دمشق وطرابلس وصدا - بيروت والقصاة والملاهي هي هذه الولايات وكذلك حكاه ألوية حمص وصمد وابن معن بالقاء لميص على الهراطقة الشيعة الأشقياء القاطنين في جبال طرابلس ومعاصمتهم⁽³⁾

إن أخبار هذه الحملة تعيب تماماً عن مصدر التاريخ المحلي، ولكن من المؤكد أنها لم تحقق أهدافها بدليل احتفاظ آل حمادة بامتيازهم الصربي على هذه المقاطعات في أذار من نفس العام كما هي العام الذي تلاه⁽⁴⁾.

في شباط 1699م بلغ التذمر العثماني من تحكم الحماديين دروته مما دفع الباب العالي إلى شن حملة أكثر فعالية على جبل لبنان. إن الأوامر الموجهة إلى والي دمشق ورملائه وابن معن تعترف بأن الحماديين خدموا الدولة هي هذه المناطق لأكثر من أربعين سنة معصرمة.

إن طائفة القرلباش التي ظهرت في منظمة طرابلس واستقرت في مناطق صحيرية

(1) الإمارات الشيعية من 142

(2) أ.م. د سجل 102 : 315 ، 67

(3) أ.م. د سجل 109 180 ، 708

(4) أ.م. د سجل 102 181 709

صعبة اختصبت صرائب الدولة في هذه الأجزاء، ومنعت المدخول القانوني المستحق لخزينة إسلامبول. إن هؤلاء اللصوص لا يلتزمون بالقانون الشرعي، ولا يخضعون للحكام إن استبدادهم بصرائب الدولة يعادل في السوء طغيانهم وقمعهم للسكان المساكين.

«إن وجودهم سبباً لخراب الأرض. رسل الحكام الآخرين واتفق معهم على وقت معين ومحدد وهاجم الزمرة المذكورة في الحال حيث يتواجدون القبض على هؤلاء The Kizilbas sect that appeared in the Tr poli region and settled in difficult, rocky country has usurped the state tax farms of the area and swallowed the income legally due to the treasury of Istanbul... These brigands neither follow the holy law nor submit to the governors, whence their perfidy regarding the state taxes is as bad as their tyranny and oppression of the humble commoners. Their existence is the reason for the ruin of the land Correspond with [the other governors] and agree on a precise and known time according to your judgment. and attack the aforesaid faction in the mountains where they live Arrest all these brigands and give them the punishment they deserve by law»

اللصوص وأمرل بهم العذاب الذي يستحقونه قانوناً ،

تبارى المصادر العثمانية في الإشادة بالانصار لدي حمصته هذه الحملة وما لحق بالشيعة في جبل لبنان من حرانها من قتل وعسف وتدمير وحسائر

إن أمين سر المحكمة العليا ساري محمد باشا (ت 1717م) والذي يستطيع بحكم منصبه الاطلاع عادة على المراسلات الهامة المتعلّمة بهذه الحملة، وضع ما أصبح الرواية العثمانية الرسمية والمتداولة عن نتائج الهجوم العثماني العسكرية

وصلت مذكرة بشرح «بأنه بمصّل الله تعالى العلي فإن خيط اشتراكهم قد انقطع، فوقع العديد منهم طعنا بالسوف، وسقط رؤساؤهم حسين بن سرجان وأبناء عمه حسين وعيسى وكثيرون من المنعوبين أمثالهم طعاما لنصل القوة

(1) أ م د س ج 104 155 156 ص 662 - 663.

(2) إن هذا النص من ترجم عن تاريخ ر شد طبع سطمبول، 1865م الجزء الثاني، ص 194، 195 وتاريخ ساري محمد باشا منشورات عبد القادر اودكان نشره 1935 ص 429 - 430 عن إمارات الشيعة، ص 145.

A memorandum arrived stating that by the grace of God on High the thread of their association was snapped. Many of them fell prey to the sword, and of their chiefs, Husayn Sirhan - ogli, his cousins Hasan and Isa, and numerous accursed ones like them, became fodder for the blade of force and destruction. Ma'n - ogli, their accessory, as well as those brigands spared of the sword, went the way of seeking quarter and swore off the wickedness and insubordination which had been their habit until now

والدمار، أما ابن معن مساعدهم في الحرم وغيره من النصوص الدين لم تسفك دماؤهم فقد فروا إلى أماكن أخرى وأقسموا على ترك الشر والعصيان الذي كان من شيعهم حتى الآن⁽¹⁾

لكن الحوادث التالية تؤكد أن هذه المذكرة الرسمية لمرسلة من ميدان العمليات إلى العاصمة تضمنت الكثير من المبالغات، فهي وجر تشرين أول 1693م ذكر الرحالة الدمشقي عبد الغني النابلسي من طرابلس أن الحاكم علي باشا لا يزال في ميدان المعارك يحارب طائفة الحمادية الروافض لعنادية⁽²⁾، وفي نيسان بعد هجوم ال حمادة الدموي واستصارهم على القوات العثمانية والمتحالفين معها من الإقطاعيين والأمراء والأكراد، حدث تحول هام كان له الأثر الحاسم على التصراع الشيعي العثماني في السنوات العشر القادمة⁽³⁾ فقد استدعي والي طرابلس علي باشا إلى اسطنبول وأصبح صدراً أعظم فأعطى تعييناته إلى الولاية لعثمانيين والي حلب ودمشق وطرابلس وصيدا وأمراء ألوية كلس وحمص وحماء واللحون وغرة والقوات الإقطاعية المتواجدة في سلمية ودير الزور و لرحية وجبله وعلبك وحلب والمفتش العام للحيش الأناضولي للقضاء تماماً على لشبعة وكذلك على المتعاون معهم ابن معن مرة واحدة ونهائية⁽⁴⁾.

ويقول مؤرخ البلاط راشد⁽⁵⁾ الذي كان بحكم منصبه مطلعاً على المراسيم والمراسلات المتعلقة بهذه الحملة تحت عنوان مقاومة أعمال التحريض والفساد هي

(1) حقيقة وثمار في رحلة بلاد الشام ومصر و بحار القسم لأول عبد الغني النابلسي، ص. 202

(2) الإمارات الشيعية ص. 148

(3) أ. م. د. سنج، 105 ص 5 11 - من الواضح من الوثائق العثمانية المختلفة أن ابن معن كان يهاصر الثوار في الوقت الذي يعاين عبثاً حركات السلطات المركزية وإحماء حقيقة موقعه

(4) تاريخ راشد الجزء الثاني ص 225 و 226 وأيضاً تاريخ محمد ساري باشا ص 284 285 المصدر السابق.

جوار طرابلس (في أحداث سنة 1691 - 1692 م)

قام اللصوص أولاد سرحال (حماده) مع العشائر والقبائل من الكمار الشيعة المقيمين في المرتفعات الصخرية العالية في منطقة طرابلس، بالاشتراك والاتفاق مع ابن معن من العصابة الدرزية لقميعة في المناطق المرتبطة بضرائب إقطاعيات صيدا وسروت، بالهجوم على جباة الضرائب المرسلين من قبل الحاكم وطردهم، مما أدى إلى هبوط سريع في دخل الدولة وتصدوا في استغلال المصاطعات التي رغبوا فيها واستولوا عليها واستمروا في الامتناع عن دفع ضريبة الميري في نهاية السنة إن مخالفتهم للعدالة وظلمهم واعتداءاتهم قد تجاوزت الحدود، فكرر الوريث الجليل علي باشا تقديم عرائضه والتماساته إلى الباب العالي الذي بدل كل جهده لصد هذا الهجوم، وأهم ما قام به أنه وجه إلى الوريث نفسه فرماً إلهياً (فتوى دينية) يقضي بوجوب الانتقام منهم ومعاقبتهم.

وبناءً على ذلك انطلق الوريث المذكور من طرابلس، معتمداً على نعمة الخالق وعونه، مع أقصى ما قدر على جمعه من الجنود والفرق ووطناً بعدم الحبروب والانتقام حمل سرحال (حمل لبنان) موطناً العزم على قتال عصابة اللصوص.

وصلت من الوريث مذكره نصيحتاً أنه تمكن بصاية الله في طلباته، أن يشتتهم ويقتل العديد منهم وبينهم ابن سرحال حسين وأبناء عمه حسن وعيسى وغيرهم من المعونين أمثالهم أصبحوا طعاماً لسيف القوة وهدموا

إن ابن معن التابع لهم مع اللصوص الذين نجوا من سيف الدولة، ذهبوا إلى حيث يجدون مكاناً آمناً يلودون به، وأقسموا على الحصوع والتوقف عن أعمال الشر التي ألقوها وأبقت المقاطعات من قبضة ظلمهم.

وفي أحداث سنة 1693 - 1694 م يقول المؤرخ نفسه تحت عنوان تعيين طرسن محمد باشا لسحق الكمار الشيعة في جبال طرابلس: بعد أن بذل رئيس الوزراء علي باشا اهتماماً بالغاً من أجل تأمين أمن هذه المناطق منتقماً إلى حد بعيد من اللصوص الكمار الشيعة أولاد سرحال في جبال طرابلس وأخصص تابعهم ابن معن إلى الطاعة، وصلت رسالة من أرسلان باشا، الذي كان علي باشا قد عينه تحت إشرافه الشخصي

(1) مير ميرزا، لقب يطلق على اليكليزيكي أو نوسي أو أمير الأمر.

(2) الرعامت والتهيار قطعاً أرض يعطيها لسنه مقابل خدمات عسكرية فإذا كان عائداً لا يتجاوز 200000 أقة يسمى بيمارا وما تجوز. هذه بقيمة نهاية نف قسماً رعامت وما يفوق ذلك يسمى خاص.

«بيكر لبك» على طرابلس، قصد أن العصبة المذكورة عادت إلى مباشرة طريقتها في التمرد والظلم. ومن أجل معاقبتهم صدرت لتوصية بتعيين المذكور مير ميران⁽¹⁾، وأمر بكليركي صيدا، وحكام دمشق وحلب، والرعامث⁽²⁾ والتمار في مقاطعة حلب وفوقودا⁽³⁾ كنس وألف فارس كردي وعلى رأس الجميع كقائد للحيش الوزير الحليل طرسن محمد باشا مضت عام الأناضول من أجل المناصرة على قتال ومعاقبة اللصوص المذكورين سابقاً لأن ذلك أمر ضروري

عندما علمت عصابة أولاد سرحال بوصول الوزير ومعه عشرين ألف جندي إلى بعبك وسهل البقاع الجنوبي ملأ الخوف والهلع قلوبهم هربوا إلى الأماكن المجاورة هالقي القبض على الكثيرين منهم ونالوا العقاب الذي يستحقونه⁽⁴⁾.

في نفس الوقت الذي كانت فيه الحيوش لعثمانية تجمع في البقاع للقضاء نهائياً على الحكم الشيعي هي جبل لبنان، كان المصدر الأعظم الحديد معسكراً هي أدربة يحجر حملة عثمانية شنت هجومياً فاشلاً على قلعة Peterwordein الواقعة على نهر الدانوب في حكم الهاسبورغ اناطره النمم. ومع ذلك فقد حشدت الدولة مواردها السياسية والعسكرية بشكل غير مسبوق، واستمرت هواها المنتشرة بين الأناضول ومصر. ودعمت الحكام الاقطاعيين والباطاميين بالحكم في كل أرجاء سوريا لشجعهم على المساهمة في مجهودها الحربي، ومنهم الإمارة المعنوية المحاورة هي المشوف، والنمود الإداري لعائلة آل العظم الصاعدة، وكذلك مختلف القوى الريمية والمشارية هي سائر المناطق السورية من حلب والحريرة في لشمال إلى اللجون وعرة هي الجتوب، كل ذلك من أجل القضاء على الحكم الشيعي وقمع تمرد آل حمادة⁽⁵⁾

وبدو من أوامر السلطة الصادرة في هذه الحملة الواسعة كسابقاتها لم تحقق الهدف المنشود، هالقت اللوم والمسؤولية عن هذا المشل على عاتق علي باشا حتى بعد أن أصبح صديراً أعظم بنما أبحى وسي طرابلس باللوم على موقف ابن معن الملتبس والعامض.

«كان معلوماً أن أحمد بن محن المستقر في جبال صيدا - بيروت لا يهتم بشؤونه الخاصة، ولكنه يساند القزلباش المفصوب عليهم الدين يعيشون في جبال طرابلس

(1) فوقودا لقب سلافي الأصل أطلقته الدولة على أمير لواء

(2) تاريخ راشد، الجزء الثاني، ص 225 - 226 و يها تاريخ محمد حاري باشا، ص 284 - 285 المصدر السابق.

(3) الإمارات الشيعية، ص 149 - 150

(4) أ.م.د.، 105 11 10.

مع كل الأندال الآخرين في المظلمة إن هؤلاء النصوص يخربون القرى، ويستبدون بالمسلمين هي أعالي طرابلس فهو سب الحرمان والطغيان فإذا لم يعاقب ابن معن فإن الشر وتحريض المصعدين على الفتنة لن يتوقف،⁽¹⁾

من الواضح أن علي باشا كان يعتقد أن القضاء على التمرد الشيعي يستوجب الخلاص من ابن معن أو تحييده على الأقل إذ تعدر اكتسابه إلى صف السلطة، ويبدو ذلك من خلال روايته مؤلف المخطوطة المجهول، الذي هناك ما يؤكد صلته وصداقته مع الصدر الأعظم إن سرده لأخبار الحملة، السياسية يمثل وجهة نظر صديقه علي باشا، الذي قاد هذه الحملة شخصياً وذهب بعد أن عُيِّن والياً إلى جبال سرحان فتكون لديه انطباع مفاده

«إن البعض ومن الواضح أنهم كثرة هم أتباع الثرلياش ومقاومتهم عسيرة ففص النظر عنهم، وهناك آخرون صرحوا بأنهم مرهقون من تعصبهم ولا يستطيعون فعل أي شيء تجاه ذلك فإذا وقف ابن معن جانباً يصبح من السهل في هذه الحالة صد السرحانيين «Sirhanids»⁽²⁾ طبعاً يقصد اللبانيين الشيعة بهذا التعبير المستحدث

كتب علي باشا إلى ابن معن طالباً منه أسلام مماطمعت ال حمادة الصرائبية لم يظهر حتى الآن أثر للرسالة هي الأرشيف العثماني أو سجلات المحاكم الشرعية في طرابلس أو صيدا ولكن بعض المؤرخين العثمانيين ذكروا أنهم ما ورد فيها،

إن والدك وأجدادك نعموا في ظل المملكة الإسلامية، ووجد أقاربك وأسبائك ملجأ دائماً لهم، وحمايه سلطانيه، أنت ايضاً مدعو الآن إلى أن تظهر طاعتك، وتدفع بإخلاص لتساعد أمة لإسلام، إن صرائب المزارع ستحول إليك بينما بتوقع منك مزيد من اللطف والإحسان ستحصل على كل ما تتمناه وتلقى من المعروف ما لم يناله أسلافك ولكن إذا انحرعت بعيداً عن الطاعة واتبعت برواات السرحانيين sirhanid فاعمالك سوف تعاقب بمشيئة الله⁽³⁾

فتظاهر الأمير المعني المروغ بالحصوع والطاعة حتى أنه توسل إلى الباشا طالباً منه العدالة والانتقام للكثير من رجالنا وعشائرتنا من الذين قتلهم أولاد سرحان، ولكن الصدر الأعظم لم يصدق بهذه التوسلات فبقي يشير إلى «ندالة ابن معن وأتباعه» عندما قام بمحاولة أخيرة لنقصاء على العصاة الشيعة المتمردين، وأخيراً

(1) الإمارات الشيعية ص 151 عملاً عن تاريخ العثماني 1688م - 1704م) عبد القادر أوركاز

(2) التاريخ العثماني 1688م - 1704م عبد القادر أوركاز، مصدر السابق ص 151.

عزلت الدولة ابن معن عن المقاطعات لدرية لاربع وهي الشوف والحررد والمثن والعرب، وعينت الأمير موسى علم الدين الذي تسلم هذه المقاطعات بدون معارضة بالإضافة إلى كسروان. وأعطى رتبة سنحق بك على لواء صعد فأصبح حاكماً على رأس منطقة عسكرية عثمانية، كما هو حال أمرء آل الحرهوش هي حمص وغيرها من الأتوية العثمانية ولكن موت السلطان أحمد وخروج علي باشا من الصدارة العظمى مهد السبيل أمام والي صيدا لينتقل من إصدار عفو عن الأمير المعني المار الذي استطاع كسب رضاه بالهدايا والهبات بشروط واضحة وحاسمة تقضي بأن ينضم إلى حملات التجمع ضد الشيعة.

«أن يبقى مهتماً بشؤونه الخاصة، ويخدم بإخلاص واستقامة، وأن لا يناصر الشيعة العصاة والمفسدين الآخرين في طرابلس وحولها ولا يصير بالقرى ولا بالناس. ويدفع الحبايات عن منطقة الشوف وكسروان وصربية المزارع التي استلمها كاملة إلى الولاة. وأن يحرم ويطرده الشيعة الهرطقة والعصاة الآخرين من منطقتهم»⁽¹⁾.

المواجهة الحاشمية

هناك دلائل موثقة تؤكد أن الشيعة السنانيين بأمرهم شاركوا في هذه الثورة، فبعد التمرد الأولى لاندلاعها بدا وكأن جبل لبنان ولبنان يشكلان منطقة عمليات واحدة فالمواجهات تتوالى في كل من المنطقتين بونيرة متصاعدة، وتشكل جبل وادي علمات مثل مدينته بعلبك هدفاً أساسياً للمواف العثمانية المنقضة بين مختلف الأبناء الحبوبية لولاية طرابلس والقسم الغربي من ولاية دمشق، حتى صمت المنطقتان تحت سلطة إداريه وعسكرية واحدة تسهيلاً للعمليات الحربية والتدبير الإدارية الرامية إلى قمع المتمردين فكان علي باشا حتى قبل وصوله إلى منصب لصدارة يكتب من مركز ولانته في طرابلس إلى الباب العالي مطالباً باقتطاع منطقة بعلبك من ولاية دمشق وتوحيد المنطقتين إدارياً تحت سلطة الوالي نفسه وذلك لصد هجومات الروافض المتمردين الذين استولوا على منطقة طرابلس⁽²⁾ ولم يبت شيعة جبل عامل طويلاً بعيداً عن الانغماس المباشر في الصراع رغم العوائق الإدارية والجغرافية، فشكّلوا الحبهة

(1) أ.م. د 106-854-239

(2) الشكايات 26 129 17

(3) بيده تاريخية ابن نجيم، ص 818-819

الخليصية النشطة والماعلة لدعم إخوانهم، إن كان بإيواء الهاربين وتأمين الحماية والملاجئ الأمين لهم، لأن عدداً من أهر د عاتة حمادة لقوا حتفهم في سجون صيدا بعد أن أُلقي القبض عليهم أثناء هربهم حبواً إلى جبل عامر⁽¹⁾. وأيضاً إرسال المحاربين إلى الجبهة الأمامية في جبل لبنان للقتال في المدرك الدائرة هي سنة 1696م وكان المعصوب عليهم القزلباش مع تعزيزات قدمت من جبل عامل يهربون عابري السبيل والملاحين في جبال سرحان في طرابلس⁽²⁾.

هي هذه الأثناء بقي جبل الدرور وحده من بين سائر المناطق اللبنانية، وكأنه يقف على الحياد بين الجهتين فكان ابن معن يثني على جهود السلطة وتحركاتها ويطلبها بالانتقام من أبناء سرحان ظاهراً وحتى أنه أقدم على بعض التحركات العسكرية الشككية هي وقت ما، ليوحي بأنه بشارك هي المحهود الرسمي هي الوقت الذي ستمرت الاتهامات الرسمية له بالتقاعس عن تنفيذ الأوامر الصادرة له بل ومساعدة المتمردين سرّاً.

هي الواقع بقي موقفه عامصاً ومسيئاً إلى النهاية وحتى بعد أن عزلته الدولة عن منصبه وطردته فاضطر إلى الاحتباء، ولم يهضم غلاسة إلى الثوار، أو يلجأ إلى حبل سرحان كما فعل قبل ذلك مع أخيه قرقمار بن فضل النحوي بن الأعرب هي ريف دمشق⁽³⁾ حتى عاد إلى الشوف بعد لغو مكافئته من وإلى صيدا هي العام التالي وبقي يتعرض إلى لوم السلطات وتصنيفها ودعوتها له للاشتراك في عملياتها لقمع الثورة.

«أنت ملزم ومحبر على حماية الدس والدفاع عنهم وتأييد هذا النوع من قطاع الطرق. إن الأذى الذي أصاب المساكين والضعفاء بسبب سؤتهم وشرهم يعود إلى تقاصيك وإهمالك»⁽⁴⁾.

وهي وقت ما أثناء احتدام المواجهات العسكرية لم تعد السلطة تميز كثيراً بين ابن معن وأولاد سرحان فاعتبرتتهما هي العداء والعصيان والتمرد سواء، وأصدرت أحكاماً مشتركة لتشديد الحصار على ابن معن والقزلباش لمعهما من الهرب سواء عن طريق

(1) م د 102 1093 259 حول دور جبل عامل في هذه الثورة، راجع فصل حسن عامل.

(2) تمرير الفصل العربي في صيد Lamperear إلى أنكوب بوششاريان في 8 حزيران 1695م. Archives Nationales Paris AE B1 1017. يصف تقول المصادر المحلية به احتباء في وادي النيم.

(3) أ.م د 108 1093 259

(4) أ.م د 105 25 8.

(5) أ.م د 105 29 9

البحر لإحكام المراقبة في الموانئ.⁽¹⁾ وإلى الصحراء وربما إلى المناطق الواقعة عربي الصرات بإرسال أو مر مشددة إلى حاكم صحراء دير البرز والرحبة لمنع فرار المظلومين عبر سناجقهما⁽²⁾.

في الوقت الذي تكاد فيه المصادر المحلية أن تحاشر تماماً هذه الأحداث وانعكاساتها على مسار التاريخ اللبناني بشكل عام وتكفي بإشارات مبهمة وعابرة عن تفاصيل هذه الموجهات السياسية والعسكرية يرى على العكس من ذلك أن أهميات التاريخ العثمانية المعاصرة لهذه الأحداث قد ولتها اهتماماً كبيراً وتعرضت لمسبباتها وتفاصيلها ونتائجها وأعتبرتها انصاراً مجيداً لدولة عثمانية على أعدائها وإن كان مشكوكاً فيه كما يقول «winter»⁽³⁾ ونؤكد محريات الأحداث اللاحقة، على أنه في الوقت نفسه انتصار للإسلام القويم والمعتد نسليم على الكفر والهرطقة تحقق بعناية الله وعونه

بالرغم من حذر الوالي وانتباهه ومثابرته، فإن القضاء على المتبوعين والتخلص منهم لم يحقق، واستمر شرهم دون أن يستأصل. فعين هي السنة الماضية الفائت Despite the valis circumspection, persecut on, perseverance and attention, the elimination and extirpation of these godforsaken ones did not come to pass With their banditry continuing unabated my most honorable commander, my proudest marshal [etc. etc] Ali Pasha was assigned Last year to uproot and extirpate them, and with the help of God on High, most became fodder to the blade of death and destruction Those who were spared of the sword found neither repose nor the force to sow corruption a new

الشهير والمرشال الصحور علي باشا لنقصاء عبيهم واقتلاعهم وبمساعدة الله تعالى صار معظمهم طعاماً لسيوف الموت والدمار ومن نجا من السيف وجد نفسه دون راحة ولا حول ليستمر في فساد من جديد⁽⁴⁾.

بالع المؤرخون العثمانيون في تمجيد نتائج حرب التي شنها القوات الامبراطورية

(1) الإمارات الشيعة ص 157

(2) أ.م.د. سجل 105، ص 5 - 10 - 11 - 15 - 16

(3) Anonim osmanh Tarihi p 95

(4) الإمارات الشيعة ص 158.

على آل حمادة وأكدوا على كفاءة علي باشا المصدر الأعظم وأهليته لقيادتها. وكان من أهمهم المؤرخون الرسميون راشد وساري محمد وتاريخ برلين المذكور سابقاً⁽¹⁾. وهاجموا الدولة العثمانية الذين سمحوا - وربما بقوب فرحة - لآل حمادة بجباية صرائف المزارع

Camp was pitched near Tripoli and an army assembled, and with foresight and wise counsel, they set out into the Sirhan Mountains. Glory be to God on High, the authors of sedition and insurrection were destroyed by the army of righteousness, the heaven - succored host. Those arrogant impious rebels' impure bodies became smeared with the blood of justice

التي حصلوا عليها بشكل غير قانوني⁽²⁾.

أقيم محيم في طرابلس وتجمع فيه الجيش وبصبرة وحكمة أعد نفسه لدخول جبال سرحان.. وبمجد الله تعالى قضى جيش التقوى على المحرصين على الصلابة والعصيان وتطهرت اجسادهم الدنسة بدماء العدالة⁽³⁾

إن التدخل الإلهي حاصر ومؤثر في ساحات القتال بئرل بالكمار الراهضة القرلناش صوباً من التكيل والعقاب، سبقه غالباً أوامر شرعية وهماوى دينه مصدر عن أعلى مرجع للمتاوى الإمبراطورية وهو الممتي الأكبر في اسطمبول.

إذا كانت السلطنة العثمانية قد استمرت كامل قواتها العسكرية في بلاد الشام، وجميع ولايتها وأمرائها سادقها وحكامها لإقطاعيين لنقصاء على ثورة الشيعة في جبال سرحان فقد احتارت لقيادة هذه القوات الصعبة ألمع قادتها الحربيين وانشاوتها الإداريين، ومعظمهم من الذين تولوا قيادة لحيوخ في حروبها الأوروبية في البلقان

(1) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(2) جرجي، Gurgu، محمد باشا مخارب مع سعة في بلدة اللاصبي جورجيا قبل دخوله في خدمة العثمانيين تولى ولاية دمشق وقام بنقصاء على ثورة الانكشارية فيها ثم ترقى في المناصب لاداريه وتزوج إحدى فريجات السلطان.

(3) كافانوس، kavanos، أحمد علي باشا وألي صيدا عن في آذار 1692م لقتال آل حمادة وعنف لإهماله ذلك وهو روسي الأصل استلم مناصب إدارية رفيعة قبل أن يصبح صدراً أعظم سنة 1703م. باشا في البلاط العثماني وتزوج من عائلة كوبرولو koprlu المعروفة

(4) بروكولو، Bozok مصطفى باشا عهد إليه بالنقصاء على آل حمادة وآل الحرفوش و لتصيرية في جهات اللادقية، واتهم بالتمرد عن تنفيذ لأوامر من صدراً أعظم سنة 1693م ربما بسبب نفوذ زوجته لأميرة وهو الذي عفا عن ابن من أعداء بني منصبه إبان توبيخه على صيدا

ووصلوا إلى رتبة الصدارة العظمى على رأس إدارة الدولة، ومعظمهم ممن صاهر السلطان، وكان يعد من كبار رجاله وبناته و المقربين منه، وأرفع قاداته العسكريين رتبة

في مستهل سنة 1692 كان حرجي محمد باشا يقود الحملة على حسين بن سرحان حمادة⁽¹⁾، وحلمه في نفس العام كافانوس أحمد باشا⁽²⁾، ثم عزلته الدولة لإهماله وعينت حامل السيف السلطاني الأميرال بروكنو مصطفى باشا⁽³⁾ ولكن رغم أن أيّاً منهم لم يحقق حسماً عسكرياً أو هدفاً معلناً فبقى أشهر القادة الذين كلّفوا بهذه المهمة علي باشا ومترسن محمد باشا

كان هؤلاء القادة وأمثالهم يمثلون الحيل لقديم من الحكام العثمانيين وينتمون إلى أصول أجنبية وغير مسلمة وقد تلقوا تربية خاصة في البلاط الإمبراطوري فقد كانت خبرتهم الإدارية محدودة وسطحية، وكانت مهاراتهم العسكرية هي خدمة الدولة، تتركز على تحصيل الضرائب والنهب وسحق محاولات العصيان والهرطقة، وقد شهدت فترة الإصلاح اللاحقة محاولات حدة لاستبدال هذه الطبقة بحكام يتمتعون بمهارة إدارية وخصوصاً في عهد كوبرولو.

كان علي باشا أشد المادة العثمانيين تصميماً على القضاء على آل حمادة، وقد بنى أمحاده السياسية وشهرته العسكرية على حماسه لتحقيق هذا الهدف حال تعسفه والياً على طرابلس ومع أنه لم يحقق نتائج مهمة في هذا السبيل فقد حرص عند تبليغه بأ تعسفه صندراً أعظم أن يحتار أحد المعربين منه رسلان باشا لحلمه هي ولاية طرابلس وزوده بتعليماته وخبرته ورجاله ليستمر في حمسه ضد الشيعة.

وكان قد اصطحب معه عند معادرتة مركز باشويته لتسلم منصبه الحديد الأمير أحمد الكردي والأمير موسى علم الدين، وقد عرف عن الأميرين معاداتهما للشيعة وانصمامهما إلى صفوف قوات السلطة المطاردة لهم.

وكان الوالي الحديد يشاركه في كرهه لمسلمين لهرطقة وقد حصر جيداً بعض طوائفهم في مسقط رأسه،⁽⁴⁾ وربما لا يمكن تفسير حماسة علي باشا المصروفة واندفاعه هي القضاء على الشيعة بإحلاصه للدولة وحده، فقد يكون لديه مشروع سياسي

(1) أرسلان باشا بطر جي شقيق فيلان باشا بنقل لاجوان بين باشوياب دمشق طرابلس صيدا وهما ينتميان إلى إحدى العائلات السورية النادرة من جهاب جبله ولادقية وقد اعتقد حيدر الشهابي أن أرسلان هو من مماليك علي، المرع الحمصان، المجلد الثاني، ص 880

وعسكري حاص دهمه إلى صدر ر لم سيم من مركز عمله القيادي العبد هي البلقان
لوصع الطافات العثماسة بكامها هي سور - من كلس إلى عرة - تحت قيادة صنيعة
رسلان باشا بهدف إنهاء التمرد الشيعي وربما كن مشروعه يقصي، بسبب أصل عائلته
المتواضعة، وانعدام علاقته العائلية بالفسر، أن يتخلص من الأمر، المحبين الأقوياء
لصالح الطامحين، المحبين من لصف نبي أمثال أكراد القري وأن لشاعر بتنصيبهم
على المقاطعات، الحمادية ليسكل منهم حرباً مسنداً لمشاريعه الطموحة الخاصة. وقد
تكون المدة التي أمضاها والياً على طرس في محابيات متو صلة معهم فقد تركت هي
بمنه كرهاً وعدائية لارماه هي منصفه الحديد المؤثر فاستمر هي مساعيه الد ثمة
يحاول القضاء على الحكم الشيعي هي حل نسان من خلال ما يتمنع به منصب رئيس
الوزراء في العاصمة من نفوذ واسع¹

استطاع على باشا بعد مباشرة مهم تصدارة أن يحشد كل قوات لسلطنة هي
سوريا تحت قيادة رحله إرسال باش لإتمام حربه الشيعية. فصدرت الأحكام
السلطانية، ووجهت إلى جميع الهام والإمراء والعسكريين ورؤساء العشائر وكل قادر
على حمل اسلح في ولايات دمشق وطرابلس وبيروت وصيدا وحلب

«حكم إلى والي طرابلس إرسال تمام قبائله»

أنت أيها الوالي قد عمت قائداً (باش نوع) على جميع المكلمين معك جميع رجال
وريري مصطفى باشا والي صيدا بيروت وجميع رجال منسلمي دمشق وحلب كاملتي
التحضر، وجميع الرجال الماديين عني الحرب بطريق المصير العام هي ولايات
طرابلس صيدا دمشق وحلب وجميع الرجال القاديين على حمل السلاح،²

ولكن أرسلان باشا، دعم لامكاياب الصلحة التي وصفتها الدولة بحب بمرته
انهزم جيشه أمام هجوم مساعد قام به سماعين بن حسين حمادة وأخوته ومعهم عدد
قليل من الرجال فسقط عدد من قادته وركن نولاة قنلى وتعقبوا الجيش المنهزم حتى
نهر إبراهيم³.

(1) الامارات شيعية، ص 162 ملاً عن 295 294 Sureyya Sici - Osman p

(2) أ.م.د 10/105 وبعصا الاماره درريه ص 62

(3) راجع تفاصيل هذه المعركة في فصل آخر

(4) أ.م.د 105 31 10.

(5) أ.م.د. 105 : 23 10.

تلقى والي طرابلس من عاصمة سلطته حكماً تلومه على هذا الفعل فاقترح في بداية حزيران 1694م اللجوء إلى لقائد العسكري لحير طرسن محمد باشا ممثلاً الجناحين المركزي والشمالي في الجيش الأنصولي⁴ فلم يتأخر الباب العالي في اعتماد هذه النصيحة، وأرسل أوامر فورية إلى القائد لحير، بترك جنوده في ميدان الحرب الأوروبية الوشكة، والإسراع حتى يوجه إرسال باشا وشرف على معانته العسكرية المتعثرة⁽⁵⁾

ولكن الحرل الأنصولي لم يكن متحمساً لحوض حرب في حين لبيان رغم استعمال السلطات في استمبول وقتلها، فدرست في أوائل تشرين الثاني تقريراً سلطاناً إلى والي طرابلس لتخلعه عن إرسال تأكيد يصد عن وصول طرسن لمولي قيادته الجديدة.

كما توقع منك أخباراً ولم يحصل على شيء حتى الآن فأتت منهم بالإهمال وعدم الجدر⁽⁶⁾

وبعد اسابيع قليلة طاول التوبيخ الرسمي طرسن نفسه، لتأخره عن الوصول إلى سورية وسلام قيادته. طالبة تقريراً دقيقاً وموضوعياً عن التطورات بأسرع ما يمكن⁷ ولم تحف القيادة المركزية قلقها على جمهورية الحملة الشيعية فوالت أوامرها إلى كل المسؤولين في ولاياتها لسورية توبخهم عن الإهمال، ونحثهم على الالتحاق بالحملة، وبذل أقصى الجهود لدعمها وتأمين نجاحها⁸ فلقى والي دمشق أمراً للالتحاق شخصياً بها بدلاً من الاكتفاء بإرسال نائبه كجدا⁽⁹⁾ وكتاب آخر إلى والي صيدا يعتمه على سياسته محاربة الهرطقة⁽¹⁰⁾، وفي كانون أول وصل كتاب إلى قائد الحملة الذي عن هي لوحت نفسه والياً على حلب يتهمه بالتقاعس والإهمال وعدم إحراره أي نتيجة في مهمته وأعطاه فرصة أخيرة لإبائها، ولعودة إلى موقعه الأساسي بيقوم بحهير الحملة القادمة على معاريا في التبريع المصبل⁽¹¹⁾

(1) أ.م.د. 105 39 15.

(2) الشكايات 17 559 243.

(3) أ.م.د. 844 / 1743، 105، 16.41، 105 14 37 -

(4) أ.م.د. 105 42 17.

(5) أ.م.د. 105 36 34.

(6) أ.م.د. 105 137 136 35.

في الواقع مثلب هذه الحملات التي استمرت لمدة خمسة عشر عاماً متواصلة في تحقيق أي هدف سياسي أو مذهبي أو أممي يمكن التوقف عنده، فقد بقيت معظم مقاطعات ولاية طرابلس تحت سيطرة الشيعة كما كانت قبل هذه الأحداث، وبقي الأراض الهراطقة مبشرين في حدل سرحان رغم الفتاوى الشرعية التي أباحت دماءهم وأموالهم. وبقي الولاة العثمانيون مدحرجين عن مد سيطرتهم الأمنية والصرائبية إلى هذه الأنحاء.

رغم أن العديد من المزارع والقرى قد دمرت في جبل لبنان والبقاع وحبل عامل، وسقطت أعداد لا يمكن حصرها من المحاربين في المعسكرين، وطالما تباغت المصادر العثمانية المعاصرة لهذه الأحداث والأحكام السلطانية والمراسلات الرسمية بمدى الدمار والخراب التي حتمت هذه الحرب وسقوط حسين بن سرحان والد اسماعيل قنبلاً في إحدى المعارك وعدد كبير من عشيرته وشعبه، وثقت التقارير الحكومية أسماء الكثيرين منهم.

بعد خروج علي باشا من الصدرية العظمى سنة 1695م لم يعد الباب العالي مبهمساً لوضع خطط جديدة لتفصاء على الشيعة وجمع تمردهم بشكل حاسم، وعابث البوايا لإزالة التهم عن سطح الأرض بهائباً فقد تقاعد اسماعيل باشا عن الوظيفة ثم انحرف إلى حانب الصفويين سنة 1701م، وعاد مصطفى بركو إلى العاصمة كنائب للصدر الأعظم. وبوفي إرسال باشا سنة 1704م بينهما انهماك طرس محمد باشا في قيادة الحشوش العثمانية في البلقان.

الحرب المقدسة في جبل لبنان

بذت الصدامات المتكررة بين الدولة العثمانية ورعاياها من الشيعة في جبل لبنان، أشبه بالحرب المعلنة والمستمرّة، خصوصاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر إذ كانت تفتت أحياناً لتعود بعد وقت قصير إلى سابق عهدها وشراستها رغم التفاوت الهائل في حجم القوى والإمكانات بين الطرفين؛ فقد كانت الدولة بمواردها الواسعة تجهز

(1) المرر الحسان، الشهابي ص 872

(2) الأيديولوجيا المجتمعية، شرف، ص 340.

(3) الإمارة المربعة، ص 91

(4) لوران دارفيو، Memoires L.D Arvieux، ص 189

الحملات العسكرية من مختلف ولاياتها حتى يصل تعداد لعسكر أحياناً إلى خمسين ألفاً مقابل بضع مئات من المقاتلين البارعين في عمليات الكرّ والفرّ،⁽²⁾ الذين كانت معاركهم العديدة والطلاحة مصرب المثل وحديث الناس⁽³⁾، والقادريين على تحمل جميع أنواع المشقات وأشدّها صحابه دون تدمير، والمتمتعين بقناعة وشجاعة لا تصاهيان الدين لا يعرفون التراجع خطوه إلى الوراء ويستعملون البندقية والسيف بقوة وبراعة ويصنعون بانفسهم دحيرتهم وهي من أجود الأنواع،⁽⁴⁾.

عشرت السلطات العثمانية منذ البداية ن حربها مع هؤلاء الأعداء هي حرب مقدّسة تشبها الدولة باسم الشرع ودين، فبس أن يكون عملاً تأديبياً بمرصه مصلحة الإدارة العامة وهيبتها هي القضاء على عصبين جماعة من رعاياها تمردوا على أوامر ولاتها وحرحو عن سلطتها فاحتصى تأديبهم وعمايتهم واعادتهم إلى حظيرة الطاعة والحصوع بل هي خدمة دينية وواجب شرعي، لا مهرب من تنفيذ أحكامه، يقصى بأبادتهم والتخلص منهم وتطهير الأرض من هسادهم،⁽¹⁾ «إن أوامر السلطان إلى عمّاله وفادته هي هد، الشأن نرحر بمسارات وأنماطه عبر مألوفة في مثل هذه المراسلات يظهر تماماً نوعية هذه الحرب التي نشتها الإميراطورية على هؤلاء العصاة المتعربين وغابها»

حاء هي أوامر أصدرها الباب العالي باسم السلطان إلى والي صيدا - بيروت مصطفى باشا مع عساكره وكنحده ووالي عرة والعساكر الكاملة التحهير لكل من متسلمي دمشق وحلب وجميع الرعماء والأرباب هي ولاية حلب وألف من حملة البنادق بقيادة كورد حسين وجميع الرجال القادريين على حمل السلاح والقتال كاملي التحهير هي ولايات طرابلس، صيدا، بيروت دمشق وحلب عن طريق البصير العام وكذلك هوفوده كل من حماه وحمص.

«ظهر المنطصة من أجساد الضرباش وبظمها من أجسادهم القدرة⁽²⁾ وبأدائك هذه المهمة تكون قد قمت بخدمة جليلة للدين ودولتي العلية فابذل نفسك وأقصى جهدك،⁽³⁾.

بادراً ما قاتل الحماديون من أجل الحصول على حكم أو منعم أو مطلب من السلطات

(1) الإمارة الدرزية، أبو حسين، ص 60 - 63

(2) التطهير والتنظيم من الرجس الشرعي

(3) الإمارة الدرزية، أبو حسين، ص 63.

سواءً في طرابلس أو خارج الولاية إنما كانوا يصطرون إلى القتال دفاعاً عن وجودهم المستهدف. لذلك يحتمون بالمناطق الحسية الوعرة، يلحأون إليها هرباً من الجيوش القادمة لإبادتهم، ويهربون أحياناً إلى البقاع باختيار قمم الجبال والانحدار إلى المصح المقابل فكانت الجيوش المطاردة تتبعهم إلى حث أنجھوا، ويردّون بفارات دفاعية مصاحّة وحاطمة لمنعها من حصارهم ومطاردتهم بفعالية كما حصل في معارك عين الباطنية وفعل والمرزل حيث أحرروا بحاجات مؤثّرة طالما انقذتهم من مصير محتّم

لبس من السير الإحاطة بتفصيل كل المعارك التي حاصها الشيعة بوجه لهجمات العثمانية، فإن المصادر المحلية ون ذكرت الكثير منها هي مختلف المراحل لتاريخية، إلا أنها مرّت عليها غرضاً وعدتها كفاية لصدّات المألوفة التي طالما تحصيل بين الولاية لعثمانيين، والحكام الممرّدين أو المتحمّين عن دفع أموال السلطان أو من المنارعين على ولاية أو مقاطعه ولم يصل أبداً إلى وصفها هي إطار حرب متواصلة أرادتها السياسة فعليا هي الاستانة لإبادة هذه الجماعة عبر المرحوب في وجودها هي ولاية عثمانية، هي الوقت الذي تحوّل فيه الدولة حرباً محصيرية ومرفعه مند حرون ضد الدولة الصفوية هي إيران هذه الدولة، الحديدية التي أقامها القرلباش الشيعة على أراضي فارس القديمة، واستطاعوا أن يسيطروا سلطتهم على كثير من المناطق المتسارع عليها هي المراق والحريرة وبعض أحرء من الأنابول بمسه من هذا انطلاق اسم القرلباش على الشيعة في جبل لبنان للذين على تهم مصتقون سياسياً ومذهبياً على أنهم أعداء للدولة العثمانية، لا بد من استئصالهم والتخلّص منهم بشكل حاسم وبهائي فمن يكن من المستغرب أن تقوت هذه السياسة عن مدارك المصادر التاريخية المحلية القديمة كالدويهي والشهاس وشدياق وأبي حطار ومن اعتمدتهم وأحد عنهم وذلك شمل معظم التوزيع المحلي اللبناني في مختلف العصور حتى المعاصرة منها

حاول الباب العالي في فترات مختلفة أن يستعس، فضلاً عن ولاته وعساكره بالنصوى المحلية الباعدة للقضاء على الشيعة والحماديين في جبل لبنان ولكن هذه القوى لم تتحارب دائماً مع الطلبات والأوامر التي تنفّأها من أولي الأمر هي الاستانة أو في مراكز الولايات هي صيدا والشام وطرابلس وب تظاهرت أحياناً بتأييد السلطة في مسماها

(1) طرابلس في التاريخ الباب ص 189

(2) تاريخ الدويهي، ص 573

(3) كانت الأوامر لسطانية مرد لـ ابن ممر و بن شهاب للانضمام إلى قوات لولة هي محاربة لقرلباش الشيعة أم د 102-274 الإمارة الدرزية، ص 150

وحملاتها. وقد وصل الأمر بأحر أمير مميني أن يجمع قواه المقاتلة ويقوم أكثر من مرة بتحركات عسكرية شكلية ومناورات فدائية تنهي بإللاف بعض المروعات أو الاحتجاج بممرات إدارية واهية⁽²⁾ لعدم الاشتراك في قتال الحماديين، وتقديم مساعدة جدية للعساكر لهاجمة⁽³⁾، بل كان المعصيون ونشء بيوت وبعض العائلات اللبنانية الأخرى تتصامن أحياناً سرّاً وعلناً مع الحماديين وتشارك معهم في معارم المقاومة والعصيان.

من أهم المحاولات التي قامت بها الدولة العثمانية لنقصاء عن الحماديين وأكثرها دموية وعبثاً وتأثيراً سياسياً على التحولات في لبنان هي التي استأنت سنة (1103هـ 1691م) واستمرت في مصاعد مستمر وموجبات متوالية نحو أربع سنوات متعاقبة والملفت أن التاريخ المحلي لم يعط هذه الحرب لطويلة لحجم الذي يستحقه ولم يول حوادثها الاهتمام الكافي ولم ينته إلى مرسيتها وهذا مع أن البطريرك المؤرخ كان معاصراً لها ومطمئناً بحكم موقعه من الحماديين وصدقه مع حمد المعنى على الكثير من ظروفيها ووقائعها⁽⁴⁾.

إن هي بعض المرمونات العثمانية بصادرة بهذا الشأن ما يوضح بعض العادات التي سبغت السياسة العثمانية في استطمون أي تحقيقها من وراء الحملات العسكرية التي سبغتها مرة جديدة ضد الحماديين لأنهم يسيطرون على ولايه طرابلس بأكملها إذا لم يوضع حدٌ حاسمٌ لوجودهم وبصودهم الذي يشكل تهديداً خطيراً بحرمان الحرمة السلطانية من العادات، ورعية في تحرير هذه الحمه وعطائها انصبغة الشرعة الدينية فإن أمر السلطان صدر بناءً على فتوى شريفة صادرة هي السنة لسابقة أي أنها صفت لنقصاء على الحماديين والشيعه بوجه عام هي حانة الجهاد الشرعي الواجب على كافة المسلمين⁽⁵⁾.

إن تتبّع مراحل هذه الحركة واستمر، تاريخها من خلال الأوامر العثمانية والوثائق المتعلقة بها التي تستي لاطلاع عليها بعيد بما يلي

هي تشرين الأول 1691م، قام "السبعة" لحمديون (لرلماش) بثورة واسعة وشاملة هي مناطقهم التي تسميها الوثائق منطلعه سرحان، وسيطروا على اطراف المدن

- (1) من الواضح أن البطريرك الدويهي يحدد في تاريخه بفاد نهمة العصيان ومساعدة لحمديين عن صديقه أحمد المعنى أساساً إليه "لصاعه بشييه" من جلاه وميرر تقاصه عن الفضائل في صفوفهم
- (2) إن الأمر السلطانية صادرة بموجب فتوى ديبية مؤرخه لاامرد بدرجة، ص 61
- (3) هو سرحال بن قاصبوه حمدة سبق ذكره توفي سنة 1688

والقرى هي تلك الارحاء، وتعطيت الررعة واسجلت تحصيل الأموال الأميرية، فصدر
فرمان عالي الشأن وكتب بهذا الخصوص بطب إلى أمراء الألوية والقضاة في
ولاية الشام وإلى ابن معن وابن شهاب ما يلي

1 - الهجوم على الثوار كل من المبلعين في نطاق ولايته

2 - منع الحماديين من جمع المال في هذه المناطق

3 - قتل من يستحق القتل منهم وترحيل الباقي

كما يستمد من النص الاتي م

أوائل صفر 1103 هـ / تشرين الأول 1691 م

حكم إلى أمراء الألوية والقضاة في ولاية دمشق.

وقد صدر فرمان عالي الشأن وكتب بهذا الخصوص

. صورة كما هو مبين أعلاه، إلى والي الشام وقضاة الألوية هي الولاية

. صورة، كما هو مبين أعلاه إلى أمراء الألوية والقضاة هي ولاية الشام

. صورة، كما هو مبين أعلاه إلى ابن معن

. صورة، كما هو مبين أعلاه، إلى ابن شهاب

ان أشقياء القرلباش في منطقة سرحا يقومون حالياً وبشكل مستمر بالتجمع
وباعمال الفساد والشفافة. (كما أنهم) يسيطرون على اطراف المدن والقرى في تلك
الأرجاء وبتيحة لذلك فإن أراضي هذه القرى والنواحي تبقى غير مرروعة. كما
أنهم يحاولون اخضاع الأهالي بالطعم والاعتداء وبظرا لوجودهم في النواحي
والقرى في الألوية المذكورة فليس هناك سبيل لتحصيل المال الميري ولذا فإن
فرمان عالي الشأن قد صدر وسجن في دفتر دائرة المحاسبة الرئيسية (باش
محاسبه) ويحب إنفاذه فوراً

عندما يصل هؤلاء القرلباش الأشقياء (إلى مطلقتك)، لا تسمح لهم بجمع المال
من المناطق الواقعة تحت سيطرتك (بل) هاجم الأشقياء القرلباش الذين يصلون
إلى ثوانك أو قضائك وقم بالأعمال التي تنال رضا الناس

(1) لإمارة الدرعية ص 141 سبق ذكرى العماوي الصادره بهذا الشأن.

اقتل (من الأشقياء) من هو مستحق للقتل وفقاً لأحكام الشرع. أما من يجب ترحيلهم، فاعمل وفقاً لقيود المحاسبة الرئيسية (بأسر محاسبه دفترى).

في الشهر التالي من العام نفسه، توسع نطاق الثورة كما يبدو من الأحكام السلطانية. وامتدّت إلى مناطق جديدة في نكورة والصنية وأصبح الخوف من سيطرة الحماديين على ولاية طرابلس يدفع الاستدانة إلى حثّ عمّالها على التحرك كما يُستمد من الأمر الآتي

أواسط صفر 1103هـ/تشرين الأول 1691م⁽¹⁾.

حكم إلى والي طرابلس وابن معن

لقد جاء أهالي ناحيتي الكورة والصنية في (ولاية) طرابلس واشتكوا بأن أشقياء الروافض⁽²⁾ الضلّياش الذين يعيشون في حواريهم يقومون بالاعتداء عليهم منذ عدة سنوات، وأنهم لا يتمكنون بأي حماية ومع مرور الوقت فإن (هؤلاء الضلّياش) سيسيطرون على الولاية (بأكملها) وقد ذهبوا إلى ناحية الكورة وقاموا بقتل عشرة أشخاص وسرقوا الأموال والأوراق وسقطروا على العائلات (وننتحّة لذلك) فإن الأهالي وعبائهم جياح ادلاء ألق المبعض على الأشقياء واجتمع عديدهم على المصراة

في آذار 1692م، تابعت الثورة اتساعها وبتولى «الروافض الأشقياء» على نواحي طرابلس الشام ومنذ عدة سنوات تعطل عمر النواحي ومعاوينة ولم يتمكنوا من جمع لصرائب كل ما استقطعت السلطنة عمله هو الماء المبص على بعض الممرّدين ووضعهم في قلعة طرابلس إلا أن الأحوال من وجهة نظرها ستسوء بالتأكيد إذا لم يوضع لها حد.

أواخر جمادى الثاني 1103هـ/آذار 1692م⁽³⁾.

(1) أ.م. ر. 315-102 الإمارة الدرزية، ص 60

(2) الروافض من الأسماء التي حصّ العثمانيون بها الشيعة عموماً

(3) م.د. 102 - 708 ص 150-151

(4) قبل أن توجه مهمة مساعدة الشيعة إلى بن معن ويصطاد إلى الهرب والاحتباء كان يطلب منه ومن غيره من الاعيان الاشتراك مع حيوش الدولة في اقتدار صد شيعة في جبل لبنان

حكم إلى والي طرابلس الشام وملاها وقاصيها.

حكم إلى والي طرابلس الشام الوريث المكرم علي باشا

حكم إلى والي الشام الوريث المكرم مصطفى باشا.

نسخة إلى والي صيدا بيروت أحمد باشا.

نسخة إلى أحمد بن معن^{١٤}

إن الروافض الأشقياء الذين يسكنون في جبال طرابلس قد استولوا على نواحي طرابلس الشام منذ عدة سنوات.

إنهم يقتلون الناس ويعيرون على ممتلكاتهم ويرتكبون كافة أعمال الفساد والشفافة، وما زالت اعتداءاتهم في ازدياد،

ونتيجة لذلك فإن الرعايا المقراء لم يعودوا قادرين على دفع الضرائب وقد ترك معظمهم ديارهم وأحلوا بيوتهم ولادوا بالحرار.

ولما كان الوضع على هذه الحال فإن باشا و من ينوب عنه لا يستطيعون جمع الضرائب

لقد تم إلقاء القبض على بعض الاشقياء المذكورين وحبسوا في قلعة طرابلس وما لم يتم إلقاء القبض ومعاينة الباقي منهم، فإن أحوال الرعايا ستسوء بالتأكيد لقد تم إبلاغه بمحضر (بكل تلك الحصون).

إنه من الضروري والمهم إنهاء ظلم وتعدي المذكورين ضد البلاد والعباد والآن أنت أيها الوريث المذكور يجب إلقاء القبض على المذكورين وجميع الأشقياء عامة بأي وجه من الوجوه ومعاينتهم طبقاً للشرع.

وقد صدر هذا الحكم لأجراء المناسب بهذا الخصوص.

. كتبت نسخة إلى كل من والي وملا الشام وملا حمص

. كتبت نسخة إلى كل من والي وقاصي صيدا بيروت.

فيطلب إلى والي وملا الشام وملا حمص وإلى والي وقاضي صيدا بيروت وإلى والي طرابلس الشام وملاها وقاصيها القيص على الثوار ومعاقبتهم بأي شكل كان.

يُستمد من هذه الوثائق الثلاث أن ثورة عامته قد شنت في ولاية طرابلس حرج سييجتها معظم أراضي الولاية ومقاطعاتها عن سلطة الوالي، وتعطلت الحيازة والريادة وعجز الوالي عن معالحة الأمر مما يستدعي تدخل قوى أخرى أوسع نطاقاً وأكثر عدداً وقد تمثلت هذه الثورة بالمظاهر الآتية

- 1 - التجمع وأعمال الفساد والشفاعة
 - 2 - العجز عن تحصيل الأموال الأميرية وقبم المتمردين بحمايتهم لمصلحتهم.
 - 3 - خروج معظم أحرار الولاية عن سيطرة لسلطه والحواف من شمول هذا التمرد كامل أنحاء ولاية طرابلس الشام
 - 4 - شكاوى من أهل الكورة والصية من عتداء الرواهص وقيامهم بالقتل وسرقة لعائدات.
 - 5 - انقصاء عدة سنوات على هذه الحركة دون التمكن من وضع حد لها
- رسل هذه الأوامر إلى جميع الولاة والقضاة والملاي في بر الشام وإلى ابن معز وابن شهاب وسواهم من المتقدمين تطلب.

1 - قتل من هو مستحق من المتمردين ومعاقبة الباقيين

2 - الهجوم عليهم عند دخولهم إلى منطقة عامل المأمور والقبض على من يقع في يدهم ومعهم من جمع الأموال في كل الظروف ولكن لم يظهر من خلال هذه الوثائق أن الباب العالي قد جهز بعد قوة مركزية لنقصاء على لتمرّد في كلّ أنحاء الولاية وحارحها وإنما يكتفي بأوامر إلى كلّ من لولاة والعامل بمعالجة الموقف داخل ولايته دون تنسيق مبادرة مشتركة بين كلّ هذه القوى. بل تكفي بالطلب إلى الولاة والعامل بالاتصال في ما بينهم، ولاتفاق على القيام بعمل مشترك في وقت محدّد بدون تعيين قائد عام على هذا، التحرك أو منه بالحشوش لمركزية من العاصمة مع أنها استثمرت جميع عمالها وولاتها في مختلف أنحاء بر الشام، وأعني أن الحماديين عصاة

متمردين قد اسولوا على أنحاء ولاية طرابلس الشام منذ عدة سنوات، وامرتهم بالتصدي لهم وقتالهم كما أمرت سائر المعيين والشهابيين تحديراً لهم ربما من الانضمام إلى العصاء كما حصل هي تتحرك لسابق سنة 1660م

كانت التواريخ المحيية على شيء من التحفظ ولعموم في الحديث عن هذه الحرب التي استمرت عدة سنوات ولم تناولها كحركة مستقلة لها أسبابها وتطوراتها ونتائجها، بل اقتصت بإيرادها موحدة على أنها حادثة أخرى من مسلسل الصدمات المتواصلة بين الباشوات والحماديين عرض لها الأمير حيدر في «لعرز الحسن»⁽¹⁾ على الشكل الآتي

«في السنة 1103هـ - 1691م. حصر إلى إيالة طرابلس محمد باشا فصرف مشايخ آل حمادة في قطائعهم وأعطى الشيخ حسين بن سرحان بلاد جبيل والبترون وأعطى ابنه الشيخ اسماعيل الكورة و الشيخ موسى بن أحمد الحبة وأعطى أولاد حسن ديب الصنية

وفي السنة 1104هـ - 1692م عزل محمد باشا عن إيالة طرابلس وحضر مكانه علي باشا فصرر آل حمادة في مقاطعاتهم، ثم إن محمد باشا المعروف عن طرابلس صار قائممقام الدولة العلية فأرسل له أدباً بحكم بلاد بعلبك حتى إذا هرب أحد من آل حمادة إلى بعلبك تمسكه يده ووعده ذلك غير الأحكام فأعطى عكار والهرمل لهزيم أعاب بن دندش وجبيل لحسين الجناح بن الحسامي والبترون للمقدم فائده بن الشاعر والصنية للشيخ أبو فاضل رعد و لروية والحبة للشيخ ميهائيل بن نعلوس. وكتب إلى الأمير أحمد بن معين أن يتحده بالرجال فأرسل له المشايخ الخوارية بنحو ألف رجل اتصلوا بعسكر علي باشا فوق جبيل ولما بلغ ذلك الحمادية انهزموا على طريق العاقورة فلحققتهم لعساكر ومات منهم ومن عيالهم نحو مائة وخمسين نفساً من الثلج وعندما وصلوا إلى قرية الصرر⁽²⁾ أقتلهم العساكر وأبادتهم. ولو لم يعضء عنهم المشايخ الخوارية ما سلم منهم أحد فإنهم دافعوا عنهم وقادوا الحشيش إلى جهة أخرى بعدما هرب الذي سلم منهم ثم رجع آل الخازن عنهم معتبرين للباشا أن ابن معين لم يعطهم إداً أن يحتاروا إيالة طرابلس ثم حرق

(1) لعرز الحسن، ص 879 - 880

(2) بلدة هي لبضع قرب رحلة

(3) خلف أباه سرحان في مشيخة الحماديين، وهو واند اسماعيل ويلاحظ في المصادر لرهانية لمركيز على دور آل الحارث العسكري بين خمسين ألفاً من العساكر العثمانيه ومعظم ولاية بلاد الشام

(4) هو ابن أخت سرحان «حافظ طرابلس» وشيخ الصنية

الباشا القرى واستتاب في بعليك أحمد أغا الكردي ورجل بالعمسكر. ثم إن أحمد أغا كتب إلى آل حمية طالباً حصورهم وعدم حصره إليه غير بهم وقتل منهم ستة عشر شخصاً وأرسل كبيرهم الحاج ياغي وأولاده إلى علي باشا فقتلهم. ثم إن حسن باشا أعطى أمراً للتفتيش على آل حمادة في بلاد جبيل فالتفتش قبض على الشيخ حسين بن سرحال⁽¹⁾ وابن أخيه والشيخ حسن ديب⁽²⁾ وسبعة من رفاقهم وأرسلهم جميعاً إلى الباشا وحال وصولهم قتلهم وما عاد ظهر أحد من آل حمادة،

وجاء في أعيان الشدياق عن الوقائع نفسها

«وسنة 1692م عُزل محمد باشا عن إيالة طرابلس وتولى عوضه علي باشا اللطيف فصرف الحمادية في مقاطعاتهم. فكتب إليه محمد باشا أن ينهض على الحمادية ويرسل له ثلاثة عشر رأساً منهم ميتاً له». فكتب علي باشا إلى الأمير أن يتحدوه بالرجال لقتال الحمادية. فكتب الأمير إلى الخوارنة أن يتحدوه بألف رجل فأتحدوه وساروا إلى جبيل فلما شعرت بهم الحمادية انهمروا في طريق العاقورة. فهلك منهم بالثلج مائة وخمسون نفساً ثم انهمس الخوارنة من علي باشا أن يكتب عن الحمادية فأجابهم والتمسوا أنصاً منه أن يأذن لهم بالرجوع إلى بلادهم لأن الأمير أحمد لم يأذن لهم بالخروج عن حدود إيالة طرابلس. هادنهم⁽³⁾»

وجاء في «خطط الشام» عن الموضوع نفسه

«وأرسلت حملة على أثناء سرحان حمادة (1103هـ) النازلين في جبال طرابلس وكان لهم قبائل وشعائر فاتفقوا مع أبناء معن حكام صيدا وبيروت، فصاروا يلتزمون أموال الحكومة ولكن لا يؤدون إليها مطالبها في آخر السنة. حتى قلت واردات الدولة فأوعزت إلى محاضد الإيالة المذكورة الوزير علي باشا فجمع ما تيسر له من الأجناد وذهب إلى جبالهم التي امتنعوا فيها فقتل منهم كثيرين، وأخذ

(1) على أن يكونوا من أعيان بيت قاصصو حمادة، طرابلس في التاريخ كامل البابا، ص 191.

(2) تاريخ الأعيان، ص 299، الجزء الأول

(3) محمد كرد علي ص 270 ومن الواضح نادر الشهدي والشدياق بما أورده الدويهي وربما حرمياً، (ينتهي تاريخه سنة 1699م) أما صاحب الحفظ فنشر عنهما ما عدا اليدية أحدها عن مؤرخ تركي وفاته كما فات زميله الكثير عن الحقائق الأولية أن بن معن لم يكن حاكماً على صيدا وبيروت في أي وقت ولم يشتم أحد من أسرته هذا المنصب منذ إنشاء هذه الولاية سنة 1660م، ووالي صيدا وبيروت في هذه الأثناء كان الوزير أحمد باشا وحلفه مصطفى باشا حتى سنة 1697 في منصبه. وإن جميع المعاملات التي يذكرها المؤرخ لا علاقة لال معن بها وكاتب وسمعت بعد هذا التاريخ في حكم آل حمادة مع غيرها وهي من أقاليم ولاية طرابلس

زعماءهم وجعلهم طعماً لسيوف رجاله. وطلب أثناء معن الأمان فأجيبوا إليه، وتحصنت المقاطعات من تعديهم وظلمهم وبرز الحكم من آل حمادة وكانوا في بعلبك والهرمل وعكار وجبيل والبترون والصنية والزاوية والجبة، وأنهرموا على طريق العاقورة فلحقهم العساكر ومات منهم ومن عائلهم نحو مائة وخمسين نصفاً من الثلج، ولما وصلوا إلى قرية العرول اتهم العساكر وأبادتهم⁽³⁾.

يلاحظ أن المؤرخين الثلاثة يميلون، كما فعل غيرهم، إلى استبعاد أحمد المعني من الاشتراك في التمرد، أو مساعدة الشيعة في ثورتهم على الأقل، وبصعوبة في موقف المناصر للعسكر العثماني ودنس اسماً وتأثراً بما رواه الدويهي عن صديقه، إذ حاول جاهداً أن ينمي عنه صمة التمرد والعصيان على الدولة وحتى التلكؤ عن تلبية دعواتها للمساهمة في الحرب على الثوريين ورغم ذلك فقد بدا موقفه مرزوقاً عامصاً يعوره الشك والوصوح على عكس ما ذهبت إليه المصادر الرسمية العثمانية التي بالغت في مرحلة لاحقة في دوره بالثورة إلى حد اعتباره مشاركاً حميماً للمتمردين فأهضته السلطة عن مناصبه واعتب عدوه موسى علم الدين مكانه مما أحدره على التحقير باسطار تمر الأحوال

ومع كل ما قاله المؤرخون الثلاثة وغيرهم كثير من نهاته الحماديين، قالو صح من مجريات الأحداث بعد ذلك أن جميع الحملات العثمانية سنة 1103 هـ قد فشلت في تحقيق أهدافها، ويبدو أن تأثيرها على الحماديين كان محدوداً

وإن ما ذكره الشهابي عن تهمة ما عاد ظهر أحد من بيت حمادة، أو قرصوهم عن بكرة أبيهم كما توقع من يقل عنه صاحب «حطط الشام» ومعظم المؤرخين المحليين الذين عرّضوا لهذه الوقائع بدليل أن تمرد استمر في بصاعد واتسع وأن أوامر السلطان إرداد حدة وحسم كما يتبين من الحكم الاتي

حكم إلى والي الشام الوزير المكرم مصطفى باشا¹.

نسخة إلى والي صيدا بيروت أحمد باشا

نسخة إلى أحمد بن معن.

وصدر في التاريخ بحقه حكم إلى و سي طرابلس الشام الوزير المكرم علي باشا

(1) هو بيغلي مصطفى باشا عمير و لي صيدا الذي جعل الاسم بحقه والذي تولى صيدا بين 1693 و 1697

«أوائل جمادى الثاني 1104 هـ / شباط 1693 م

حكم لي والي طرابلس الشام الوزير المكرم علي باشا،

إن طائفة القرلباش التي ظهرت في ولاية طرابلس الشام تستوطن مناطق وعرة، وقد سيطرت هذه الطائفة، بالقوة وبدون وجه مشروع على مصاطعات المال الميري، واغتصبت العائدات التي هي حسب الشرع ملك لبني مال المسلمين (الحزينة). وبالإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء القرلباش قد ظلموا وتعدوا على الرعايا المقراء في تلك الأنحاء حتى لم يعد هؤلاء قادرين على حماية أهلهم وأولادهم أو حراسه أموالهم وأوراقهم ودوابهم ومواشيهم ومرروعاتهم وأشجارهم المثمرة. وقد رفض هؤلاء الأشقياء الالتزام بالشرع الشريف أو طاعة الولاء

أما هي ما يتعلق بتحصيل المال الميري فهؤلاء (القرلباش) عائق قوي، وتهدياتهم على الرعايا المقراء لا سابق لها إن وجودهم هي تلك المنطمة سبب لحراب البلاد والاحتلال أحوال الماشركين (الموظفين) والعباد.

لقد اوضحت انه من الضروري رالتهم من قبل الأنحاء، ومنع ظلمهم وتعديهم على الرعايا المقراء وأصرارهم بالمالي الميري

وقد أرسل امري الشريف الى الدستورين المكرمين، المشركين المحضين، نظام العالم والبي السام وصيدا بيروت ادام الله تعالى إجلالهما والى ان من الدين سيتصلون بك تمنع في الوضع، و تمنق معهم على وقت محدد ومعلوم لتحرك صد الطائفة المذكورة في المناطق الحبلية التي يعيشون ويتحصنون فيها ألو القبض على جميع الأشقياء المذكورين، وعاقبهم بما يستحقون طبقاً للشرع اصمن سلامه جميع الرعايا المقراء في تلك المناطق صد شرهم وهسادهم، وارفع التسلط عن أموالهم وأوراقهم حسن أحوال الرعايا وعمر القرى والمصاطعات، واغن حرية طرابلس الشام، لقد صدر تنبيهي الهمايوني ببالك وعليك التقيد والعمل وفقاً له

الآن انت أيها الوزير المشار إليه، عندما يصلك امري الشريف اتصل بالشار إليهما ويابن معن وحسيما تراه مناسباً وبالاتفاق (مع هؤلاء) تحرك صد الجماعة المذكورة في وقت محدد وهاجمهم في الحبال حيث يعيشون ويتحصنون الق القبض على جميع الأشقياء المذكورين وعاقبهم بما يستحقون طبقاً للشرع.

اضمن سلامة الرعايا المقراء هي تلد الأنحاء صد شرهم وفسادهم، وخلص أموالهم وأرزاقهم من تسلطهم حسن أحوال الرعايا وعمر القرى والمقاطعات واغن خزينه طرابلس الشام.

كتب (هذا الحكم) للتقيد (بهذه التعليمات) (1).

ولا يخرج الحكم الصادر إلى والي الشام مصطفى باشا في التاريخ بمسه عن الأوامر الصادرة إلى والي طرابلس.

أنت أيها الوزير المشار إليه، والي طرابلس الشام والدستور المكرم المشير المقدم نظام العالم والي صيدا - بيروت ويريري أحمد باشا أدام الله تعالى إجلاله وكذلك ابن ممن قد تم تعيينكما وتكليمكما بهذه المهمة. الآن عندما يصلكما أمري الشريف بادرا إلى الاتصال بوالى طرابلس الشام الوزير المشار إليه في الوقت المعين الذي تريانه مناسباً بادراً بالهجوم على الطائفة المذكورة في الحبال التي يعيشون وينحسرون فيها. والقبض المبص على جميع الأشقياء الفرلماش وعاقبهم بما يستحقون طبقاً للشرع (2)

م د. 664/104

نسخة إلى والي صيدا - بيروت أحمد باشا

م د. 665/104

كتبت نسخة إلى (أحمد) بن معن (3).

في حربها مع شيعة جبل لبنان، أعنت الدولة الممير العام واستهضت كل قواتها العسكرية على احتلاف مهامها وأنوعها، وإلى جانب العسكر النظامي والولاة العثمانيين وما يستطعمون حشده من مفلتين، أرسلت الأوامر والمرمانيات إلى الحكام المحليين والشيخوخ النافدين ورؤساء القضاة، وزعماء الأرباب تطلب إليهم الاشتراك في هذه الحرب المقدسة للقضاء على الفرلماش الملاحين أعداء الدين والدولة. ومن الرعماء المحليين الذين طلب السلطان منهم الاشتراك في تحقيق هذا الهدف الهام ابن معن وابن شهاب والشيخ كليب شيخ الشام وموسى علم الدين وسائر زعماء العشائر

(1) م د. 663/104 المرجع السابق، ص 153 - 154

(2) يلاحظ أن أحمد من كان حتى هذا التاريخ على الصدقة ولم يصبح موضع اتهام بعد.

والأسر.

وقد طلب الدولة أكثر من مرة من الأمير أحمد المعني - وهو أقرب الحكام حراً هياً إلى مناطق العصاة وديارهم أن توليه عليها ليكون بحكم هذا المنصب مسؤولاً عن المعني في تنفيذ سياستها والمساهمة الفعالة في القضاء على التمرد والوجود الشيعي هياً.

كان موقف المعني متحفظاً، فهو - وإن رفض هذه العروض تكراراً متدرجاً بأسباب مختلفة - إلا أنه سار على رأس قواته إلى بلاد العصاة وساهم في الجهد العسكري العثماني دون أن يدخل في مواجهة حذية أو قتل فعلي، وإنما كان يكتفي بحشد المقاتلين وقيادتهم إلى ميدان المعارك والانسحاب في وقت مناسب لعدم رعيته في المشاركة الفعلية هياً.

وقد جهد صديقه البطريرك في تبرير عدم حماسه لقتال الشيعة لأسباب واهية عبر مقنعة فصد من ورثها إبعاد شهة التمرد والتأخير عن تنفيذ الأوامر الهامانية بحماس واندفاع ولم يكن موقف الأمير المعني في صراع الدولة مع الشيعة حديداً بل كان موهماً ثانياً حتى قبل نشوب هذه المرحلة الحاسمة من الصراع.

يصنف الدويهي موقف الأمير المعني المتردد في إحدى مراحل الصراع سنة 1684م

«قتل الحماديون أبو نادر شيخ لمزرعة بكار واس أخت باشا طرابلس في حلبا وبعدما انزل الباشا برلوا وطاعوا رهوبتهم بالسيف من قلعه طرابلس وقتلوا أربعة أنص في كسروان، وكبسوا برفقة الحرافشه وبيت حمية عشقوت وقتلوا من أهلها أحد عشر نفساً فحصر الأمير أحمد في العشر الأول من أيار توجه بنفسه إلى عزيز ومعه نحو خمسة آلاف نفس قواصة فوصل إليه، المعونات، أن تكون بسده جميع المقاطعات التي كانت بيد الحمادية وقد اشترك في هذه الحملة الشهابيون واللمعيون وشيوخ كسروان، فأمر الأمر بعد انسحاب الحماديين إلى بعلبك الأمير قاسم أن يكبس بلاد جبيل والبترون فحرقوا إبيج ولاسا واقفا والمغيرة وقصوا املاكهم ودكوهم إلى الارض، ثم ان كواخي سعادته تشمعوا فيهم وذكروا أن الشيخ سرحان كان له تعب قدامه، وأن أولاده قتلهم اليمنية على كيسه فتشعق عليهم وعما

(1) تاريخ الدويهي، ص 572-573 وقد سبقت الإشارة إلى هذه الواقعة

عنهم ورجع إلى الشوف من غير أن يستقبل في الخدمة التي كان أرسلها الباشا إليه،⁽¹⁾

من الواضح في رواية الدويهي، د. م. تحاورياً تبرراته الساذجة من تشفع الكواحي وشعور الشفقة المباحة الذي اعتري الأمير وتشيط د. كره - أن دخول الحملة إلى عرير لم يكن أكثر من مظهره استعراضي يقصد منها إرضاء الوالي ومن ورائه أولي الأمر هي الدولة تقص بعض المروعات، والاصرار بعض الأملاك دون قبول حلج الولاية لمحاسبة على مناطق طالما أثار التدهس على أصغرها براعاً دامياً بين الطامحين

إن للامير احمد اسباباً كثيرة لاتخذ هذه المواقف المكلفة بين الدولة وأحصامها، ومن المرجح أن أهمها العوامل الآتية

1 - إن مصلحة الأمير تقضى بعدم قيام لسيطرة العثمانية القوية على حدود إمارته المتداخلة مع بلاد الحماديين خصوصاً وأن تاريخه وتاريخ أسرته المتساوي مع هذه الدولة لا بد أن يدفعه دئماً إلى حرصه والخوف من سطوتها وعمرها بعد أن قتلت آحاد ومعظم أفراد عائلته، ولم يخف هو شخصياً من هذا العذر إذ بقي يعاني منه طيلة حياته وحداً واحداً وحسباً حتى أنه كان ينام في النهار وينصلي الليل ساهراً جعل نهاره ليلاً بحسباً من مصير مشابه لمصدر معظم أهله وهي ممارسة موروثه في عائلته⁽²⁾

2 - كانت علاقه الأمير مع الشيعة علاقة ودية وتناصر طيبة هزمه حكمه التطوية (1664 - 1697م) - وقد تبدل الطرفين لمسانده في أكثر من طرف دقيق وقد لحا بهم مع أحبه وحلفائه لشهابيين هرباً من حشوش الدولة بقيادة أحمد الكورلي (1660م) عندما استهدف قمعها الجميع

3 - لم تكن عاية العثمانيين لبعضى على أمير طابا خبر أساليبهم بإلمااء عيب الخلاص من الحماديين على عاتقه معاً ينتج عنه حرباً غير مصعوبة، النتائج بين المناولة والدور، وبين الشمال سياسي وجنوب، تؤذي إلى إيهاب الطرفين واسمادة السلطة، يحاكمه من الخلاص من فريق أو إصناف الفريقين معاً وهي ذلك تحقيقاً لهدف سياسي عثماني مأصل وقدم بمنح لولاء لعثمانيين فرصة لتصرف بمناطقهم بحرية مطلقة وتسليمها إلى من يشاؤون من متسلمين صغاف يبقى لهم لإشراف الكامل

(1) إشارة إلى انكمين الذي بصفه وسي صيد به ولأخيه قرقمدر وبنج عنه مقتل قرقمدر وإصابه أحمد بحرج في رصته يعني يعاني من آثام حتى دمه

(2) خلاصة الأثر المحيي بحره، الجزء 409 وهري مؤسرين، ص 57 - 58

و لتصرف غير المقيّد كما يشاؤون ويرعون.

4 - كان الأمير أحمد بحرص على استمرار علاقات الوفا والتحالف مع الحماديين ليبقى على دعمهم له في صراعه الدائم مع الخصامه هي الشوف، وعلى رأسهم موسى علم الدين. وهذا ما حصل بعد أن عصت الدولة عليه بسبب مسابقتها لهم وعيّنت موسى مكانه فاضطر إلى الاختفاء فهاجم الحماديون جيش الدولة في المتوح وقتلوا ابن الأمير موسى وكان والده هي سطةبول بصحة علي باشا والي طرابلس وهذا ما يذهب إليه شيبان الحارثي في تاريخه عندما يقول «ان تراهي الخواص على الأمير كان بسبب اليزيكية الذين هم أنوف من ثلث عسكره لتستميلوا الحمادية نحوهم» .

بقى الأمير المعني يعتبر بصيراً للدولة على الأقل حتى 1693م عندما عزل على باشا عن ولاية طرابلس وأصبح وزيراً للصدارة، وولي مكانه أحد رجاله أرسلان باشا فأرسل على باشا رسالاً من حلب إلى الأمير يعرض عليه مرة أخرى ولاية مقاطعات الحمادية على أن يسع «أذاهم» عن ولاية طرابلس فهم يقبل⁽²⁾ فأعطى الباشا بلاد حبل إلى الأمير حسن بن سعد، الكردي وبلاد البهروان إلى المقدم هاندييه بن الشاعر وتوخته إلى اسطبول ومعه الأمير أحمد الكردي والأمير موسى على علم الدين وأرسل أرسلان باشا عساكر لمهاجمة الحماديين فانقسم العسكر في مسيره إلى قسمين أحدهما بقيادة مدثره محرم أعا أحد طريق الحرد، ولآخر على رأسه أمراء الأكراد ومهمو بيت الشاعر سار على طريق لساحل حتى تبقى لجيشان في «عين فبل» هي المتوح

في هذه الأثناء كان أولاد الشيخ حسن حمادة يحبّون المروسة للانتقام لوالدهم⁽³⁾. وفيهم إنهم كانوا يحسّون في سائر جدي قرى جبل الدروز فباعوا الجيش ليلاً وعلى رأسهم اسماعيل بن حسين وطمرؤا به وطردوه مهروماً حتى نهر ابراهيم وهتلوا منه نحو (40 - 50 رجلاً) من قادة هذا الجيش ومن بينهم الأمير حميد الكردي وابن الأمير موسى علم الدين الذي عين لاحقاً حاكماً على جبل الدروز مكان محمد المعني وكان محافظاً على قلعة حبل والأمير أحمد فلاوون والمقدم منصور بن قاندييه الشاعر المعين حاكماً على البترون وأولاد عمه يوسف رادار قلعة جبيل والأمير أحمد فلاوون

(1) الأصول التاريخية، مجلد 3 ص 409 نقل دند ليدبولوجيه عن شرف ص 359.

(2) أخبار الاعيان، الشدياق ج 1 ص 299

(3) طرابلس في التاريخ، الباب ص 193

ولامير عبد الحالق منصور وغيرهم.

بقيت بلاد الشيعة عصبه على الدونه العثمانية. وكان لموقعة عين قبل صدق كبير هي عاصمه الإمبراطورية حتى وصلت أخبارها إلى «مسامعه الهمايونية». وكان رفض ابن معن المساهمة الحديثة في المعارك العسكرية ضد الحماديين وعدم امتثاله للمروض المتكررة بتولي الأحكام في مقاطعتهم والتصدي لهم، قد بدأ يلقي بدور الشك في صحته ولأثائه، وصدق طاعته للدولة العلية ويبدو أن معركة عين قبل وما تردد عن إطلاق الشيخ اسماعيل وأخوته و200 من رحبه من نتائج حل الدروز الواقعة هي مقاطعة المعني قد حوّلت الشك إلى يقين وولدت الاقتتاع التراسع بأن الأمير يقف بعواظله مع المتمردين ويساندتهم سرّاً ممّا شكّل سطر الاستانة عامل دعم وقوة راد هي عنادهم ومنذ في مقاومتهم.

أحمد المعني والثورة الشيعية

«حكم إلى والي طرابلس أرسلان دام إقباله»

إن ابن معن الذي يضم هي جبال صيدا بيروت لم يلزم حدوده؛ فهو يقدم العون للقرنباش الملاعين وسائر اهل الصناد الدين يحب القصاء عليهم، والدين يوجدون في جبال طرابلس

لقد صدرت الاوامر سابقاً إلى ابن معن بالكف عن مساعدة القرنباش وإزالة هؤلاء المفسدين المذكورين إلا انه لم يمثل لأوامري العلية وكذلك هان المخاديل المذكورين لم يتم قلعهم وقمعهم واستئصالهم، لأن الولاة لم تنق كلفتهم وتديبرهم وجهودهم وهكذا فقد استمرت أعمال الصناد.

استطاع الوزير الأعظم علي باشا بعون الله أن يجعل من غالبيتهم طعماً للسيوف، وأن يصهرهم ويهلكهم إلا أن ابن معن منذ لهم يد العون هوخذهم وراد من قوتهم فعادوا إلى عاداتهم القديمة التي حبثوا عليها في ممارسة الشقاوة والتسبب في الضرر لعباد الله وإشغال نأز البعي والطعيان.

قتلوا 40 - 50 مسلماً اثناء القتال، وقد وصلت هذه الأنباء وأنباء أخرى مماثلة

(1) إشارة إلى معركة عين قبل

(2) مهمة دفتري 39/105 ص 77-78

عن الجراءة في ارتكاب أعمال الفساد والإصرار عليه إلى مسامحي الهمايونية⁽¹⁾. وكما كان الأمر سابقاً، فإن أوامري الشريفة المصروية بحظي الهمايوني قد صدرت مجدداً لمن كلّفوا في السابق بهذه المهمة تطلب منهم أن يؤخذوا جهودهم بما هو معقول ومناسب. وعلى هذا الوجه، إن شاء الله تعالى، هاجم المذكور ابن معن فإذا لجأ إلى البعي والعصيان وتصدى بالقتال، فلا تتردد أبداً في قتاله وعقابه هو وأنباعه بلا رحمة فهم أشقياء اعتادوا على الفساد والشفاعة. أرسل رؤوسهم إلى دار السعادة، وظهر المنطقة من أجساد المرباش والمسددين القدرة⁽²⁾.

وفي كتاب آخر بالمسمى "نصه إلى والي دمشق يقول فيه: صدرت أوامري العلية إلى ابن معن بمنحه من مد العون إلى القرلش ونطلب إرائتهم، إلا أنه لم يمثل ولم يعر الأوامر أي اهتمام وقد تعذر قمع وقلع وإزالة هؤلاء المخاديل واستمرت أعمال الشفاوة.

تأكد عند الدولة وقوف ابن معن إلى حاسب الشبهة، فكان لابد من إرسال العقاب به، وعزله عن حكم جبل الدروز ونأدبه بعد أن أصبح شطراً السلطنة عاصياً ينطبق عليه ما يجري على من هو متهم بمساندتهم

في حزيران 1694م (شوال 1105هـ)، صدر الأمر السلطاني لوالي صيدا بمزل ابن معن وتعيين موسى علم الدين مكانه لأن مساعدته للمرباش هي أمر أكيد ويجب كمن يده

«أواسط شوال 1105هـ/حزيران 1694م

حكم إلى والي صيدا - سروت ووالي دمشق والي أمير أمراء طرابلس ومتسلم حلب وقضاة وقويمودات المقاطعات والرجال ذوي الشأن في الولايات المذكورة

لقد قام ابن معن بالسيطرة على مناطق لشوف والحد والمثن والشحار والعرب وكسروان، وأقليم الحروب ومرج عيون وما يتبعها من مقاطعات صيدا - بيروت بوجه غير شرعي. وهو يقوم أيضاً بمد يد العون لقرلش وسائر المسددين في تلك الأنحاء وكان قد وجه التحدير في السابق، إلى المذكور ابن معن، بموجب أوامري الشريفة من معنة مد يد العون للأشقياء عندما أصبح تخريبهم للبلاد، وتسببهم بالضرر. ولكنه لم يمثل واسمر في مد يد العون للمسددين. ولذا، فإن الدستور الأكرم المشير الأفخم، نظام العالم ناطم منظم الأمم الورير الأعظم والسردار الأكرم

(1) مهمة دفتري 14/105، ص 81

علي باشا أدام الله تعالى إجلاله، والي طرابلس، قد كلف بموجب أمري الشريف الصادر بناء على فتوى شريفة بمحاربهم وبعون الحق، قصد استطاع أن يعاقب معظم القرباش الملاحين. وقد صعب كثيرا من بقي منهم، ولم يعودوا قادرين على التسبب في الفساد.

ولذا، وبموجب براءتي عالية الشان، فإن المقاطعات المذكورة قد وضعت في عهدة قدوة الأمراء الكرام موسى بن علم الدين واعطي رتبة أمير لواء، على سبيل الالتزام وعلى رعايا تلك المقاطعات أن يمثلوا لأمرى الشريف إن الدين يؤدون العشر والرسوم لموسى بن علم الدين سيكونون مدين على أنفسهم وعيالهم وأولادهم وأموالهم وأوراقهم من أي تدخل، ويستمروا في العيش حيث هم في أمن ورفاهية داعين لدولتي بالدوام أما الآخرون لحاجون عن دائرة الطاعة من الرواقص والملاحين وأهل الفساد وأتباع من مع هجرت معاقبتهم حيث يوجدون طيما للشرع، ومصادرة أموالهم وأوراقهم لصالح لدولة حداري من حمايتهم بأي وجه أو التكاثر والتقصير في إتمام أمري الهمايوني /

وقد صدر فرمان عالي الشان بهذا الخصوص،

يبدو من حيثيات هذه الأحكام الدستورية أن الاتحاد في هذه السمره أصبح ناماً ووثيقاً بين الشيعة الثائرين ولأمير المعني الذي تحاطل مواقفه في البداية بموضع شديد، أما الآن بعد أن استبدل بأحد أشد أعدائه ومناقضيه «موسى بن علم الدين»، فقد احتصى الأمر المعني عن الأنظار واعتمد لعمل السري مصطراً بعد أن أصبح مطارداً من السلطة في حياته وماله ومصصه وقد أعليه السلطان ممرداً وثائراً وجارحاً على الطاعة وأصدر أوامره إلى جميع عماله باعتبار أحمد المعني متحداً مع القرباش ينطبق عليه ما ينطبق عليهم من معاملة وأحكام

«أواخر شوال 1103 هـ / حريران 1694 م .

حكم إلى طاهر عبد العزيز، أمير منفق سلعية ودير رحبة،

إن أحمد بن معن، المقيم في جبال صيدا - بيروت قد وضع يده بصورة غير شرعية (تعلبا) على تلك النواحي وقام بأكل وسع مال الصرايب من هذه المقاطعات وهذا عمل غير مشروع وصار كل الضرر في ما يتعلق بالمال الميري، وبالإضافة إلى هذا، فقد اتفق واتحد مع طائفة القرباش، الذين هم على شاكنته، وقد وصل إلى سمعي الهمايوني أنهم يخربون الصرى، هي تلك المناطق، وينهبون أموال أهاليها

(1) أ.م.د. 28/105، المصدر السابق ص 71 - 72

(2) المصدر السابق، ص 72 وهذا يؤكد بصورة حاسمة اشتراك أحمد المعني في تمرد الشيعة

ويقومون باستمرار بأعمال الفساد والفساوة،⁽¹⁾

وما لبثت لهجة المرميات الصادره بشار بن معن أن اردادت حدة وقساوة حتى كادت تماثل تعبير المستعملة في الإشارة إلى القربان الملاعين القدرين المحاذيل، فهي حكم موجّه إلى والي صيدا في تشرين الثاني 1694م، جاء في مستهلّه أن قمع ابن معن وقلعه واستئصاله هو من أهمّ الامور وأكثرها ضرورة، وفي فرمان آخر بالتاريخ نفسه.

«أنت أيها الوالي المشار إليه إن صدر فرماني بقلع وقمع واستئصال ابن معن وأتباعه، فإن بعضهم قد لحا إلى السجن الراسية هي الموائى القريبه من طرابلس وهناك احتمال أن يلحوا إلى الصرار»⁽²⁾.

ظهر المنطقة تماماً من جميع القربان وبطونها من أجسادهم القدرة عاقبت ابن معن منبع الشاوة فقد أصبح وأصبحا ان شر هؤلاء المفسدين لن ينتهي إلا إذا قضى عليه،⁽³⁾

تصاعدت لغة المرميات السلطانية في عام 1795م وبلغت إلى الولاية العثمانية هي كافة الولايات في جميع أنحاء بلاد الشام وأصبح ابن معن وبن شهاب يعتبران في عداد المنرددين وأنه لا يمكن القضاء سام على المفسدين الشيعة إلا بعد القضاء عليهما، لا بد من تساؤل عن سبب سكوت المصادر المحلية عن عرض تفاصيل هذه الثورة التي لا نعلم إذا كان تاريخ لبنان العثماني قد عرق بصحامتتها وطول مدتها وكثرة العساكر والهاده والولاء الذين أمروا بالنصدي بها، وهي التي أحبرت السلطان العثماني نفسه على الاهتمام بها، وإعلان التعبير العدم، واستصدار فتاوى شرعية بشأنها ومع ذلك فقد بقيت مستمرة ولم تحقق الحملات العسكرية العثمانية نتائج حاسمة هي القضاء عليها، أو الحد من قوّة نفوذهم وبموادهم وعبادهم وإصرارهم على المواجهة رغم الفارق الشاسع في العدد والعدة والموارد بين الطرفين.

لقد اكتفت هذه المصادر بإشارة تكاد تكون عابرة عن هذه الأحداث كلها، فلم يرد الأمير حيدر عن الفول إن أرسلان باشا والي طرابلس بعد أن بلغه نبأ انهزام عسكره في عين قبعل أرسل عرض حالات إلى الباب العالي يشتكي فيها على ابن معن أنه مرسل رجاله مع آل حمادة وخرج في عسكره إلى نهر ابراهيم ينتظر الحواب ولا وصلت الشكايات إلى الباب العالي أصدر أوامر في عزل ابن معن وإعطاء الأمير موسى اليمني ابن علم الدين السبع مصاطب الني بيد ابن معن وأمر أحمد باشا

(1) أ.م.د 106 39 المصدر السابق، ص 92

(2) أ.م.د 105-38 المصدر السابق، ص 76

(3) المصدر السابق، ص 93

والي الشام ومصطفى باشا والي صيدا و سماعيل باشا الأسير والي حلب وأحمد باشا خوردار والي عرة وأرسلان باشا والي طرابلس فاجتمع نحو ثلاثة عشر ألفاً في وطا عرجموش في البقاع، وحصر إليهم من المشايخ القيسية الكدية والعيدية وسيد أحمد أبو غدة من اليربكية والشيخ حصن من لحواربة أما الأمير أحمد بن معن فحين تحقق خيانة البلاد احتصى فتمتشت الدولة عليه في وادي التيم والمثن وكسروان فلم يبق له على خير⁽¹⁾

وكان الشدياق أكثر إبحاراً دون أن يصيف شيئاً على ما قاله الأمير الشهابي، قدم أرسلان باشا الشكوى إلى السلطان أحمد بأن الأمير المعني وجه جيشاً هاهنا عسكرياً فأصدر السلطان أمراً إلى اسماعيل باشا والي دمشق ومصطفى باشا والي صيدا وأحمد باشا والي عرة وطرس باشا والي حلب أن ينهضوا مع أرسلان باشا على الأمير أحمد المعني ويعطوا الأمير موسى اليميني ما كان بيده من الماطعات وهي الشوف والجرد والمثن و لهرت وكسروان وأقلند جرس وأقلند الخروب فهض أرسلان باشا واجتمع إليه المأمورون المذكورون ونزل بهم في مرج عرجموش في البقاع وكانوا ثلاثة عشر ألفاً وقد انضم إليه جماعة اليمينية وأحرارهم ونحس من القيسية منهم الكدية والعيدية والشيخ سيد أحمد أبو غدة اليربكي والشيخ حصن الحارثي. ولما رأى الأمير المصاهر أصحابه عنه هرب من الشوف إلى وادي التيم واختبأ عند الأمير نجم الشهابي نحو ستة فقبله بكل إكرام فبحثت تلك العساكر عنه وعاثوا في البلاد لشانه ولما لم يجدوه انمض كل إلى مكانه وتولى على الديار الأمير موسى بن علم الدين اليميني⁽²⁾.

ولم يكن المصادر الحديثة أكثر اهتماماً ورقة وموضوعية، فقد أكتفى مؤرخ هليلب حتى بجملة واحدة ستهاها من أحداثه الكثيرة والمميقة وهي «بعد انقراض حكم المعنيين ساحت الفرنجة لباشا طرابلس فحصر مقاطعة من الشيعة ليحكموا لبنان الشمالي فاصطهدوا السكان المسيحيين»⁽³⁾.

(1) انظر الحسن، الشهابي، ص 881

(2) ابحار الاعيان للشدياق ص 299 يلاحظ بحال الشدياق ذكر أسباب الأحداث وطارها العام أو أن تنهية هي أكثر المعني في معركة عن عمل

(3) مختصر تاريخ لبنان، هليلب، ص 201 يستعرب سبتاح هليلب حتى وقد هاته أمر من يديها أن لبنان الشمالي كان تحت حكم الشيعة منذ فريس على الأرض قبل وفاة أحمد المعني وإن ولاية طرابلس حاولوا جاهدتين، فضاء، تسببه عن حكمه سمان واسمروا في محاولاتهم بعد وفاة المعني فلم يملحوا

ب كما وأن المعني طرد من ولايته، وحكم بالاعتماد لانه رفض انفصال مع الحشوش العشائرية لإخماد تمرد لشيعة فاعبرته الدولة عاصياً وطارده

ج المعني في تاريخ لبنان حتى الموضوع والحريف منه م يبرز مؤرخ الكبير هذا الاستدج لثير

ويرى عبد الرحيم ابو حسين أن الطريرب الدويهي هو المسبب لهذه الظاهرة والمسؤول عنها

«في هذه الأثناء، واستغلالاً لما يمر به العثمانيون من وضع حرج على الجبهة الهسارية، قام أحمد بن معن (1667م - 1697م) المتمرّد للنواحي الجبلية في لواء صيدا - بيروت في ولاية صيدا، بالاشتراك مع مشايخ آل حمادة الشيعة في لبنان الشمالي بإعلان التمرد على العثمانيين وحسب المؤرخ الماروني المعاصر لتلك الفترة، إسطنبول الدويهي (ت. 1704م)، فإن آل حمادة كانوا من المرص، وأساساً من تبرير في أدريجان، وقد جاء بهم سليمان القابوي لاستيطان الأجزاء الشمالية من جبل لبنان، وذلك بعد فتحه لبيداد عام 1534م ومن هنا، تطلق عليهم الوثائق العثمانية اسم «قرلباش».

كان الدويهي بطريركاً للموارنة أثناء الحرب الهسارية، وصديقاً شخصياً لأحمد ابن معن وكان أيضاً على معرفة مباشرة بالحماديين جبران الموارنة عبر المرحوم فبهم في شمال لبنان وكان البطريرك الدويهي يشاهد الحي الوحيد على الأحداث التي وقعت ما بين العام 1683م والعام 1699م في لبنان والذي نصبت مدوناته الى يومنا هذا وهو يلمح في عدة مواقع الى ثورة آل حمادة ضد العثمانيين، ولكنه لا يتطرق نهائياً الى الحديث عن تورط صديقه أحمد معن في الثورة وبما ان الكتابات المحلية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تعتمد بشكل كبير على الدويهي في ما يخص أحمد بن معن، فهي تتخذ الموقف نفسه وهو السكوت التام ولكن لما كانت وثائق المهمة، تذكر الدعم الذي قدمه أحمد بن معن لتمردي القرلباش في منطقة طرابلس، فمن السهل عدّد الاستنتاج من خلال أسماء الشخصيات والظروف المحيطة أن الوثائق إنما تحدث عن آل حمادة.

إن سيرة أحمد بن معن وهو آخر ملّتم معني في النواحي الجبلية لصيدا بيروت، بقيت حتى اليوم تقدم على أنها خالية من الأحداث المهمة. بينما تظهر الصورة مختلفة تماماً في الوثائق العثمانية المتعلقة به وبمقرّه، فلقد استدعته الدولة العثمانية ليشترك في المجهود الحربي على الجبهة الهسارية، ولكن المتمرّد المعني لم يحرك ساكناً. وبدلاً من ذلك، كان يحرص القرلباش للتمرد ضد العثمانيين ويساعدهم على ذلك وقد أرسلت الأوامر بشكل متكرر من إسطنبول إلى حكام الولايات السورية، وهذه الاوامر كانت تمضي بالصص على الرجل

ومعاقبته، أو حتى قتله، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث،

هي وسط هذا العموص المتعمد هي مصادر التحلية التاريخية ولتجاهل في بعض المصادر لحديثه ما لدي حصص فعلاً بعد عصب السلطان وأوامره الصارمة إلى جميع عماله وتعيين محمد طويس باشا قائدًا عامًا مكلفاً باستئصال الحماديين وتأديب أحمد المعني؟

من نواصح أن الأمير المعني قد احتفى عند وصول العساكر السلطانية إلى البقاع فتمشت الدولة عليه فلم تقف له على ثر فوجه الأمير موسى إلى دار ابن معن في دير القمر وتملك جميع المقاطعات التي كانت في حكمه⁽¹⁾ ولم يظهر الأمير المعني إلا بعد مرور عام على هذه الأحداث عندما وحه بعض حواصه هدية فاخرة إلى مصطفى باشا والي صيدا طالباً مسالمته ومعاذنه وكتب إليه كذباً يعرض فيه بالأمير موسى بأنه رجس عذار حدّاع وقدم له لتبصيرة بعدم قبوله وذكر له أنه يحشى أن يحدّعه كما حدّع أبوه الأمير علي شير باشا والي دمشق في وقعة وادي العرن فصدّق الوزير ما كتبه إليه الأمير لأنه كان يرى أن الأمير موسى متقلب الآراء، فطرده من عنده ومال إلى الأمير أحمد وحبّه وكتب شأنه إلى السلطان مصطفى الحديدي ليعلم له العمو والتقرير في دياره ويرسل له مدية ألف عرش، فحضر له بهذه الوسيلة العمو والتقرير على جميع ما هي يده من الولايات، وثبت بعد ذلك والها وحسب حاله⁽²⁾

كان السلطان العثماني قد عين الوزير طويس محمد باشا قائداً عاماً على الحشوش العثمانية المكلفه بجمع للمرد وأرسل إلى جميع ولاته وهوادة من حلب حتى عرش مصر يأمرهم بالانضمام إليه والقتال تحت قيادته

قام الحماديون بمصردين بعد ختفاء المعني وبعد عودته ووفاته بمواجهة الحشوش الراحفة واستمروا كماداتهم عاصيين ومتمردين، ولم تتمكن العساكر أن توردهم حتفهم وتظهر تلك الأرحاء منهم كما يحرم المورخ العثماني راشد،⁽³⁾ لأنهم في الواقع بقوا في هذه الأرحاء وعرفوا فيها رهس أيامهم في الفترة اللاحقة التي امتدت أكثر من نصف قرن بقيادة أشهر مشابيحهم، سماعين بن حسن بن سرحان الذي قادهم بعد مقتل والده أكثر من خمسين عاماً متواصلة

(1) لامارة لدرية، عبد الرحيم أبو حمص، ص 204 - 205

(2) «مرد الحسن» ص 882

(3) أخبار الأعيان الشدياق ص 300 إن عن المعني وعادته ومساببات شبيهة لا نحصى تؤكد أن مراسيم ولي صيدا عثماني كانت دائماً مصدر بسطة انوحيد لكل من تسلّمها هي جبل الدرور على عكس ما هو الحال في المناطق الشمالية من لبنان

(4) خطط الشام ج 2 ص 270 استورخ اعنه حة و بحبة التوردة هي المصنول لسابقة

الفصل الثامن

جمهورية العصاة الحرة

لم يعرج الحماديون بسهولة من هذه القضية العسيرة كما فعل الممنون فإن الحسائر الشريفة كانت فادحة هي المعارك غير المكفئة التي حاصوها بوجه الجيش الإمبراطوري، أو في سجنونه فكانو يحترقون هي أماكن صبقه حيث تكون بهائتهم البطيئة المدبرة وقد دمرت هراهم ونهبت ممتلكاتهم سماع كل هذه التفككات ظهرت لإمارة الشيعة بعد حرب خمسة عشر عاماً أشد قوة وأوسع بصوداً، وأكثر اسماًلاً عما كانت عليه قبل ذلك، يقول وشر عن حال لإماره عند انحسار الهجمات العثمانية العسكرية

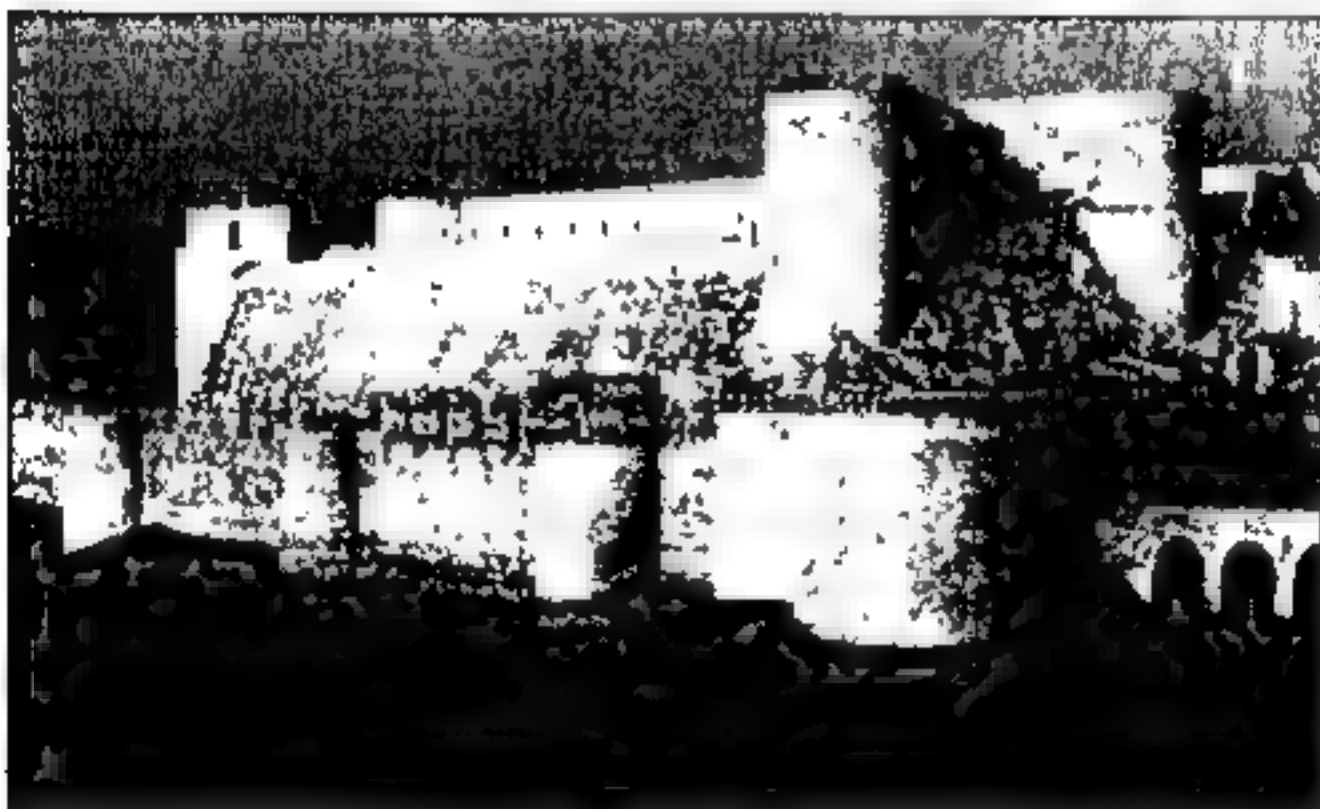
تعتبر هذه الفترة قمة الإمارة الشيعية، فكان وضع آل حمادة ممتازاً وثابتاً يمارسون حكمهم شبه المستقل والمير على الملاحين الموارنة، وعلى البطريركية، في بداية القرن الثامن عشر ظهرت الدولة العثمانية عاجزة أمام آل حمادة، وسكان الجبال الشيعة، فالتخلي عن السلطة في سوريا الرئيسية كان شبه كامل لدرجة أنه سمح لإمارة آل حمادة أن تصبح جمهورية عصاة حرة ذكر الفاضل الفرنسيون أن الولاة لم يحصلوا أية مداخيل في جبل لبنان، لا ما سمح لهم به آل حمادة... تنازلت الدولة العثمانية عن كل حقوقها وواجباتها لحكوميته إلى الشيعة ضمن مناطقهم الجبلية⁽¹⁾ والذي يشمل عقود الالتزام الممتدة من جسر المعاملتين إلى قلعة

(1) الإمارات الشيعية وشر بحث عنوان عبر مقاطعة جبل لبنان بخاصية، وصمها بأنها جمهورية عصاة حرة تحت سلطة القربلش من 200

قلعة المسيحية



قلعة المسيحية التي شكلت مع قلعة جندل وحصن لكراد
خط الدفاع عن الإمارة الشيعية من واحة العتق



حصن لكراد

المسلحة، في سنة 1686م كان بمقدور سرحان أن يهدد بعزل المنطقة بأكملها من حصن الأكراد إلى جبيل. ومن الواضح أن السيطرة العثمانية لم تمتد إلى منطقة الحمادة⁽¹⁾. ففي سنة 1740م اشتكى الباب العالي بأن اسماعيل المعروف بشيخ القرلباش يحمي اللصوص. ويؤمن لهم مكاناً آمناً بعيداً عن سلطة القانون. أرسلت الأوامر إلى كافة أنحاء المنطقة تقضي باستعادة بعض المجرمين المارين من طرابلس. رغم ذلك أمن لهم اسماعيل الملجأ لمدة أيام قبل أن يسمح لهم بالفرار من جديد⁽²⁾.

إن قلعة المسلحة شمالي النجف وقلعة حبل بصران خط دفاع الإمارة الشيعية المعادية. إن أحد سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس الصادر سنة 1750م يذكر تعيين حاكم لمرقة من الحدود في برج المسنحة وعلى حصر في منطقة سروت، لحماية المسافرين العابرين في طريقهم إلى صيدا ومصر من قطاع الطرق القرلباش⁽³⁾. في سنة 1731م مثلاً تم التفاوض بشأن عقود لالتزم الحمادية في قلعة حبل، مما يشير إلى أن أياً من الشيوخ أو الرسميين في محكمة طرابلس، لم يكن يتحرراً على عبور الحدود المائنة بحكم الواقع⁽⁴⁾.

يمكن الاعتماد بسهولة، أن محاولات السلطة العثمانية للتدخل في حبل لبنان، وحرص سيطرته ولو نسبية على إدارته، قد وصلت إلى طريق مسدود بعد سلسلة من التجارب الماشلة ويبدو هذا الانطباع حياً في مراسيم الرسمية بعضها.

«لم يرغب أحد في الحصول على المرام بدة جبيل، لأن كل المواطنين هربوا من النهب الشيعي ولا يمكن تحصيل أية عوائد قام الحاكم بتزويد قلعة جبيل بعشرين من جنوده لأن القلعة هامة لحماية الأرض و لطرق لبحرية ولكن لم يبق الكثيرون منهم أحياء بعد سنة من ذلك عند وصول سحل المقاطعة التالي إلى اسطمبول شارحاً الوضع القائم في طرابلس⁽⁵⁾».

ومد وقت مبكر من هذا القرن كرر ولاية طرابلس في مراسلاتهم إلى العاصمة النتيجة التي لم تكن خافية على أحد حول عوثة الولاية الصربية

(1) م. ط. ش 146 - 145 / 12 أدر 1725. المصدر السابق

(2) م. ط. د 84 - 147

(3) م. ط. ش، سجل 11 - 88 بالتركية

(4) م. ط. ش، سجل 6، ص 6 - 7 بالتركية 199 - 200 لإمارات الشيعية، وتر من 199 - 200.

(5) م. آ. م. د. 3347:7 و 3348:6

«طالما أن آل حمادة لم يحاربوا ويعاقبوا فإن مداخل الدولة ستضيع»⁽¹⁾

ومع ذلك فقد استمرت عقود الالتزام تصدر عن الولاة، تعترف بآل حمادة حكاماً على مناطقهم، وترتب عليهم مبلغاً من الضرائب يعلمون بأن الخبرة لن تحظى منه شيء كثير. إن درجة استقلال إمارة آل حمادة عن السلطة العثمانية تنعكس هي سجل عام 1710م والمحفوظ في «باشا كنك»⁽²⁾ Basbakanlık.

إن جبيل والبترون وبشري خصصت كما كان الحال هي أيام أجدادهم إلى الشيخ اسماعيل حمادة القزلباش وأخيه وأنس عمه، وكان أنس معن حيدر الشهابي صامناً فأحرات التمديدات فلجأ إسماعيل إلى «الصعظ على الصرويين المصريين ولم يستمع إلى صوت الحق»⁽³⁾

وتستمر الأحكام السلطانية في تعداد مثالب الشيخ اسماعيل العاصي المتمرد القزلباش والأذى الذي بلحقه بالسكان المسلمين وعربنة الدولة

«يستمر الشيخ اسماعيل بنهب المسافرين وابترارهم، وقد احتل جبيل⁽⁴⁾ الواقعة على الطريق بين طرابلس وبيروت سجد حارس القنعة يوسف وخمسة عشر مسلماً شهداء أرسل الكنجداء لوقف أذاهم وتعدياتهم ولتستلم الحبايات عن سنة 1123هـ ولكن العاصي استمر في تمردده وطرد كل السكان مع مواشيهم وحيواناتهم إلى جبال كسروان وهم أنفسهم احتموا في كهوف بصعب للوصول إليها ووديان في قمة الجبل المذكور وحجر الناس وصعهم من العودة»⁽⁵⁾

[Seyh Ismail] continues his highway robbery and despoiling travelers of their goods. One day in a moment of the occupants' inadvertence, he conquered the citadel of Cubeyl lying on the passage between Tripoli to Beirut. Cast e - Wardn Yusuf and 15 Muslims fell martyr. Our Kethuda was dispatched to repulse their harm and villainy and take the tax - farm in charge for the year 1123, but the said faction persisted in its atrocities and drove all the inhabitants with their beasts and livestock to the Kisrevan Mountain. They themselves took refuge and hid in inaccessible caves and canyons at the summits of this same mountain, and blocked in the inhabitants and prevented them from returning

(1) بفتح شكايات 3234 722 40

(2) BOA MM 3347 4 تشرين الثاني 1740م وبلاصة نسبة الشهابي إلى بن معن.

(3) عن الإمارات الشيعية، ص 202

(4) المصدر السابق، 3 3348 MM

من الواضح ان الوثائق العثمانية على اختلاف الجهات التي تصدر عنها، دأبت على إلصاق إشع الصمات والتهم والجرثم بالشيعية حكماً وسكاً فهم الكفار والنصوص وقطاع الطرق والمجرمون والفدرون والملعونون، وتورد أحداثاً وحرائم وتعديات تنسبها إليهم، دون ان يكون بين أيدينا ما يدحض هذه التهم أو يقدم صورة من جهة أخرى عن حقيقة هؤلاء المقاتلين المتروسين ومن الصدهم النادرة أن تترب لنا الدبلوماسية العرسية تقريراً لأحد فصصها يعرض لبعض الأحداث التي يأتي عليها الحكم السطاسي ولكن بشكل مختلف ومعاير، مما يلقي ظلالاً قوية من الشك حول مصداقية المراسيم العثمانية ودفعها

حاء تي تقرير الفصل العرسى في طرابلس في 5 اب 1710م، بعد عودة الكيخيا من حربه مع الحماديين لم يتوقف هؤلاء عن التمحطر قرب طرابلس، إن الشيخ اسماعيل الذي انلف له الجيش العثماني سبعين ألف شجرة مثمرة ودمر له سرايا جميلة جداً قرب جبل دحل إلى المدينة وقبض على الاما الذي أقامه الوالي وتركه قطعاً صغيرة مع اثني عشر أو ثلاثة عشر من جنوده ودمر الشيخ عيسى الذي يحكم ناحية جبل لبنان صراية بيجيا،

إن الكيخدا هاجم داره ال حماده وحمولهم وأقلع سبعين ألف شجرة نوب وتذكر الشائعات ان الوالي اراد الاستيلاء على الحصول لنفسه عندها نزل الشيخ اسماعيل إلى جبل وقطع اوصال الصابط المسؤول وأثنى إلى ثلاثة عشر من جنوده إلى قطع،

ويظهر في التقرير روح التهكم والسخرية التي يتناول فيها الفصل بوا الوالي العسكرية وبحركة لقتال الحماديين

يقولون ان العاشا يريد الحروح بنفسه لقتال هؤلاء الناس وهو لو تلقى نصيحه حيداً هالاً فصل ان لا يعمل شيئاً لانه سيهرم ولو أن كتنداه على رأس أربعة آلاف من جنوده اهتم بتدميرهم بدلاً من فص أسرارهم لكن حقق هدفه، ووفر مائة ألف قجة من العائدات كل عام

S'il est bien conseillé il n'en fera rien, car il serait batu Si son [kethuda] lorsqu'il avoit pres de 4000 hommes s'était attaché a les detruire au lieu de couper des arbres il en seroit venu a bout et auroit conservé [100.000] écus de rente par an.

كان يبدو للقناصل الفرنسيين، وهم مرافقون خبيرون وقرييون من تطور الأحداث بحكم مهامهم الدبلوماسية في عاصمة ناشوية، أن الصراع العسكري بين الشيعة والعثمانيين معروف النتائج قبل وقوع المأرك.

قبل عام من ذلك كتب القنصل الفرنسي الى حكومته بتاريخ 2 اب 1710م

أساء الحماديون معاملة بعض جماعة ناش طرابلس عندما اتقوا بهم فأرسل عدداً من الرايات والسرايا لتأديبهم ولا يعلم حتى الان إذا كانت بقيادته شخصياً لقد أظهر أنه يريد القضاء على هؤلاء المتمردين على السلطان الأكبر بهم مهما كان عددهم قليل، لا يتراجعون عن القتال حتى النهاية.

بن حمادي جبل لبنان يقسمون في بلاد صعبة ووعرة، وقد حبلوا على أن لا يحشون مواجعة عدد من الرجال بموقفهم كثيراً، ومع ذلك فإن أحد ناشوات طرابلس القدامى أفتاهم قبل ذلك بمساعدة ولاية البحرين¹

استمر هذا الانطباع عند القناصل كما كان دائماً حتى بدا أحياناً وكأنه قباعة ترسحب عند المراقبين بعد هروب من المؤجعات مع قوات السلطان التي لم تتمكن أبداً من إحصاء جبل لبنان لسيطرتها وإن استطاعت هي أحيان كثيرة تدمير العديد من قرى ومرارعه ومظاهر العمران المتواضعة في ربوعه

يقول قنصل فرنسي آخر في سنة 1736م مقيماً صماتهم العسكرية أنهم جنود جيدهون ولا ينقصهم إلا مزيد من الانضباط ليأتوا بالخوارق².

(1) ولا بد أنه يشير الى ما حصل في الثورة العامة في نهاية القرن السابق.

الأرشيف الفرنسي fol 1114 AEB1, ab 289 طرابلس.

(2) الأرشيف الفرنسي. 924 fol 1116 AEB1.

الباب الثاني

تهجير الشيعة من جبل لبنان

الفصل الأول: الإتجاه نحو اللتينة

الفصل الثاني: التحرك نحو الغرب

الفصل الثالث: إثارة الحمية الدينية

الفصل الرابع: الموارنة

الفصل الخامس: الخطاب المزدوج

الفصل السادس: إكمال الملف

الفصل السابع: الرجال الغامضون

الفصل الثامن: الوطن القومي

الفصل التاسع: الشيعة في ظل الحكم الجديد

الفصل العاشر: الأمير المنتصر

الفصل الحادي عشر: الأيام الصعبة

الفصل الثاني عشر: دار الهجرة



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

إن انتقال الجماعات البشرية من مكان إلى آخر هي حركة تدخل في صلب النشاط العادي للإنسان سواء أكان فرداً أو أسرة أو قبيلة أو طائفة أو شعباً بكامله وهي من المظاهر الطبيعية الملازمة للحياة الإنسانية منذ بدايتها الأولى، وهي محتلم مراحلها وتطوراتها، ولا بد أن تتواصل وتستمر مع استمرار هذه الوحدة وتواصلها ويمكننا أن نردها من حيث دوافعها ومسبباتها إلى أربعة أنواع رئيسية تميز فيما بينها لاختلاف الهدف والعانة المطلوبة والمرحوة من ورائها.

1 . الانتقال الاختياري الصريح الذي يقوم به الفرد ، أو الجماعة لتحسين ظروفه الاجتماعية أو الاقتصادية أو لأي سبب آخر يحقق تحسناً في أوضاعه، أو يحقق له طموحاً مشهوداً ويدخل في هذا المجال الهجرة التي عرفها العالم القديم نحو القارات المكشمة حديثاً، ولتواهد المستمر من لعاله نال إلى الدول المتقدمة والعية، وانتقال الطبقات الفقيرة من الأرباب إلى المدن.

2 - الانتقال الذي تعرضه عوام طبيعية أو اقتصادية طارئة كالهجرات السامية القديمة من أراضي الحيرة العربية المتصحرة إلى مختلف أنحاء الهلال الخصيب، أو هجرة قبائل النمر بعد انهيار سد مأرب، إلى حيث تتوفر الأرض في الحصنة والمياه الكافية.

3 - الهجرة الاجتماعية، عندما تكون تحسناً من شر، أو صرر يأتي من جماعات محاورة، أو محالطة أكثر قوة وأشد بطشاً يتناقض مع المهاجرين عرقاً أو ديناً أو معتقداً، كهجرة بني إسرائيل من مصر أو النوارية من وادي العاصي.

4 - الهجرة القسرية بفعل القوة المتفوقة التي تتوسل العنف وسبلة لدفع الجماعة المناقصة والمعادية إلى ترك أماكن نواحيها بدون استعداد وأهية، وغالباً دون معرفة

المكان البديل الذي تعصده تحديداً، فتقيم حتى تستقر هي مأوى آمن وهذه هي أقسى أنواع الهجرات وأشدّها إيلاًماً وأكثرها شبيوعاً على مرّ التاريخ وهو ما يعرف بالتهجير إن الأحداث الكبرى والمدوية في التاريخ، كتأسيس الدول والإمبراطوريات ونشوتها وما تلاقيه في مسيرتها من حروب ومعاهدات وكوارث وهرائم وانتصارات وبراعات على النموذ والسلطان داخلياً وخارجياً، هي من الأمور التي تعلن عن نفسها وتظهر بارزة وواضحة في كل محطات التاريخ ومفصله، فليس على الباحث المهتم غير تتبعها والتعمق في حلمايتها دراسة وتحليلاً ومقاربة حتى يصل إلى رأي فيها يستقر عليه، ومنهاجاً سوياً لهماهما واعهماهما بعمده ويفتح بصوانه ومعالينته وجدواه، وهذا أمر يتأرجح بين الخطأ والصواب السببي باختلاف المشارب والمدارس والآراء.

إن الدقة والمشقة والمعامرة هي أيسر العناية التي تفرص فواعدها على الباحث هي حدث تاريخي خطير مظهره ونتاجه وبعكاساته، ولكن كل ما يقف حله من جهود ونوايا وقرارات ومشاورات وفتاعات وحلوات تمهيدية لإيجاد الحق المناسب لنقله إلى مرحلة التطبيق العملي بحقي تحب حجب كثيفة من التجاذبات والصعقات والمناورات، التي من طبيعتها وخصائصها أن لا تظهر أبداً، وتتوارى إلى الأبد هي أرشيفات الدول والمنظمات والهيئات التي شاركت في تحقيقه، فو وقعت حائلاً دون ذلك إن العوامل الشخصية والنفسية كالمساومات والأهدف المستترة لا تظهر هي أحداث التاريخ إلا إذا قيض لها أن تثير اهتماماً ما يستقدمها من روايا الظلمة ويسلط الأصواء الكاشفة عليها فتنتقل بعد تمنع ومقاومة وعحر عن الشبث الأبدى بمواقعها، إلى حيث تصبح هي مجال الرؤية والأهلية للنقاش

إن ما وقع في جبل لبنان من تهجير سكانه الشيعة، وهو مقدمة لما كان محطاً له أن يعم غيره من المناطق اللبنانية، في مسنهل النصف الثاني من القرن الثامن عشر، هو نتيجة عمل دؤوب استمر عقوداً كثيرة وتداخلت في تحقيقه عوامل دولية ومحلية، وساهمت في الإعداد له وتنميده عناصر متعددة ومتنوعة فكانت التحالفات الدولية والخريطة الدينية والمنظمات الإرسالية والتبشيرية والكهنونية والدبلوماسية الناشطة، والمحافل الاستثنائية، وموازين انقوى على الصعيدين الدولي والمحلي، هي كلها بعض من عملوا له بجد وجهد وصبر حتى تمكنوا من استرع شعب شجاع مجرد من كل أسباب الصمود والمساعدة والدعم المتأئين من منبج، أو مراكز قوة لها حلمايات دولية أو أتنية أو طائفية، واقتلاعه من جدوره الضاربة منذ قرون في أرضه، وألقوا به حيث وجد

مستقراً ومأمناً بدون هدى ولا تحطيط، رغم كل ما أبداه من تشبث ومقاومة لم تتر أهدأ.

إن تجاوز الافتراض والاستقراء والنحس، والاعتماد الأساسي والمحوري على التقارير الرسمية الدبلوماسية الأوروبية و الكهوتية و لوائح المشتة والوثائق العشوائية وما نشر في أرشيف وزارة الخارجية، المرسية والوثائق المعتمدة تحمل تاريخ تهجير الشيعة من جبل لبنان محاولة هي غاية التعقيد والدقة والعنت تقتضي اعتماد أقصى ما يمكن من التأني والتبصر والحد، للوصول إلى مدلولات أحداث، من طبيعتها أن تبقى مستترة، لأن حصولها تتم خارج دوائر بصوء والعلن، وتعمد تمويه الحطوط التي تربط ظاهرها بواطنها فهي جهود تتم في لعماء، وتنظم في الكواليس، وتعد في أروقة بدون بواهد، وبلا تصريح أو إعلان أو توثيق



سازمان اسناد و کتابخانه ملی

الفصل الأول

الاتجاه نحو اللاتينية

في القرن الخامس عشر بدأ المورنة في نظر روما نموذجاً نادراً بين مسيحيي الشرق، متعلقاً بالبابوية، حاصصاً لإرشاداتها، مع استعداد دائم بتغيير ما تشير به من طقوس واعتقادات وتقبل إرشاداتها وتوجيهاتها بكل حماس وإندفاع فتوالى قدوم القضاة وترسل إلى جبل لبنان مرؤدين بالهدايا والإرشادات ليعودوا حاملين عرائض لولاء ومباشرات الاهتمام

في سنة 1450م عين البابا الرهبان المرسيسكانسي عريمون Grayphon مموضاً رسولياً لدى المورنة، فأمرهم بجمع فرق من الرمن قبل أن يحلهم زميله د ريوست D'aroste

عمل عريمون وحلمه طيلة هذه الفترة على تثبيت الإيمان الكاثوليكي عند الموارنة وتغيير «اللاتينية» في المعتقد والتنظيم والمرسوم وكان عملهما الأبعد أثراً هو اختيار ثلاثة شمامسة الطائفة التحقوا بالرهينة، ثم أرسلوا لدراسة في روما ومن بين هؤلاء حبرائيل القلاعي الحمدي الذي أصبح مطرناً على قرص وبصع «رحبته الشهيرة التي تؤكد على الترام الموارنة بالإيمان المستقبلي ونعم لخوبة والمرندين والمحالين»⁽²⁾

قبل أن يصبح لبنان إقليماً عثمانياً بسنوب قبيلة قال البابا ليون العاشر Leon X في سنة 1510م كلمه الشهيرة عن الموارنة إنهم «سوسة بين الأشواك»⁽³⁾

(1) «Latinisation» تحويل الكنيسة المارونية إلى كنيسة لاطينية تحت سلطة البابا يمرسها وقواعدها ومعتقداتها وما يستتبع ذلك من ارتباط وثيق كنسياً ونسبياً وسياسياً بالعرب

(2) مديحة على جبل لبنان، (1493م - 1494م)

(3) ورد هذا التعبير في بيان رسولني رسمي موجه لفر بطريرك بطرمن الحديث

«Un lis au milieu des épines» و صمماً البسة الأولى في أسس النظرة الأوروبية التي سادت عنهم في القرون التالية عن أنهم متميزون عن كافة مواطنيهم وحيرانهم. ما داموا يمثلون الطبيعة المتقدمة للإيمان الكاثوليكي الروماني هي شرق أوسط معلق، يصح بالمعتقدات المناقضة للمسيحية ودانطوائف المستقاة عن السلطة البابوية المقدسة، إن هذه الوردية وما تمثله من قيم النقاء والحير والجمال عرست في وسط عابة من الشوك الحائل بالشر والقبح والأذى لم يرسخ هذا التعبير الرمزي الواضح في الوجدان الأوروبي وحده هما بعد، بل تعدى ذلك حتى أصبح تقليداً مارونياً محلياً طالما استعمل ببراعة، بتوجيهات رهبانية وفصلية ممرسة من أجل استدراج المرید من الرعاية الأوروبية بكل ما ترحب به من تقديمات اقتصادية وثقافية وسياسية ذهب بالمارونية قدماً نحو المرید من التعبير عن محيطها وهيأت لها بعد ذلك القاعدة الصلبة والمنطلق الصالح لتحقيق تطلعاتها القومية وطموحاتها السياسية

هي بدايات القرن الثامن عشر تحولت هذه الشعار البابوي البراق إلى ممارسة سياسية اعتمدتها الدبلوماسية لمرسية، وأخذتها في رأس اهتماماتها الشرقية

إن «الأمة المارونية»، كما أشدرب رسالة فصلية مؤرخة في اب 1713م وموجهة إلى أعيان الموارنة في كسروون «ستتقناً تحمل ورده في الشرق ليس بالنسبة للسلطات الرسولية فقط بل أيضاً لمرنسا الإمبراطورية»⁽¹⁾

كانت الأمة المارونية تعتبر دائماً مثل الوردية بين الاشواك بسبب صفاء إيمانها La Nation Maronite a toujours été regardée comme un lis dans des épines a cause de la pûreté continuelle de sa foy orthodoxe parmi les ennemis

الأورثودوكسي المستمر بين الأعداء، المعربين لديانتنا المقدسة

وقبل منتصف القرن بصره كن الملك شديد الحماس لكاثوليكيته لويس الرابع عشر يربط المصالح السياسية والتحررية المرسية بالحماية التي منحها لإساع هذه الطائفة في الشرق.

(1) لبحث المذكور في مجلة Arabica سنة 2004م ص 291

الارشيف المرسي، رسالة الفضل عرسي في صيدا AEB , 1019 for 207a- 208a

(2) Gean Baptiste Elano et Thomas Ragio

مع ألبان «غريغوار الثالث عشر» تسارعت مهمة تطوير الاتجاه الماروني نحو «النيحة» عندما أوجد الراهبين اليسوعيين اليانور، جيو ELIANO وRADIO¹ لدراسة اللاهوت والنظام الكنسي الماروني وجعله متنسجماً تماماً مع النسق اللاتيني وقد نجح الراهبان في أداء مهمتهما، ولعل أهم إنجاز قاما به هو إنشاء المدرسة المارونية في روما عام 1584م.

قامت هذه المدرسة طيلة فترة عملها - لدي استمرار طويلاً - بدور هام في توثيق علاقة المواردية بروما بوصفها عاصمة الكتلة في العالم من جهة، ومركزاً للعلم والثقافة والحضارة والسياسة في عموم أوروبا من جهة أخرى. فبرر حيل حديد من المثقفين هي صمويل الإكليروس الماروني، نشر العلم والمعرفة في أوساط العشائفة في لبنان كما أوجد طبقة من رجال الدين المميزين الذين شغلوا مراكز هامة في دوائر المائكان وسواها من مراكز الثقافة والدين في أوروبا.

حصل هذا التمدد الماروني نحو أوروبا في ظل أوضاع سياسية محلية ودولية مؤاتية ومساعدة صاعقة من هيالته، ووقرت له مجالات متعدده ليعلم عن نفسه ويوظف طاقاته في الاتجاه الذي يريد.

1 - على الصعيد المحلي، كان لأمر فخر الدين المعني يسمى إلى تنفيذ مشروعه القاصي بالاتصال بالكرسي الرسولي وعمره بعض لدول الإيطالية الكاثوليكية. وذلك بهدف مساعدته عسكرياً ومادياً في تنفيذ مظامحه السياسية، فاستعان بالمواردية للإفادة من مواردهم البشرية والعلمية من جهة، وللتطهر أمام محاوريه الأوروبيين بمظهر المتسامح وربما المساند للمسيحيين في لشرق من جهة أخرى².

هياً ذلك للمواردية - وربما للمرة الأولى - أن يشاركوا في أمور السياسة المحلية ويطلعوا على معارحها وأساليبها هيكتسبوا من وراء ذلك معرفة وخبرة لم تكونا متوفرتين لهم سابقاً، كما هياً لهم المناخ المناسب لنوحيه محيالاتهم وأنظارهم نحو مظامح لم تكن قبلاً من اهتماماتهم.

2 - على الصعيد العثماني كانت الامبيرات الأحسية - المعرف بها للمرسيين منذ العام 1535م. وبموجب اتفاقات عديدة لاحقة - قد تحاورت - حدود المصالح التجارية المتعارف عليها بين الدول إلى حقوق سياسية خطيرة تشمل التدخل في الشؤون الداخلية للسلطنة، وحماية الأقليات الأوروبية والمسيحية والكاثوليكية بوجه خاص مما مكن ملوك

(1) فخر الدين، الأب فرانس، ص 192

فرنسا من وضع الإرساليات الكاثوليكية - لتي دُفع بها الكاثوليك والمبشرين لرهباية التابعة له - تحت إشرافهم وحميتهم وهذا ما أدى في الواقع إلى توحيد أعداد كبيرة من الرهبان القادمين من أوروبا والتجار المنتشرين في معظم الموانئ العثمانية والقنصل المرسبي في المدن الهامة ومراكز الولايات في خدمة تعاليم الدينية والسياسية للقوتين الكاثوليكيتين المتعالمتين فرنسا والبابوية.

3 - على الصعيد المرسبي، لم يكن ثوبك بحاجة إلى جهد كبير لتأمين مصالحهم السياسية والتجارية في الإمبراطورية العثمانية لتتأمن الأطراف والتي تسيطر على معظم حوض البحر المتوسط الباق الأهمية في حسابات السياسة الفرنسية، فقد لجأت فرنسا إلى انحصار الدبلوماسية واستعداد من تصارب المصالح الدولية، لتشكل من معاهدة هرسوا الأولى والسلطان سليمان في العام 1535م والاتفاقات التي تلتها هي ما بعد مُنظماً واسماً للمودها، فكانت تمنح بوضع خاص ومحتك عن الدول الأوروبية الأخرى كلها وكان لسموها في لقسطنطينية مود بالغ سيعرف المواردية كيف يوظفونه لمصالحهم اللبنانية

أكدت الاتفاقات المرسبية العثمانية 'للاحمة على تمييز مسيحيي جبل لبنان عن سواهم من النصارى في جميع أنحاء الإمبراطورية، وعلى الاعتراف بالخصوصية التي تربطهم بالملك المرسبي والعلاقات الاستثنائية التي شددت عليهم وكأما أعطي مسيحيو جبل لبنان وصفاً خاصاً من حيث سعة لردوحة على أنهم من رعايا السلطان وممن شملهم في الوقت نفسه حماة ملك فرنسا باعتراف السلطات العثمانية وتشريعها ذلك"

وكذلك أعطى السلطان محمود الرابع إلى لويس الرابع عشر لقب حامي المسيحيين في جبل لبنان تحديداً وهو لقب أعطاه لسلطان سليمان الثاني إلى هنري الرابع أيضاً⁽¹⁾

يُضاف إلى ذلك الامتيازات لأخنييه التي تعرف بالملك الفرنسي حامياً للطوائف الكاثوليكية كلها في جميع أنحاء الإمبراطورية

(1) أهم كتب الحماية التي صدرت عن ملوك فرنسا في هذه الفترة كتاب لويس الرابع عشر في 26 نيسان 1649م والأم بوصيه ولويس الخامس عشر في 12 نيسان سنة 1737م يمتحان لحماية إلى لبطريك وجميع الكاثوليك والموارية في لبنان.

(2) جبل لبنان، تشرش، ص 87

بدأت الطائفة المارونية بعمل هذه التطورات تتخلص من عزلتها التاريخية التي لرمتها مئات السنين وتتحوّل من جماعة صغيرة - تعيش في بقعة معزلة من الأرض - ينحصر نشاط مفكراتها ورهبانها في مقلعة الطوائف المسيحية الأخرى وتبادل اتهامات الهرطقة والحروج عن طريق المعتقد المسيحي السليم - تحت قيادة بطريرك هو أقرب إلى زعيم ريفي يحيط به بعض الأعوان من رهبان الدين تنحصر مهماتهم في مباشرة المراسم الكنسية الاحتمالية⁽²⁾ إلى تنظيم حي وبشيط يتمتع بشبكة من العلاقات الدولية المائعة وينعم بمسئول متميز من الكفاءة والثقافة والمعرفة⁽³⁾.

كان اهتمام مفكري الموارنة الأوائل في لقربين الخامس عشر والسادس عشر محصوراً في الرد على محاولات استقطاب أنواع المذاهب المسيحية الأخرى كالروم واليعاقبة والسرريان، وعلماً التفاتوا إلى من يحاورهم من مسلمين - وخصوصاً المتأولة - أو أفرادوا لهم حيراً وبو مستواصماً في محادلاتهم اللاهوتية، أو مناراتهم السياسية وكانوا يعدونهم هريقاً ثانوياً ملحقاً بتغير موقعه سفير الظروف والتحالفات. كانت هواجس القلاعي والدويهي وحتى العاصد الرسولي الأب دنديني P Jérôme Dandini تنصرف إلى ما قد شكّله افكار الروم واليعاقبة وكنتهم المحملة على رجال كثيرة⁽⁴⁾ - ومراكرهم التي تتكاثر بين حرددين⁽⁵⁾ وشري من خطر كند على صحة الإيمان وسلامة المعتقد (ما قد تثيره من غصب إلهي وسخط رباني يندّر بأوحم العواهب) أما المتأولة من الدين يعيشون في الأرض المهددة بفسها، فقد يمثلون أداء الله وأحياناً أداة الشيطان لتنفيد إرادة غير بشرية عن طريق الاستماعة بهم لمصلحة أحد الأفرقاء.

لم يكد بمصفي القرن السابع عشر حتى كانت هذه الصورة قد تغيرت تماماً، وقد أن هذه «السوسنة التي تعيش بين الأشوث»⁽⁶⁾ قد رعت وبمت بمصل الحماية والرعاية الكاملتين والمواصلتين اللتين أمنتهم لها بحماسة واندفاع كل من روما وباريس بما تمثله كل منهما من أبعاد سياسية وثقافية ومادية.

(1) النحول السياسي، حريق، ص 81 - 82

(2) كان البطريرك هو لكل في لكل في مدثته ولم يكن في الصائفة إلا برشييه وحدة ولم يكن فيها إلا سمع واحد هو البطريرك

مجمع الليرة بقلأ، عن الأب السمراني في مجله المنار

(3) أصبح الإكليروس الماروني أهوى مؤسسه في نظامه في جبل لبنان كله مجمع لليرة ص 158

(4) يقول دنديني سنة 1594م «أجبرني أحدهم أن اليعاقبة أدخلوا عن قرب إلى جبل لبنان ما يمارب حمسين إلى ستين جعل نعل من كنهم» رحة دنديني ص 248 رحياب ابن القلاعي ص 18

(5) قرية في ناحية ببيرون - كانت إحدى مراكز اليعاقبة وكان مدم بشري بعموبياً

(6) الوصف المأثور للمؤسسة كما جاء في رسالة البابا بيوس العاشر 1475م - 1521م

إنّ التطوّر الجذريّ الذي طرأ على مارونية نتيجة هذه العوامل مجتمعة لم يقتصر على معتقداتها وتنظيماتها الرهبانية وكنسية وممّتها الثقافي والماديّ فحسب، وإنما تجاوز ذلك كلّهُ إلى سبيلها الأساسي وطبيعتها السكّانية إذ حوّلها من إحدى الطوائف المسيحية الشرقية العديدة إلى تنظيمٍ شرقيّ وسياسيّ منحرك واحتماعيّ وفاعلٍ بكلّ ما يستلزمه ذلك من أحهره وتنظيمات مؤسّسية تمثّلت بالكنيسة إلى أفكار ومطامح وتوجهات نسّرت إلى الحياة السياسية والاجتماعية اللبانية فتركت بصماتها على كلّ معادلاتها وتوجهاتها القديمة ودفعت لأمرٍ في اتجاه مختلف، وكانت هي العامل الأساس في كلّ التطورات القادمة واللاحقة ولا عرابة في ذلك لأنّ هذه الطائفة أصبحت في مستهلّ القرن الثامن عشر تمتلك وحدها من بين كلّ المجموعات الأخرى في سائر بلاد الشام مصادر التميّز والقوّة الاتية

.. كان الاسماء الدينيّ لدى الموارنة - كما هي الحال عند نوبة الطوائف وإن بدرجات متفاوتة - هو الأساس في الشعور بالانتماء القوميّ والسياسيّ وكان البطريرك هو الرعيل الدينيّ والسياسيّ ولفائد الشرقىّ الذي يجتمع حوله شعبه وتركز كافة السلطات في يده وهو الأسقف الوحيد، وسائر الأساقفة والمطارنة ليسوا إلا نوابه ومعاونيه⁽¹⁾ ومداخل البطريركية ومصادر نفوذها تصبّح لمشبّهة وحدها فهو شبح الميعة والأب لدى تعود إليه الأمور جميعها، ولكن الحركة الإصلاحية والتنظيمية التي رعاها الماتيكان بكلّ ثقله ودعمتها عرسا بكلّ قوتها - لم تكن تهدف إلى إصلاح نمّيّ محرّد هي نظام الكنيسة المارونيّ، بل كانت هي لواقع حركة ذات ابعاد سياسيّة تؤهلها للقيام بدورٍ سياسيّ وقياديّ ضمن الطائفة هي طار حطة نرعي إلى نمّيّ مشروع قوميّ سياسيّ يسعى إلى استقلال الكيان المارونيّ في جبل لبنان بما يتوفّق مع المشاريع السياسية المرسية ويلتقي مع أهداف البابوية⁽²⁾

- لقد تحوّلت الكنيسة إلى تنظيمٍ على النمط العربيّ يعمل على التحرّز من نفوذ السلطة والإقطاعية ويتمتع بفعالية سامّة في شؤون التخطيط والتنفيذ كما يتمتّع بعلاقات متشعبة بمصادر القوة وقرار في بحارح وتأثير بالغ على التنظيمات الرهبانية الكاثوليكية كـ «اليسوعية» و«لكوشية» و«مرسيسكانية» و«الكرملية» ويعمل تحت رعاية تنظيمات رهبانية محنية وبمئذك هذا التنظيم مداخل مالية هامة

(1) تاريخ الموارنة، الأب صو من 243 ونمود - بمصل المارونية مملكة ملكه البطريرك

(2) مجمع اللويره من 158

تجعله ربّما من أغنى المؤسسات الموجودة في لبنان ومن أقواها وأبعدها تأثيراً⁽¹⁾.

- تعدّدت المراسلات والصفارات والزيارات والبعثات ولقصاصات بين المواردية وكل من باريس وروما. وقد وجّه ملوك فرنسا ولا سيّما لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر مراسلات جددوا فيها التأكيد على الاهتمام و الحماية و لأهمية التي حصّوا بها المواردية وتعيين قناصل من أعيانهم واستقبال بعض رجالهم. وكذلك تعدّد القصاص الرسوليون والمبعوثون المكلمون بمهمّات استطلاع وإرشاد ومساعدة ورعاية وعقد مجامع دينية واعتماد رهبان مواردية لمهمّات كنسية ورسولية محتمة وهذا ما عزّز العلاقات الدولية للمواردية وأنكبهم معرفة وحررة بالسياسة لدولية وحماياها وطرق الاستفادة منها وتوظيفها في خدمة الأهداف المحليّة المطلوبة

- إن انتشار الثقافة في الأوساط المارونية حتى المديّة منها دفع الحكّام إلى اختيار كواخي من بين مثقبيهم لكساءتهم العلمية من جهة ولتعدّهم عن النافس السياسي المحلي من جهة أخرى ممّا أنكبهم حيرة في الشؤون السياسية اللبنانية ومكّن بعضهم بحكم مناصبهم من القيام بخدمات طوّل أبناء طائفتهم وحصّمت لهم في كثير من الأحيان مكانة مميّزة ومعرفة شحصة بالحكّام والولاة والناهدين أمكن استخدامها لتنفيذ بعض المخططات السياسية التي سعوا إلى تحقيقها في المستقبل.

لعب الرهبان المنتشرون في مختلف الجهات والقرى في جميع أنحاء البلاد دور الجهاز الدعائي الفاعل الذي يمكنه الترويج لأي مشروع سياسي أو فكرة ذات طابع عام ترى القيادة الكنسية أو المديّة المارونية وحب ترويعها والسمي إلى تحقيقها من خلال إعطائها بعداً جماهيرياً. ولا يحمى أهمية هذا الأمر في تحويل الأفكار القومية والدينية والسياسية إلى مطلب جماهيري عام إذ تقتنع جميع الطبقات بمائدته وأهدافه وأبعاده⁽²⁾.

ساعدت هذه المزايا على انتشار المواردية في حبرّ حجر في واسع، هتتمّدوا جنوباً نحو كسروان والشوف وحرّين، واستطاعوا - في وقت مبكر وسابق على تنميد مشروعهم في جبل لبنان - التكاثر في كسروان والحبول تدريجياً مكان الشيعة، بعد تسخير الظروف السياسية المؤاتية ابتداءً من عهد حجر الدين المعني - حتى استطاعوا في النهاية أن

(1) جبل لبنان، نقرشل، ص 83 ويرى الدبوماسي إنكليزي أنهم يمكنوا من أن يتمكنوا ربيع مساحة لبنان.

(2) خصوصاً في عياب قدرات إعلامية أخرى.

يصبحوا أكثرية فيها ويعمدوا بوسائل محتلثة إلى تهجير سكانها الأصليين من ديارهم. كان هناك عاملان أساسيان وفاعلان وراء ما حققته الموارنة من نجاح، هما قوات القمع العثمانية التي لم تنقطع حملاتها ضد الشيعة، والأموال المرسية والإرسالية المبدولة بسحاء في هذا السبيل فكان يعقب الحملات النأدينية العثمانية تقدم ماروني نحو الأملاك الشيعة خصوصاً بعد أن أصبح لمرسا نائب قنصل ماروني في بيروت (1662م)، تولى بنفسه غالب لأحيان شراء الأراضي الشيعة بعد كل محنة يسبب بها العثمانيون فيصطر المقموعون الشيعة لى استبدال حقولهم بأتمه مستلزمات المقاومة والصمود قد لا تكون أحياناً أكثر من حصّة من البارود من يد الدبلوماسي نفسه، الذي يكون عادة وراء هذه الحملات حتى أصبح المناولة مستأجرين لمقارنتهم التي ناعوها إلى المسيحيين قبل أن يحدوا أنفسهم في النهاية مجبرين على الهجرة العامة من قراهم وأملاكهم الباقية⁽¹⁾.

(1) Arabica 51- 1- (2004) P4 Moron tes et ch rtes au Mont Liban 1698- 1763

الفصل الثاني

التحرك نحو الغرب

إن العامل الهام والحاسم الذي برز على مسرح السياسة اللبنانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر هو ظهور الطائفة الدرزية بوصفها لاعبا قويا وأساسيا يمتلك عدداً من عناصر القوة الصاعدة التي مكنتها من الإمساك بحيوط ممصية تتبع لها إمكانيات التحكم في المساهمة المؤثرة في بعض هوائيد لعبة السلطة والنموذج وهذه العناصر هي التنظيم الفعال والملاعات لدولية المؤثرة والحرمة السياسية والجمهور الدعائي الواسع والتمدد الجغرافي الممتد. فلم يبق إلا استحصار المشاريع الممثلة والقرار الشامل بوصفها موضع التنفيذ، وتوظيف كل القدرات والإمكانات والمكاسب المحققة في خدمة هذا القرار والاستفادة منها في كل الحالات الممكنة.

إن توفر هذه المعطيات المستحدثة نيل مشروع تهجير الشيعة من نطاق المحيطات والأماشي إلى الدوائر السياسية والدبلوماسية والكثسية، وحث على استعمال كل الوسائل المتاحة لدفع أصحاب القرار في روما وباريس إلى تبنيه وإقراره والبدء بتنفيذه على أرض الواقع.

ويقضي هذا المشروع بتوظيف، لعلاقه الخاصة القائمة بين الموارد وفرسا والفاتيكان في إقناع الدولتين باستعمال مواردهما السياسي والمعنوي لحمل الدولة العثمانية على استعمال قواها العسكرية وسلطانها الإدارية في تهجير الحماديين والشيعة بشكل عام من بلادهم التي كانوا يحكمونها منذ قرون عديدة لإنشاء إمارة مارونية فيها، والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم وملكها بالقوة، على أن يتم تمويل هذا المشروع من الأموال التي يثرع بها تجار مصر في بيروت وصيدا وحلب، أو التي يمكن جمعها من الدول والمنظمات والهيئات الدينية والمدنية في الغرب.

إن إنشاء دولة أو إمارة كاثوليكية في شرق هو حلم راود الكثيرين من رجال الدين والسياسة منذ فشل الحملات الصليبية الأخيرة في تحقيقه ولم توقف الأفكار والمسااعي والمحاولات الرامية إلى تأسيس موطن قدم للنفوذ العربي في الأراضي المقدسة. أوهي جوارها في أي وقت ومن هذه المحاولات الكثيرة ما ذكره الأب فرانيسكو سوريانو رئيس دير الفرنسيسكان في بيروت ومعتمد البابا لدى المواربة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، من أن البندقية حاولت شراء مدينة صور من السلطان المملوكي فلم توفق.

كما أن البابا أوجين Eugene (1438م - 1447م) كان يعطط مع ألبوس Alfonso ملك نابولي للقيام بعملية بحرية بهدف حثلال المدينة، إلا أن المشروع لم ير النور لأن موت البابا المباحث قصى على فكرة قبل الشروع في تنفيذها⁽¹⁾. ولم تكن المعاهدات والتحالفات التي عقدها حجر لدين المعني مع بعض الأمراء الإيطاليين إلا من ضيل هذه المحاولات التي كانت تبدو صعبة التحقيق على أرض الواقع نظراً للتعقيدات العسكرية والدينية والعرقية التي تهره.

ولكن مع اختيار المارونية نهائياً الالتزام بالكنيسة الكاثوليكية، والارتباط الوثيق بها، ومع ما نتج عن ذلك من تقامي العلاقات وتوثقها وتواصلها بين هذه الطائفة والماتيكان وهرسا وانتشار الإرساليات الرهبانية اللاتينية في عدد كبير من المدن كبيروت والقدس وحلب، إضافة إلى الصعف المتعدي الذي ألت إليه الدولة العثمانية الذي سمح للتدخلات الدولية بالعماد إلى سيتها الداخلية، وأعطى دفعا للامتيازات الأجنبية وتفسيراً موسعاً لها جعل من هرسا لحامية مؤثرة للكاتوليك في جميع أنحاء الإمبراطورية. مع كل تلك التطورات ظهرت فكرة إنشاء إمارة مارونية في بلاد الحماديين، وبالتحديد في مناطق كمرون وحبير والبترون والجبلة. وبدأ أن الظروف قد نضجت، وأن الساعة قد أرقت قبل نهاية القرن السابع عشر، وأن الفرصة مؤاتية لتحقيق هذه الفكرة التي بدأت بعض المحاولات لتسويقها في حينه.

قد يكون التداول في هذا المشروع قد بدأ حديثاً في حلب⁽²⁾ هي النصف الأول من

(1) قراءة إسلامية في تاريخ لبنان محمد علي صاوي ص 133 ويذكر الأب قرالي أنه عثر على ثلاث وثائق في محفوظات حكومة ال مدينتي في توسكانة حول موضوع حثلال صور
فخر الدين المعني الثاني، الأب قرالي، ص 366

(2) كانت حلب في هذه الفترة من أهم المدن العثمانية خصوصاً في ميدان التجارة فهي مركز القوافل نحو أسية الصغرى وفارس ولهد وحض الشرق الأقصى

وفيها شئت أول فتصليية فرنسية في سوريا سنة 1548م تشمل نطاقها جبل لبنان وولاية طرابلس وفلسطين كما كانت مركزاً نشيطاً فيها عدد ملحوظ من لواربة قدرته بعض المصادر الإرسالية بعثتي عائلة.

القرن السابع عشر عندما كانت الإرساليات تشهد عصرها الذهبي بإصعاف «الكوشيين» و«اليسوعيين» و«الكرمليين» إلى الأباء، لمرنسييكان، إذ راحوا جميعهم ينشطون لتحقيق السياسات البابوية مستعدين من تلافى عدد من طوائف الشرق المسيحية ودهق من الكتاب والرّحالة والمستشرقين يتمعون كلّهم بحماية ملك فرنسا «ابن الكنيسة البكر» وبرعاية حليمه لروماني وتوجيهه وبإشراف مجتمع بشر الإيمان «البروباند»⁽¹⁾.

وقد حظيت هذه الإرساليات بدعم كبير في ظلّ بصيرها القادر فرنسوا بيكات Francois Piquet القنصل الفرنسي شهير الذي شغل هذا المنصب بين سنة 1653م وسنة 1661م⁽²⁾ فأعطى رُحماً ودفعاً كبيرين لنشاط هذه الإرساليات ومنح أعضاءها حماية وموداً ودعمًا بدون حدود و ستمرّ في نشاطه بعد عودته إلى باريس حتى تجاوزت اهتماماتها الميادين الروحية والتعليمية لتعمل على تحقيق الأهداف السياسية العامة لفرنسا والمانسكان بالطريقة التي تحتارها وتراها، وبانطلاقاً من ذلك ابتدأت الأب الكوشى سانت ايبيان⁽³⁾ Sylvestre Saint Aignan إلى أوروبا، وكلفته بجمع مبلغ من المال لشراء حكومة جبل لبنان وتأسيس دولة مسيحية منه، ووضعت مشروعا لتحقيق ذلك فبدأ بكتاب وقدمه إلى الكاردينال مارازان Mazarin مع توصية بالعمل على تصديده وتبني فضيه الشعب الماروني المسكين والمظلوم والمطروود تدريجياً من حاله بعل الاستبداد والتعديات التركية ضامناً من الوزير «أن يمسحوا له دراهم الحنون لأنقاده من بحر المعاناة التي يعاني منها منذ وقت طويل، تحت وطأه التسلط الثقيل للأتراك الحاكمين في جبل لبنان وأن ممارساتهم ستقصي على المسيحية في هذا الجبل المقدس، وسيتركه المواربة إذا لم يجد الوسائل الكفيلة بانهاء هذا الوضع الشاذ».

- (1) حوالي عام 1627م وفي المنزه بمسها تقريباً وصل الرهبان الكرمليون واليسوعيون والكوشيون والعاراريون إلى حلب ثم انطلقوا بعد ذلك إلى جبل لبنان بحطيط وتنظيم وإشراف مجمع البروباندا فأسس اليسوعيون أول دير لهم في عبيطورا سنة 1628م وتلاههم الناقون
- (2) فرنسوا بيكات Francois Piquet ابن مصر في من مدينة ليون حلف بونن Bonnin في قنصلية فرنسا في حلب وعمره سنة وعشرون عاماً يقض سعاد بشرقية قال عنه أحد حمائيه «دريو» كان رجلاً متفانياً في خدمة ربه ومولاه وفضل ثورية عند انتهاء مهمته أكبر حمائهم
- (3) كان الرهبان سانت ايبيان رئيس الرهبان الكوشيين في بيروت، سنة 1631م وكان في حلب سنة 1650م على علاقة مع الأب اميو Amieux رئيس اليسوعيين في سوريا كتب موجراً حول جبل لبنان المقدس وسكانه المواربة مات في حلب سنة 1670م حيث جرى له مأتم حافل برجال الدين وجمهور المسيحيين في كنيسة المواربة

إن معالجة هذا الأمر سيسهل على نياتكم إذ استمعتم إلى أفكار ومقترحات الأب
سليمستر الكرمللي الذي أمضى 15 سنة في هذه البلاد وهو يبحث عن الوسائل التي
يمكن أن تحقق العزاء لهذا الشعب المسكين⁽¹⁾.

ناصر بيكات الموارنة بكل قدرته المتخصصة وعلاقاته الأوروبية وما يمنحه منصبه
من نفوذ وفعالية وحاول مساعدتهم في زعمات عديدة وأظهر دائماً أنه يكن لهذه
الطائفة «حناناً أبوياً» واهتماماً خاصاً بحمايتهم ومواررتهم. وقد كتب في 4 آذار
1656م إلى كاردينال رئيس مجمع بشر لإيمان «البروفنداء» يصف له شقاء الموارنة
«الأحرار» واستنحله أن يساعدهم في محبتهم فحاجب المجمع بداءه مثنياً على غيرته
وإدفاعه مع مبلغ نفدي لإسعادهم. كما سعى لدى الباب العالي ووررء السلطان حتى
استحصل لهم على حرمان بصوتهم ويحمي كنسبتهم من كل حيف⁽²⁾ وهو الذي عين في
عام 1655م الشيخ «أبو نوفل» نادر الحارثي وكن قنصل في بيروت وقد نوارث هذا
الأخير هو وحملأؤه هذا المنصب بعترة طويلة.

وهي استعراض للقوة أمام الرأي العام الكاثوليكي في لغرب، حصلت الإرساليات
على عريضة مشاركة وقعها بطاركة المذهب، الممبجبة الشرقية يعثرون فيها عن ولائهم
للمبايكان وبطالبون الحبر الأعظم بالتدخل لدى ملك فرنسا ليعين بيكات سميراً في
الاسانته حيث يمكنه أن يكون صاحب تأثير كبير في تمديد مشروعاتهم لسياسية⁽³⁾.

كانت الرسائل التي تتوالى من لغبر إلى روما وباريس وكنستها دسبئون ومدسئون
تركز على فصل بلاد الحنة وحبل ولبنرون أي شطر الشمالي من لسان عن يالة
طرابلس وإقامة الحارثيين حكماً عليها كما جاء في رسالة البطريرك بوحنا الصمراوي
إلى الباب إسكندر السابع سنة 1656م⁽⁴⁾ والبطريرك جرحس السبعني إلى البابا نفسه
في 22 آب 1657م. وفي الرسالة الأخيرة يلج البطريرك على لويس الرابع عشر أن
يجعل أبا نوفل حاكماً على حبة بشري حتى يحنص موارنة من حكّام الولايات
الظالمين⁽⁵⁾.

(1) Les Traditions Françaises du Liban, P 290-291 وائرساله مؤرخه في أول آب 1657م

(2) مصدر انساب، ص 121 واليد المارونية بطرس وهاب، ص 27

(3) ليد المارونية، بطرس وهاب ص 67

(4) تاريخ الموارنة، الأب صو الجرة الثالث، ص 382

(5) تاريخ الموارنة، الأب صو، الجزء الثالث، ص 383

قد تكون هذه، هي المحاولة الرسمية الأولى لتنفيذ المشروع المأمول، شارك فيها القنصل سكات وبائيه في بيروت، بوبو، لحازن والبطريرك حرحس السبعلي. وانتدبوا بالاشراك مع تجمع الإرساليات الرهبانية الأب الكوشى سيلستر دي سانت إيمان لتمثيل الجميع أمام البابا والملك الفرنسي في إيصال هذه الرسائل التي تتضمن تفاصيل الحطة المقترحة بشكل واضح وكامل مع ذكر لروافع والحيثيات وحتى مصادر التمويل^(١)؛

«إنه صاير على سيدنا البطريرك والمطارين والكهنة والرهبان وبقية النصارى الموارنة في جبل لبنان في جبة شرقي مصايفه من ظلم شيء لا يوصف. وغالب الديورة غربت من زود الصيم والظلم وطلبوا من عندكم أن تسعى في بلادهم وتفردها عن حاكم طرابلس وبصمها بحالها من إسلام بول (الاستانة) وبورد مالها مستملاً بحاله. وهذا الشيء لا يصير بدون حسن نظركم السعيد علينا وعليهم وبدون أن تكتبوا مكاتيب شريفة إلى سفير سعادتكم في الاستانة ليكون مساعدنا في إتمام هذا الامر ويلزم لقضاء هذا الأمر 12 ألف قرش إذا جار تصدقوا على البطريرك والكهنة والرهبان والرعية بها وأن احتاج الأمر إلى دراهم أكثر من ذلك نحن ندفعه من عندنا ولا حل ذلك أرسلنا عندكم أبانا البادري سيلستروس ليعرض جميع الأمور بين أيديكم الشريفة لأن المذكور له في هذه البلاد مقدار 25 سنة وجميع الأمور فاهمها بالتفصيل ينهيا إلى سعادتكم،

وأومد البطريرك السبعلي لهذه رعاية أيضاً المطران سركيس الحمري رسولاً إلى البلاط الفرنسي مروداً بالتوصيات والعرض والرسائل من البطريرك والقنصل بيكات وعدد غير معلوم من أقطاب الموارنة لديمين والمسيحيين ومنهم أبو بوقل لذي أرسل أيضاً رسالة إلى مازاران^(٢).

ساهمت تقارير القناصل وأبحاث المرسين والمشرين ونداءاتهم وروايات لتجار والمسافرين ومبالغاتهم والسبل المتواصل من استقانات رجال الدين ولطامحين من المسيحيين في إيجاد حو أوروبي من العطف والشفقة والرعية هي بقاد الموارنة ووضع حد للامهم.

(١) Traditions Françaises du Liban. P 125 وتاريخ الموارنة، لأب صو، ج. 3، ص 383
(٢) تفاصيل هذه الحركات صديقة ومحامية عالية، ص. 248 تاريخ الموارنة، صو، 384 وتعاليد فرنسا في لبنان ص 136-137 وبص الرسالة عن صديقة ومطامية

إن حشد جميع هذه القوى المؤثرة من تنظيمات رهبانية وسياسية وقصصية، والحملة الواسعة التي ساهمت في إبطال هذا المشروع إلى أرفع المقامات السياسية والدينية في أوروبا، يدلان على أن الأمر كان محل دراسة مستفيضة وامتدادية أمام جهات متعددة ناهضة وفعالة في حلب ولبنان وبيروت ومراكز الإرساليات ودوائر وزارة الخارجية الفرنسية والدوائر العليا في الماتيكان لأنه لا يمكن تأمين اشتراك هذه القوى كلها وإرسال الوفود وجمع الأموال بدون تشاور مُسبق ودراسة عميقة وموافقة مبدئية من دوائر القرار في روما وباريس خصوصاً وأنه من أهم العاملين على تأييد الفكرة ودعمها، قناصل فرنسيون معتمدون ورؤساء إرساليات لاتيكية عرفت بدقة انبساطها وعمق ارتباطها بالكرسي الرسولي والتنظيمات المدعومة به

يُلاحظ من رسالة أبي بوهل أن مطمع السامعين إلى إنشاء إمارة مسيحية في جبل لبنان كانت هي أول الأمر مقتصرة على حنة بشرّي كخطوة أولى ربما بدون أن تتعداها - كما حصل لاحقاً - إلى حبل وبتروت وسائر المناطق الحمادية من لبنان وكانت بمصبي بمصل الحنة عن الولايات العثمانية في الشام أو طرابلس والحاقيها رأساً بالمعاصرة في إسلام بول بحيث تصبح إمارة مسيحية مستقلة تقصر علاقتها بالدولة العثمانية على دفع مبلغ مسوي من المال كما هي الحال في بعض الإمارات المسيحية في البلقان في ذلك الحين وأن تكون علاقتها بالدولة العثمانية تنحصر في دفع حريّة إلى السلطان سنوياً تحددها الرسالته بأثني عشر ألف قرش تدفعها فرنسا، وهو صعب المال المقرر على الحبة هي الدفتر العثماني"

إن الأسباب التي تؤكد عليها الرسائل والمناشدات والمطالبات جميعها، والتي تجعل منها الدافع الأول للمصبي في هذا مشروع، تتمثل في دُعَاءات الظلم والمصايقة الحاصلتين على رجال الدين وعموم أنصارى وحتى حريت عالت الديورة وأصبحت المصرية ومؤسساتها وأتباعها في خطر شديد. والحقيقة أن واقع الحال السائد في الحبة هي ذلك التاريخ نفسه لا يتوقف نبدأ مع هذه التقارير التي ترمي إلى إثارة المشاعر الطائفية في الداخل وعي الحارج واسغلالها لتصبّد مطامح سياسية ذات طابع شخصي صرف

في الوقت نفسه الذي كانت فيه مد ولات ومشاورات على أشدها لإنشاء إمارة

(1) كان مال الحبة طيلة هذا الزمن 6500 عرش، لصربه لمروضة على دير قنوين مائة وسبعين عرشاً راجع وثيقة الترام الحبة ورسالة الحاكم الحمادي ندي يحدد فيها المنح لمروص على المدير

مسيحية هي حبة بشرى ومن ثمّ في بقية أنحاء جبل لبنان، كان الموفدون يتوالون وتتوالى معهم الرسائل والتقارير على روما وباريس مستصرحة الحمّة الدينية لإنقاذ النصارى من الضيم والظلم البدين يبرهنهما الحكام الحماديين، ومن وراءهم العثمانيون بالبطريرك والمطارنة والكهنة والرهسان وبقية النصارى

استمرّ سيل الشكاوى ينهمر بدور انقطاع من لبنان إلى أوروبا عن طريق الرسائل أو الموفدين والتقناصل، وتركزت هذه الاتصالات على ثلاثة أمور هي الحامع المشترك الذي عالياً ما تدور حوله معظم هذه المراسلات:

1 - التخلص من حكم الحماديين وإنشاء كيان مسيحيّ توسّع تدريجياً حتى أصبح يشمل كسروا وحيل والبيرون بالإضافة إلى نجبة

2 - الشكاوى التي تلجّ حدّ الاستماعة من حور الحماديين واصطهادهم للنصارى ومؤسّساتهم بما فيها الأديرة ومركز البطريركية في قنوبين

3 - وصف حال الفقر المدقع التي وصلت إليها الكنيسة وأتباعها بسبب الظلم اللاحق بها، وطلب الهيئات المادّية المباشرة للمساعدة على الصعود والنعوص عن البخل والظلم اللاحق بالطانة وقد توسّعت هذه انطباعات واشترت حتى تحوّلت إلى حالة مرضية من التسوّل الذي عمّ كلّ الطبقات ودفع الطامعين إلى المساعدة على احمرار المبالغات عن ما يتمرّصون له من لظلم ونقهر والتكبل لتبرير الطلبات المتريدة والحثّ على المساعدة والمساعدة السياسية والمادية

هي سنة 1695م. كتب الشيخ داصف الحارث إلى الملك لويس الرابع عشر رسالة وقعها «الحارثيون والحبيشيون وبصر كميد و لشيخ بونصار من بيت شيايب وقرائيه جاء.

«يكون بطركم السعيد علينا وكتبوا مكنوب إلى سلطان ابن عثمان يصدر لنا أمراً شريفاً بولاية بلاد كسروا وماله 18 ألف قرش وبلاد جبيل وماله 13 ألف قرش وبلاد البترون وماله 7 آلاف قرش وجبة بشرى وماله 6 آلاف قرش حتى يؤديهم لباشا طرابلس هي محلّ الشيء ونعمهم. ولا يتغير علينا أمر إلى ولد الولد حتى تظل طائفة النصارى معمرين كنيسة الشرق. لأن هذه الطائفة من رمان أجدادكم أصحاب الذكر الصالح مسميّة هيكم لأن الصيق الذي صارت فيه هذه الملة هكذا عظيم حتى ما يعلم فيها غير الله تعالى كما يحبر سعادكم عبدكم وكيلنا حيا مرمعون⁽¹⁾.

(1) هو الموفد الذي حمل الرسالة لم يهتد سياحئون إلى سببه وصل أولاً إلى روما وحصل على توصية من لدنيا بسعي المطران بطرس مخلوف وذهب إلى باريس حيث قابل ملكه ملك قال له تعرض للسلب في طريقه وأسأف إلى مذكرته طلباً لنعوص عليه

«ويكون حسن نظركم الصعيد عينا وعلمه وإن لقيتم مناسب أرسلتم عبدكم حنا المذكور إلى استانبول مع مكاتيبكم الشريفة بتوصية وأنتم هي السعود إلى أيام الخلود، هي أواخر شهر اذار سنة 1695⁽¹⁾».

يبدو أن هذه هي النصيحة الأخيرة التي يجري الإعداد لها على أن تكون إمارة وراثية ينتقل الحكم فيها إلى «ولد الولد» وتضم أهم المقاطعات الحمادية حيث التواحد الشيعي الهام. بعد أن بدأ العمل على تحضير كسروان وإعدادها لتسهيل التمهيد وتنفيذ المخطط عندما تفتح باريس وروما حدودا ومكبنة تحميقة بدون أن يهتم أحد بمصير سكان هذه المناطق الذين لم تشر مثل هذه الرسائل إلى وجودهم وما يعد لهم من مصير

لم تكن الاعتداءات وطلبات الإنقاذ التي أصيحت لعة التحاطب الدائم بين المقامات المارونية في لبنان وحمايتها في أوروبا إلا وسيلة سياسية فعالة تُوظف لدفع البابا والملك إلى التدخل المستمر لدى السلطات العثمانية من أجل تأكيد الحماية، ورفع التبعات المرعومة، والحصول على أكثر قدر ممكن من المنافع المادية والسياسية

في سنة 1700م وصل إلى البلاط الملكي الفرنسي يوحنا جوديسي⁽²⁾ (Judicy) موفد البطريرك أسطمان الدويهي ومعه رسائل منه ومضى المشايخ وبقي جوديسي في فرنسا حتى أواخر نيسان عام 1701م في رسالته بتمديد المبعوث البطريركي بثلاثة مطالب

1 - استعمال الراية الفرنسية عندما يتقدم الموارد لقتال الدروز والمتاولة واليزيديين وغيرهم من الأعداء الذين يريدون احتلال جبل لبنان الذي منحنا إياه الله، نعلم الجميع أننا تحت حماية فرنسا.

2 - نطلب من جلالته إعطاء السلاح لوضعه في قصر الأمير وتحت إشرافه تحت شعار «حصن الخازن أمير الموارد» تحت حماية الملك المتعلق بمسيحيته ملك فرنسا.

3 - نطلب مداخليل لمنصلية بيروت أسوة بقنصلتي حلب وصيدا، حتى يتمكن

(1) صدمة ومحاميه، عالب، 8 من 264 - 265 وثيقة F1

(2) يعمر المطران مخلوف إنه بن عمه وحصن الخازن به تابعه وربما كان اسمه ترجمة فرنسية تسمى «القاضي»

الأمير بسهولة من الإنفاق على جنوده الذين يدافعون عن الكاثوليك في جبل لبنان، للحفاظ على أمنه الكاثوليكي ضد الدروز والمتاوله واليزيديين الذين سهل لهم الأتراك التحكم بجبل لبنان والمورة الكاثوليك، وبهذه الوسيلة يحافظ على أكثر من مائتي قرية كاثوليكية صرفة وسبعين ديراً وأربع إرساليات دينية فرنسية أو في الأراضي المقدسة⁽¹⁾.

وحال إقامه حوديسي وصلت رسالتان حديدتان من البطريرك إلى الملك أولاهما مؤرخة في 20 اذار 1700م حملها الحوري لباس شمعون، والثانية صادرة عن قنوبين ومؤرخة في أوئل آب 1700م. ولا يختلف مصموبهما عن بقية الرسائل من حيث طلبات المساعدة المالية والشكوى من الظلم⁽²⁾.

قال البطريرك في رسالته الاولى ما حرفيته و لرسالة مكتوبة بالكرشوبي.

«انا وطائفتنا المارونية الكاثوليك نالجبهم هي جبل لبنان عندكم وداعين لحباكم على صمر الأرمنة والأيام من مدة دهور عديدة وأعوام مديدة تحت عبودية الإسلام وجورهم الذي في عصرنا هذا قد بلغ ملوعاً لا حد له ولا منتهى حتى أنهم صاروا يسلبوا المال والظلم من الكهنة والرهبان من الرجال والنساء والتامس والأرامل ومن الأولاد الذين لم يدركوا السن وغيرهم وذلك من بعد أصناف مختلفة من العدايات.

وبعد حبس الرجال والأولاد والنساء اللواتي صاروا يعلموهن على الشجر من أنزارهن كما رأينا بأعيننا وحرقوا قلوبنا شيئاً لا صار له مثيل ولا نسمع إلى يومنا هذا حتى أن جميع الأماكن والقرى التي هي لبلد المذكور خربت بالكلية وسكانه تشتتوا وتبددوا في بلدان بعيدة وأهم كسرة وغربية هادمين كل رئاسة وسياسة روحانية ولم كصاهم يظلموا الشعب فقط بل مدوا أيديهم إلى قنوبين وإلى مطاريننا وبهدلونا مسواة الرعية وهلقدر عاملونا حتى مررا كثيرة الترمنا بلبس طرار العامية ونهرب من أمامهم ويسكن في الأودية والمعاير وفي الشقمان والأجبال تحت جور الأرمنة والأيام ولو أننا انطعنا في العمر لكيما نخلص من أيديهم الظالمة والسبب أن ما عاد لنا جلادة على ذلك انهزمنا في أماكن عربية وتركنا كرسنا ولم لنا أحد يشكي له

(1) Trad tions Francaises P 291 292

من الواضح أن هذه الرسالة تحاول إيهام الملك بـ الحرب على وشك الاندلاع بين الموارنة وأعدائهم مع العلم بأنه ليس هناك درزي واحد في جبل لبنان ولا يوجد يريدي واحد في كل لبنان وأنها لا تعمو محاولات صيانية لاستئثار عطايا الملك عن طريق التحيلات والتباعد

(2) صديقة ومحامية، ص 273.

قهرنا ولا جناح لنطير بها إلا جناحكم أيها السلطان الأجل والأعلى،

وبعد ذلك طلب المطربك من الميت أن يكتب للسفير في اسباسول لينال له خطأ شريفاً مما يوسياً أندياً يعيد مال الجبة إلى ما كان حسبما هو مسجل في الدفتر حابه ويرده كالسابق تابع الشام وأن يحصل على أمر لحاكم طرابلس لا يعود يقارش جبة بشري بوجه من الوجوه وأن دير قنوين كرسياً يكون على كبسكم معافى وتحت وكالة الجيكم وقناصلكم حتى لا يلتحق به ضرر من العثمانية والطلام. وهذا الدير ما زال أندياً محل لقناصلكم وتحاركم ولقصة الاقترنج لدين يقصدون هذه البلدان بسبب زيارة أم تجارة. وإن كان هكذا يرسم خاطركم الشريف توكلوا قنصل طرابلس في ثبات الأمر وهو يكون دعوجينا عند الباشا والحيكم عند السلطان،

ثم نعلم ولي نعمتنا واجل فخربا أن من مدة عشر سنين وأنوف على ذلك ارتقى كرسياً بحب ديون لها صورة (كثيرة) بسبب الصلوك والحروب التي صارت في هذا الحانك وبسبب المقرء والمساكين الذين يومياً يلتحقون إليه ونحن جاهدنا جهداً ملعباً حتى نوهبها مما أمكننا ذلك ولكن ارباداً علينا ولا نعرف كيف نعمل وإلى من يلتحق إلا إلى سعادتكم الحليمة ومراحكم العظيمة إنكم إكراماً لله ولستنا مريم التي نحن في هيبتها بمدونا في إحسانكم وبسعمونا في صدقاتكم ونحن ما لنا باب نمرع فيه إلا بانكم ولا احد قادر أن يمدد دون دراهم القاهرة العظيم وإذا بطرتمونا بعين الرحمة تكونوا بالحقيقة قد اهديتونا من شدايد وبلايا عظيمة وأنقذونا أيضاً طائفتنا والدين الكاثوليك في هذا الحانك،⁽¹⁾

ثم قال إن موهداً من قبله هو الحوري لباس شمعون الحصري سييسط أمام الملك مصائب طائفة ويطلب ترويده بالتوصيات اللازمة وإرساله إلى اسطبول لإكمال المهمة.

أما الرسالة الثانية وهي صادرة من قنوين أيضاً فورد فيها: إن عبيد بانكم الملة المارونية القاطنين في جبل لبنان لدين في كل الأمصار الشرقية ما زالوا أندياً معتصمين وحدهم مع الكنيسة الرومانية ويدعون لحبانكم... وبسبب أنهم معتقلين تحت عبودية الملل العربية يسألون جلالكم أن تشملوهم بحسن النظر الكريم

(1) الوثيقة F2

(2) ببندى معظم هذه الرسائل بوصف الضم ملاحق برجال الدين وجميع البصاري وطلب النجدة، وتنتهي بالشكوى من لغير المدفع وطيب لإمداد البصدي

وتجبروهم بمشرفة إلى الإلجي (السفير) الذي من طرف سعادتك في مدينة القسطنطينية يبرر لهم خطأ شريعاً بأن دير قسوين الذي بالقرب من مدينة طرابلس الشام يكون تحت جناح عنايتكم لتسعيدة لكونه مقر كرسي البطريرك الأنطاكي.

ورغم أن الخوري الموفد وصل إلى لاستانه حاملاً رسالة من الملك إلى سفيره لدى السلطان، لم تحقق هذه الريارات النتائج المأمولة، لأن ولاية الشام قد أسندت في هذه الأثناء إلى والي طرابلس المشكومنه كما رفض المصدر الأعظم أن يبحث في أمور دينية تتعلق برعيه السلطان، مع ممثل دوله حري لذلك كان لحواب الفرنسي على كل هذه الاستعانات متحفظاً ودبلوماسياً ومحدراً من أن تكون تليتها سبباً لإثارة الخلافات والمتاعب بين الأهالي والحالة المرسنة ينعكس صررها على مصالح فرنسا والتجار الفرنسيين في المنطقة.

جاء في رد الكويت بوشارتان على رسالة البطريرك.

أيها الأب المكرم بعد السلام على جنابك وجناب من يلود بك فليكن في مفر علمك (الشريف) بأنني قريب على ضيضي الملك الأعظم المكتوب الذي راسلته به بتاريخ شهر اب من هذه (السنه) وابت تسعين هـ. يحمد الله الملكة على دير قسوين عمره الله الذي (أنت) ساكن فيه بناء على ذلك فإنه قد أمرني بتحرير مكتوب من عنده إلى حاضرة رسوله المسمى مسيو فريول في باب السفطان العثماني لتوسط بشماعه عند الوزير الأعظم حتى يمدوك بساير أنواع الإمداد الواجب لك ولرجالك مدلاً وتدفع الظلم الذي أنت شاكي به ولاجل (ذلك) فإني أرسلت إلى الإلجي المذكور نسخة مكتوبك الذي كتبته حتى يكون علمه (وحتى) أوضح وأنين فإن احببت سله بما تريد وشرح له حاجتك وغرضك (بأصله وفرعه) وبمضيه على حسب الطاقة والإمكان وفي طئي أنه ليس بلايق لصيضي المنصور أن يأمر عبده باستصمان من باشة طرابلس التكاليف التي يكلف بها الديوره والبلاد الذي أنت فيه ساكناً وربما يكون ذلك في الزمان الآتي سبباً للشوايات يتعاونوا بها المسلمين على طايمة فرنساويين ويعود صرراً ونقصاناً للتحار وأنا أيها الأب المكرم أسألك حسن الدعا منك والبركة أمين، في 3 كانون الثاني سنة 1700 (وثيقة F3)

يبدو أن الاستحابة الفرنسية لهذه لطلبات كلها اتسمت ببعض التحفظ؛ فلا يعلم إذا كانت الدبلوماسية الفرنسية قد طرحت موضوع إنشاء الإمارة المسيحية مع السلطات في إسلام بول في حينه. وإن كان هناك إشاره على أن الموقف العثماني كان متجاوباً

مع الاهتمام بشكاوى البطريركية حول ما يتوحد من أموال أميرية على دير قنوبين، إلا أنه كان بارداً حول ما يتجاوز ذلك من أمور خاصة برعية السلطان دون المرسلين والمركز البطريركي. لقد استجاب الملك المرسى دائماً لطببات الحماية كما كان على شيء من السجاء هي إرسال المساعدات النقدية بين لحين والآخر، أما في ما يتعلق بالموضوع الأخطر - وهو الكيان المسيحي - فلا يوجد بين يدينا أي موقف مرسي رسمي حول تنفيه هذا المشروع حتى سنة 1700م على الأقل من على العكس من ذلك، كانت السياسة المرسية تحث من ديول هذا المشروع في حال تنفيذه أن ينعكس سلباً على مصالحها السياسية والتجارية ويكون سبباً للعدوة والتدريج واستهداف المرسيين، وقد تنشأ عنه مشاكل كثيرة هي المستقل تعود بالصرر على المرسيين والمسيحيين على السواء

كانت السياسة المرسية حاسمة في كل ما يتعلق بالحمايه التي ما امك الملك المرسي يشمل بها موارد لبنان ويبدل جهده لتغيير عنها تعليمات إلى سميره لدى الباب العالي لإعطائها ببدأ عملياً، كما يبدو من حوائه على رسالة البطريرك الأخيرة

«أيها السيد الحليل

ناولت من يد الحوري الياس كاتب تركم بحريركم رقم 20 اذار 1700 وسأبني ما تحسرون بها عما تقاسيه الطائفة المارونية في حمر لبنان وعما كادتتم من المشقات كي تصونوا ذاتكم من الإهانات التي راد بعض لنا من إلحاقها بكم وإني مستعد دائماً للمحاماة عن الدين الكاثوليكي الروماني في كل مكان وبالحصوص ضمن حدود بطريركيتم ولذلك سلمت معتمدكم المذكور كتاباً لسفيري في القسطنطينية وجددت له الأوامر السابقة ليبدل وسع الجهد والحمايه لدى الباب العالي العثماني لينال منه كل ما يعود لخير الدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة فتشعرون بمعاويل حمايتي وبشديد اعتباري لشخصكم....»⁽¹⁾

كانت السلطات العثمانية غالباً ما تتحاوب مع تدخلات السفير المرسي في الشؤون العائدة للمؤسسات الدينية المارونية وخصوصاً مركز البطريرك حتى أنها وافقت على أن يكون تسديد «الميري» عن قنوبين على يد القصل المرسي في طرابلس، وأرسلت إلى البطريرك النويهي «البلوردي» الآتي

«فخر الملة المسيحية بطرك قنوبين وفمه لأنه تعالى يعرفكم أنه بوصول البلوردي

إليكُم ووقوفكم عليه تكونوا طيبي القلب والعاطر وارجعوا لموضعكم وما بيتأخذ منكم زيادة عن عادتكم ولا معطيتكم لأحد وواصل لكم مكتوب من القنصل حتى تقموا عليه ونبقى نحوله عليكم تيقوا تؤدوا له المعتاد لجهة الميري وياخذكم على كيسه فلا يصير لكم عاقبة ولا نوقف عن الرجوع بوجه من الوجوه تعلمون ذلك وتعتمدوه غاية الاعتماد،¹

وقد يظهر من العثمانيين أحياناً بعض التصب إزاء تدخلات السفير الفرنسي في الشؤون الداخلية الخاصة بالمسيحيين كما بسندل من جواب الصدر الأعظم على السفير الفرنسي دي هاريول تعليقاً على بعض ملاحظاته حين قال له: «الشكوى من أجل المرسلين تقبل أما رعتنا فمسائلك باسم السلطان أن لا تتدخل في شؤونها فلحلالتة وحده النظر فيها ولا يريد أن يرى يد حارجه تمتد إليها»⁽²⁾

إن الحماسة الدعائية المنظمة والفعالة - التي قام بها أصحاب مشروع تهجير الشيعة من جبل لبنان وتنصيب حاكم مسيحي مكان الحماديين حول سوء المعاملة التي كان الموارنة يعانون منها وتحاورهم في نهجصل العبريت المبالغ القابضة المقررة - قد لاقى رواحاً بالغا بسبب صنوع جهات عديدة وقادرة في نشرها ودبوعها مما لا تزال آثاره باقية في بعض المصادر حتى اليوم مع أن وساطة رهيانة ورسالة ادعته وانجذبت منه حجة ومبرراً لتبرير مشروعها السياسي دون الالتفات إلى الواقع المعابر على الأرض وقد وصل مبلغ برديده وتكرره إلى حد دفع الحكومة الفرنسية بناءً على ما تتلقاه من شكاوى وتطلعات إلى تكليف قنصلها في صيدا بإعدادها عن حقيقة الأمر ومدى صدقته فأرسل القنصل إلى حكومته في 25 أكتوبر 1702م التقرير الدبلوماسي الآتي:

Mémoire du Sieur ESTELLE, consul de France à Seyde, le 25 Octobre 1702

Les plaintes que chek hussen Cazen vous fait, Monseigneur, de la situation présente des Maronites qui habitent le Mont - Liban n'est pas bien fondée Cette nation est tranquille aujourd'hui comme elle l'a été depuis environ cinquante ans

Ce que je say par les exactes informations que j'en ai faites, les pachas depuis ce temps - là jusqu'aujourd'hui, qui ont commandé à Tripoli, ont ordinairement arrenté ce país aux Amédéens, de qui les Maronites du Mont- Liban Prétendent être tyrannisés. C'est

(1) الجامع المفصل المطران ديمس، ص 238، والرجع السابق ص 386.

(2) تاريخ الموارنة، ص 391، وتفايد مرسا، ص 216

pour cette raison qu'ils leur font payer les droits ordinaires que doivent les terres qui leur arrentent et des maisons qu'ils ont en propriété. Ils paient ces droits tout de même que font les turcs du pays. Mais ils ne souffrent pas plus qu'eux de ce côté - là

Mais je puis dire, sans rien risquer, à Votre Grandeur qu'ils naissent avec les plaintes à leurs bouches, car pour bien à leurs aises qu'ils soient, ils ont toujours quelque chose à dire là-dessus. et surtout aux gens qui ne les connaissent point et qui les écoutent, et desquels ils en peuvent attrapper quelque chose

Voilà, Monseigneur, ce que je puis dire à l'égard de leurs prétendues miseres et c'est sur quoi, Votre Grandeur peut compter

وترجمته:

«ان الشكاوى التي ردها اليكم حصن الخازن حول الوضع الحالي للموارد ليس لها أساس متين ان هذا الشعب محكوم حالي كما كان دائماً منذ خمسين عاماً

ان الذي اشرقه بعد استعلامات دقيقة قمت بها ان المناشوات الذين تولوا طرابلس منذ ذلك التاريخ حتى اليوم عهدوا في هذه البلاد الى الحماديين الذين يدعي الموارد انهم يسيّدون بهم من أجل ذلك يدفعون لهم الحقوق العادية الموجبة على الأراضي والأوراق التي يملكونها انهم يدفعون هذه الحقوق مثل بقية الأتراك المقيمين في هذه البلاد والذين لا يدفرون مثلهم في هذا الحال.

ولكن أستطيع ان أقول بدون حذر لسعادتكم انهم يولدون والشكاوى هي أهواهم. لأنهم مهما كانوا في دعة وراحة يبقى عندهم شيء ليدلوا به وخصوصاً لمن لا يعرفهم أبداً ويستمع إليهم ليسطيعوا النفاذ أي شيء منه

هذا ما أستطيع قوله يا سيدي حول دعاياتهم البائسة. وهذا ما تستطيع سعادتكم الاعتماد عليه»⁽¹⁾

وبعد أكثر من قرن على هذا التحقيق الذي احراه القنصل الفرنسي، يأتي قنصل أوروبي آخر ولكنه إنكليزي هذه المرة ليضول عن موارد بهم لا زالوا يظلمون بأمل إلى ظهور (عودهرو دوبيويون) آخر لإنقاذهم من لأتراك. مع أن المجتمع المسيحي الموحود في قلب لسلطنة تتمتع بحرية لا تقل عما يتمتع به أي مسيحي آخر يعيش في الدول المسيحية الصرفة⁽²⁾.

(1) D D C T 1 , P 48

حصن الخازن هو من أبي قاصبوه عن قنصل فرنسا في بيروت في حزيران 1697م وتوفي في تشرين الثاني 1707

(2) جبل لبنان، تشرش، ص 89



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

الفصل الثالث

إثارة الحمية الدينية

إن التقرير الدبلوماسي الذي رجمه القنصل المرمسي في صيدا إلى حكومته بعد تحقيق مهني، وهو الذي يوفر له منصبه علاقة وثيقة بجميع الأطراف وأطّلاعاً عميقاً على مختلف الأمور، ويمتدح أمامه كل السبل والمجالات التي تجعل لتقريره قيمة أساسية ومصداقية حاسمة، لأن مهمته تقتضي منه أن يكون حاملي الموارد والراعي لهم المدافع عن حقوقهم بحكم الانتماءات الدولية والأصناف والتعهدات المرسبة في حماية الموارد منذ زمن قديم - هو رد تاريخي حاسم على كل مراغم والادعاءات والمناورات التي ترمي إلى الحصول على منافع مادية عاجلاً وسياسية أحياناً، والتي ستحوّل بعد ذلك إلى عملية منظّمة وشائنة لاستدراار الضممة سبيلاً للحصول على الهيئات النقدية العربية، والتي ستعمّ الطبقات المارونية كلّها في مستقبل قريب حتى تصبح من المشاكل الكسبية الرئيسة التي تتطلب معالجتها تدخّل أرفع المقامات الدينية وصولاً إلى الكرسي الرسولي نفسه، وإن كان استعمالها لعنايات سياسية بقي خارج نطاق النقد والاستهجان

إن الشيخ حصن مثل غيره ممن ساهموا في إطلاق هذه الادعاءات التي بين القنصل إستيل - هي ردة على اسمها مات وريثه عدم صحتها ومخالفتها للواقع - يعلم قبل غيره بوهن هذه الادعاءات تماماً، لأنه كان حاضراً على رأس أقاربه الحارثيين في مداولاتهم مع الحماديين وهو على علم بهذه الشرطية الصادرة عن الشهابيين الحماديين اسماعيل وعيسى في 7 شباط 1704م بخصوص وضع دير قنوبين والتي جاء فيها: ⁽¹⁾

(1) البطريركية المارونية وآل حمادة، جن تحول بدلاً عن المطر شلي، ص 44-45.
من مجلة المنار 33 سنة 1992

«أن الخرج المعتاد مائة وثلاثة وأربعين قرش لكل سنة ما تكلف الدير درهم الصرد ولا دحية ولا واحد من ناسنا وجماعتنا يسارعوه ولا لهم عنده شغل ويكون عندنا مكروم معرور وررقه ورهبانه وأجراته لهم عندنا الباموس والحماية والرعاية نسوا ناسنا وربعا،

شوال 1115 هـ

ورد في هذا الكتاب أن الدير يكون «مكروم معرور وررقه ورهبانه وعماله لهم عندنا الباموس والرعاية كأنهم من جماعتنا ومن أهلنا ولا يدفع سوى الرسوم المعتادة بدون الإصافات التي يدفعها جميع المكتمين في عمادة وهي رسوم رهيدة رعم أملاك الدير الوفيرة وأطيانه الوسعة»⁽¹⁾

إن التقرير الدبلوماسي للفضيل استيل والمشور الحمادي حول المعاملة الخاصة والرعاية التي يتميز بها دير فتوبين بالإصافه إلى الكثير من لوثائق الأخرى التي سترد في سياق هذه الدراسة، لا تنمي بشكل نهائي بحسب ادعاءات الحور والتجاوز التي طالما كانت ولا تزال تردّد بدون قرو أو مسند مُصنع حول ما كان لمرکز البطريركي يتعرّض له أحياناً، بل تؤكد على التمييز الحاصل ولا مبادات والاعضاء التي كان الحكام الشيعة يحصون بها شخص البطريرك ومؤسسته.

إن البطريرك الدوبهي نفسه ويحط بده بشي على ما يلزمه من حسن معاملة الحاكم الحمادي له ولديهم ويدعو له بطول العمر، وذلك في رسالة موجهة إلى أبي قابصوه والد حصن وهو لا شك من رعيته وأصدقائه لوثوقين ويعمر إليه بحميمية شعوره وهو اجسه لأنه من غير المنتظر أن يطلع أحد غير مامون الحبيب عليه⁽²⁾

ولا بد أن أبا قابصوه قد أطلع ونده حصن على هذه الرسالة لأن البطريرك يذكره فيها بالاسم ويرسل إليه تحياته.

«من جهة أحوالنا لله الحمد ببطركم الكريم بحير وحصرة الشيخ أبو قاسم»⁽³⁾

(1) يقول لرحالة لأب ماعري D. Magr يدعى ر ر لبس 1623م في مهمة كهنوتية وأقام فيه عدة أشهر إن مد حين البطريرك لو كانت في إيطاليا بيلمت بر رأ يهبط جداً فهو يملك عدداً من المرى والصواحين والاعانات بالإضافة إلى كميات الحرير والبغير والعشر مجموع من الامه كله، رحله إلى جبل لبس، ماعري، من 132-133

(2) راجع نص هذه الرسالة وصورتها في فصل قادم وثيقة F9.

(3) أبو قاسم، هو الحاكم الشيعي في هذه المثرة.

حاطره طيب معنا وما غير معنا شيء من لشرط لذي صار بيننا الله يديم لنا حياتكم وحياتكم.

بقي مال حنة بشرى ثابتاً لمدة طويلة على 6500 قرش وكان الحكام الحماديون يتقاصرون بحكم ولايتهم الحقوق العادية على أصحاب لأراضي والأملالك بدور أي زيادة كما يؤكد القنصل الفرنسي في تقريره⁽¹⁾ وكانو يرفضون أية رسوم إضافية تفرصها حكومة طرابلس بدور رضا أعيان البلاد وفلاحها، ولا يضمنون أي زيادة على الميري المعتاد، إلا إذا رصي الجميع بها والتزموا بدفعها لذلك بقي هذا المبلغ ثابتاً بدور زيادة لأكثر من قرن وربما طيلة مدة ولايتهم الطويلة على هذه البلاد⁽²⁾ وكانوا يتصدون لأي محاولة لريادته من السلطنة العثمانية

عندما قصدت دولة طرابلس أن تريب على صمان البلاد المعتاد للحكام خمسة أكياس أحر زودة ولكون حكام بيت حمادة ما أرادوا أن يصمنوا تحت هذه الزودة من غير رضا أعيان البلاد وفلاحها لئلا يلتزموا بها وحدهم بل قصدوا أن يكون الصمان تحت الزودة برضا الجميع حتى إذا رضوا بها يلتزموا بدفعها للحكام⁽³⁾.

هي الوهب الذي كان منه الحكام الحماديون يتمتعون هذه السياسه الحكيمه والعادلة هي رهص أية زيادات بمكر سلطات الولاية بمرضها على الأهلى إلا برضا المكلمين وبعد مشاورتهم، كان اللسانيون هي الماطعات الحارجه عن حكم الحماديين كالشوف والمثي يضطرون إلى دفع مال الميري مصاعماً أكثر من مرة في العام الواحد مع الرنادات المراجية والمتتالية لتي يمرضها حشع الحكام ولولاد⁽⁴⁾

عندما أصرت الدولة على زيادة هذه الصريمة الضميمة نسبياً، دعا الحماديون الى مؤتمر عام حصره مشايخ الفري وجميع الأعيان هي الحدث وقرروا بعد التشاور

(1) تقرير لقنصل اسيل المذكور سابقاً

(2) كما يظهر في مختلف عمود الاترم انعاده هذه بمصطفة ولم تنقطع المر سلات المارونية إلى روما وباريس عن لتعهد بمصاعمتها في حال اسسدا ل حكمها لشيعة وقد بلغ عشرين لأصفا بعد بحسار الحكم الشيعي عنها

(3) التاريخ البباني لاب عسطين رند ص 65 وخمسة أكياس تساوي 2500 قرشاً وهذا المبلغ هو حوالي ثلث الصريه العادية عن جبه بشرى حتى انقصا بحكم شيعي

(4) وصلت الصرايب هي عهد يوسف وبشير في 3000 كيس في ثوقت الذي انعقد مؤتمر عدم للبحث في رودة خمسة أكياس راجع حول لصرايب هي لخطقس شهافي ص 159- مصاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر رياض عنام، ص 305، والمصطلح باريلي، ص 95

تشجيع الناس على القيام بما يسمّى لعصيان المدي في الاصطلاحات الحديثة، والالتزام بعدم الدفع حتى لا نصبح الرودة مترسعة عليهم دائماً مثل مال الميري. يقول الأب رنده في تاريخه⁽¹⁾

«عمل الحماديون جمعية في مكان يدعى الحدث واجتمع هناك الحكام ومشايخ القرى وكل من هو متباين ومن جملة الذين حصروا بهذه الجمعية الأب العام القس ميخائيل اسكندر والأب توما اللبودي المدير الأول والأخ موسى الثوراني المدير الرابع والأب لوقا أب دير مار أليشع ودامت الجمعية نحو خمسة عشر يوماً وكانت آراء الحكام ومشايخ القرى منقسمة وفي نتيجة اعتمد الجميع من حكام ومشايخ القرى والرهبان على الظفرة بقصد أنهم اذا طُصروا وخربوا البلاد تلتزم الدولة إما أن تترك لهم من مال الصمان المعتاد أو أقله تبقيه على ما كان قبلاً وترفع الخمسة أكياس الزودة»⁽²⁾

إن هذه الطريقة الإنسانية والعادلة والشمعية التي اُصردت المقاطعات الحمادية بممارستها في معالجة الشطط في فرض الاعاء انصراثية التي كانت من حصائص السياسة العثمانية في ولاياتها تتناسب مع طبيعة الحكم لشعي التعاقدي والمبثوق عن رعية وطلب من الأهالي بما هيهم الموارنة على شروط انصاها الطرعا المعيار من حكام ومحكومين فيقصي أن يشارك لجميع في البحث في تعديل الصراث لأهمية هذا الأمر وحيويته

ومع ذلك كله، استمرّ حرب الإمارة مسيحية في بجاهل تامّ للواقع المائم، وبفي السيل المتراكم من عرائص الشكوى والتدمر واستنحاد الهمم البابوية والملوكية الأوروبية لإيقاد المسيحيين من حور بني حمادة وقصوتهم وعصمهم في تحصيل الصراث التي لا تقب رياتها عند حد، وتنسب إليهم تمدييات مرعومة على مقدسات الكنيسة ومؤسساتها وأشخاصها لإثارة الحمية لدينية عند أصحاب الشأن في روما وباريس واقحامهم في المخططات السياسية المرسومة، واستدرار أكبر قدر ممكن من المساعدات المالية لرحال الكنيسة وتنظيماتها ولأعيان الطائفة على حد سواء

لحا الدويهي إلى كسرون في العام 1659م⁽³⁾ ثم تبعه البطريك حرجس

(1) هو الأب عسطين رنده معاصر لحكم اشيعي في جبل لبنان ورئيس دير روما سنة 1769

(2) التاريخ اللبناني، المصدر السابق، ص 66

(3) ثم يكن الدويهي بطريكاً بعد وقد انتخب سنة 1670

السبعلي⁽¹⁾، وكان أبو بوظل الخازن قد أصبح قنصل فرنسا في بيروت منذ 1 كانون الثاني 1662م، فعاون الرجال الثلاثة مع بيكات على إقحام بالمصاعبي والمراسلات الناشطة لسلح الشمال اللبناني عن النظم الإداري العثماني وإحقاقه رأساً بالباب العالي اعتماداً على دعم فرنسا وحماسها وبمؤد الكرسي الرسولي ولكن وزير الخارجية الفرنسي الذي عرف خطورة هذا التوجه وحشي ردّة فعل العثمانية حول التدخل في شؤون البلاد الداخلية اكتفى بالإبصار إلى سيره في القسطنطينية بالعمل للحصول على أقصى ما يمكنه من عناية ورعاية واهتمام برفع الحيف عن الإكليروس الماروني ورعيته في حال وحوده.

ليس في وثائق الخارجية الفرنسية، أو في المصادر المحلية ما يفيد عن نشاط السفير الفرنسي في الأستانة والبتّج التي توصل إليها في حيله وفي موقف الحكومة الفرنسية من مسألة الكيان المسيحي لمقترح على عموصه وسريته حتى هذا التاريخ

إن توتر العلاقات بين الكيمنتين الكاثوليكية والبريطانية والمجادلات مع اليهافنة بسبب «بصراش كبرى على الكاثوليك»⁽²⁾ وطرحت المناقشات مع علماء الروم مسألة حصوع الموارنة لروما، كما أن مراسم تثتيت بطريرك من قبل الحبر الأعظم والحرية الممنوحة للفرسليين الاحاب هي حلب والقدر وسائر مدن الإمبراطورية أحدثت موجة من القلق والنوح عند الأتراك وامتدت إلى حلب لبنان حتى قال لدويهي نفسه «هؤلاء الطوائف نصارى كما مسلمين لم يعصوا ولم يصطهدونا إلا بسبب أننا نتركهم ونرهم الطاعة للحبر الأعظم»⁽³⁾ وقد وصلت هذه الأمور إلى حد أن يتقدم بطريرك السريان في حلب بشكوى أمام الباب العالي، على أن بطريرك لموارنة يحصل على درع التثتيت من البابا دون الحصول على دس أو إحارة أو إعلان من السلطان مثل باقي رؤساء الطوائف هي مختلف أنحاء الإمبراطورية، مما أدى إلى استدعائه أمام باشا طرابلس للدفاع أمامه عن هذه التهمة⁽⁴⁾ الأمر الذي أزعج البطريرك السويهي كثيراً ودفعه إلى طلب الحماية من قناصل فرنسا في حلب وصيدا واستثمار الطائفة لجمع الأموال لإنقاذ البطريرك من ورطته⁽⁵⁾

(1) انتخب بطريركاً سنة 1657م وحلمه الدويهي بعد موته

(2) من رسالة الدويهي إلى المجمع المقدس، الأيد يوحية ص 326

(3) من رسالته لدويهي إلى الباب أيموسست لتاسع، ب مودة مكروهون بشدة بسببك انت الموارنة هي التاريخ موسى، ص 392

(4) نزهة لرماس، جيدر الشهدي، الجزء الرابع ص 938 الموارنة في التاريخ موسى ص 393

(5) تقرير قنصل فرنسا في صيدا هي 25 تشرين الأول 1702 T1, P 51-52

«والملاحظ أن الدويهي هي «تاريخ لأرمية، لا يأتي على ذكر هذه الأسباب لاصطناع الموارنة إنما يركز على العوامل الطبيعية وعلى حكم آل حمادة بشكل خاص»⁽¹⁾.

تتابعت رسائل الدويهي وأني نوفل إلى ملك فرنسا بطلب تدخله الصّال لإشياء ولاية لأنني نوفل ندون جدوى وكانت رسائلهما أشبه بأسفائة شعرية تطلب نجدة الملك على الطريقة الشرقية بعبارات غير مأثوفة هي المراسلات السياسية أو الدبلوماسية التي توجّه إلى «صاحب الحلالة السطون المقدسة، ورب رهرة السوسن، و«عناق السماء و«القلمة الظاهرة، و«نه و«مته المارونية يحثون على قدمي الملك الرحيم والدموع، تملا عيوبهم ويطلبون نجاته لتخليصهم من الظالمين الذين خربوا القرى وشتتوا أهلها جلّوهم إلى أنحاء بعيدة سحتوا الرجال، شتقوا النساء، علقوهن بأندائهن على الأشجار وهنكوا حرمة الكهوب»⁽²⁾. وغير ذلك من الأفعال الوحشية التي لم يشر إليها أي مرجع من المراجع المارونية بما فيها «تاريخ الأرمية، نفسه ولم يسس أنو نوفل أن يدعّد مشاعر الملك الفرنسي فيشر عواطفه نحو المديس مذكراً إياه بالحروب الصليبية الماضية

«هي أيامكم السعيدة نتقدم خطوات المرح والحيير لهذه الحواب والى القدس الشريف وليس على الله شيء عسر حتى يكون نحن وأتباعنا من أكبر المحاهدس»⁽³⁾.

وتنتهي غالب هذه الرسائل بطلب المعونات المالية للتخفيف من معاناة الامة المارونية الصائرة على الشرور والمطالمة،

في أيام البطريرك يوسف صرغام الحارن تماقم الظلم وشر الحمادية منوع خاص فأوفد البطريرك المطران إسطفان عواد السمعاني إلى البلاط الفرنسي مع عريضة جاء فيها⁽⁴⁾

«لا يخصى على علمكم الشريف ما نحن فيه هي هذه الجهات الشرقية من البلاد

(1) الأيديولوجية جان شرف، ص 326

(2) رجع رسالة البطريرك الدويهي إلى الملك لويس الرابع عشر

(3) هراء إسلامية ص 248

(4) تاريخ الموارنة، ص 393

والصيق المتراكم علينا من الملل العربية بسبب ديانتنا المسيحية وقد أدركتنا هي هذا الرمان بلاليا متحدة وأقبت علينا عساكر بأو مر سلطانية لأجل ديانتنا الكاثوليكية وخربوا كنائسنا وأديرتنا ونهبوا جميع ويل كرميسا الإنطاكي لذلك أحوجتنا الظروف أن نرسل أحيانا إسطنبولانوس مطران حماه ليحضر إلى بلاطكم ويستمد من فصلكم الإسعاف والعون،"

كما حمل المؤيد رسالة بالمعنى نفسه إلى ملك مردينيا وريم إلى غيرهما من ملوك أوروبا لم يطلع عليها أحد بعد حتى الآن ورغم صعوبة المواصلات بين لبنان وأوروبا في تلك الأرمئة، لم تتوقف البعثات والعرائض وطلبات العوذ عن الانتقال المستمر ابداً. في العام 1697م والعام 1700م ذهبت ثلاث بعثات مارونية إلى أوروبا برأس أولاه مرمعون، وترأس الثانية جوريسي أما الثالثة فكانت برئاسة الحوري، لياس شمعون وكانت مدة الذهاب والإياب تستغرق أحياناً سنتين ويمرّح الرسول فيها على فرنسا وإيطاليا وروما وإسبانيا⁽¹⁾ والأسنانة رنما لمقايمة العمير المديسي والاطلاع على جهوده لدى السلطات العثمانية ومساعدته لدعم المطالبات بالاروتيه المحولة من باريس.

(1) بطاركة المورية انقرن 18 الأب عهد من 208

(2) تاريخ لموارة، صو، من 395



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

الفصل الرابع

الموارنة في ظل الحكم الشيعي

إن إهمار المساعدات النقدية الأوروبية على موارد، أطلق في المجتمع الماروني موجة عاصفة من الحماس والاندفاع بحوما عرف حبها بظاهرة السول⁽¹⁾ التي عمت كافة الطيفات والمؤسسات واتحدت شعاراً مردوحاً قال به الجميع يقوم على التذمر والشكوى من الظلم المادح الذي يتعرض له المؤمنون على يد الأعداء الكاهنين. بينما انصردت الطبقة المتقدمة كنسياً وسياسياً، بإصافة لطلب نوع من الاستقلال الصريبي والإداري ربما رأى فيه بعض الطامحين محالاً للوصول إلى وظائف السلطة التي كانت حتى تاريخه مقصورة على الطوائف الأخرى وقبل ذلك لا يمكن لركون إلى أي مستند مقنع بمد بأن الحكم الشيعي لم يكن مرغوباً ومطلوباً عند الموارنة

تفيد المصادر المارونية جميعها بما فيها الوثائق المحفوظة في بركي حتى اليوم بأن وجهاء المنطقة الشمالية من جبل لبنان شكروا وهذا منهم جاء إلى حيل مقر الشيخ الحمادي الأكبر ليطالب منه تعيين حاكم يمثلته في حبه بشري وقد أثبتت هذه التجربة نجاحاً شهد به ثقة الموارنة فيما بعد⁽²⁾.

والمعروف أنه منذ العهد المملوكي ستقبلت المنطقة اللبنانية الواقعة تحت سيطرة سلالات عثمانية مثل حمادة وعساف دقف متواصل من الملاحين والقرويين الموارنة⁽³⁾.

إن وثيقة صادرة عن حاكم المنطقة الحمادي المقيم في المتنوح سنة 1551م تضمنت

(1) راجع الفصل الخاص بهذه الظاهرة ذات الأهمية تاريخية سمته

(2) راجع فصل الحكم بالتماقد

(3) Arabica 2004 ، ص 4

أهم المبادئ التي صار عليها الحماديون هي استخدام المسيحيين وصمان حريتهم الدينية المطلقة وأمنهم وحمايتهم من عسف سلطات عثمانية ومنحهم الحوافر المعزية لتشجيعهم على القدوم والعمل مع الحكمة الشيعة أو هي طلة

وهناك دلائل موثقة ان الحماديين الذين صرّفوا معظم جهودهم لمقارعة العثمانيين كانوا يولون رعاياهم المسيحيين عناية ورعاية حاصتين، ويعتبرون أن النصاري والمناولة سواء في التعرض لعسف السلطة العثمانية وحورها وأن النوالي العثماني هو عدو الطائفتين بنفس المقدار⁽¹⁾.

إن بعض سجلات طائفة الروم العائدة للمنطقة المعروفة بـ «قرية الروم» تفيد أن الكثير من عائلات هذه الطائفة عملوا عند آل حمادة بالزراعة، وكان بينهم وبين الشيعة علاقات شراكة وتعاون وصلت إلى حد اندراج بين الطائفتين⁽²⁾.

إن وثائق المحكمة الشرعية العثمانية في طرابلس تلقي الضوء على جواب كثيره من علاقه الحماديين برعاياهم اموردية، وتبين أن المتعاملين مع الامارة الشيعية تحاوروا حدود المجموعات الطائفية خصوصاً في القرن الثامن عشر مع انتشار الرهائيات ونعاطف دور المواردية الاقتصادية والتداعي وظهور مطامح بعض عبايهم في أمور سياسية لم تكن هبلاً من صميم اهتماماتهم فكان لا بد للحماديين من المساهمة أكثر فأكثر في شبكة من التدخلات والتمرّسات المتبادلة مع دائيين وكملاء ووكلاء وموظفين وداهي صرائف من المسيحيين

هناك دائماً دلائل على أن عائلات مسيحية مارست علاقه مهيبه طويلة الأمد مع لإمارة الشيعية

ان أعداداً من أعيان القرى المواردية قاموا بتوقيع عقود الالتزام الحمادية، وكذلك أعداد أخرى أدوا للإمارة خدمات لسبب طويته بأعسارهم وكلاءهم أمام محكمة طرابلس تتقل الشيخ الماروني من المدفورة يوسف ابن الخوري حريس في خدمة الحراشة قبل أن يسدعيه اسماعيل حمادة ليعمل في خدمته وهو ما حصل لعاقوري آخر هو الشيخ يوسف الدحداح الذي يتقل أيضاً من ديوان الحراشة إلى خدمة الحماديين⁽³⁾ وفي البترون كان هناك عالماً شيخ دمي وخصوصاً سليمان ابن إيلي

(1) وثيقة عيالة صوريتها ونصها في فصل حر وثيمه رقم C1

(2) لإمارات الشيعية ونتر ص 108

(3) سبق ذكر تفاصيل عن ذلك في مكان آخر

يمثلهم أمام القضاء⁽¹⁾ كما كان شيوخ القرى المارونية المهمة في حبة بشري كاهن ورغرتا يصومون بالمهمة نفسها في طرابلس⁽²⁾ إلى جانب مشايخ القرى الشيعية مثل حصرون وتولا وبين الوكلاء الأكثر إحصاءاً لحمداديين اشتهر سليمان أبو نعمة وخلفه مبعائيل ولد الشدياق⁽³⁾ والشيخان ينتميان إلى عيشتورين القرية التي ترك أحد أبنائها، الشماس الشيخ أنطونيوس بن أبو حصار الشدياق من بيت الحاج عبد النور، التاريخ الشهير الذي انصرف في بعض المواضع بمدح الحماديين وحكومتهم قبل أن يعذب ويقتل على يد الشهابيين سنة 1821م⁽⁴⁾.

إن سجلات محكمة طرابلس الشرعية، حافلة بأسماء لوجهاء الموارنة وشيوخ القرى الدين وكلهم الحكام الحماديون بتمثيلهم في برام عقود الالتزام أمام السلطة العثمانية في ديون الولاية والتي تتناول جميع المقاطعات اللبنانية من كسروان حتى حصن الأكراد، حيث يمكننا أن نعرف اليوم أسماء بعض وجهاء كل منها في فترة زمنية محددة ففي مقاطعة البترون مثلاً وهي أوجر النصف الأول من القرن الثامن عشر، نعلم أن من بين الوجهاء الوكلاء الدين ميرهم لحكم الشيعي بمراتب متقدمة في قراهم، وإن لم يكن من السهل تحديد مهمتهم الإدارية بشكل واضح ودقيق، إلا أنه من المؤكد كان هناك ثمة طبقه واسعة من الموارنة المحليين، انماطت بهم المرجعية الشيعية مهمات إدارية أهلهم لتكون طبقه خاصة، استق منها فيما بعد معظم الدين شعلوا رأس الهرم في السلم الاجتماعي لدى الموارنة وهذه بعض الأسماء المارونية التي تظهر وبعضها بشكل متكرر في العقود الحمادية بين 1735م و 1760م⁽⁵⁾

موسى ولد حوري	شيخ قرية سمرحبيل
سلطان ولد إيليا	شيخ قرية بجدرفل
رزق ولد هريمر	شيخ قرية كفرحي
إبراهيم ولد جبرائيل	شيخ قرية توتج

(1) م. ط. ش. سجل 7، ص 45، 47، 214، 290 (1747، 1738)

(2) م. ط. ش. سجل 10، ص 27 (1748) وسجل 12، ص 145، 1252.

(3) هو محضر تاريخ جبل لبنان وقد رجعا إليه مراراً في هذا البحث

(4) م. ط. ش. سجلات 1149 هـ - 1152 هـ - 1153 هـ - 1160 هـ - 1169 هـ - 1175 هـ - 1181 هـ - 1190 هـ

عقود التزام البترون - توتون، ص 190 - 210

إلياس ولد عبد الله	شيخ قرية دوما
سالم ولد سعد	شيخ بلدة البترون
حنّا ولد عازار	شيخ بلدة البترون
أيوب ولد إلياس	شيخ بلدة البترون
سعد ولد منصور	شيخ قرية دوما
منّاج ولد أنطونيوس	شيخ قرية دوما
موسى ولد إيليا	شيخ قرية دوما
عبد الله ولد بركات	شيخ قرية شعله
فصل الله ولد يوسف	شيخ قرية نرتج
يوسف ولد فريفر	شيخ قرية كمرحي
فيس ولد هرح	شيخ قرية الكفور
جرجس ولد صادق	شيخ قرية تمورين
إلياس ولد شلهوب	شيخ قرية دوما
زرق ولد فرنسيس	شيخ قرية كمرحي
موسى ولد عام	شيخ قرية الكفور
سابا ولد أبو صاهر	شيخ قرية عبدالله
يوسف ولد حرحس	شيخ قرية عين كماع
أنطون ولد ميخائيل	شيخ قرية عبدالله
عيسى ولد هرح	شيخ قرية عبدالله
اهرام ولد جبرائيل	شيخ قرية دوما

إن الصورة الواقعية لعلاقة آل حمادة ودعمهم الدائم للمؤسسات الكنسية المارونية تناقض ما تجهد بعض المصادر المعاصرة في إبرازه وترويجه والتأكيد عليه.

إن الشيخ عيسى «شهيد الشرعية الكاثوليكية» استأجر أرضاً في عكار سنة 1713م ليقدمها إلى الأخوية اللبنانية التي كانت بدأت تبرز بقوة بين المؤسسات الكنسية اللبنانية وتنافس الرهبانية الحلبية⁽¹⁾ ودعم هذه المؤسسة الصاعدة وكانت نهايته المساوية هي أحد أديرتها في الكورة. ومنحت منكنيات راعية معاناً إلى تجمعات مارونية مثل دير كصيمان وأعفيت من الضرائب واعتبرها الحكام الحماديون مزارات دينية ينبغي التبرك بها والسهر على مصالحها وطلب شفاعتها الإلهية وتقديم التذوق والهبات لمصلحتها تقرباً إلى الله والتماساً لرصاه⁽²⁾

إن الكثير من البطارقة والقساوسة والرهبان بباخرون بعلاقاتهم الحمسية مع الحكم الشيعي، ويستعينون سلطته على القيام بمهامهم الحربية ويطلبون حمايته ومناصرتهم في كل ما يعرض لهم من شؤون حتى في وجه أقاربهم وزملائهم من رجال الدين الآخرين⁽³⁾. في سنة 1754م أعطى الشيعان حيدر وحسين حمادة حكام الحنة حاطرهم إلى الرهبان البليديين⁽⁴⁾ ووضعوا تحت تصرفهم أكثر الأدرة أهمية هي حبة بشري⁽⁵⁾ وهي البترون أشرف الشبح إبراهيم حاكم المقاطعة وشقيق الشيخ اسماعيل على تسليم قرية «حوب» الموصوفة بأنها حنة أرضية إلى رهبان، وأجبر آل الحارث على الخصوع رغم ممانعتهم في ذلك وطلب من الرهبان إحياء الأرض واستثمارها⁽⁶⁾.

وبقي آل حمادة يحصون برعايتهم المزعج تبدي من الرهبانية حتى نهاية عهدهم، ففي تشرين الأول 1763م وقبل المجمع الكسبي الذي تم فيه القسم على أن النظام الرهباني اللبناني لن ينقسم أبداً قام الشيخ سليمان حمادة الذي كان يحضر هذه الرهبانية بعطف واحترام واصحاب بنزع دير مار أنطونيوس من منافسيهم الحلبيين

(1) الرهبانية اللبنانية، الجزء الثاني، الأب بطرس فهد، ص 489

(2) راجع حجة دير كصيمان صورة عن الأصل، رقم الوثيقة F10

(3) الأمثلة أكثر من أن تحصى راجع التراث الماروني مجموعة اللبدي

(4) تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، الراهب البسي لاب بيليل الجزء الثاني، ص 156

(5) الإمارات الشيعية، ص 221

(6) راجع نص الوثيقة المحفوظة في دير حوب في عصر آخر وبصياها الكامل في الرهبانية اللبنانية المارونية، الجزء الثاني، ص 277 وهي حتامها أن من يعارض أحكامه في التسهيلات التي قدمها للدير يكون محروماً من شفاعته محمد وعلي

ووضعه في عهدة البلديين وكذلك دير سيدة حوقاً لأنه ملكهم من قديم ودون غيرهم. وورثه التكاليف عن جميع من يلود بهم ولهم ما الحماية والصيانة،⁽¹⁾

فيما يتعلق بسلطتهم السياسية فإن علاقتهم مع التنظيمات الكنسية المارونية كانت أكثر عمقاً فكانوا يحكم موقعهم سياد المؤسسة المركزية للكنيسة في الشرق بما فيها الكرسي البطريركي في دير قنوبين في وادي قاديشا وأيضاً سائر المؤسسات الرهبانية والأديرة في جميع أنحاء جبل لبنان حيث كانت هربساً قد أسبغت عليها حمايتها منذ منتصف القرن السابع عشر⁽²⁾

Les, Hamadas furent en effet les ma tres séculaires des institutions centrales de l'église catholique au evant que d'autres établissements monastiques partout au mont Liban, auxquels la France avait voué sa protection depuis le milieu du xviiie siècle

فليس من المستغرب أن كمار الداعمين والمؤرخين للكنيسة كانوا عدائين نحاه الأسياد الشيعة، وحكموا عليهم بكثير من التحريج وهو موقف حدم الشهابيين سنة 1760م ورسخ الصورة السلبية للحماديين في التاريخ الرسمي والتمايزي اللبناني⁽³⁾.

الكرسي البطريركي

في الوقت الذي كانت هذه الحملة في ذروة اندفاعها تنهل إلى أوروبا صورة مأساوية عن الظلم والبعس الذي يتعرض له الموارنة المسكن في ظل حكامهم المنوحشين، كانت الأمور تحري على أرض الواقع بشكل مختلف يتناقض مع كل هذه الادعاءات، فقد حرص الحماديون على إحاطة المؤسسات الكنسية المارونية بكل رعاية واهتمام، لا سيما مركز البطريركية في قنوبين كما حرصوا على سباج حمايتهم على شخص البطريرك حتى يوحه رهبانه وأساقفه وساعدوه على القيام بمهامه الدينية والرمزية بأعباءه ومرأ معنوياً وقائداً مديناً على طائفته وأتباعه. إلا هي معالجه بعض الخلافات والاحتلافات اللاهوتية والإكليروسية فقد كانوا يرون أن الرأي النهائي شأنها يعود إلى روما وحدها، وينفذون ما تقرره شأنها. وقد حرت لعادة ولعرف أن يوحه الحاكم الحمادي في مناسبات معينة كتاباً للبطريرك الماروني يؤكد مكانه الخاصة والميزة ويحدد تعهده

(1) تاريخ الرهبانية، الأب بلييل، ص 265.

(2) مجلة Arabica، سنة 2004 ص 10

(3) مجلة Arabica، الدراسة بصهي

بمساعدته وحمايته وتأمين حقوقه كقوة واحترام صلاحياته الكنسية في أمور الأحوال الشخصية لرعيته ولا يزال أرشيف بركي يحتفظ ببعض هذه الوثائق التي أرسلها الحكام الحماديون إلى البطاركة تحدد الأسس والمبادئ والأساليب التي كانت تتحكم بالعلاقة بين الطرفين. وهذه بعض النماذج الباقية من هذه الرسائل التي هي في الواقع قرارات سلطوية صدرت عن عدة حكام حماديين، تؤكد على الرعاية الخاصة التي نعت بها المؤسسات الكنسية المارونية في ظل الحكم الشيوعي في جبل لبنان.

الرسالة الأولى

في العام 1707م أرسل الحاكم الحمادي حسين وعيسى رسالة يتعهدان فيها بعدم تكليف شركاء الكرسي والعاملين فيه أية صرائف ويعتبران الدير (مرهوع القلم) أي معفى من الصرائف بجميع الوجوه

«وجه تحرير هذه الأحرف هو أننا شارطنا محبتنا لبطرك بآبنا لا تكلف شركائه لأرفقاتنا وقافة على الحصا ولا ندع أحد يأخذ منه خدمة عداد المعري ولا شعير إلى اجرائته وشركائه ولا نفصل عليهم شيء مهما صار على الناحية لا نكلمهم درهم المرء وموضع له أرض في البلاد ملك لا يحط عليها بهريد وموضع له جور في البلاد أم قوب لا يحصهم حراج ولا غيره ولا تكلف شركائه لا شتوية ولا صمصة ومرهوع الملم عن ديرهم بجميع الوجوه ولا يكلف شيء تحريراً في شهر شعبان من شهور ألف ومائة وتسعة عشر هجريه (1707م)»

حسين وعيسى حمادة

الرسالة الثانية

أرسل موسى حمادة الحاكم المقيم في حصرور رسالة إلى البطريرك يعقوب عواد يحدد فيها امتيازات البطريركية ويمصّل طريقته في التماطي معها. وذلك في عام 1717م.

«وجه تحرير الأحرف:

«هو أنه أعطينا قول وإقرار بعهد وشرط. لى عزيزنا البطريرك يعقوب المكرم لا

(1) البطريركية المارونية والحمادة، ج1، تحول، (نقلًا عن أرشيف بركي، سجل رقم 2، ص 7) ص

يكون عليه تسليم مسبق ولا كسنة ولا مال مسبق ولا خرج ولا مسعده ولا خدمة ولا رخيرة ولا غيره والمال سبعمائة عرش كسيم مقطوع مريور وشركاته وأجراته وما عليهم دخانيه ولا صيصيه ولا شتويه ولا خدمه ولا جوالي ولا تتحرراً عليهم بوجه من الوجوه والدير ما عليه خدمه ولا وقافه على الخصاص في مزارع الدير وورق الدير وحيث الدير له أرض في ناحية الجبة ما لأحد من الرعايا يمنعه من زراعتها ولا يتكلف عليها تسيير ولا غيره جملة كفية وعوايد الماء هي جميع أوقافه ومزارعه ولا أحد يعارضه ويقارشه فيها كحاري عوايد السائمة وأن لا أحد من الحكام يعارض البطررك ولا تباعهم أيضاً ولا يارعه بوجه من الوجوه ولا يملط خاطره فيما يخص أمور الدين من رسامة وشرع وريحات وورثات ووقوفات وديورة ورهبان مع جميع ما يخص حصره محبب البطررك من توريه وطاعة وعوايد الديورة وكذلك إن جميع الوقوفات من مزارع وسبوت وأقبية وأشجار وأراضي وجوز وأمياة وسبيل ومحالات الجيرة وبما أن البطررك ربه دين ومقصود من كل طرف وجانب فلا أحد يعترض الشاردين والواردين عنده كتاباً من كان وكذلك (حصرة) الدير ونقره ما عليهم عداد ولا تبدير ولا تصغير ولا خدمه لأبه ماله كسيم ولا ياسحية ولا قهوجية ولا أحد من أعوام الناحية يشتي في وادي الدير بحير حاطر البطررك وهذا الشرط من رصانة واختيارنا إلى حصرة محبب البطررك وعلى هذا قول الله ورأي الله لا نغير ولا تبدل حررنا بيده هذا التمسك لأجل البيان والحفظ من النسيان وعدم منارعة كل إنسان بلغ تحريراً في شهر جمادى الثاني من شهور سنة ألف ومائة وثلاثين للهجرة صح موسى حمادي سنة 1717م⁽¹⁾.

يؤكد هذا المنشور سياسة الحاكم الشيعي بعوقوبين ويحدد فيه بالتفصيل عدداً من المواعيد التي ترعى شؤون البطريركية في الأمور الأمنية والصراثبية والإدارية ويتناول مبادئ الحفاظ على أملاك الدير وعدم معارضة البطريرك في الأعمال الدينية والديوية التي يقوم بها، وأهم ما جاء فيها

- 1_ يدفع الدير مبلغ 700 عرش رسماً مقطوعاً بدون أن يقدم كعالة أو دفعة مسبقة ويدون الإضافات التي يدفعها الآخرون عادةً
- 2_ شركاء الدير وأحراؤه وخدمه ناعون لسلطة الدير وحده، ومعفيون من جميع أنواع الضرائب والميري.

(1) أرشيف بكركي، سجل 2، ص 2. جاور البطريرك عواد

- 3_ الدير حرّ هي استثمار أراضيه بالطريقة التي يختارها، وله أن يستفيد من مياه الري بحسب القواعد الجارية
- 4_ إعلان حرية البطريك في كلّ أمور لدير من رسامة وشرع وزيجات ووراثات ووقوفات وديورة ورهبان وهي مداحسه من بوزيه وطاعة وعوائد الديورة.
- 5_ لرؤار الدير الحرية الكاملة هي تنقلاتهم مهم كانت صفتهم ولا يدخل أحد من العوام في الوادي حيث يفوم الدير بدور رضا البطريك

الرسالة الثالثة

إن الرسالتين المرسلتين إلى البطريك سمعان عواد بن شقيق البطريك يعقوب واللتين توصحان المواقف الحمادية تجاه البطريك بتفصيلاتها ومراميها قد أرسلت إليه خارج الجبة لأنه يبدو أنه كان على خلاف مع بعض رهبانه ممّا اقتضى منه ترك مركزه إلى منطقة أخرى⁽¹⁾.

تدعو الرسالة الأولى - الموقعة من حسن حمادة - البطريك إلى العوده إلى دير قنوس لأنّ «الكرسيّ كرسبكم والبلاد بلادكم» وأننا اما نحلي الطبر بطر فوق روسكم تعبراً عن الحماية المطلقة التي ينهّد له بها عند إحراء المحاسنه بينه وبين رهبانه عن ثلاث سنوات مصب ووصول كلّ صاحب حقّ إلى حقه

أمّا الرسالة الثانية التي يبدو أنّها كُتبت بالتاريخ نفسه وللمناسبة بنفسها، فهي موقعة من حسن وصالح وحيدر وحسن حمادة⁽²⁾ وهي نصيب إلى الأولى تعهداً بإطلاق يد البطريك في أمور دينه وحكمه على شعبه ورهبانه وحوارسته ومطارسته، ويستعمل سلطانه حسب ما يقتضيه ناموس انصارى مع التأكيد على تأييد أحكامه وسلطاته وإلزام العاصين بها أمّا في شأن الخلاف مع الرهبان الحدييين في دير قرحيا، ومار ليشاع، فلا بدّ من انتظار حوت روما للعمل بموجبه بدون السماح بكسر ناموسه لأنه من ناموسنا وسلك معه كما كان سلك اناثا وأحدادنا مع أسلاسه

- (1) هي اذار 1745م أذكر مطاربه البثرون وببروت وهرمن وصور وطر بس طاعه البطريك وأقاموا مكانه نائباً بطريكاً وعرضوا امرهم على لكرسي رسولني فحسن لبطريك إلى دير سيده مشموشة ولم يكن انتقاله بسبب حلامه مع المناولة حكاه تلك البلاد كما يقول الاب فهد بطاركة الموارة القرن 18، ص 234) وهذا ما يتبين من هذه الرسالة
- (2) أولاد حصين المشبوب حكاه جبة بشري.

«إلى حصرة الوالد العزيز لبطرك سمعان حفظة تعالى

اولاً مرید كثرت الأشواق مع عصم ترايد الاشياق الى مشاهدت وجهكم
الكریم فی كل خير وعافیه ونعمة من الله جزيله واهیه والثاني ان سلتم عنا فله
الحمد بخير ونرجو من كرم الباري سبحانه تعالى بأن تكونوا احسن من ذلك
ويحفظ في ايديكم وقت وصلت ورقتكم صحبت محببا اخوكم الشدياق وفهما
مصموم الجميع وحمدنا الله تعالى على صحت سلامتكم التي هي عندنا غايت
المراد من رب العباد وذلك تم لنا ان مرادكم تقدموا الى كرسيكم دير قنوبين
وحصرت والدنا هان حل مقصودنا لان الكرسي كرسيكم والبلاد بلادكم هان
رسمتم مع وصول محببا احبكم الى عندكم تمطمعوا عراقيلكم وندهبوا أموركم
وتبعثو تعرفونا حتى يرسل اولاد البلاد يحييوكم واصيكم اوراق من اولاد البلاد
وعسكر منا بهموم مصموم الجميع وعلي هادا قول الله وراي الله وراي ومحمد
وعلي ما يعير معكم ولا بدل لا نخط قدمك الا كل خير والله العصيم وبالقسم
كل يميني انما ما نحلي الطير يطير هوو روسكم المراد يا حصرت والدنا فأت
الوقت ومواسيم الدير قومت والعهه طلعت في موضع وما تسمى لكم عدد من
بوجه المرجو لا بقا يصير لكم عاقبه ولا يوم واحد ونحنا كما ذكرتم اجمعنا اولاد
عمنا وابو يوسف بولص واولاد البلاد.

«جميعهم ولكن كاتبين لكم كمائه على كل امر الذي تريدوا ومن جهب الرهبان
كما ذكرتم تحت حساب الدير على ثلاث سنين ان طلع لكم شي يتاخدوه وان طلع لهم
شي يبياخدوه بحق اي قول الله وراي الله وراي محمد وعلي نحنا معكم دور غيركم
هي كل امر تريدوه كما فهمنا محببا بو ررق سليمان وفي مكاتيبكم بقا الدير في
تصريمكم عدينا عن الرهبان وغيرهم بص الدعوه على محبيكم وجمته الكلام
محبنا ابو ررق سليمان بهم حصرتكم تكويو من كلامه على نمة صبح باقي عمركم
يطول والدعاء».

التوقيع حسين حمادة

(1) أرشيف بكركي، جازور البطريرك سمعان عر . وثيمه F4 128

١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

وثيقة F4 رسالة الحاكم الشعبي إلى ابطيريك بأمس حماية له بحسب قول الله وراي الله وراي محمد وعلى

الرسالة الرابعة

الوثيقة الثانية موقّعة من أربعة من آل حمادة وتدور حول تسليم دير قنوبين إلى البطريرك، «لا نعارضة شيء في أمور دينه وحكمه على شعبه ورهبانه وحوارنته ومطارنته». وتسوية الحسابات بينه وبين رهبانه ولرامهم بطاعته وانتظار قرار روما في شأن خلافه معهم.

وجه تحرير الحروف

هو اننا نحن الموصوغة اسامينا وختومنا بدينه قد اعطينا قول ووعد ثابت لحصرة عريزنا البطريرك سمعان اننا نسمه كرسيه دير قنوبين مع كافة اغلاله ساحل جبل من حرير وريتون وحنطه وشعير وغيره وان نحاسب له الرهبان من ثلاث سنوات ان بقا له عندهم شيء بعد الحساب نحصله له وكذلك لا نعارضة بشي في امور دينه وحكمه على شعبه ورهبانه وحوارنته ومطارنته ويستعمل سلطانه حسب ما يقتضيه ناموس النصرانه يعصاه او يموت حده من المذكورين ونشد حكمه وبايد سلطانه وعلرم العاصي بطاعته من عدا رهبان الحلبية الذي في دير قرحيا ومار ليشاع يتموا على طريقتهن لمّا يحيى الحواب من روميه ينمشا عليه ولا نسمح بكسر ناموسه بما انه من ناموسنا ولا يادنا، شارح بل نكون سائلين معه باحسن ما سلكوا مع سلاميه من البطارقة اهلبا واحدا ولا نغير ولا نبدل معه بشي،

«اصلاً قول الله وراي الله على ما ذكر والخابن منا ما دام نحن وهو في قيد الحياه يحويه الله وله المنة العاليه بالكرامه والعراره والله الوكيل على ذلك وحررنا له هذه الوثيقة على دوائنا لتكون بيده الوقت الاحتياج حرر وجرى سنة ثمانية وخمسين ومائة والفا 1745 م».

حسن	صالح	حيدر	حسن
حمادة	حمادة	حمادة	حمادة ⁽¹⁾

نعطي هذه الوثائق قرينة نصف قرن من الزمن وتبين سياسة معظم الحماديين الذين حكموا الجبة هي هذه الصرة والذين أصدررو هذه الوثائق ووقعوها. وهي الصرة نصها التي تعرض هي اتقائها حماديين لاتهامات متجنية بإساءة معاملة البطريرك

(1) أرشيف بركي، وثيقة F5 129

وثيقة F5 رسالة من أربعة حماديين إلى البطريرك تشييد سلطته والرام العصاة بطاعته
 وتأمين المترلة العالية له بالكرامة والعره وتعيد حكم روما حول اخلاف بيته وبين
 أساقفته

وثيقة F5 رسالة من أربعة حماديين إلى البطريرك تشييد سلطته والرام العصاة بطاعته
 وتأمين المترلة العالية له بالكرامة والعره وتعيد حكم روما حول اخلاف بيته وبين
 أساقفته

ومؤسساته وأنشاعه، والتي سمعت مباشرة تحرك العثمانيين بفعل الضغط الأوروبي ضد الحماديين وإثارة الأهالي على حكمهم وتنفيذ محطط التهجير الذي رُسم بعناية منذ مدة متمادية.

إن هذه الوثائق تؤكد أن سياسة الحماديين تجاه دير قنّوس كانت تتمحور حول مبادئ أربعة أساسية

1. تأمين الحرية المطلقة للبطريرك بإدارة شؤون كنيسته وشعبه هي كل الأمور الدينية والأحوال الشخصية
2. تأمين الحماية للبطريرك وتثبيت (شد) حكمه وتأييد سلطانه والزام العاصي بطاعته
3. معه إعفاءات صرائية مستثنائية وتعيين لمبلغ المرسوم على دير برقم محدد يمثل الحد الأدنى بدون إضافات من أي نوع.
4. ترك الأمور الخلافة الكسرى بين البطريرك والرهباية ونههدهم بتنفيذ ما ترسمه روما حولها.

الأديرة والرهبايات

إن هذه المعاملة لم تقتصر على دير قنّوس، بل كانت سياسة عامة مارسها الحماديون على سائر الأديرة والمؤسسات الدينية في المناطق الأخرى الواقعة تحت حكمهم ولم يكن للمواردية في حبه إلا ثلاثة أديرة خارجة عن سلطة الشيعة وتقع في المنطق وقسم من كسروان التابعين لولاية صيدا وهي دير اللويرة ودير مار بطرس في بكفيا ودير مار يوحنا في رشميا⁽¹⁾ أما بقية أديرة المواردية فكانت تقع جميعها في المناطق الحمادية وتحصص للسياسة نفسها. شعبة مع قنّوس كما تدل هذه الوثيقة المتعلقة بدير مار سركيس⁽²⁾، إذ لا يخرج عن المبدئي العامة في المعاملة كما جاء في الوثائق السابقة العائدة للمقر البطريركي في قنّوس.

وجه تحريره وموجب تسطيره انتا سلما دير مار سركيس في قرية اهدن الى القس سمعان من رهبان مار شعيا ومديره جميع ما يحوي الدير داخل وخارج

(1) التاريخ اللبناني، الأب ريم، ص 68

(2) وثيقة F6

من توت وارااضي وكرم وريتون وجور وارص كنيدر فوق رزق الدير لأجل قيام معاشهم وشارطناهم انهم يدفعوا ميري ثلاثين غرش وست عشر لنا مع دورة ائطاحون لا غير وصار الشرط بينا وبينهم انهم ينصبوا ويوسعوا ويعمروا لا نريد عليهم مصرية الصرد سوا الدراهم المذكورة على ذلك قول الله وراي الله، (راجع صورة الأصل)

وجه تحريره وموجب تخطيطه هو اننا انقضا نحن ومحبينا رهبان مار سركيس لا تعير ولا تبديل واي من عارضهم له منا المفاصره البالعة ولهم منا الحماية والرعاية لا عليهم لا شافعة ولا مدفعة ولو حصل لنا من الألف الى الماية لا يمكن قبوله وعلى ذلك صار القول، (راجع صورة الاصل)

حرر ذلك في رجب 1151 هـ صبح صبح

حسن حمادة وولده اسماعيل

1738

وقد يكون المنشور الصادر عن الحاكيم الشيعي عاماً يشمل عدداً من الأديرة بحدود فيها الامتيازات والاحكام والأوصاع التي تسرى على جميع رهبانها في وقت واحد كما ورد في هذا الكتاب الموقع من حسين وحيدر حمادة، وسعدهان فيه بحماية الأديرة حتى من الرهبان معاصرين والمحالين وترك الحرية للرهبان المذكورة أسماؤهم بإدارة الدير حسب طقوسهم والعادات السائدة، وهي اديرة مارليشع وقرحيا وحوفا⁽¹⁾

يعقوب بطريرك أنطاكية	حنم
جورج مطران إهدن	حنم
يوسف مطران دربي	حنم
يوحنا مطران مار شليطا	ختم
جورج مطران العاقورة	حنم

(1) وكان يهين هذه الأديرة كما تظهر الوثائق على خلاف مع البطريركية ومنتظر الحماديين ما تقرره روما بتطبيعته في هذا الشأن



وثيقة F7 سك بتسليم أديرة
مار ليشع وقرحيا وحوفا إلى
الاساقعة الخمسة وتعهد
بتامين حريتهم في النصرف
العام 1167 هـ - 1754 م



دير قرحيا

من المشايخ الحمادية

وجه تحريره وموجب تسطيره

«هو اننا اعطينا قول وقرار الى محبيها الرهبان اللبنايين القس نهرا والقس اقليموس والقس مخايل وباقي الرهبان تباعهم الفاطنين في ديورة بلادنا مار اليشع وقزحيا وحقا بان يصبروها فيهم التصرف التام ولا تعارضهم في تدبير الديورة كحاري عوايدهم السابقة ولا بطل فيهم مصدين ولا تراطيل ولا تبدلهم بغيرهم وادا احد من رهبانهم عصى عليهم لا نسمع كلامه ولا تعارضهم بتدبيره هم يدمروه حسب طقوسهم ولا ندع احد يتناول عليهم نوع ما ومن خصوص دير مار اليشع كحاري عوايده كما الانصاف بينهم وبين اهل بشري وعلى ذلك قول الله وراي الله والحاين الله يخونه وكنتنا لهم ذلك سند بيدهم لحين الحاحه تحريراً عن سنة ألف ومائة وسبعة وستين 1167 هـ توفي 1754 مسيحية» (راجع سورة الاصل)

كان الأباء الكرمليون يحطون بحماية الحاكم لحماذي ورعايته الكامنه في اديرتهم المشتهرة في جبل لبنان وخصوصاً دير مار قرحيا⁽¹⁾ وفي سنة 1711م اصطر الحماديون إلى الحلاء عن منطقة الدير في إحدى مواجهااتهم مع الحملات العثمانية ربما لقرب دعرتا من السواحل فطلب القنصل العرسي Boismont من والي طرابلس، تأكيد الحماية على دير الكرملين خوفاً من التعرض له خلال غياب الحاكم الحمادي⁽²⁾، وقد حصل على «بولوردي» يحقق له رعيته وهي تقريره الرسمي إلى حكومته يشرح القنصل أوصاع بمريقين العسكرية، ويستقد تهديدات الوالي الحربية وكيف أوصلته إلى هزيمة كاملة أمام الشيعة⁽³⁾.

وقد تورط الكرمليون مرة أخرى في حادث مأساوي أثار تعقيدات في العلاقات الفرنسية العثمانية - المسيحية - شيعية في جبل لبنان هي هذه المصرة

في اب 1728م احتل كاهر كرمل من دير مار قرحيا مع فلاح ماروني من بشري وقتله هقام الفلاحون مع عدة فرسان حماديين بمطاردة القاتل للقبض عليه.

(1) دير مار بطليموس قرحيا الاب أنطون مقبر ص 371، رجع الوثيقة F7

(2) راجع رسالة لحكام الحماديين إلى رهبان دير مار قرحيا F9.

(3) تقرير القنصل في أدير، A E B 1114 fol 3480a-b 1211.

(4) تقرير القنصل في 1711م A.E.B. 1114 fol 359-360

تدخل القنصل Lemaire ونظم محصراً سائحاً ليلزم الكرملين في روما بدفع دية القتل وبصقات الحادث وديونه. و حيراً ما أهل القبل تعويضاً قدره مائتي قرشاً والباشا مائتين وخمسين قرشاً بينما كان حصّة لحاكم لحماي ستمية قرشاً⁽¹⁾ وظهر الباشا هذه المرة على وفاق مع الحكام الشيعة فأرسل بيلوردي شديد التهديد يطلب منهم إعادة الكرملين إلى ديرهم، وكتب إلى وزارة الخارجية بطلب عدم السماح إلا للكهنة الموثوقين والمتقدمين قليلاً بالنسب بالقدوم في إرساليات إلى لبنان⁽²⁾

لم يقتصر دور الحماديين على حماية أديرة الموارة ورعايتها ومنحها الكثير من الأراضي والأملاك بشكل أوقاف وبدورات وتمييزها بالإعفاءات الصرائبية والرسوم الإصافية لمعتاده بل تعدى ذلك إلى المشاركة والإشراف على كثير من النشاطات الرهبانية البحتة والمصل هي الحصومات التي تقع داح التنظيمات الكنسية وهي ما بينها. وفي مقدمه هذه الشؤون الإشراف على استعانات البطريرك ومن ثم مساعدة سلطته على دعيته ورهبانه وتأبيدها والإشراف على أمور الأديرة والرهبانيات الخاصة، والحفاظ على أملاكها وأمنها، ونأمين طاعة الرهبان لرؤسائهم وأساقفتهم، والانصراف بالتعويض على كل ضرر يصيبهم والاكتفاء منهم بتقديمات رمزية أيام الأساق⁽³⁾ ولنا عليهم عيديات برمصان وعيد الضحية كل صيد رطل وما عدا ما ذكر يكون مكسور عنهم قلم الميري كلياً⁽⁴⁾ ولا عليهم تسمر ولا توريح ولا طرح ولهم منا الحماية والصيانة لهم ولررررهم وكلما يتعلق بهم وفي رهبانهم جميعهم ولا نخص أحداً منهم بأمر⁽⁵⁾. وعلى جمهور رهبنتهم ولا نعصي راءاً على ريمه العام بل تكون مسعفاً لرئيسهم على حسم جمهوريتهم وإذا حصل عيبهم تجري⁽⁶⁾ أو نهب نلتزم به ونعوض عليهم الصرر العوض.

وإذا نهب أرقاق أو خراب ديرهم ولم بقدر برد منهم لا يلتزمون بدفع الميري لنا. وإذا صار منا أو ممن يقوم مكاننا تحري عيبهم وأردنا تطليعهم من ديرهم نلتزم نشم أرقاقهم وخروسهم⁽⁷⁾ ولا تسمح بتعير حرف من هذه الحجة نحن ومن يقوم

(1) تقرير القنصل الفرنسي في كانون الثاني 1728م AEB 1114 fo 2372

(2) تقرير القنصل في آب 1728م AEB 1114 fo 229a-b

(3) إن تقديم هدية في العيد هي من علامات الخضوع بسطاس تهدى اليه

(4) الاعفاء من لصر لب

(5) لا نعيم أحداً منهم عن الباقي

(6) بحرأ المصود إذ عتدى أحد عيبهم

(7) مبدأ التعويض عن الملكية

مقامنا ومن أراد غير شيئاً يكون محروم من شفاعة محمد وعلي⁽¹⁾

حرر في سنة 1177هـ 1764م كنج حمادة كاتبه حسين حمادة⁽²⁾

وكان حضور الشيخ الشيعي مجلس عقد يعطيه لشكل التصدي الشرعي حتى لو كان يتعلق بأمور دينية بحجة كقيام دير وفائدة الطالبة المارونية وإقامة مدرسة وقداديس وصلوات⁽³⁾.

فتكون بحضور جناب أفنديا ويصدق المقيير إبراهيم حمادة (الحاكم) على الحجة بعد أن يديلها بعبارة يعمل بمصمونه ولا يصبر خلاف ذلك⁽⁴⁾.

انتخاب البطارقة

وكان القصاص المرسيون يعسرون⁽⁵⁾ انتخاب البطريرك عند شعور كرسية هو من أحسن شؤونهم، فيولونه اهتماماً مطلقاً باسم الملك الفرنسي⁽⁶⁾ ولما هي روما وسابعون التفاصيل المختلفة التي من شأنها أن تؤمن إخراجهم من أفضل الظروف وبنسبها كما يرونها

كان لحكام الشيعة بشرى عالية على انتخاب البطارقة بحكم موقعهم وكثيراً ما كان يعتمد الاساقفة الى طلب دعمهم وبأيديهم للوصول إلى هذا المنصب⁽⁷⁾

ولما كانت الخلافات والحصومات تشب أحياناً كثيرة بين البطريرك وأساقفته فلم يكن له أن يستمر في القيام بعهامه دون مساعدة الحاكم الحمادي وتأييده بغير ناموسه وحمايته ما بقدر مستقيم، كما يمول أحد البطارقة⁽⁸⁾

وقد يحصل بعض التجاذبات عند لانتخاب حول اختيار مكانه وظروف إجرائه بين القصاص المرسيين وبعض عيار⁽⁹⁾ لورة من خارج المقاطعات الشيعية

(1) حجة هذه معار من الحاكم الشيعي الى الرهبانية لانشاء دير يختص بالالهة من بون غيرهم، تنويرين من 230، 238 دير مار أنطونيوس حوب

(2) حجة مار صومط، سنة 1713م

(3) حجة أهالي تنويرين، 1764م

(4) المصدر السابق، ص 230 و 241 وكان من عادة الشيخ الحمادي عندما يصع حائمه أن يسبق اسمه بكلمة لمقيير رهداً وبواضعاً.

(5) بطارقة بواريه لمرن 18 من 42

(6) راجع رسالة البطريرك يعقوب عواد إلى بوفل الحارون

عند انتخاب البطريرك حرايل للوراوي (1704م - 1705م) خلفاً للبطريرك الدويهي، جهد القنصل بولارد في طرابلس لإجراء الانتخابات هي «قنوين» حيث يتأمن للأساقفة حرية الاختيار بعيداً عن الصعوط والندجات التي قد تشوبه إذا انتقل الأساقفة إلى كسروان بساثير من القنصل الفرنسي في بيروت أبي يوفل الخازن وأقاربه⁽¹⁾. فقد أراد هذا القنصل الحاربي استخدامهم من مقر الكرسي البطريركي حيث تعودوا على انتخاب بطريركهم منذ 300 سنة، وإساءة هم قربه في كسروان بقصد التأثير في نتيجة الانتخاب، وكان يرى أن بلاط روما وبلاط فرنسا سيمحان كيف استولى الحياء الشرقي على بعض الأساقفة فأقدموا على انتخاب بطريرك خارج مقر الكرسي البطريركي خشية أن يؤثر الشيخ الحاربي قنصل فرنسا في بيروت على اختيارهم⁽²⁾ رغم أن القنصل الفرنسي الآخر في صيدا «استيل» كان له رأي مخالف، إذ اعتبر أن هذا الانتقال قد ضمن حرية الانتخاب، وعصمه من دسائس الحماديين⁽³⁾ وبعد اسجانه انتقل البطريرك إلى كرسبه في قنوين بعد أن هباً له بولارد استملاً حافلاً، ومع أن الحاكم الحمادي أرسله مع أربعين حياًل ووقداً من رجاله لاستمصال البطريرك المنتعب فقد اعتبر بولارد أن كرسبه الرأك للبطريرك قد سن للمتاولة أنه يتمتع بالحماية الكاملة من قنصل فرنسا⁽⁴⁾.

حرى انتخاب البطريرك التالي هي قنوين، وبقي بولارد على رأيه القاصي بوجوب إحرائه ههنا حيث سيكون إرادة الأساقفة أكثر حره من كسروان، لأن بعدهم عن الخارنيس نترك للوحي، اللهي وحده أن يوجه حيار المقترعين⁽⁵⁾.

كان يزعم القنصل التأكيدات التي وصلت إليه عن مساعي ابن أحت البطريرك الموهي للوصول إلى الكرسي الانطاكي من «تحت يد الحماديين مؤلاء انكمار الدين هم أسياذ لبنان وحكامه الموجودين في قنوين والدين يملكون أصوات المتوافقين معهم»⁽⁶⁾.

(1) D D C T3, p. 249-250 لقنصل بولارد هو بيار Poullard وصل إلى طرابلس سنة 1704م وبقي فحلاً فيها حتى انتقل إلى صيدا 1711م - 1720م ومات في القاهرة سنة 1722م.

(2) بطارقة الموارة القرن 18 الأباتي ههد، ص 18

(3) المصدر السابق ص 22

(4) D.D C T3, P250.

(5) المصدر السابق، ص 271 في 26 تشرين الأول، 1705م

(6) المصدر السابق لتقرير نفسه، ص 270

كان الفصل على استعداد رعم مرصه لصعود إلى قنوبين وطررد الحماديين وملاحظة مسلكهم أثناء الانتخاب⁽¹⁾، ولكن موهبه الأب حاشيتو الكرملية كفاء مشقة هذه الرحلة بعد أن وصل إلى قنوبين وقاس الرعيم الحمادي ووجد أن الأمور تسير بشكل جيد، ثم ما لبث الحماديون أن يتعدوا عن الدير وأنحب لطيريك سمعان عواد رعم أن يستل لم يكن يرى أنه حدير بهذا المنصب⁽²⁾

كان الحماديون باعشارهم حكماً على الماطق التي تتواجد فيها عالسة المواربة وتنظيماتهم الكسبية والرهبانية مصطرين بصمتهم هذه إلى التدخل لحل المنازعات والحلافات التي تقوم في العادة بين رجل الدين لمواربة من مختلف الرتب، وكان غالباً ما يعمد هؤلاء أنفسهم إلى الطلب من حماديين لتدخل إحقافاً لحق يدعونه أو حماية من صعط أو تعدد يشكون منه

نتج عن هذا التدخل السلطوي في النزاعات المارونية الإكليريكية الكثير من المرقاء المنصرين من اكليروس وأعيان وقناصل فرنسيين

في سنة 1710م اتهم البطريرك يعقوب عواد بحرائم خطيرة جنائية ومخله بالشرف فأوقف عن ممارسه مهمته البطريركية لمدة من اللحوه إلى الشبع الحمادي ولكي لا تشجع فعله المستكرة أقاربه على اعتناق الإسلام⁽³⁾ ولكن البابا أمر بإعادته إلى كرسنه بعد إجراء التحمق في روما، وهو قرار أثار حسنها جداً قويا في أوساط طائفته التي كانت لا تزال متأثرة بمطاعه الجريمة⁽⁴⁾ وأشار الدبلوماسيون إلى صعوبة الحصول له ومخالفته للرجعة العامة

وحال عودته إلى لبنان بعد أكثر من ثلاث سنوات على غيابه تحاشى أن يمر في كسروان وتوجه رأساً إلى جبيل لتحية الشيخ اسماعيل ثم انتقل إلى بشري حيث استقبل في قصر الشيخ عيسى بحفاوة بالغة⁽⁵⁾

ثبت الحماديون البطريرك على كرسنه وأيدهم الفرنسيون واليسوعيون في تنفيذ قرار الحبر الأعظم ولكن المواربة وال الحارن على رأسهم رفضوا الانصياع

(1) بطريركة لمواربة لقرن 18 من 42

(2) تقرير الفصل سنيل شباط D D C T1, p 66 1706

(3) تقرير الفصل المرسي في مر بمن بتاريخ 30 حزيران 1710م AEB1 1114 fol 285

(4) تقرير الفصل المرسي في صيدا في 12 تشرين أول 1712 AEB1 1019 fol 136a

(5) تقرير الفصل المرسي في صيدا في 1 شباط 1714م AEB1 1019 fol 274ab

لإرادة روما، واستطاعوا إقناع والي طرابلس أن ينتزع دير قنوبين من سلطة الشيخ عيسى حتى يمكن التخلص من البطريرك ويطردوه من كرسيه مرة أخرى⁽¹⁾.

عجز والي طرابلس عن تصيد رعبته، ولم يتمكن من إقناع الحماديين بالتخلي عن سلطتهم على دير قنوبين فخاب أمل مو ربه كسروا وشيوخهم في الحلاص من البطريرك العائد واستبداله براهب آخر.

وبعد ثلاثة أعوام على عودة البطريرك إلى مركزه ليمارس صلاحيته بقوة القرار الرسولي ودعمه اغتيل الشيخ عيسى في دير حماطور بعد ما بصت له السلطات العثمانية ووالي طرابلس فحا، يرى بعض الباحثين أن الموارنة المتصررين من الأمر البابوي كان لهم يد في تدبيره ولتحريره عليه لذلك يقول وتر استشهد لاسير الشيعي الكبير دفاعاً عن السطة البابوية والشرعية الكاثوليكية في جبل لبنان⁽²⁾.

كتب الأب توما اللودي رئيس عام الرهبانية الليدانية (1735م - 1741م) إلى الكرديال ريداداري عن طريق القصر بوصف رئيس دير مار بطرس في روما بتاريخ 15 تشرين الثاني 1735م تعرض عليه الخلاف الحاصل بين المطران اعناطيوس شراييه والياس محاسب على مطرانية جبيل وبين البطريرك يوسف درعام الحارن والمطران الياس محاسب⁽³⁾.

«حصرة المطران الياس (محاسب) لما رأى دانه مصغر البدين من البطريركية التي كان طالباً إياها بالمكر والحيل والسيماوية»، فأرسل إلى اسماعيل حمادة وبعض أناس آخرين من بلاد جبيل الذين ليسوا بمستقيمي السيرة طالباً منهم أن يطردوا المطران اعناطيوس من الرعية، ويطلبوا مكانه المطران الياس (محاسب) وهكذا صار، واستمر المطران اعناطيوس المسكين محيي (مختبئاً) في مرزعه من بلاد البترون عند أناس فقراء مساكين وبغاية انه قد أمرتني الطاعة ان أتوجه مع المطران طونيا إلى دير قنوبين حين تولى وكالتها ويتما في مدينة جبيل، وكان هناك

(1) تقرير انقبض لمرسني في سيدا في 25 نيسان 1714م AEB1 1019 fol 460a-462b

(2) مجله Arabica سنة 2004 العدد 51-1 مقال بعنوان un ys dans des epines وردة بين

الأشواك الشيعة والموارنة في جبل لبنان 1698 - 1763م

(3) مجموعة البووي، ص 175

(4) تعني الرشوة

الشيخ اسماعيل حاكم البلاد ويتصهمون لي على المذكور دالة، فاستعطفت خاطره في تلك الليلة في سلوك المطران اغناطيوس في رعيته، فتمم مطلوبي. ولأجل ناموسه طلب مني ان سيدنا طوبيا يستمنه بذلك ليرفحه جميله وبعد ذلك صرف المطران اغناطيوس في رعيته،

كان لا بد لرحل الدين مهما كانت رتبته من إحارره الحاكم الشيعي الزماني ومبحة الشرعية الرسمية ليدأشر مهامه الكهنوتية

وكانت الخلافات بين البطريرك وساقمته تصل إلى حد انقيام بقطع الطرق واستعمال العنف، وأحياناً الاستنحاد بالمشايخ الشيعة للحصرة أو للحماية حتى من إخوانهم في الكهنوت، كما تبين هذه رسالة ثمانية المؤرخة في 6 تشرين الثاني 1737م⁽¹⁾.

دفع المطران الياس محاسب لأنني قدسم⁽²⁾ نحو حمصمايه عرش هدية ومائتين روداً في المال بشرط أن الشيخ المذكور يشهد على الرهبان في الصيق ليظلمهم من قرحيا وان تم ذلك يعطيه الوعد

«حين كتب في تلك النواحي راجعاً من قرية نحه⁽³⁾ من المشايخ إلى الديورة، أرسل حصرة السيد البطريرك المحترم بشوراً تحزب المصوم أربعة أنمار من تباعه، من جعلتهم شماسان وأخو المطران الياس ربطوا لنا في الطريق عند اراضي كفرصارون⁽⁴⁾، وصدفة قبل أن نصل إلى الكمين صدقنا المشايخ من الحكام الحمادية بسمي الشيخ صاهر بن موسى حمادة⁽⁵⁾ ومعه سرية (كميه) رجال فمراقصنا معاً، وحين وصولنا إلى مكان الكمين طلعوا الأربعة أنمار علينا، وحين رأوا الكثرة فما قدروا يتمكنون، فأراد الشيخ ورفاقه أن يصرطوا هيبهم، فمبعتهم أنا وحصرة الصس مارون رئيس دير قرحيا لأنه كان معي وراغب آخر، لأن لو نطلق المتأولة وأولاد البلاد الدين كانوا معنا نحو العشرين بصراً لكانوا قتلوا الأربعة. وتوجهنا في سبيلنا،

فهاج الشعب كله على حصرة السيد البطريرك وحرره.

(1) مجموعة النودي من 215 والرسالة من لآب العام إلى رئيس دير روما

(2) أبو قاسم هو حيدر بن حسين المشطوب حمادة

(3) قرية في ناحية بشري بين الحدث والبشرون

(4) قرية في ناحية بشري بين حدشيب وحصرون

(5) من حكام جبة بشري

وجاء في رسالة أخرى: ⁽¹⁾

«توجهت من دير اللويرة حيث يقطن الماخذ الرسولي إلى طرابلس وجبة بشري لقضاء بعض أشغال تخص القاصد، وايضاً لديورة رهبنتي الموجودة هناك. فلما تحقق حضرة المطران ليامس المتكويّن عند السيد البطريرك اجتمعوا وربطوا لي كميناً في الدرب بالليل وقصدتهم بذلك ممسكي والإهانة لي. والبعض من شركائهم أخبروا أن بيتهم كانت للهوى كلباً، وحقيقة ذلك أنقبتاها لله. ولكن ما قدرهم الله، لأن ونحن مارّين على المكان الذي كان فيه الكمين، صدم أن قبل ما نصل إلى المكان بنصف ساعة صدفنا أناساً من أعيان البلاد وراء حكام البلاد الحمادية وكان معهم سرية (جماعة) رجال مسلحين، فترافقنا معهم صدفةً. وحين وصلنا إلى حيث الكمين والربطة الدين معنا منعوا عنا هذا الكمين، وكل واحد منا مضى في سبيله، وصار في ذلك اضطراب ما بين أهل البلاد،⁽²⁾

لا بد للحاكم الشيعي من التدخل والمص في خلافات البطارقة مع رهبانهم أو مع رعيتهم أو مع أقاربهم. نطلب من أحد الأطراف أو عموماً، كشأن باقي الخلافات التي تحصل في نطاق سلطته هذا الأراضي الموقف قريباً فسوف يثير تدمير حصمه.

إن صداقة المتأولة للبطريرك أسخطت فريق من طائفته، لا سيما بعد تدخل هؤلاء مما لا يعنيههم، وأكروهوا جبرائيل الدويهي مطران طرابلس على المحي إلى قنوبين لتقديم الطاعة للبطريرك،⁽³⁾

«هي تلك الأثناء اشتد الاختلاف بين المطريرك يعقوب عواد وخصومه إلى درجة أقلت أفكار العقلاء ومنهم ممثلو فرنسا، لأن البعض لجأ إلى السلطات فخشي نائب قنصل طرابلس دويوامون من أن يعتدي الحمادية على البطريرك، وكان بعض أقاربه أعدائه، فكتب إليه أن يأتي إلى داره في طرابلس إذا خاف من تعرض الحمادية له،⁽⁴⁾

وبالإضافة إلى الحماية التي كان الحماديون يمنحونها للبطريرك ومركز كرسية

(1) رسالة من الأب اللبودي إلى الكاردينال رماداري في 18 أيلول 1737م

(2) مجموعة اللبودي، ص 197

(3) كتاب القنصل ديراكوري في 15 آذار 1714م صديقة ومحامية، ص 302.

(4) صديقة ومحامية، الأب غالب، ص 295

وللأديرة وبعض رجال الدين كست هذه الحماية تُعطى حياتاً لرهباية تكاملها كما يفيد الصك المتعلق بسبع دير مار سبعل في شمال لبنان مركز الرهبانية والذي يعلن فيه الشيخ حسن حمادة⁽¹⁾ وضع الرهبانية الأنطونية تحت حمايته مرأياً لآل يعارضهم أحد⁽²⁾



(1) حسن هو شقيق حيدر وهما من أبناء جعشي مسطوب
(2) تاريخ الرهبانية الأنطونية، القس عمونيل اليميداني، ص 231

الفصل الخامس

الخطاب المزدوج

في الوقت الذي حافظت فيه لعلاقات بين الحماديين وبين القضاصل المرسيين وكرسي المطريركي والرهنايات على وبيرتها المعتادة من الودّ والتعاون، هي إطار مهمة كلّ منهم، وفي الوقت الذي بقي فيه الحماديون ثابتين في سياستهم تجاه المطريركية والكنيسة المارونية عموماً، بدليل الوثائق التي تؤكد ذلك بالإضافة إلى تقارير القضاصل ومراسلاتهم وبعثات الحماديين الشاملة بحماية المطريركية والأديرة ومعها الاعضاء الصرديّة والتأكيد الذي أعطاه السيّد عيسى أمام القضاصل المرسي باسمه وباسم حلمائه بتقديم كلّ المساعدة المطلوبة للمرسلين المرسيين، هي هذا الوقت لم يتوقف في عهده وعهد حلفائه عن نصّ لشكاوى والمبالغات المثيرة للمشاعر الدينية عن «توارد إلى أوروبا وبرى لأنّ هناك خطايا مردوحاً مشافهاً ساد طيلة هذه الفترة خطاب إيجابي وعادي ومتعاون على مستوى المحلي وأخرى يفحصه تماماً محصّص للحارح المسيحيّ وخصوصاً لروما وبريس، يصعب الأوضاع بأنّها على حافة الانهيار والامحار طمناً أنّ الحماديين في مواقعهم وليس هناك حلّ ممكن إلاّ التخلص منهم واستبدالهم بأحرار من المؤمنين الانقياء

على أثر انتخاب البطريرك البلوروي ورغم علاقته الحيّدة بالحماديين ودعمهم لانتخابه ثمّ لمحاولة انتخاب ابن أخته حلفاً له لأمر الذي أزعج القضاصل المرسي⁽¹⁾، سطر الأساقفة والمشايع والأعيان رسالة لانتخاب ورسلوها إلى البحر الأعظم البابا اكليميندس الحادي عشر (1700م - 1721م) مع رئيس الأنبا الكرمليين الحماة في طرابلس وحيل لبيان الأب ياشسو. وقد وقع هذه الرسالة جميع الأساقفة الموارنة وهم

(1) تقييد فرنسا في لبنان. لأب عيود، ص 245

بطرس مطران قبرص، يوسف مطران صيدا، يوحنا مطران قرحيا، يوحنا مطران دربي، يعقوب مطران طرابلس، وجبرائيل مطران صيدا، ويوحنا مطران عرقا، وخرجس مطران الماقورة، وميخائيل مطران بيروت وخرجس مطران إهدن بالاصافة إلى كبار مشايخ بيت الحارث وسب حبش وغيرهم من الأعيان لتثبيت البطريرك المنتخب حتى نستطيع نحن المطارنة والأساقفة ورؤساء لاديرة والكهنة والإكليروس والأعيان والشعب أن نقاوم أعداءنا الذين هم أعداء الدين والإيمان

فهؤلاء الأعداء الذين يحيطون بنا من كل جهة وهم مسلحون بجميع حيل الشيطان الخبيثة، يريدون أن يوقعوا بنا الشرور ويسلبوا كنائسنا وأديارتنا ويشوهوا سمعة كهنتنا ويشتتوا رهباننا ويزاروا علينا كالأسود الكاسرة والدناب الخاطفة الجائعة ويضعوا أيديهم على ممتلكاتنا وأرضنا ويعلنوا لو قدروا وإنهم لعلى هذه الحالة من الحقد والكراهية والبعص لنا تكوننا حاصمين لقداستكم ومراسيكم الموقرة ولأننا نقبل باحترام أوامركم ومنشوركم ونعترف بصوت صارح هي صلواتنا وقداديسنا باسمكم المحبوب،⁽¹⁾

أثرت بعض الشبهات الأخلاقية حول سلوك البطريرك يعقوب عواد مما أحدث استقافاً في الكيسة وأحضر البطريرك على الاستقالة بعد محاكمته وأصبح أستمأ آخر مكانه ولكنه مع ذلك ونعشياً مع الجوّاءم المائد، أرسل إلى البابا إكليمنوس رسالة يقول فيها إنه تنازل باختياره عن مقام البطريركية لكي يتحرر من فظاعه المشايخ غير المؤمنين واصطهادانهم التي لا نطاق، وأنه دماً شملني الاصطهادات الدياوية ثم مطالب الظلام وجور الحكام الحمدية في ثقل الأموال والمرائم بليت هي غيظهم وسقطت في تهديدهم ولعززي عن مقاومتهم اضطرت إلى التعرب عن كرسي لأقلت من الخطر الثقيل الدايم علي،⁽²⁾

إن قصة هذا البطريرك هي من القصص الكرى التي حدثت في تاريخ البطريركية المارونية. وقد أثارت ولم تزل جدلاً واسعاً متمادياً لأهميتها الاستثنائية ومع ذلك فإن هذا الراهب - بعد أن أحضر على لاستقالة من كرسيه - يكتب إلى الحبر الأعظم يحمل

(1) اسجل لبطريركي في بكركي، مجلد 1، ص 3. منها عنه الأباني طوبيا العيسى، ص 133 والأباني بطرس همد ص 24 وقد فصل الفصل الفرسي - يتم الانتداب في قنوين تحت إشراف حكامه الشيعة

خشية أن يعرض الأساقفة للضغط والتأثير في كسروان

(2) بطريركة الموارية، ص 50

ظلم الحماديين وثقل الأموال والعرائم لتي تعرض لها أنها هي التي دفعته إلى ترك منصبه مع أنه يقول في الرسالة نفسها

«إني تهملت ونهت سابقاً في لجنة الأمور لدياوية الحسنية وسقطت في بعض رلات شهوانية وعصبت ربي تعالى وأعظته»⁽¹⁾ وأن لطروف لتي أحبرته على الاستقالة لم تكن موضع التباس في أي وقت وتعود إلى «رلاته الشهوانية» كما يقول ولا علاقة لجور الحكام الحماديين بها إن هذه الرسالة - كما العديد من أمثالها - تؤكد أن التظلم من الشيعة أمام الكرسي الرسولي وسائر المراجع الأوروبية هو مسألة تدخل في الأدبيات السياسية الرهادية لهذه الفترة بدون اعتماد لتحقيق أو لمناسبة أو لواقع الأمور

ورغم أن هذا التطيريك قد اتهم بحرائم خطيرة مثل السماح وللواظ والربي والقتل وأحبر على ترك كرسيه خوفاً من تحول بعض المؤامرة إلى الإسلام من حراء فطاعة ما سب إليه بحمل الحاكم المناولة مسؤولية تركه منصبه

ومن المعلوم أن الحكام الحماديين وحدهم قد مكّنوا التطيريك العائد من روما من الرجوع إلى كرسيه تنصداً للإرادة البابوية والشرعية الرسولية التي التزم الحكام المناولة بتنفيذها ودفعوا ثمن ذلك بهظاً

والأعرب من ذلك أن هذا التطيريك نفسه قد أرسى في ذات التاريخ مرسياً، رسالة إلى القنصل الفرنسي في بيروت بوقل الحرس يطلب فيها منه التوسط له عند الحاكم الشيعي أبو محمد عيسى ليرفع الظلم عنه ويردّ عنه عدوان المطران حبرائيل وأهل إهدن وإلا «مثل ما جبتونا تحو تأحدونا»⁽²⁾ (يقصد طبعاً عن كرسيه البطريركي).

«في حال وصول البريد اليكم تحررو ورقة منكم للشيخ أبو محمد عيسى وتعرفوه خاطركم بهذا الخصوص وأنه يردها الناس عنا وإن لولا خاطره ما كنتم جبتونا إلى قنوبين»⁽³⁾ «الديمار» ولا يخبر قرره معكم لأن يعبر ناموسه وحمايته ما نقدر نستقيم وأولاد الحلال كتار وادكروا له أن يعرف خاطره للمطران جبرائيل وغيره ما جا وإلا مثل ما جبتونا، إن ما نوسا، وإلا تحوا تأحدونا. وتكون ورقة مشددة»⁽³⁾.

(1) بطريركة الموارنة، ص 51

(2) عروبة ليس، بينهم، ص 42 (راجع وثيقة F 8)

(3) هذا يعني «تقديم استقالته» في حال لم يحصل على العودة لشعبة أشددة وثيقة F8



وثيقة F8: رسالة البطريرك يعقوب عواد إلى السيد موسى العنبري قصير مرثيا في بيروت
موقعة بالصرمانية يعقوب بطريرك انطاكية يطلب فيها مساعدة الحاكم النبطي وحماته
لأنه بدونهما لا يمكن أن يستمر في القيام بمهامه البطريركية

بعد طلب العون والمجدة والمؤازرة من لحكم الشيعي يسرّ إلى القنصل الخارر أنّه لولا حاظر عيسى لما أصبح بطريركاً وسور حمه ورصه، لا يمكن أن يستمرّ في منصبه الكنسي، وهذه الرسالة ليست موجهة إلى حمديّ وإلى شيعي لتسرّ على أنّها من باب لترتّب وتقرّب، إنّما هي موجهة من البطريرك إلى صديق مؤيد ومناصر، ممّا يعطيه الحرية المطلقة في الإفصاح عن سريرة نفسه وجميعه مشاعره

إنّ اردواجية البطريرك في خطبه حول موضوع نفسه تثير تساؤل حول ما إذا كان لخطاب السياسي الخارجي موحى به لعايات مسنة لا علاقة لها بواقع الحال، ولا بالتهم المنسوبة إلى البطريرك وخصوصاً تلك المنعّمة بأسباب استقالته

ويلاحظ أنّ البطريرك نفسه ولقبصل الخارجي قد وقعا على لرساله المرفوعة إلى الحر الأعظم سنة 1704م والتي تتهم لشعه بأنهم مسلّحون بكل حيل الشيطان الخبيثة⁽¹⁾.

إنّ هذه الاردواجية في الخطاب وهي وصف أحوال الطائفة المارونية ومؤسساتها وسيره الحكام الحماديين مع أهالي مناطقهم وخصوصاً مع المسيحيين منهم، تظهر جليّة عند كلّ مقارنة بين الرسائل السياسية موجهة إلى الممارات الأجنبيّة والتي تهدف إلى الحصول على مواقف سياسية محظوظة لها ومعظم مادية ومالية، تنامي دورها في التوجه الماروني نحو الخارج، وتعاطف أثره حتى أصبح بشكل أحد أهم عناصر تحديد الخطاب نحو الخارج، ورسم عاياته وأهدافه - وبين التقارير والرسائل والعرائص التي تنقى محصورة في التعامل الداخلي و منطمة أساساً لكي لا يتعدى الاطلاع عليها جهات محلية ووطنية مهما كانت، والتي بقيت أشدّ لتصافاً بالحقيقة وقرباً من الواقع وحلوا من المسالعات، واحتراع الأحداث المثيرة والمؤثرة وتقتصر على الإفادة عن أحوال الحكام والمحكومين والكنيسة كما هي على أرض الواقع

حاء هي رسالة كتبها الأب توما اللودي رئيس عدم الرهبانية اللبنانيه - وكان من المشاركين والناشطين هي مختلف ميادين الكنسية والسياسية هي شطري لبنان الشمالي والجنوبي إلى الأب العام القس ميخائيل سكندر في روما سنة 1728م - وهي عبارة عن تقرير يعرض للأحوال العامة في البلاد على الأصعدة الدينية والسياسية والأمنية - يقول فيها

(1) كما جاء في الرسالة التي حملها الأب ساسو ووقعها البطريرك المسحب والأساقفة والأعيان من المؤازرة.

«من جهة أحوال الديورة عندنا هي بكل خير وديورتنا في الجبة اكتفوا زراعة وفصلوا أزود بما كان يحوجنا وعن قريب نجيب رهبانها ويرجعوا في الربيع والحكام هناك على خاطرنا والشدياق سليمان لمهوم بحصان ابليس طلع الى الجبة وحصر الى المناولة وعاهد انه ما عاد يرل الى طرابلس والآن يرل وما نعرف الغاية من ذلك وكيف تكون والطاهر به اتمق معو الخوري هنا على اخيهم وعمهم»^(١)

وهي رسالة أرسلها المطارنة طوبيا الحارث واعباطيوس شراييه وعبدالله قرعالي إلى الموسينيور يوسف السمعاني في روما في 8 كانون الثاني عام 1739م.، يشرحون له الحصومات المحلية لقائمة هي دخل لطائفة بين المشايخ المواربة والبطريرك، وبين الأساقفة، وبين الأساقفة في ما بينهم، ولتهديد المتبادل بين الجميع وإفصال الكنائس والتسابق على التوريات والمنافع والترهيب بطلب تدخل الحكام وأنه إذا لم يُعالج هذه الأمور، الكل حراب في حراب والطائفة تتبدد والحل واقع في الكثيرين»^(٢)

هي الوثيقة نفسها حمل النوع الآخر من الرسائل المتبادلة بين أساقفة بطائفة من رجال دين ومشايخ بالإشادة بحكم الشيعة والاعتراف عن رضاهم به والذهاب إلى حدّ الدعاء لهم بطول العمر هي مراسلات يعرفون جيداً أنه لم يطلع عليها إلا أصحابها وهذا النوع من الرسائل - كما لا يخفى - هو عادةً أكثر صدقاً وشفافية ونعسراً عن واقع الحال وحقيقة الشعور لحلولها من العرض السياسي أو المصنحي ولطابعها الخاص بالصرف والمصوي المنفرد عن دوائر العرض والوزارة

إن البطريرك «سظمان الدويهي نفسه - الذي تصرّ المصادر التاريخية المنحيرة ولا يرال على التهويل بالمطالمة الشيعية التي تعرّص لها، والاصطهاد الحمادي الذي لحقه ودفعه إلى اللجوء أكثر من مرة إلى المنور والأحرار هرباً من سوء المعاملة والإهانة التي ألحقها به الشيخ عيسى - يقول في إحدى رسائله إلى الشيخ عيسى قابصوه الحارث متحدثاً عن حسن معاملة الحاكم الحمادي وداعياً له بطول العمر»^(٣)

(١) مجموعة النبودي، ص 57 وبلاحظ شاء لا لعام عن الحكام حسان بليس لعب اطلق على ابي ررق شقيق البطريرك يعقوب عود

(٢) مجموعة النبودي، ص 104

(٣) لرسالة الأصلية محفوظة هي أرشيف بكركي جازور، 2 رقم 3 ر جع صورته الاصل F9

وحد في بعض مصادر ان لشيخ عيسى استعمل شدة بعد ملاسته مع البطريرك دويهي وقد ترددت هذه الحادثة في مصادر متعددة راجع لرسائل اموجهه من كعده، والتي طرابلس والأمير بشير الشهابي الاول لى لبطريرك (ارشيف بكركي جازور بطريرك دويهي) راجع فصل الشيخ عيسى (الهامش)

«من جهة احوالنا لله الحمد منظركم الكريم بخير وحضرة الشيخ ابو قاسم خاطره طيب معنا وما غير معنا شي من الشرط الذي صار بيننا وبينه الله يديم لنا حياتكم وحياته».

إن الحياة المشتركة لقرون عديدة بين الشيعة والموارنة، وانتشار المؤسسات الدينية المارونية ودور العبادة والمراتب في الكثير من الحال والأودية والقرى التي عاش فيها أو قريباً منها حيرانهم الشيعة، سربت إليهم بحكم الجوار والتماثل مظاهر الاحترام والتقديس نفسها، التي يشعر بها المسيحيون نحو هذه المراكز الدينية وما ترمز إليه، وقاموا بحولها بالمراسم والشعائر نفسها حتى دحت في صلب تراثهم الروحي مما لا يزال بعض آثاره باقية في وجدانهم حتى اليوم ولازمتهم في مراكز تهجيرهم⁽¹⁾.

إن التقليد المشترك الشيعي الماروني الذي يؤمن بأن السببة العذراء تتدخل لنصرة كبر الشيعة على أعدائه⁽²⁾ وتتعهد عندما يحرق به لحطرون والدور التي كان الشيعي العادي يلتزم شماعها لإيقاده من مأرق وقع فيه، والتقديس الكبير للأديرة، الذي يدفع الشيعة لوقف الأملاك والأراضي عليها بتعاقب مرصاء لله والدعوة إلى المديسين عند كل أزمة أو صوب كل هذه الأمور أصبحت شعائر عامة يقوم بها الشيعة كما يقوم بها لمسيحيون.

سدهم الحمادبون هي إعماء لأديرة من المبني ومساعدة الرهبان حتى أن الأساقفة والبطاركة كانوا يلجأون إليهم بموسلين ككف عن هذه المساعدة، لأن الرهبان تصووا بهم على رؤسائهم⁽³⁾.

تقول إحدى الوثائق المحفوظة في دير كميان، وهي رسالة من أحد حكام البترون للشيعة إلى أقربائه يطلب منهم إعماء لسير من المبني وهتته بعض أرفاقهم «منذ الصخونة التي صارت لنا ركبا من كسر . وصلنا دير كميان من حمد الله بشماعة الدير المذكور رال الياس عنا وجعل لنا الشما الكامل نحننا عنكم الجودي وتبعناهم للدير كرمال خاطربا تتركوهم للدير ولو كان في نصف رفقكم وغلوها دخيرى لكم»⁽⁴⁾.

(1) لا يزال أعماد الشيعة المهجرين من جبل بيدر بحفظون بتقدير موروث لبعض الأديرة الجبلية ويقومون بإعماء كنسور لها مثل دير مار قرحيا ودير ميصون وسوها من المعالم الدينية المسيحية.

(2) اوراق لبناية جرم، 3، ص 231 راجع وثائق دير ميموق مكتبة كلية التربية المحدث الثاني، وثيقة رقم 36.

(3) تاريخ الرهبانية المارونية ج، 1، ص 108 وتاريخ لاد كرم ماروني تاريخ جبيل والبترون، بوعبد الله، ص 173.

(4) راجع، وثيقة F 10 (دير كميان) بكلمة «دخيرة موصود بها دخير» وتروون بها لاحتكم.

لعلنا نعلم هذه اولادكم الذين ارادوا
 بغير الله الملك يبتغيون من غير الله
 ملكا من كثرة ما يسمعون منكم ما
 نعلم ان الله لا يبارككم في ما كنتم
 تكفون من اولادكم فيفتقروا من
 عملكم بشعائير الذين المذنبون
 زال الياس عنكم اننا كنتم
 الكمال منكم في هذه غيرةنا
 ونحن كذا كذا في ما نرى
 في هذا وهو اذا جد ودل
 رغبنا ان ندين على الذين
 بغير الله من الذين في السخنة المص
 نحن ستمائة المفضل وحلص
 الذين وصار الذين في الجدي
 نحن في ما ندينه وانما ندينه
 نحن انما ندينه نحن على الجدي
 نحن الذين في عارنا نحن ما
 نحن انما ندينه للذين ولو فانهم

رزقكم انتم باملاكنا اولادكم
 فليس ههنا منكم الذين ارادوا
 دبركم في ما كنتم منكم
 ما ندين منكم في ما كنتم
 ستمائة الذين في الجدي
 نحن في ما ندينه وانما ندينه
 نحن انما ندينه نحن على الجدي
 نحن الذين في عارنا نحن ما
 نحن انما ندينه للذين ولو فانهم

وثيقة F10 رسالة من الحاكم الشيعي بحث أقرب منه على لتدبر للدير عن بعض أملاكهم
 ويعرب عن إيمانه بكرامة الدير وشفاعته

إن الوثائق التي تبين مساعدة الحماديين للأديرة وامتدادهم بقدسيّتها وكرامتها كثيرة جداً وربما بالعمى هي ذلك حتى أصبحوا يقربون ذكر الدير بسبب «عليه السلام» وهو التعبير الدني الشيعي الحاصّ بالرسول والإمام عليّ⁽¹⁾ فيقرر ذكر أحدها بهذا التعبير إجلالاً وتقديساً ثم حصوا الدير بالسلام عليه لما له في موسمهم من بوقير ومهابة وقدسية.

وتؤكد المستندات الكثيرة التي ذكرنا بعضها سابقاً دعمهم للطائفة هي سلطتهم على أساقفتهم، ومحافظتهم على باموس لطيريرك وكذلك رؤساء الأديرة هي السيطرة على رهبانهم، وانتصار توجيهات روما هي الأمور الهامة والنزاعات التي كثيراً ما تنشأ بين الرهبانيات وتنظيماتها المختلفة، وبين سائر الأمور التي لا يمكن معالحتها والبت بها إلا بإرشادات رسولية

وكانت سياستهم الثابتة وبدائمة هي تشجيع الهجرة المسيحية إلى قراهم وإسماح لهم من أجل ذلك باستقدام رجال دين وبناء كنائس، ولقيام بكل شعائريهم المرموقة رغم أن بعض هذه الأمور تتنافض مع سياسة الدولة العثمانية وقوانينها.

أمراء الزيتون

هناك امر آخر ساهم في بمل صورته وهمية عن المعابة التي يتألم منها المسيحيون تحت وطأة الحكام المتأولة القضاة وهو ما تسميه المراجع المارونية وبعض التقارير الدبلوماسية الأوروبية بالنسول أو الشجدة التي نشرت في هذه الفترة وما سبقها بين مختلف لطبقات وتنظيمات المارونية وطاولت الدينيين والمدنيين من مشايخ وأعيان وأفراد، وأصبحت وكأنها مهمة لها قواعدها ومسيرماتها وهي تعرض على صاحبها الادعاء بتعرضه لأقصى أنواع لظلم ونطعميان بسبب معتقده الكاثوليكي وبالخصارة البالغة التي مكي بها في أهله وأمواله من حرّاء صلافة عقيدته، وتعلقه بالإيمان المستقيم، وقد رُوحت هذه الادعاءات التي لا تمتد عادة على أساس حقيقي أو واقعي للمقولة التي عمل البعض منذ مدة طويلة على بثها في أوروبا عن طريق الموهدين والمرسدين والرسائل حتى أصبحت من المسلمات التي قلما نحج بعض القصاص المرسيين هي دحضها أو الحد منها بعدما خبروا الواقع بحكم وجودهم في ساحة الأحداث. ويبدو أن هذه المهمة هي من حترع الرهبان الأوروبيين في جبل لبنان وكانوا

(1) وثائق دير سيدة ميمون مكتبة كلية لربية رليقة رقم 240

يرمون من ورائها إلى نشر صورته حيالية محزنة عن حال النصارى منه لأهداف سياسية واضحة، تقصي بتوظيف الطاقات الأوروبية المادية والمعنوية في حملة إنقاذ المضطهدين، الذين يرغمون على الهجرة إلى مكة أخرى حالية من المؤمنين وأساء الكنيسة اللاتينية وشجع بعض الأفراد الموارنة لطامعين بالهيئات النقدية الكاثوليكية على السفر إلى مختلف أنحاء أوروبا بترويدهم بالمعصومات والتوجيهات ورسائل التوصية لبعض أمرائها وأخبارها والناهدين عنها لعرض المظالم الوحشية التي يترصون لها من حكاهم الظالمين. وعانيتهم من ذلك إيجاد رأي عام أوروبي فاعل مدعوع بأسباب إنسانية إلى مؤامرة فكره الكلب المسيحي في لبنان في الوقت الذي يحصل فيه حاملو الرسائل المتجولون على مبالغ نقدية تثير شهية أعداد عميرة ومتزايدة من الموارنة اللبنانيين وحميتهم، على القيام بالرحلة نفسها. يصف العالم الرحالة نيبوهر هذه الظاهرة بقول

«لو لم يمكث الرهبان الأوروبيون في جبل لبنان لما كنا سمعنا على الأرجح من الأمراء الموارنة، فانهم يرسلون إلى أوروبا أولاد المحسبين اليهم العمراء بحسب اسم أمراء جبل لبنان، أو حتى أمراء فلسطين ويحطون بالأمير رسائل توصية إلى روما ودعا أنه كاثوليكي المذهب يتكلم روما بإعطائه رسائل توصية جديدة إلى جميع الملوك والأمراء وأصحاب الشأن فيدور الأمير على «تشجاده» في كل مكان وحثه أن الأنراك والعربان والمتاولة وجميع الكافرين قد اعتصبوا أراضيه ورجوا في السحن روحته وأولاده الأمراء والأميرات ثم يعودون إلى وطنهم حالما يجمعون ما يكفيهم لشراء سستان من الزيتون أو من التوت» لذلك أطلق عليهم في أوروبا لقب أمراء الزيتون»⁽¹⁾.

عانى القنصل الأوروبيون متاعب جمّة في تعامل مع طاهرة التسوّل هذه المبطنة بأهداف دينية وسياسية وخصوصاً عندما يكون لعنيدون من مشايخ الموارنة وأعيانهم، فالشيخ حصن الخازن الذي قال لملك فرنسا في إحدى رسائله «إنه واقف قرص بين أمم غربية وحايطتنا الأعداء من كل جانب وواقف قبالة الجميع» والذي يقدم نفسه على أنه أمير على الموارنة⁽²⁾، هو في رأي القنصل إسماعيل ليس أميراً أبداً كما يدّعي، وليس له أية سيادة هي كسروان وهو شيخ على أربع قرى ولا يتميز عن باقي أقاربه في شيء «وهو راغب

(1) مشاهدات في سوريا وجبل لبنان، كارستن نيبوهر (Corsten Neobuher)، ص 66

(2) من رسالة حصن الخازن، صديقة ومعامية، ص 270

في السفر إلى فرنسا طمعا بالهدايا ونهايات التي يتصور أنه سيتلقاها لأنه طلب منه أن يلتصق من الملك مما عدته هي تحمل بمقات ثلاث عائلات عادت إلى ديانتها المسيحية بعد أن أجبرت على تركها، لأن ما يملكه من المال لا يسمح له بتكامل بمقات لجوئها إلى كنمه⁽¹⁾.

إن الشيخ بار⁽²⁾ الذي مثل في البلاط برهن أنه رجل غير شريف لأنه لم يغادر هذه البلاد إلا ليذهب إلى روما لأعمال نخص لبطريرك عواد، وقد كذب بالادعاء أنه من عائلة أمير الدرور، إنه من عائلة شريفة في خزير ومتزوج من أخت نوفل الخارن قنصل الملك في بيروت إنه سافر ليشهد مثل الكثيرين من بلاد، الدين عادوا إلى بلادهم بمبالغ من المال سببت منهم عند وصولهم إليها⁽³⁾.

بعد خمس سنوات والشيخ نوفل لحارن يدعني لأسمع لشقيقه بالإبحار إلى فرنسا بحجة المرور في اسبانيا ولكن كنت أعارض ذلك سمع ربانينا من نقله ولكني علمت بإبحاره فالتصم من سعادتك السماع لي لأعلمه أن هذا التمرد يستحق العتاب.

إنني مضع أن هذا الشخص لن يفعل أكثر من أن يشهد صارحا باسم المسيحية كما فعل الكثيرون من أهله المحوذين⁽⁴⁾.

يرى المصايل المرسيون أن الشيخ لحيشي ولسناح الحاربيين الذين عملوا طويلا من أجل الطلب إلى الملك المرسي والحرر الأعظم وغيرهما من أمراء المسيحية بإشياء الكيان المسيحي في لبنان، وسافروا إلى أوروبا من أجل هذه الغاية إنما كانت عاينهم للرئيسة من السفر المنفعة المادية التي تؤمنها لهم الشجاعة بينما يدعون العمل لتحقيق تلك الأهداف لإحماء بفينهم الحقيقية

لمد لارمت هذه الظاهرة الجهود الحثيثة والوسعة التي قامت بها جهات عدة لحلق الظروف الدولية والسياسية بالمأساة لمهجر الشيعة من جبل لبنان وإيهاء حكم الحماديين وساهمت في خلق أحواء مشحونة لدى بعض الأوساط الباقدة في أوروبا بما حيكته من قصص حيالة عما يتعرض له المؤسسون في جبل لبنان على يد حكاهم

(1) تقرير المصطل استيل في 20 ب 1705، D D CT1 P50-54

(2) هو بار حبش.

(3) تقرير قنصل فرنسا في صيد لومير Lemaire في 26 شاط 1726-237-238، D D C T1,

(4) تقرير القنصل لمرسي في صيدا في 28 د 1731، D D C T1, p274-275

الكفرة والمنوحشين. وقد اشترت وعمت هي معظم الدول الأوروبية بما فيها فرنسا وإيطاليا وسردينيا والنمسا وألمانيا والدانمرك وبركتر وتحمست لها مختلف الطبقات وخصوصاً آل حبيش وال خازر، حتى قال المصل المرسى لومير LeMaire في أحد تقاريره متبرماً بطلقات الشجادة المنهدة عليه محاطياً ويرره⁽¹⁾

«إنني لو اهتممت بكل الرحلات لني تصب مني فإن بلاد كسروان ستحلو من سكانها لقد منعنها وسأمنعها قدر استطاعتي وأحذر بأن عظمتك توافقتني على ذلك»⁽²⁾

“Si je faisais attention a tous les embarquements qu’on me demande, je pense que le pays du Kesrouan se dépeuplerait C’est ce que j’ai empêché et j’empêcherai autant que je pourray, et je me flatte que Votre Grandeur m’approuvera

لقد عمّت هذه الظاهرة العربية جميع لطيمات حتى شعر بعض رجال الدين بحطورتها على سمعة الكنيسة وكرامة الطائفة. وهذا ما تفر عنه رسالة من الوكيل القس جرجس هشوع إلى الأب العام ميخائيل في روما في أول كانون الأول 1729م

«وصل الشيخ صالح الخازر في أوّل تشرين الأول ومن جملة ما جاء معه ذهب يوارى كل واحد خمسين قرشاً في بلادنا والورقة للشجادة هي عند السيد البطريرك وقد تحرك غيرة الشجادة عند رعان مصري وحدادين وأساكمة وفلاحين وشركاء وأجراوات الديورة وغيرهم وسرية من مشايخ الحوارية للتوجه إلى بلاد النصارى

وسيدنا وحرره مستعد للقبض والناس مترادفة عيباً في طلب مكاتيب وشهادات إن رسمتم أرسلوا لنا مكتوباً معروض فيه أننا لا نتعاطى أموراً مثل هذه وإن أراد أبونا السمعاني ستره الطائفة فعليه أن يبرر من الكرسي امرأ للسيد البطريرك ولغيره بالأعادوا يرسلون أحداً للشجادة»⁽³⁾

«إن القس سمعان والقس جرجس متوجهين إلى روما لكي يشهدوا. واحد يشهد

(1) وضع بعض الرحالة الأوروبيين مؤلفات طريقة حول هذا الموضوع عدد بعضهم الدانمركي نيبوهر مثل كورتس Kortes وشولتر Schultz ويكوك وأورد بمودحاً عما سماه مشهور شجادة صادر عن البطريرك.

(2) D D C. T1 236

(3) مجموعة اللودي، ص 126

للشيخ هيكل والثاني للمطران الياس محاسب بمكاتيب من البطريرك فتأملوا أن القضية كانت قبلاً أن يشهدوا للأمرء والعوام، أما الآن فصار مرادهم يرسلوا رهباناً إلى بلاد النصارى للشهادة فتكلموا مع حصرة أبينا السمعاني ودبروا هذه الأحوال الشادة لئلا ينتلي بلاد النصارى من الرهبان ويتلموا عرض الرهنة. إنهم غير معتنين بطلب مجد الله الأكبر⁽¹⁾.

ومن رسالة كتبها الأب توما إلى روما بتاريخ 29 نيسان، 1728م «أتى إلى عندنا أبو جنبلات حبيش الذي شحد سابقاً من بلاد الإنكليز وطلب من أبينا توما أن يعطيه مكاتيب توصاي ليمضي بشحد مرة ثانية أن أكثر الحبشية المسيحيين في الشحادة من بلاد النصارى ختموا صدقاً»⁽²⁾.

إن أمة الشول في أوروبا التي انتشرت كالوباء، وطالت مختلف الطبقات الاجتماعية المدنية والكنوتية لدى موزية ساهمت في إعطاء دفع ملكت لمكرة الوطن الماروني الذي كان في دروة تحركه، وذلك بسبب الادعاءات الكادبة التي ساهم في ترويحها ما استدعته محيالات المشمولين من مطالب سياسية ودينية تتمرصون لها حثاً لكرم المسيح واستدراجاً الأكبر إثارة ممكنة من أريحيتهم الإنسانية وعواظهم الديسة كما أوحى سبلاً جديدة لتبادل الأفكار والمعتقدات والمعلومات بين الموارنة وأوروبا.

الشيعة والشعائر المسيحية

إن اعتقاد الشيخ الحمادي شماعة لدين لدي منحه الشماء الإلهي من مرصه والتعبير الديني القدسي الذي يذكره الشيخ الأخر تقرناً من الدبر حتى ساواه بالرسول وبالإمام علي - وهما أقدس مقدسات لشيعة عموماً - والكثير معاً رواه بعض رهبان ذلك العصر عن معجرات السيدة المدراء التي قامت بها حمايةً للحماديين وانتصاراً لهم، والتي حملت بها بعض المؤلفات القديمة، تدل على المكانة المقدسة التي كان الشيعة ينظرون بها إلى مختلف الممارسات الطقسية المسيحية وهي ناتجة بدور شك عن أجيال متعاقبة من حسن الحوار مع الموارنة ولاحتكاك بهم والتأثير المتبادل الناتج عن فزون طويلة من الحياة المشتركة.

(1) المصدر لسابق، ص 128.

(2) المصدر لسابق، ص 66.

سنة 1607م. جلبت ثورة جببلاط باشا وفخر الدين العساكر العثمانية إلى لبنان فجعلت كل شيء طعاماً للنار ولا سيما الأديرة؛ فعادر الرهبان ميصوق واحتل عددٌ من الحدود الصواحي مدة خمسة أشهر دنسوا خلالها كنيسة العدراء وما جلوا عن ميصوق حتى رعت إيليج واردهرت وجعل المتاولة الحماديون ميصوق مركزاً لحكومتهم. وكانوا يحترمون بيت مريم وكان أحدهم الشيخ حسن يكرم التول إكراماً خاصاً لاعتقاده بأنها خلصت حياته في إحدى المعارك. وفي معركة أخرى كان الضرور قد أوشكوا أن يطوقوا المتاولة فخرج هؤلاء إلى سيدة إيليج وندروا لها قطعة أرض شامتة فوقهم ضباب كثيف أحصى أسحانهم،

وهذا الضباب من نوع العمامة التي كنت تظلل الشيخ اسماعيل في معاركة فضحجه عن أعدائه، وتحقق له النصر فذهب إلى مرر السيدة العدراء شاكرًا ومتقرباً بتقديم الهدايا العقارية وبيعاء الدور⁽¹⁾

وكان من عادة سناء الشبعة بما ههنا نهية الحاكم رياره الأديرة تقرباً وشركا⁽²⁾ كما كان من عادة رجالهم تقديم الهدايا والأوقاف إلى الأديرة والرهبانيات انتفاء لأحر والثور، وتلبية لإرادة الله ومحمد وعبي. وتخصيص أراضٍ وأراضي لإنشاء أديرة جديدة تكون وقفاً محلياً هي سبيل الله كما جاء في وثائق عديدة

«أعطينا مررعة حوب وقفاً لمار أنطونوس وهبناها وهبة لا ترد ليصيموا ديرا. وتكون وقفاً محلياً في سبيل الله وكل ما فيها بري وجوي وما تحوي من أراض وأغراس.

ومثله عين الراحه وكل ما يتعلق بها لدير مار دوميط. ووقف مار يعقوب دين تنورين التحتا والصوقا وجميع هذه الأماكن صاروا بيد الرئيس العام ورهبانه يتصرفوا بهم حسبما شاؤوا وأرادوا⁽³⁾.

(1) إيليج من الماصي إلى لحاصر كمين سلامة، ص 157

(2) مخطوطة الحوري روجات سبقت الإشارة إليها

(3) التاريخ البستاني 1714م - 1728م لأب ريدة ص 26

(4) ان قسماً كبيراً من أملاك الرهبانيات والأديرة حصدت عن طريق مثل هذه نهبات الشيعية أو عن طريق وضع اليد على ما خلفوه بعد التهجير. وبعد انتهاء عميات انسح سنة 1844م تيسر رعية لاكلبروس ورؤساء الأديرة وحدهم يملكون ثلث أحواد أراضي تحرير لبنان ثم انتصر فيه، أحمد طربس ص 358

وكذلك أجراهم وشركائهم ما لما عليهم جري ولا معارضة بوجه من الوجوه
وعلى هذا وقع الرضا والاتفاق وقول الله ورأي الله ورأي محمد وعلي،"

حسين حمادة

حرجس بأعنة من بيروت

الشهود فارس مرهج من الشوير



الفصل السادس

اكتمال الملف

إن فكرة تهجير الشيعة من حلب ليس وقامة كيان طائفي معلق في بلادهم وتنصيب أمير مسيحي على رأسه، ولتي تدب المداقة بها والترويج لها هي اوساط رهبانية وعضلية في حلب انتمت الى حلب وأصبحت موقفاً سياسياً دائماً وثابتاً تعمل له جهات لبنانية ووروسية متعددة ومحددة وتسمى لإيجاد الأرضية المناسبة لإطلاقه والعمل على تحقيق حشد الدعم الدولي له بانتظار الأحواء الدولة والعثمانيين الملائمة التي تسمح بالشروع في الخطوات التنفيذية على أرض الواقع، والسبب في التخطيط لهذا مقديماً بدراسة وعناية تؤمن له سبل الولادة والنمو

هي منتصف القرن الثامن عشر كان هذا المشروع يُحطّر في محاور مرحله البحث والدراسة، واصبح ملأً مكملاً ومُعَدّاً للتنفيذ سنظر نظره لسياسي الدولي المؤاتي في دوائر القرار في روما وباريس ومن يدي المتابعين لمراحله والساشرين على انشاء الاهتمام به قائماً لدى الجهات الإرسالية والكسبية اللاتينية المحلية. وكان جمع الأموال وتأمينها وحشد المؤيدين والمتحمسين من اصحاب البنوك في أوروبا قد بدأ في وقت مبكر منذ أيام القبطل فرسوا سكوت انمرط في حماسته لكاثوليكية - في حلب وجهود الأب الكوثي سلمستر سانت ايسل وسدائه من قبل لارسائيات موقداً إلى أوروبا عاملاً بهمة في هذا السبيل.

الوضع الدولي المناسب

بدا حينئذ أن الوضع لسياسي ادولي وانعكساته على العلاقات العرسية العثمانية وما يتحيط به الرجل المريض من ضعف وتقهقر ويتعرض له من تحديات وأطماع دهمته



لكونت دوغبرج



لكونت شوارز

إلى الارتقاء هي أحضان مظلة الحماية المرسية، هو الفرصة الذهبية لسحب الملف القابع منذ مدة في الأدراج، والانتقال به إلى طاولة المساومات السياسية واستغلال الأوضاع الراهنة المناسبة لطرحه وتمريضه بتوظيف النموذج الفرنسي في الآستانة والدفع الرسولي المؤثر والفاعل وحال الصعف والتحف العثماني والأموال الأوروبية المدولة حنيئاً إلى موطن قدم هي الأراضي المقدسة أو هي حوارها وتمريضاً للمسيحية هي مهدها

منذ الاتفاقات التي أبرمت بين سلطان سليمان القانوني والملك فرسوا الأول عام 1535م، ثم تعرف العلاقات بين الدولتين تقرباً وتحالفاً أوثق مما بلغته هي منتصف القرن الثامن عشر بعد المعاهدة التي عهدها السفير الفرنسي دي هيلنوف De villeneuve، مع السلطان محمود الأول (1730م - 1754م) في 28 أيار 1740م، والتي تأكدت بموجها امبيارات فرنسا السبعة مُصافاً إليها امبيارات جديدة تعهد السلطان ببقائها باهدة مدى حكمه وحكم خلفائه من بعده، وقد كانت المعاهدات السابقة لا تعتمد إلى أبعد من حياة السلطان ثم تتجدد في عهد حاكمه نتيجة معاوضات جديدة¹.

وهي عهد وزارة الدوق دي شوارول 1766م، Choiseul، توطدت العلاقات بين فرنسا والباب العالي وتوثقت روابط الصداقة والتحالف بين باريس والمسططبية، وبلغ الاسحاح بين السياسيين حدوداً ثم تعرفها قط من قبل رعم المساعي الروسية المعروفة واستنطاع السفير فرحين (1755م) المبعوث الخاص للملك الفرنسي لويس الخامس عشر أن ينصد بالمصالح الفرنسية إلى أدق شؤون الدولة العثمانية حتى الداخلية منها ولا سيما بعد أن اصاف إلى الأساليب الدبلوماسية المعروفة بالاتفاق مع وزيره الدوق دي شوارول، عاملاً حديداً على جانب كبير من لمعالية والأهمية، وهو استعمال الرشوة لكسب أكبر عدد من وزراء الباب العالي وكبار باهديه، وتمريض كل ما تراه السياسة الفرنسية موافقاً لطلباتها ومصالحها، بصرف النظر عن مدى تطابقه مع مصالح الدولة العثمانية وسياساتها² حتى وصفت القصورة الروسية كاترين الثانية

(1) السياسة الدولية حوري والسماعيل ج¹ ص 20 عشت هذه معاهدة بعد هزيمة فاسيه تعرضت لها الدولة العثمانية أمام روسيا والنمسا

(2) كان هناك سابق على الرشوة والتمس في صانعيها بين شوارول وكاترين الثانية المصدر السابق، الصفحة نفسها، ويبدو أن الوزير الفرنسي قد تفوق على منافسه في ذلك راجع في هذا الموضوع

(1739م - 1796م) ممافسها لوزير شوارول بأنه «ملفن مصطلقى» ودفع بعض السياسيين المرسبيين إلى تناول هذه السياسة الجديدة بالنقد اللاذع الساحر، فعرض له فولتير Voltaire في 18 أيار 1770م قائلاً إن شوارول «صير فرنسا شيئاً من مصطلقى»⁽¹⁾. وتدل التقارير السياسية المحفوظة في وزارة الخارجية الفرنسية على أن شوارول وصع سصرف فرحين - سفيره في القسطنطينية - في سنة واحدة مبلغ ثلاثة ملايين فرنك لشراء موظفي الباب العالي⁽²⁾ واستخدامهم في تنفيذ ما تطلبه فرنسا من خدمات لقاء هذا الثمن. مع العلم أن فرحين المبعوث الملكي الخاص أصبح بعد نجاحه في مهمته سفيراً لفرنسا في القسطنطينية في المرة التي كانت فيها التحركات على أشدها في ولاية طرابلس لشام العثمانية، من أجل دفع السلطات فيها إلى استعمال قواها العسكرية وسلطانها لإدارية البدء بتحقيق المشروع المنتظر⁽³⁾.

شكل الواقع السياسي السائد في عاصمة السلطنة والقارب غير المسوق هي العلاقات الفرنسية - العثمانية الطرف المثالي للبدء بالخطوات العملية في تنفيذ المشروع الجاهر منذ زمن بعيد إذ إن النموذج الفرنسي ستمكن بسهولة من تمرير أي طلب يقدمه إلى دوائر الباب العالي وقد يسمين هذا الأمر بالأموال المتوفرة بمرارة والمخصصة لمثل هذه الخدمات

ومما زاد في قوة النموذج الفرنسي وتمردّه بالتأثير على دوائر القرار في عاصمة السلطنة وملحقاتها أن المناهج التقليديّة ندائم لسياسة الفرنسية هي الأسس وسائر بلاد الشرق، وهي بريطانيا، كان في حال نية استثنائية من تصف لا تسمح له ولا بوفر الوسائل ولا الدافع إلى معارضة السياسة الفرنسية والتصدي لها، لأن بريطانيا كانت قد خرجت لتوها من حرب السنوات السبع 1756م - 1763م «حائرة القوى، تروح تحت وطأة أزمات مالية وداخلية، وتجذر مرحلة صعبة من عدم الاستقرار السياسي وخلافات حادة بين مختلف مؤسسات الحكم والسياسة بما فيها الملك ومجلس العموم ومجلس اللوردات والحزب السيامية حتى أدّى تأزم الأوضاع إلى تعاقب عشر

(1) المصدر السابق، ص 21

(2) السياسة لدولية في الشرق العربي، حوري وإسماعيل، ج 1، ص 20

إن محفوظات وزارة الخارجية بباريس تتضمن وثائق عديدة وعلى غاية من الأهمية حول مهمة فرحين في الأستانة كمبعوث خاص للملك لويس الخامس عشر وكسفير لدى السلطان بعد ذلك

(3) أرسل فرحين بعد أن أصبح وزير خارجية فرنسا لرحلته ولأديب عوسبي في مهمة سياحية عامصة إلى انشراق Laroque p.x المقدمة وكان عوسبي يعتقد بروال الشيعة لصريب من لبنان

وزارات على الحكم في أقل من عشر سنوات (1761م — 1771م)، هبطوا البريطانيون على أنفسهم وانعزلوا عن محريبات السياسة الدولية العامة منصرفين إلى معالجة أمورهم الداخلية مصححين في المجال للفرنسيين بالتحرُّك بحرية غير محدودة في الاستئثار بالنفود وبالمصالح في طور الإمبراطورية العثمانية وعرضها بدون التحسُّب للمواقف البريطانية التي كان لها في الماضي حسابٌ كبير⁽¹⁾

في الجهة المعاكسة، كانت الدولة العثمانية تمرّ في أخرج ظروف بخطاطها وأقصى مراحل ضعفها، التي كانت قد بدأت تلوح في زمن طويل، فقد تجمّعت صدها عوامل خارجية وداخلية وصلت بها إلى حال من لُجج وتشرذم والصياغ سهّلت للنفود الفرنسي التحكُّم في أمور كانت في الماضي من محرمات على التدخل الأجنبي، وأجبرتها على الرضوخ إلى ما كان عسيرٌ عليها القبول به في أيام حروبها وكان مرحبين يرى في انهيارها خطراً على مصالح فرنسا⁽²⁾

كان الحلم الروسي القديم بالوصول إلى المياه لدافئة قد دفع كاترين الثانية إلى إرسال أسطولين روسيين كبيرين إلى المتوسط بقيادة الأميرال «سبيرتوف» Spirtof والبريطاني «إلفينستون» Elphinston لاضعاف نار لمسة في مصر وسوريا واليونان وإثارة المشاكل في وجه الدولة المريضة الضعيفة. فانتصروا على الأسطول العثماني في «حشمة» عند ساحل الأنابول (5 تموز 1770م) كما انتصر الحش الروسي بقيادة «رومانستوف» Roumanzoff على الصدر الأعظم في معركة «كاعول» Cagoul هسقطت مولداقيا وهلاكيا ووصلت لحيوش لعدوة إلى الدانوب وأصبحت اسطمبول نفسها مهددة بهجوم مباشر⁽³⁾ وهي حصّة هذه الانهزامات العسكرية، استقر علي بك الكبير في مصر متمرداً على السلطة المركبة في اسطمبول كما فعل صاهر العمر في فلسطين متحالفاً مع ناصيف البصار الرعيه شيعي العامل كذاك اضطرت الأحوال في الحجاز والعراق والشام، فحاولت الدولة العثمانية إيجاد حليف أوروبي لها فطرقت بدون جدوى أبواب النمسا وبروسيا ممّا اضطّر السلطان عبد الحميد الأول مكرهاً إلى توقيع صلح مجحف مع روسيا في معاهدة رفوحك فيرجيس في 21 تموز 1774م. يعترف فيها باستقلال شبه جزيرة القرم و«بصريا» و«كوبان» والتنازل عن امتيازات

(1) السياسة الدولية في الشرق العربي ص 21

(2) المصدر السابق ص 31

(3) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ص 530

هامة لصالح الروس في البحر الأسود وإعطائهم مركزاً حاصلاً في سائر أنحاء الإمبراطورية. فبدأ حينها أن طرد العثمانيين من أوروبا هي ممثلة وقتاً⁽¹⁾.

إن سقوط الإمبراطورية في أحضان ليمود الفرنسي المتصرد وهرائمه المدوية أمام الأساطيل والحيوش الروسية، و هتزاز تماسكها ووحدتها الداخلية وهتن الشائرين المتمردين والامصاليين الذين تمكنوا من إقامة حصور لدعم الروسي وأساطيله فأصبحت تتجول بحرية في المونى لقريبة من بؤر الانتماصات، وانكفاء بريطانيا القسري عن مسرح السياسة الدولية وحكام لدول الأوروبية الأخرى عن الوقوف المحدي مع الدولة العثمانية أمام المطامع لروسية و ليمود الفرنسي المستشري. كل هذه العوامل مجتمعة، خلقت واقعاً جديداً في لعلاقات لدولية وتحت وطأة الانتصارات الروسية والتمدد النمساوى والبلقاني، تراحت خيارات الدولة العثمانية المتقهقرة وأرداد اعتمادها على الدعم الفرنسي والخصوع لرعايته.

الوضع الكنسي

بعد كل هذه المسعجات بدا لأصحاب مشروع النهضة والمعتمدين له والساعين إلى حميمه أن الفرصة الذهبية المنظرة قد ذهب وأن الوضع الدولي الحالي يوهر أحسن الظروف لإطلاق المشروع إلى حبر التمسيد خصوصاً وأن الوضع الداخلي اللبناني قد حقق مند فترة طويلة وبالنسبة بعد مجمع للويرة الشهير - خطوات هامة وملموسة هي هذا الاتجاه.

قطعت عملية تحويل الكنيسة المارونية إلى كنيسة لائبية شوطها الأكبر في المجمع الذي عقد في دير اللويرة عام 1736 م. ويشكل هذا المجمع محطة هامة في تاريخ الكنيسة المارونية، إذ لم يسبق أن رعت لائبية مجمعا خطي بنفس الأهمية والخطورة باعتباره أول مجمع ماروني يقرّر شرعية تحويل لكنيسة المارونية إلى كنيسة لائبية تمارس الطقوس اللاتيني، والعادات اللاتينية التي قرّرها البابا «إينوسنت» الثالث في رسالته إلى بطريرك أرميا العمشيتي في لقرن الثالث عشر. كما ثبت هذا المجمع سيادة البابا على الهيئة الكهنوتية المارونية بما فيها البطريرك الماروني، الذي لم يعد بعده أكثر من «مطران روماني»⁽²⁾.

(1) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان ص 531

(2) الموارنة في التاريخ، متى موسى، ص 396

لقد تنازل البطارقة تماماً عن سلطاتهم القديمة التقليدية للبابا الذي انحصرت فيه وحده أكثر الصلاحيات الكنسية الهامة⁽¹⁾ ولكن القرارات التي تمنح السيادة المدنية عند الطائفة كانت أكثر خطورة وأهمية. فقد قرر المجمع تطوير الكنيسة المارونية، ورفع المستوى الثقافي للقيمين عليها، كي تتمكن من لعب دور سياسي قيادي، ضمن الطائفة، هي إطار خطة استهدفت تأهيلها لتبني مشروع قومي سياسي يسعى إلى استقلال الكيان الماروني في جبل لبنان، ضمن إطار مشاريع الحرية، ولا سيما المرنسية الطامحة إلى تقنين السلمنة واقتطاع قسم من أملاكها⁽²⁾.

لقد أصبح الإكليروس الماروني بمفصل مقررات مجمع الليرة قوياً منظماً نشيطاً متعلماً متحرراً من النفوذ الإقطاعي المسيحي، كما بات مدعوماً ومواكفاً ومرعياً وموجهاً من حاضرة الماتيكاز، ومنتشراً بالتالي بإمكانات كسبية ومالية وسياسية أكثر شمولاً. لقد تحولت الموارد بذلك من ملة إلى طائفة ذات سمية اجتماعية متحددة، وقيادة سياسية متطورة، وأفق سياسي واسع يتمثل بشعار «الإمارة المارونية هي جبل لبنان»⁽³⁾.

إن بدرجة الأهمكار القومية التي يمكن ملاحظتها مع كتابات المطران القلاعي والبطريرك الدويهي تقامت مع المجمع وودائع ثباتاً ورسوخاً، وأصبحت ترمي بدور مؤثرة إلى إحياء وطن ماروني مهتر عن محيطه يمتنع بالحماية التي منحها ملوك فرنسا وخصوصاً لويس الثالث عشر، ولويس الرابع عشر للأمة المارونية المتميزة عما يحيط بها من الأمم والطوائف⁽⁴⁾.

هكذا أصبحت الطائفة المارونية بعد مجمع الليرة تنظيمياً قوياً متكاملاً تدممه الكنيسة القادرة بعلاقاتها وتمكنة بأموالها التي ساهم الكرسي الرسولي بتنميتها عن طريق الهبات وصكوك العمران التي تجذب المؤمنين إلى الأديرة فتزداد الأموال عن طريق الخدمات الدينية المدفوعة لعامة الناس.

كما تمت ثروة الكنيسة، فقد ازداد عدد الكهنة، وأصبح لكل 200 ماروني كاهن يرعى شؤونهم، كما ازداد عدد الموارد - الذين لم يكونوا يريدون على أربعين ألفاً عند زيارة القاصد الرسولي إلبانو باتيست⁽⁵⁾ - إلى أضعاف هذا العدد في منتصف القرن

(1) المصدر السابق، ص 398

(2) مجمع الليرة العياش، ص 158

(3) مجمع الليرة العياش، ص 158

(4) المصدر السابق، ص 163

(5) المؤيد البابوي، سنة 1578

الثامن عشر كما أصدر قاضي طرابلس حكماً وفتوى قضت بأن البطريركة المارونية هي عريقة هي القدم وسلطانها شرعية مطقة، وذلك ردّاً على الشكايات التي كان رؤساء الكنائس المسيحية الأخرى يتهمون بها الموارنة⁽¹⁾

لا بدّ أن عرّابي مشروع التهجير والمتحسين له والمستعدين منه قد لاحظوا أن الوقت قد حان لتنفيذ ما ينتظرون منذ زمن ملاءمة الأوضاع لسيرته، وهي فرصة قد لا تتكرّر مرةً أخرى على الصعيد الدوليّ وما وصل إليه لصوص المرسّي والبابويّ الداعم لهذا التوجّه في عاصمة الدولة العثمانية الصغمة صاحبة السيادة على المناطق المستهدفة، والجمهورية الداتية المارونية بامكاناتها السياسية والمادية، وانتشارها في مناطق واسعة لم تكن تتواجد فيها قبلاً، خصوصاً وأنّ لعقبة الأساسية في وجه هذا المشروع وهم الحماديون والشيعة عموماً ليسوا في هذا الوقت بالذات في أحسن أحوالهم، هبدأت القبايات المارونية قتلهم الحماديين بالتعسف الشديد، وتسعى إلى محاربة نفوذهم بدعم مباشر من الفرنسيين ويقدر المصلح المرسّي استيل Estelle في تقريره بتاريخ 25 تشرين الأول أكتوبر 1702م عدد المقاتلين الموارنة بخمسة آلاف ممن هو فوق العشرين وفي ذلك إشارة واضحة إلى الدور المؤكول لهذه القوى المحلية في محططات الفرنسيين منذ مطلع القرن الثامن عشر⁽²⁾

هكاتب نقطة الانطلاق في هذا المحطّط على الصعيد المحليّ هي اختيار الأمير أو المرشّح المتيد الصالح للتحرك حوله وبسمة ولدفعه إلى مقدّمة الصفوف ليكون أول من تراه الأبصار ويتّجه إليه الأفكار بدون أن يكون له من الأمر غير ذلك الشيء الكثير وكانت الدولة العثمانية قد تمكّنت بعد حروب طويلة من إقصاء الشيعة عن عكّار والصنيّة وقد أنهكتهم الحروب المستمرة منذ عقود، وأدت إلى نقص ملحوظ في أعداد مقاتليهم وقد نجحت حملات من الإثارة الطائفية والإعلامية المتكرّرة والمدروسة في خلق عداوية بحوهم في بعض الأوساط المارونية، ساهم في إدكائها موجة عارمة مصنّعة من الشحن الطائفي، وأمال عريضة بالمعالم والأسلاب لوجّ بها ولاية الشام وطرابلس اعتماداً على فتاوى رسمية وشرعية تبيح الأنفس والأموال والممتلكات لكلّ من يشهر عداوة بوجههم ويشارك في قتلهم مع العساكر العثمانية المداهمة. وقد انتشرت بين العامة في هذه الصنرة أرحال شعبية على لسان بعض رجال الدين،

(1) ليد المارونية ص 67

(2) لحيور لتاريخية، مسعود صاهر ص 55، وميرير، مصلح لمرسي D D C. T1, P48

تدعو إلى معاداة الحماديين بالصرب على لوتر الطائفي الحساس وإثارة نغرات التعصب الديني السريع الالتهاب:

شماس يوسف هي الفتوح	من عدراس لتحوم نروح
وجرجس دمه يوم مفتوح	يطيب الخلاص من الحمادية
يعمر دينك يا نعلوس	حميت الصيغة بالدبوس
جامع رشعين هديته	وبرغرتا بق القوس ⁽²⁾

كما ترددت مآلعات وأساطير حول قيام المأثولة بإيداء بعض رجال الدين مثل مطران إهدن⁽³⁾.

وإمعاناً في إدكاه النور الطائفي تداول رجال الدين أخباراً عن تعرض بعض البطاركة لسوء معاملة من الحكام الشيعة، وشتتت روايات تاريخية عمّا تعرض له بعضهم من مصائب رسخت في أذهان العامة وتبقيتها المراجع دون تمحيص حتى صارت وكأنها من ثوابت التراث. ومن البطاركة الذين تناولتهم هذه المرويات، بوحن الحاحي⁽⁴⁾ 1445م — 1404م وجرجس عميرة⁽⁵⁾ 1644م — 1634م وأسطمان الدويهي⁽⁶⁾ 1670م — 1704م.

أثارت هذه المرويات شعور العامة، وأصبحت من الأدبيات التاريخية والتراثية المأروية تتناقلها المواربة دون إستاد أو اعتدع ولم تكن أكثر من أساطير وصفت من أجل عاية سياسية حان آوان تحقيقها.

يقول محمد جميل بيهم

إن الأسباب الحقيقية لإجلاء مشايخ ال حمادة عن هذه المنطقة تعود إلى أسباب داخلية وخارجية. فالداخلية تعود إلى سياسة ال عثمان ومدارها أنهم كانوا يريدون تحصيد شوكة كل أسرة يبدو خطرهما، فلما استفحل أمر هؤلاء إبان ما كانت فرنسا، ومن ورائها الفانيكان يريد إعماده الحكم للمواربة على تلك البلاد استجاب استامبول لبأريس، وكان لا بد لها أن تستحيب لأنها كانت بعد الانكسارات المتوالية في آخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر وذلك في الحروب المتصلة بينها وبين دول التحالف المقدس من جهة، وبينها وبين النمسا وروسيا من جهة أخرى،

(1) تاريخ لكور، ص 76.

(2) الجامع المصلى، الديس، ص 273

(3) مختصر تاريخ جبل لبنان، الميخائيل، ص 134

(4) نقودين هي العهد لشماني، شربل داعر، ص 121

(5) تاريخ العقورة الحوري لويس الهاشم ص 90

(6) ترجمة البطريرك الدويهي، مطران شيلي، ص 131

كانت لا ترى بداً من الارتقاء في أحضان باريس التي تظاهرت بمساعدتها، ولا ترى مناصاً في التالي من الإصغاء لصلائحها، وتحقيق رغباتها. وأما الأسباب الخارجية للقضاء على بني حمادة فكانت تعود إلى سياسة فرنسا وقتئذٍ بالاتفاق مع الكرسي الرسولي التي كان مدارها كسب لبنان لتحويله إلى الحظيرة المسيحية ابتداءً من أمرائه ليكون مركزاً استراتيجياً لحمه صليبية جديدة يراد بها استرداد البلاد المقدسة. وكان يشجعهم على الخصي في هذه السياسة نحاح مبشرهم وأنصارهم من الأعيان اللبنانيين في تنصير أولاد الأمير ملحم حيدر شهاب فضلاً عن الأميرة سحر الندي أرملة الأمير بشير بن حسين شهاب وهو أول الأمراء الشهابيين في الحكم على لبنان.

ومن هنا نرجح أن إجلال حمادة عن مصاطعتهم في شمالي لبنان، لم يكن يعود إلى الحور والعنف اللذين نالوا في نسبتهم إليهم، وإنما كان يرجع إلى رغبة فرنسا والمائكان في تبديل الوضع، وإلى تأييدهما لهما البار الأمير يوسف ملحم شهاب حاكم لبنان 1770م - 1788م، الذي كان يعد بإخلاص سياستهما التقليدية يؤيد ذلك ما جاء في كتاب السمعير بحبيب الدحداح، «تطور لبنان التاريخي»، حيث أشار في الصفحة 180 إلى أن هذا الأمير كان يتوسط بتطيرك الموارد اللبنانية لدى الكرسي الرسولي للحصول على رعايته ورعايته.

يقول هذا لا دفاعاً عن بني حمادة، وإنما بغية تصحيح ما التوى من التاريخ وما أكثر ما هي تاريخ وطننا العزيز من التواءات تعمل بصلاب الأهواء وقد أصبحنا على يقين فيما نقول حينما قرأنا عبارة جاءت عرضاً في مقال الأب بطرس الطياح المنشور في محله أوراق لبنانية في باب سنة 1957، ص 342 وهي «ثم عرض السمعاني على الكرسي الرسولي مشروع تحرير شمالي لبنان من ضغط الحماديين وهذا القول المنسوب إلى وثيقة وجدت في أرشيف مجمع نشر الإيمان بروما تدل بصراحة على أن إجلال حمادة عن الإقطاع الشمالي كانت تتبحة لمؤامرة عليهم دبرت في الداخل واستعانت بقوى خارجية على إقناع الباب العالي من أجل تنفيذها. وقد قام الممولى على طرابلس والأمير يوسف المشار إليه في تنفيد أوامر المتبوع بدار السعادة فحاصمتو أفندم دون أن يعرف باشا طرابلس وباشا استامبول شيئاً عن هذه المؤامرة التي كان مدارها التمهيد لإجلال كافة شيعة آل حمادة وأحزابهم المنششرين وقتئذٍ من طرابلس إلى جونية على مقربة من بيروت من تلك المنطقة بعية إصماء لون جديد عليها»⁽¹⁾.

(1) قوافل العروبة ومواكبها محمد جميل بيهم، ص 44-45.

الفصل السابع

الرجال الغامضون

رجل البروفندا

إن إحدى أهم الشخصيات المؤثرة و لماعة في دوائر الفاتيكان وهي أوساط الكنيسة المارونية في ذلك القرن، هو المطران يوسف السمعاني الذي أوهمه البابا كليمانس الثاني عشر مروجاً بكل التوبيخات اللازمة ليتكلم باسمه ويستعمل سلطانه في مجمع اللويزة بأعساره والابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني أول رؤساء بلاطنا ونحبيها وجليسا السمبر الملام لنا وحوله حتى ليس التاج هي المجمع تعريفا لسلطته،⁽¹⁾

ولد السمعاني في طرابلس 1687م مع ن عائلة من حصرون هي حبة شكري، وشأ في كنف عمه مطران المدينة الذي أرسله إلى روما وهو بن ثمان سنوات فبرع في العلوم الالهية والبشرية، ثم دخل في خدمة الدوائر لنادوة وترقى في وظائفها المختلفة حتى عين مستشاراً هي «مجمع بشر الإيمان المقدس» في مشاغل الكنائس الشرقية وهي المحاماة عن الإيمان الكاثوليك وشهره «البروفندا» وسماه البابا إكليمنتوس الثاني عشر في حوقة خدام عرخته، ثم في حوقة رؤساء عرخته سنة 1735م وصار بإمكانه استعمال التاج والمكار وبعد عودته من لبنان منهيأ قصده إلى مجمع اللويزة، عمل عند ملك إسبانيا كارلوس الثالث ثم أصبح مستشاراً في مجمع المحضر المقدس عند البابا بناديكطوس الرابع عشر. ثم سماه البابا كليمنتوس لثالث عشر عضواً في ديوان التوبة سنة 1759م، ثم (مهر داراً) - حافظ الحتم - سنة 1761م ثم مطراناً على صور 1766م⁽²⁾.

(1) مجمع اللويزة العياش، ص 27

(2) الجامع الفصل، المطران الديس، ص 93 كان لسمعاني مدير مكتبة لاتيكان جمع فيها أكبر عدد من المخطوطات الشرقية ومؤرخاً ترك أبحاثاً بالعربية و عبرانية و لركية و لمارسية والحيشية في مؤلف صحم عوايه «المكتبة الشرقية» لا يزال مصدر أ عياً بالمعلومات عن لكانس الشرقية، هليلب حتى معنصر تاريخ لبنان، ص 200



يوسف سمعان السمعاني

إن شخصية هذا الأسقف واهمية الوظائف التي شغلها قريباً من أحيار الكنيسة الكاثوليكية، وعلاقته التي اكتسبها من جرأ ذلك جعلت منه صاحب نموذج كبير وكلمة مسموعة عند مختلف الأوساط الكاثوليكية لصعده وفي الدوائر المايكانية في روما وعند أحيارها العصام، وخصوصاً في أوساط مجمع «لبروبندا» الذي تولّى إرسال السمعات إلى لبنان ورؤده بمشروع ضلحي شامل ووضع تحت كامل رقابته مقيداً شمعيد تعليمات «لبروبندا» في جميع خطواته هذا المجمع الذي يعد المرجع الرئيسي لأغلبية الخطوات الكسرة سي خطاها قدماً مشروع الكبار المنتظر منذ أولى بطلاقاته.

«البروبندا» Propaganda، أو مجمع نشر لإيمان المقدس، هو تنظيم كسي هام تأسس في عهد البابا غريغوار الخامس عشر جواً من أن تنسب إلى الشرق أفكار الإصلاح «بروسانت» الصاعدة في روما وعهد إليه بتسيق النشاطات الماتيكاسة في الشرق وخصوصاً لإدارة المباشرة للرساليات فيه سنة 1622م

وحد مجمع نشر لإيمان مقدس «لبروبندا»¹ هي الدبلوماسية المرسية الحليم «موي» والمحمس ليمد الأهداف المشتركة وقد احتل المصالح بالعواطف الدينية لدى ملوك فرنسا، ولا سيما لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر اللذين دفعهما حماس الدين إلى دفع رايات الكشك في الشرق واعلنا بصيهما حمايتها غير المنارعين

هذا الحلف الثنائي أدى إلى تنامي دور لرساليات في سوريا وهي سائر أنحاء الشرق تحت الإدارة المباشرة ل«بروبندا» وهي ظل الحماية العيورة من فرنسا بواسطة سميرها في الأستانة وقناصلها المنتشرين في كثير من المدن والموانئ.

وهكذا تكون تنظيم كاثوليكي عبر معلن مع فعالية والنمو والإمكانيات يرتكر إلى طاقات «البروبندا» الدينية والفوحيية، وإلى النمو لفرسي الفعل في الأستانة، وتمتد دراعه إلى سائر أنحاء الشرق وخصوصاً لبنان عن طريق لرساليات الأوروبية

(1) كان السمعات يقدأ في سياسة اللبانية الداخلية ومع الولاة العثمانيين حتى كان بمقدوره أن يوقف رحب جيوش الباشوات ويجري الصلح بينهم وبين الأمير محم بحضور ترجمان لقتضلية الفرنسية في صيدا

(2) ترد كلمة Propaganda، لإيطانية في بعض مصادر عربية بالالف أو تهاء في حرف أو بدوئها.

المنتشرة فيه، والكنيسة المارونية وغيرها من الكنائس الكاثوليكية، والقناصل المرسيين الساهرين على أهدافه وحمايته عناصره ووزارة العقبات أمام مهمة هذا التنظيم الرئيسية التي هي خدمة الأهداف الدينية ولبسيسة لمسيحي الشرق والمصالح البابوية والمرسية المتكاملة

إنّ هذا التنظيم صاحب السمود والقوة - غير المحدودين في مختلف وجوههما - هو الذي سيناط به تحقيق المشروع العتيق القاصي تهجير الشيعة من جبل لبنان وتأسيس إمارة مسيحية هي البلاد التي يهجرّون منها وسيكون رحل هذا المشروع في ذلك التاريخ الأسقف الماروني والذي يشكّل في الوقت نفسه جزءاً عضويّاً وتتميدياً هاماً من مجمع نشر الإيمان المقدس بوصف سمعان السمعاني⁽¹⁾ وهو الذي سيتولّى وضع هذا المشروع بصيغته التتميدية النهائية وإقراره والعمل على تحقيقه هي دوائر «البرويعة» وما تعنيه من اشراك القوى المتحدّة معه من نبوية أو إرسالية أو فرنسية، وما تمثله هذه الجهات كلّها من قوّة طاعية لا تقهر.

وحدث وثيقة هي أرشيف مجمع نشر الإيمان في روما «البرويعة» جاء فيها

«إنّ السمعاني عرّض على الكرسي الرسولي مشروع تحرير شمالي لبنان من صعد الحماديين ونولية ابن الأمير بشير الشهابي الأول عليه⁽²⁾ ويتطلب هذا المشروع خمسة عشر ألف سكودي روماني يدفعها الأمير بدل ولايته، أما الصمة فيمكن استدانها من التحار المربعة في بيروت وصيدا وحلب ويمكن أن يطلب الكرسي الرسولي إلى سفير فرنسا هي الاستانة أن يوصي السلطان بهذا الأمر»⁽³⁾

لا يختلف هذا المشروع في خطوطه الرئيسية العريضة عن الكثير من المشاريع المشابهة السابقة على امتداد نحو قرن من الزمن، والتي كشفت عنها، أم لم يكشف بعد، في أدرج مجمع الإيمان وممّاته في روما ومحفوظات وزارة الخارجية في باريس ووثائق الأرشيف العثماني هي اسطعمون ويمكن أن سمي بعضها من التي تناولتها هذه الدراسة بإشارة عابرة

(1) أصدر مجمع البرويعة، في 24 تموز 1735 م مقرر يارسال السمعاني إلى لبنان وكلمه بأن يرفع إلى الكرسي الرسولي وإلى البرويعة جميع الأمور الخطيرة المتعلقة بمجمع النورية أو غيرها وأن ينقيد بعلوماته في جميع خطوطه (المجمع اللبناني - ج 1، ص 3)

(2) أول من تنصّر من آل شهاب رمله بشير الأول سحر لدى أولادها وهم بيتان وصفي بعد موت روحه بشير وكان صديق المرسيين، ص 462

(3) أوراق لبيدية الجزء الثامن سنة 1957 م

* انتداب الإرساليات هي حلب الأب الكوشي سانت ايبيان وإيماده إلى أوروبا وتكليفه بجمع المال لشراء حكومة جبل لبنان وتأسيس دولة مسيحية فيه

* تبني بيكات للمشروع وتقديمه إلى مار رن مع لتوصيه باعتماده.

* رسالة البطريرك يوحنا الصمراوي إلى البابا سكندر السابع 1656م.

* إيمان المطران سركيس الجمري رسولاً من قبل البطريرك السبعلي 1657م.

* رسالة أبي نوفل الحارث، المدعومة من عدد من رجال الدين والمسيحيين، والتي تطلب من الملك الفرنسي مكاتب شريفة، إلى سميره في الأستانة «للمساعدة والتبرع بأثني عشر ألف غرش كصدقة على البطريرك والرهبان والرعية لتمويل هذا المشروع»

* المشروع المقترح من ناصيف الحارث سنة 1695م، إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بأن «يكون نظركم علينا ونكتبو مكنواً إلى السلطان ابن عثمان ليصدر أمراً شريعاً لولاية كسروان وحبل والمترين والجنة إلى ولد الولد . .»

تلقي هذه الاقتراحات والتمنيات والمشاريع جميعها حول الهدف الأساسي القاصي بإنشاء كيان مسيحي في شمالي لبنان بتمويل كاثوليكي، واعتماداً على نموذج الملك الفرنسي على السلطان العثماني، وتأثيره عليه لدفعه إلى تبني هذا المشروع ونحقيقه عن طريق المرممات السلطانية التي ينفذ مسمونها المسكر العثماني ولا يخرج مشروع السمماني - كما كشف عن حلاصته أرشف مجمع بشر الإيمان - عن الأهداف والمبادئ نفسها وإنما يشمل وتوصيح أكثر تحديداً، فهو يصرّح للمبادئ الأساسية الآتية

1 - تحرير شمال لبنان من ضغط الحماديين، لا تغيير الحكام فحسب، وإنما التخلص من وجود طائفة بأكملها حكاماً ومحكومين وهي متواجدة في معظم أنحاء شمال لبنان ومنتشرة في كل وديان وجروده لأن محرّد تواجدتها يشكل ضغطاً مقلقاً يقتضي التخلص منه ولو كان الطلب معتصراً على إنشاء كيان مسيحي أو تولية أمير مسيحي على هذه البلاد بحالتها الحاصرة لاكتفي بالقول «تولية حاكم مسيحي» أو «تغيير الحكام الحماديين» أو «استبد بهم» أو «تولية أحد أبناء الأمير بشير» بدون تحرير المناطق من ضغط يشكله وجود طائفة كامتها منذ مئات السنين.

2 - تولية ابن الأمير بشير الشهابي الأول، لأن الأمير بشير صديق الفرنسيين مات في العام 1706م. مسموماً بيد أقاربه فتصّرت أرملته سحر الندي وحاولت الهرب من

أهلها مع أولادها الثلاثة - وهم صبيّ وبنّان - إلى بلاد النصارى؛ فينشأ أولادها على دينها وكان انتها عند اقتراحه أميراً بصرانياً ما زال صبيّاً لم يبلغ بعد، لذا يسهل توجيهه وقيادته كما حصل مع لصبيّ شهابيّ لتتصرّ هي ما بعد الأمير يوسف بن ملحم.

3 - إن تمويل هذا المشروع يقع على عاتق اتحاد المرنجة الموحودين في بيروت وصيدا وحلب حيث يوحد قتاصل فرسيون وارساليات لاتيية ممّا يصمّم إقناع السجّار المرنج وحثّهم على تمويل هذا المشروع ندي لا بدّ أن يعود عليهم بالنفع الجريل في حال تنفيذه.

4 - إن الجهة الوحيدة التي تتحمّل كلّ مشقّات التمدد ومسؤولياته السياسية وأعماله المالية والعسكرية هي إدارة السلطان الحاصع لسمود والصعط المرنسيين، وهو الذي يمثّل برولاً عند إرادة السمر المرنسي هي عاصمته إنشاء الكنان المسيحيّ الموعود وتهجر قسم كبير من أهله وسكّانه إلى حيث تقدف بهم لحيوش العثمانية المظفّرة.

عندما وصل السمود المرنسيّ إلى درونه هي لأستانة ودخلت العلاقات المرسة - العثمانية عصرها الذهبيّ وأصبح السمود المنكيّ والسمير هي ما بعد دوهيرجس - أحد أهمّ أصحاب السمود السياسيّ هي عاصمة السلطنة بدا أن الظروف المثالية قد تكاملت لتحقيق مشروع تهجير الشيعة من جدر سنان واستغلال العلاقات المائنة بين لدولتين العثمانية والمرسة وإفادة من وجود هرجس وأمواله المحصّنة لشراء تعاون كبار رجال الباب العالي وتحاولهم مع أيّ طلب يصدر عنه أو أية قضية يرعب في بحقيتها وتمير ما يرى من مشروعات مهما بدت عسيرة المنال.

رجل الباب العالي

في هذا الوقت بالذات عصبت المصطبات العثمانية على ثورير سعد باشا العظم والي سيواس فقتلته بعد أن صادرت جميع أمواله وألقت القبض على أحد مواليه وتمّ نقله إلى القسطنطينية لتحقيق معه حول تركه سيّده الذي كان قد عيّنه متسلماً من قبله في حماه.

وصل المولى عثمان بن عبد الله الكرجي سجيناً إلى القسطنطينية وكما يحدث عادة في ظروف مشابهة، تعرّص لأساليب تحقيق فاسية عايتها الوصول إلى الإقرار بأموال

سيده سواء أكانت تحت يده، أو هي مكنية يعرفها، فتتصمى الدولة ما أمكنها من أموال
التركة كما كانت تفعل دائماً عندما تقتل حد كدار موطمياها المعضوب عليهم بعد
اتهامهم بأموال جمعوها بدون وجه حق خلال قيامهم بمهام في خدمة السلطان ثم
يفتكون بمن يعتقدون أنه قادر على إيصالهم إلى ما يطلبون من بين أعوان صاحب
التركة، أو أهله ورجاله، وقد يكون مصيره بعد ذلك لسجن وربما القتل إلا إذا أسعفه
حسن الحظ، أو تدخل فعال يحرجه من ورطته حياً وسليماً ولكن عثمان أدركته
«العناية» - كما يقول المرادي⁽¹⁾ عند وصوله إلى القسطنطينية فتخلص من مأرقه، وربما
هي عناية بشرية وحدث هي متسلم حمه السابق الذي يعاني من واقع مأساوي
فرصتها المناسبة لإنقاذه من مصير بائس تتأكد من حصومه لكل طلباتها وانصياعه
لرغبتها فسعت عند الدولة لإعطائه كمالة دمشق بثلاثة أطواي ووجهت له إيالة دمشق،
فخرج من السجن ودخل الشام والياً عليها في ثالث جمادى الأولى سنة 1174هـ
1760م⁽²⁾

إن الدور اللافت الذي قام به هذا الباشا عند وصوله إلى مركز ولايته وخصوصاً
تأثيره البالغ في مصير جبل لبنان والحماس الذي نداء بدون مبرر مقنع حيال أمور
محصر لبنانية، فلما تحمس لملئها بأمره فيه أو دمه ثم المبرلة الإدارية الرفيعة التي
وصلها بعد قليل في كل بر الشام - والمدة الطويلة (12 عاماً) التي بقى فيها في منصب
تولى عليه أربعة ناشواب في عام واحد حتى يستكمل خلالها تعيد مختلف مراحل
إنشاء وتثبيت واكتمال مشروع وضع الأسس لثبته لإنشاء الكيان المسيحي المأمول⁽³⁾

إن الظهور المباحث لهذا الباشا الجديد ونشك الاستثنائي الذي ظهر فيه وما قام
به من أعمال يلوح فيها الحماس والاندفاع في إنشاء إمارة مسيحية هي ولاية لسب
تحت سلطته، ولأمير لا يعرف عنه أو عن أعوانه شيئاً قبل ذلك، شير الاستعراب

(1) ثم يوضح المرحم ماهية هذه العناية ولم نجد مصدر آخر يفسر سبب لعمو المباحث عنه وبعبارة
باشا على الشام

(2) سلك اندر المرادي، الجزء الثالث، ص 156-157

كان عثمان مملوكاً كرجي الأصل (من بلاد جورجيا) عمل في خدمة أسعد اعظم وبعد فضله بدر إلى
علام العثمانيين عن محبتي موان سيده هقب بالنص في عين في 6 كانون الثاني والياً على طرابلس ثم
عمل في 6 تشرين الثاني إلى ولاية اشدم وحمه ابنه محمد كما عين سنة الآخر على صيدا

(3) إبراهيم وعلي واسماعيل ومصطفى، سنة 1705م ولم يكن ذلك مستمراً في عرف الإدارة العثمانية
D D C T3, P266 كان معدل بقاء ونفي اشدم في منصبه في تشرين الثاني لعمدين بولاية عثمان باشا

لا يتجاوز العام ونصف العام

والتساؤل عما إذا كان للصارم «مريح» ومودع وأمواله وأوامر مليكه والكرسي الرسولي دوراً ما في إقناع ولاية الأمر في اسطنبول بإخراج هذا الرجل من سجنه وتعيينه وئياً على دمشق ومنحه الباشوية بثلاثة أصوق، وإرساله بسرعة إلى مركز ولايته ليحقق مشروعاً مقررأً وحامراً منذ زمن طويل ويستظر نجاحاً من دوائر الباب العالي ووالياً متعاوناً متجاوباً في بلاد الشام يقوم مستعياً بسيف الدولة العثمانية وقوتها وإدارتها ومعتمداً على تأييدها أو إعضائها بتمير طسعة الحكم في مناطق هامة وواسعة من لبنان وتهجير بعض أهله وسكانه لدين عاشوا في ربوعه منذ خمسة قرون على الأقل.

رجال الرهبانيات

كان في انتظار ولاية عثمان باشا على الشام، أو أي ولى آخر يحركه الحماس والاندفاع نفسه لتمييز طسعة الأمور في شمال لسن، ثلاثة رجال من الموارنة قدر لهم في ما بعد أن يلعبوا دوراً معيراً في التطورات التي ستحصل في العقد المقبل وما يليه. وقد اتفقوا على إبحار أمر خطير مدعوعين بقوة جهات متعددة مؤثرة وباهدة، إن كان على الصعب المحلي أو في دواوين مراكز الولايات في الشام وطرابلس وصيدا وحتى في دوائر الباب العالي نفسها. وهؤلاء الرجال هم سعد الحوري ومبصور الدحداح وسمعان السيطار⁽¹⁾ وجماعة معهم أقل ظهوراً وأحب أثراً.

كانت المهمة الأولى أمام الرجال الثلاثة هي اختيار الشخصية المناسبة والاسم العائلي المقبول الذي يمكن أن يكون عنواناً للجهود والمساعي التي ينتظر أن تبذل في هذا السبيل، فمن الثابت والمعلوم أنه لم يظهر طيلة العهد العثماني وقبله في مقاطعات حبل والبترول والنجبة وهي حبل لبنان التابع لولاية طرابلس عموماً عائلة تولت الأحكام لحقبة ما، أو تميزت بالمكانة والوجاهة عن غيرها من العائلات المارونية الأخرى. فلم يكن لدى الموارنة في هذه المقاطعات طبقة تتقدم على غيرها كما هي الحال عند الدور في القسم الشمالي التابع لولاية صيدا وإن يكن قد ظهر في كسروان بعض العائلات القليلة التي كان أمير الدور يكلف عدداً من أفرادها مهمات صرائبية تقتصر على قرية واحدة، أو على عدة قرى. ولكنهم لم يلعو قط مرتبة العائلات التي يمكن أن ينقاد الناس إلى حكمها. فالموارنة بالرغم من كثرة عددهم لم يكن لهم حتى هذا التاريخ أي وزن سياسي فكانوا في جميع مناطق لبنان تحت سلطة الأحكام بروراً كانوا أم مسلمين⁽²⁾.

(1) المقاطعة الكسرونية، الحوري حنوي، ص 179 وسياتي تعريف الرجال الثلاثة وذكرهم مراراً

(2) سوريا ولبنان وفلسطين، القفصل بأريلي، ص 100

فلم يبقَ أمامهم إلا الاستعانة بتنصير أحد أفراد لعائلات المسلمة، ولم يكن هناك أكثر من عائلتين يمارسان الحكم منذ مدة طويلة ومتواصلة. وهما الحماديون في جبل لبنان والشهابيون في جبل الشوف وقد اعتاد الناس والحكام على طاعتها بدون تدمير بحكم الواقع والعرف وطبائع الناس.

كان أحد الرجال الثلاثة منصور بن يوسف الدحاح مدير الشيخ اسماعيل حمادة الذي أحبه كثيراً وحمله شيخاً على العاقورة وأنعم عليه بعقارات في الفتوح هي عين سحاح وعين الدلبه وعين حويا وعين الحصري وعين لغارة وكتب له بها صكاً⁽¹⁾ وولاه شؤون هذه المقاطعة وسياسة أهلها وحماية لأموال الأميرية فيها وفي جبل والنترول، وأعماه من جميع الأموال الأميرية هو وأولاده وخدمه وشركاؤه وحواشيته⁽²⁾، ولما مرض الشيخ اسماعيل أقامه وصياً على أولاده وأمياً على دخلهم وخرجهم حتى مات سنة 1762م فبقي ولده منصور وسليم مديرين عند أولاد الشيخ اسماعيل وأعموا عليهما بقريسي صفا والكمور، فكانت هتفا لمصور والكمور لسليمان⁽³⁾

من المعروف أن الشيخ اسماعيل توفي عن عدة روحانيات منهن سرية له منها أولاد فاصرون يقول الشدباوي إنهم هاسم وحسين ويوسف ويقول غيره إنهما ناصر ومنصور⁽⁴⁾ وبعد موته استمر مديروهم يعملون كما كانوا في خدمه أولاده وقد تنس هيماء بعد أن معظمهم كانوا من الصالحين سرأ في خدمة الحظوظ المعدي، وقد انحوا في بدر الشقاق بين أسيادهم بعد إحقاقهم في تنصير بعضهم أو أحدهم على الأقل

حدثت أمور هامة في هذه الأثناء لم تكشف كتب التاريخ عن كل تفاصيلها، فاكتمى الشدياق بالقول إن المدير منصور سفل خلاف والي طرابلس مع أولاد اسماعيل من زوجته ابنة عمه الحمادية وهم عبد الملك وعبد السلام وأبو النصر وأوعر إلى إحتوتهم أبناء السرية بالانقلاب عليهم، وكملهم مع أخيه سليمان عبد والي طرابلس بملع خمسة وعشرين ألف عرش فوجه إليهم الولاة إلا أن إحتوتهم تسلموها جبراً عن الوالي بعد أن قاموا بقتلهم. ورغم ذلك، فقد استدعوا منصوراً مرة أخرى لخدمتهم مديراً كما كان

(1) أخبار الأعيان ص 90

(2) تاريخ الكمور، ص 82

(3) أخبار الأعيان ص 91

(4) هما حسن وحسين حسب وثائق محكمة طرابلس شرعية سجن رقم 9، ص 80 سنة 1160-1747 وحسب التقيد المتواتر وهما ناصر ومنصور في تاريخ الكمور، ص 78

هو عددهم ثم فرّ إلى بيروت بابن أحد المقتولين ثم هرب إلى قبرص ليعود في العام التالي متحمساً للعمل مع سعد الحوري لمصلحة الأمر يوسف الشهابي مطالبين له بولاية بلاد جبيل مكان الحماديين⁽¹⁾ كما رويها غيره بطرق مختلفة، وما يرويه التقليد - الذي يبدو أنه أقرب إلى معطى الحوادث التي أعقبت بعد ذلك - أن المدبر معصور هرب بولدي اسماعيل القاصرين وأمهما إلى قبرص حيث حاول تنصيرهم⁽²⁾ وحصل على حلع الولاية لهما بعد أن دفع للباشوات أموالاً طائلة وحدث شفافاً عائلياً عميقاً انتهى بقتل الولدين المنتصرين ووالدتهما بعد عودتهم وهشت محاولة أخرى لمدبرين لتنصير أحد أولاد معصومهم والحصول على الولاية به لإحدى التعمير المنتظر الذي نجح في حيل الدور هي الفثرة بمسها تقريباً فاضطروا إلى بحث عن غلام شهابي قابل للتنصير ليكملوا به المخطط المرسوم.

كما تردّ في بعض التواريخ حول أحداث لغته نفسها أن شيعاً حمادياً من غير الحاكمين هو الشيخ فاعور حمادة هرب من أقربائه وانتحى إلى وادي شعور حيث كتب صكاً بارل بموجبه عن جموعه في الحكم وأملاكه لمصلحة الأمير يوسف وبقي هناك متحصراً وهي حادثة مختلفة من أساسها كما أظهرت الوثائق في مكان آخر⁽³⁾ رغم أن بعض المحدثين اعتبر أنها شكّل بداية دمة للأمر يوسف وتمنحه شرعية ومبرراً⁽⁴⁾ كما منح مؤتمر السبقانية المرسوم شرعية ورائة الحكم الشهابي عن المغنيين

بن مساعي المدبرين من آل الدجواح وما روي عن تنصير فاعور حمادة وهربه تدل على أن محاولات حرب لتنصير أحد الحماديين وربما العمل باسمه لتحقيق المشروع المأمول غير أن هذه المحاولات لم تؤدّ إلى أحد ما سوية مما مهد السبيل لفتى شهابي قبل أن يتنصر وبتحه شمالاً

(1) الشديق، ص 90 91

(2) كما حصل مع أرمنة بشير الأول

(3) أوراق لبنانية مجلد 1957م ص 292 ومصير لشيعه فاعور في فصل لاحق.

(4) جبيل والبترون ولشمال في التاريخ أبو عبد به ص 177

الفصل الثامن

تأسيس بيت مارون - الوطن القومي -

الأمير العنوان

بعد أن فشل محاولات عديدة لتنصيب أحد الحماديين من ذرية اسماعيل حمادة من أجل التحريك باسمه، وقع اختيار أصحاب مشروع الكيان الماروني من مؤسسات إرسالية ورهبانية - وعلى رأسهم سعد الحوري ورفقه - على فتى شهابي لم يبلغ بعد السادسة عشرة من عمره والثانية عشرة على قول هريه حيدر ليكون الحاكم المفضل على الكيان المنتظر عند تأسيسه. والعنوان الذي يتحركون باسمه، وقد تكون أهم الأسباب التي حسمت هذا الاختيار - بالإصافة إلى ائتمائه إلى الأسرة الشهابية - هي الآتية

1 - إن صغر سن الأمير العتيد تسمح بتوجيهه في الطريق التي يرسمها أصحاب الشأن لا سيما وأنه كبير إخوته وعلاقة أسرته مع أعمامه هامة بسبب خلافات على الإرث.

2 - علاقة الشماس "سعد الحوري بن الشدياق" غندور - وهو كان ممن حصروا مجمع اللويرة واستقبل المطران يوسف السمعي في سته هي رשמياً باحتمال عام⁽³⁾ - بالأمير ملحم وأسرته. وكان يرعى بعض شؤونهم، وهو حتماً على اطلاع كامل على

(1) رسمه المطران لحميل، سنة 1738م.

(2) رتبته كهوثية قد تعطى إلى بعض أعيان الفوارنة تكريماً

(3) آل الصعد، لحد ما طرد ص 33.

ظروفهم العائلية والمالية والدينية منذ أيام خدمته عندهم⁽¹⁾.

3 - كان الفتى يدعى بإرث والده «معتصب»⁽²⁾ فلا بد أنه كان يشعر بالمرارة حيال أعمامه وبقية أقربائه، لأنه حرّم من إرث أبيه في الحكم والمال لذا كان يتوق إلى كل ما يمكنه من استعادة ما يراه حقاً له، ويصع بمسه في بصرف أول حصة أو شخص يعينه على تحقيق إرثه

4 - لا بد أن السبب الأهم هو أن ولاد الأمير ملحم ربما كانوا أول من قبل أن يتصوّر من لشهاسين رعم أن يوسف - ون كان بصرايياً في الباطن أو يدعي البصرية - بقي يتظاهر بالإسلام علناً وخصوصاً أمام نواة العثمانيين ورحالهم⁽³⁾

5 - كان سعد هو الذي «نصّب يوسف ويقعده، ولم يكن هذا الأخير يحالقه في شيء أصلاً لما له عليه من حق لتربية»⁽⁴⁾ وقد بقيت هذه السيطرة الكاملة لسعد على الأمير حتى بعد أن أصبح حاكماً على جبل الدروز وعند وفاء الأول استبدله بولده عبود إلى أن شقّ الاثنان معاً

هي إحدى الدبابي اسل سعد، بعد أن وضع خطته، من رشعيا إلى بشامون حيث كان الأمير يوسف وأخوه وأمه عند قريتهم الأمير قاسم يحتمون من بعة عنهم الأمير منصور الحاكم، واحتلّ به وتمق معه على الذهاب سرّاً إلى دمشق على أن يجتمعا في حبّ الياس فيأتي سعد إليها عن طريق المموية وسكنها ويؤويه الأمير من طريق الباروك - عابا، وطلب منه أن ينظر بالذهاب إلى الصيد محدراً إياه من اطلاع أحد على هذا السرّ حتى أقرب الناس إليه⁽⁵⁾ وصل الاثنان إلى دمشق ودخلا على واليها عثمان باشا والتمسا منه المموية والخدمة، فأرسله باشا إلى ولده والي طرابلس محمد باشا، وأصبحه بكتاب مقتصاه ن بوليه ديار حبيب التابعة له فتخص من دمشق بهذا الكتاب وسار قاصداً طرابلس بعد أن تمق مع الشيخ كليب وخطار النكديس على ملاقاته في الطريق «فسار الجميع إلى اللاذقية حيث كان محمد باشا الذي تلقاه

(1) يمال إنه كان وصياً على تولاه يوسف وأحمد وقاسم وسيد أحمد وأهدي وحيدر

(2) آل المنعد خاطر ص 43، واشهبي ص 60 ويعول حيدر الشهابي في برهة الزمان ن عمره لم يجاور حينها الاثني عشر عاماً وربما يكون ذلك صحيحاً لأن بر بطة لعائليه بن الاثني عشر له معرفة حقيقة عمره قبل الآخرين

(3) D D C , T4 , P21

(4) بيان في عهد الشهابيين لشهبي ص 60

(5) آل السعد ص 45

بالقبول والكرامة وولاه ديار جبيل والبترون وأفرغ عليه الخلع⁽¹⁾ وأصبحه بعسكر لإنقاذ هذا الأمر⁽²⁾.

كان عثمان باشا قد باشر مساعيه المحيرة في لبنان حال وصوله من الآستانة وإبان ولايته على طرابلس، فقام باتحاد جميع التدبير التي تسهل الطريق أمام تنفيذ الخطة المبيتة بكسر شوكة الشيعة وإضعاف مقاومتهم قدر الإمكان عن طريق إرسال الحملات العسكرية المتواصلة، وإثارة الأهالي باستعمال الوسائل التي يملكها بحكم منصبه وشحن النفوس طائفيًا لإيجاد حو من العدو الماروني الشيعي حيث أصدر فرماناً غير مسبوق يقضي بهدر دم كل شيعي ومصادرة أملاكه، وإعطائها لمشايخ الحبة بعد أن حرصهم على معاداة الشيعة وقتالهم وأمدتهم بالمدحدر وأنحدهم بالرحال وسامحهم بالأموال الأميرية ورؤدهم بالمال وهو شيء قنما فعله باشوات طرابلس وبقية الولاة العثمانيين الذين عرف عنهم المصدرة على جمع المال من الرعة وليس العكس كما بلغ به الحماس حدًا أنه استحصل - وربما يحدث هذا للمرة الأولى في الولاية - على هتوى بأفدة من لدن الشرع الشريف تبيح لأي كان من الأهالي المتك بالمتاولة والقضاء عليهم بدون حرج، التزم الوزير بأن يعطي بينوردي بالختم الكسر إلى مشايخ الحبة وأهاليها أن جميع ما يقتلوا من المتاولة دمه مهدور والرق الذي لهم بكليك في الحبة يكون لمشايخها ملك⁽³⁾.

وبدأ الوزير يساعد أهل الحبة ويسعهم من نارود ورصاص وبرك ميري ومهما لزم لهم من الإسعاف وأخذ لهم على موجب ذلك أصلاً من الشرع الشريف⁽⁴⁾.

عمل الباشا الوزير على تأجيج مشاعر الكراهية بين الموارد والشيعة وإثارة عداوة دم بينهما يصعب تحاوزها، تمهيداً لتدخل لعسكر عثماني بعد أن تنتشر الفرقة والبعضاء بين الأهالي فيتمكّن المساكين بسهولة من تحقيق مهماتهم وإحلاء الشيعة، أو من تبقى منهم إلى السموح المشرقة في الحاد الآخر من الحال ليسهل على الأمير الشهابي الصني القدوم إلى إمارته بعد أن تمقد هسماً من سكانها ويثخن الباقون بالحراج، فيحكم براحة ويسر بدون عناء ولا معوقات.

(1) تاريخ الشهابي ص 62

(2) آل الصعد، ص 46.

(3) المختصر العيطلوري، ص 135.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها من المستهجن - يصدر هتوى شرعية عن مرجع ديني تبيح للدمي قتل المسم والامتبلاء على ملكه بدون مساءلة

تولت الأعمال القتالية والصدامات بين الحماديين وجماعة والي طرابلس وهاجم الحماديون بشرى مرتين في شهر واحد وسقط أعلىة بكاشية الباشا قتلى، كما سقط مقدار بن صالح من الحماديين إلى أن شعر الباشا بأن الوقت قد حان لتتولّى عساكره مباشرة معالجة الموقف وتنفيذ المخطط. سبت بعد أن تمكّن بمصاعبه من بشر الدمار والموت والنقصاء في كل أنحاء الشمال وخصوصاً في حبة بشرى. وكان عثمان باشا قد انتقل إلى الشام وحلمه ولده الممد لسببته في طرابلس كما تولّى ابنه الآخر درويش ولاية صيدا وناشر حربه الأخرى هناك على الشيعة فأصبح بر الشام في يد عثمان وولديه ليعقدوا المهمة الموكولة إليهم.

بعد هذه الحوادث الدامية، سبّر الوالي محمد باشا جيشاً على الحماديين من ثلاثة آلاف مقاتل. وقد قسمه إلى فرقتين إحداهما سارت على طريق الحبال والأخرى على طريق الساحل وغايتهما حبة المنيطرة معمل الحماديين⁽¹⁾.

وكان عقيد عسكر الحرد السيد وفا متسلم طرابلس ومشايخ الصنية ومقدم عدرا ومشايخ الحبة ومقدم قدموس ومعهم ثلاثة آلاف رجل برلوا على حبة المنيطرة بينما العسكر برل إلى المنيطرة ولكن المتأوله كموا له تحت المعيرة (قرب العاقورة) قرب النهر وقتلوا سبعة من أفرادهم وهرب الباقيون بعد أن حيم الاطلاق⁽²⁾.

نزل باقي العسكر على وادي الميحل والتقوا بعسكر الحبل وكان قائد حملة الساحل محمد كاحية الوالي والشيخ صاهر حاكم الراوية ويوسف الشمر ومعهم نحو ألف رجل حرقوا كل شيء حوالي جبل مزارع ولبثوا أربعة أيام⁽³⁾.

(1) تاريخ بشرى، الأب رحمة، ص 358

وأجهت بشرى هجومين شهيبيين سنة 1761م سقط في الأول بكاشي باشا طرابلس أما صاهر طوق ومعهم جبور حصرا وأبو رزق حجاج وحبور رحمة وأبو أنطونيوس سكر

وبعد شهر واحد يقول أهل الحبة أن ألمي مقاتل من متولة هاجموا بشرى وكان على رأس المداخمين ناصيف رعد وبن دحان لبارود وعشير الحبل حجاج بن شمس وعمر مدينة بشرى بدثار كثيف كما يقول الحوري يوسف القويهي وعصابة إهية، استظهر تعداد الحبة على العدو وفي هذه معركة سقط مقدار

(2) الجامع المفصل، المطران النديم، ص 274

أدخل والي طرابلس رجالاً من الأهالي مؤاربة في جده وعين عليهم ثلاثة بكاشيه وهم بشارة كرم من إهدن وأبو صاهر لهرز من بشرى وأبو الياس الفعريت من حصرون

(3) محضر تاريخ لبنان المصنوع في ص 136 و يضاف تاريخ بشرى، الأب رحمة، ص 361

(4) المصدر السابق نفسه.

لم تسمر حملات العثمانيين عن نتائج حاسمة وبقيت الصدامات على أشدها بين الطرفين.

وبدا أن هذه الحروب ليس لها آخر ولم يؤدّ توسط الأمير منصور إلى نتيجة تذكر. وعادت البلاد إلى عهد الحماديين ولكنهم لم يدفعوا شيئاً⁽¹⁾.

في هذا الوقت بالدات عبد يوسف من اللادقية ومعه هرمانات من الناشا بولاية جبيل والبترون والجنة وبصعة مزار من حد لثمانيين ويرافقه الرعيما الدريان كليب وحطار الكريان

إن الأمير الشاب المحروم من ارثه والذي لا يشعر بالأمان هي كسروان التجأ إلى عثمان باشا والي الشام الذي منحه حمايته ووعده بالمساعدة⁽²⁾.

في آخر شباط الماضي اتصل يوسف من عبد الوزير المذكور ومعه رسائل توصية إلى ابنه محمد باشا والي طرابلس الذي كان في اللادقية فأعطاه مقاطعات الحنة والبترون وحبل وبعد إقامة قصيرة في طرابلس وصل إلى جبيل وجعلها مقر إقامته ومعه أعداد من الدروز انضموا إلى الجيش⁽³⁾.

عما إن تولى يوسف على مقاطعة جبيل سنة 1763م. حتى تمكن الخلافة بيته وبين مشايخ الحمادية بسبب خروج هذه المقاطعة من أيديهم وكان الحمادية قد تولوا شؤون هذه المقاطعة منذ أواخر العهد المملوكي فعز عليهم التحلي عنها ويكاد عهد الأمير يوسف لا يعرف الاستقرار الداخلي منذ توليه على جبيل عام 1763م إلى حين تخليه عن الحكم نهائياً سنة 1789م. بل طعت عليه الحروب والاضطرابات والمنازعات الداخلية تجاه المقاطعاتيين وأخصهم بالذكر آل حمادة الشيعة، الحمادية، والمئات الثلاث الكبرى أي اليزبكية والحبلاطية والنكدية⁽⁴⁾.

ويقول الشهابي في العرر الحسان

«قدم مدينة جبيل وعمره دالك ست عشرة سنة⁽⁵⁾ واستمر فيها والياً وتقلد تدبير

(1) المصدر السابق نفسه

(2) تقرير الفصل العرسى في صرابلس دو سدي De lancey بتاريخ 15 أيار D.D.C., T3. P424

(3) المرجع نفسه

(4) التاريخ السياسى للإمارة الشهابية، عباس أبو صالح، ص 93

(5) لم تنق المصادر على حقيقة سن الأمير يوسف في هذا الوقت وإن كانت تجمع على حداثة وجاه في قول به كان في الثانية عشرة من عمره ولم يكن يعك من الأمر شيئاً (باريلي)

أموره سعد الخوري وجعل يقدم عليه من له من الأحراب في جبل الشوف وتوابعه فكثر أصحابه وأعوانه وارتمع أمره وشدته ومالت إليه أهل ديار جبيل فاستظهر على أصحابها الحمادية وأقام معهم الحرب والقتال أياماً وجرت له معهم مواقع شهيرة وكانت العاقبة له حتى أصعبهم وقهرهم وكان مرة يفهرهم بالسيف وتارة يصطلمهم بالعصا والصلاة ومرة يذلهم بوقوع لمتة بينهم ولم يرل على ذلك حتى أفتى أكثرهم وأدل باقيهم وكان الشيخ علي جببلاط و الشيخ كليب تكديبعثان له بالسرايا والحبوش من رجال الشوف والمناصف وبعد وفاة خطار بقي الشيخ كليب متحداً مع الشيخ علي جببلاط بالميل والمحنة لجهه الأمير يوسف وأمداه في رجالهما كثيراً⁽¹⁾

يقول لحد حاطر

«عندما نولى الأمير يوسف منطق جبيل والمترون بتدبير مستشاره الأول سعد الخوري ومستشاره الثاني سمعان المنطار حفول هذان إعادة الحماديين إلى الرشد بالبوذة والحسنى ولكنهما ألباهم يردانون طعياً ونعياً ويلحاون إلى جمع رجالهم ويستريحهم ولتظاهر بالتمرد والعصيان، وعندئذ عمد الأمر ومستشاره اجتماعاً درسوا فيه أمر الحماديين وقرروا تأليف جملة قوية تعمل على تأديبهم وكبح جماحهم بقيادة الشيخ سعد

ونالت الحملة من فرقة نظامية استقدموها من طرابلس ومن متطوعين جاؤوا بهم من الشوف والمناصف والحدرد ومن رجال المنطقة من كسروان وبشري واهدن⁽²⁾»

ذكر الأمير حيدر في «نزهة الرمان»:

«كان محمد باشا بن عثمان باشا، لكرجي نائباً على طرابلس، فأعطى عثمان باشا الأمير يوسف كتاباً إلى ولده محمد باشا أن ينعم عليه بحكم بلاد جبيل فتوجه يوسف إلى طرابلس وواجه الشيخ كليب من حاصبيا فالتقى به في الطريق وبعد وصول يوسف إلى جبيل أتى إليه أكثر مشايخ بلاد الدروز ولأن له من العمر اثنتي عشرة سنة وإنما سعد الخوري كان يدبر أموره⁽³⁾».

(1) تاريخ الشهابي، ص 62 ط. بيروت

(2) آل انسعد في تاريخ لبنان لحد حاطر ص 49

(3) نزهة لرمان، حيدر لشهابي، ص 940 (ط. مصر)

من الواضح أن عثمان باشا وأولاده ومن يقف إلى جانبهم ووراءهم كانوا ينمذون المهمة الموكولة إليهم بشمولية ودقة ليستا من عادة الباشوات العثمانيين الذين عادة ما تنحصر اهتماماتهم بتثبيت سلطانتهم وتأمين أموالهم التي تُجلب باسم السلطان وتحصيل ما تيسر من عائدات تؤمنها امتيازات لمنصب قبل انتهاء أمد ولايتهم أو نقلهم إلى منصب آخر غير مضمون العائد والأمن لقد ستملوا كل إمكانيات السلطات المتاحة من إدارية ومالية وشرعية وعسكرية لتمهيد وإزالة كل العراقيل التي قد تحول أو تؤخر أو تعسر تأسيس كيان أحادي الطائفة وتنصيب حاكم جديد على رأسه وحلق واقع مستحدث على أنقاض مجموعة من الأوضاع التي ترسخت على امتداد قرون متلاحقة. فشرعوا القوانين واستصدروا المصاوي وسلوا طاقات الولاية وإمكانياتها المتسوعة والمعقدة وسيروا الحملات والحيوش لنظامية يتمكن الأمير المتي وهرأبوه المستقلون من الشوف إلى دمشق وإلى اللاذقية فطر بس من الدحول إلى حبل بدون مشقة أو معوقات.

وهد سبق هذا الدحول تنميد خطة محكمة شاملة رسم إلى إيجاد الظروف المناسبة والمساعدة له من خلال مجموعة من العوامر والمستجدات التي تعتبر بكل المقاييس نوعاً من انقلاب جذري شمل ميطمه واسمعة من أجل لسان على الأصعدة السياسية والاجتماعية والطائفية والعسكرية، لسلح أنحرز الجنوبي من ولاية طرابلس، وإقامة كيان خاص على أنقاضها لا يقتصه إلا الاستحصال على موافقة السلطان لدفع رسومه مباشرة إلى الأستانة دور المرور بسلطات الولاية - وهذه على كل حال كانت المرحلة الأخيرة من المخطط - ليصبح صورة مكررة عن الكيانات البلقانية التي قامت على أثر المعاهدات العثمانية التي أبرمتها السلطنة مع بعض القوى الأوروبية بعد حروب أو مفاوضات حاسرة على أنقاض الولايات العثمانية القديمة

استمر تنفيذ هذا المخطط المدروس جيداً وبعمق وببداً عن الارتجال والآنية، والذي يبدو واضحاً أن جهات قادرة ومجربة وحبيرة قد ساهمت في وضعه وإقراره. ولم يبق على الوالي العثماني إلا التنفيذ - عن معرفة أو عن عدم تبصر أو عدم اكتراث بنتائجه الإنسانية والسياسية الخطيرة - تحت المناوئين لشاررة الآنية

1 - خلافت حمادية: تستطيع السلطة العثمانية، عن طريق إصدار فرمانات التولية على مقاطعة ما، أن تسيء استعمال هذه السلطة بإصدار فرمانات متعددة لأكثر من شخص بالولاية على المقاطعة نفسها وأن تدر الخلاف بين الأشخاص المعنيين

لتصارب الصفة. وقد عمدت إلى هذه وسيلة بين فريقين من الحماديين، ويبدو أنها نحتت بإحداث خلاف بينهم وذلك في عهد عثمان باشا وهي مستهل عهد ولايته مباشرة قبل انتهاء محاولته الهادفة إلى تمييز المحطط المعروف في سنة 1759م. انقسموا جوفتين فحاربوا الشيخ عبد الملك والشيخ جهجاه وأطلقوا الخلاف (استحصلوا على الولاية) وحكموا جنة بشري وركروا في إهدر وراحوا الشيخ أنو حسين صالح والشيخ سليمان بن أبي قاسم والشيخ حسن بن أبي نايف جانبوا الشيخ أبي النصر وركروا في قرية حصرون⁽¹⁾.

يتحدث العيظوري عن خلاف وقع بين فريقين من الحماديين في لجة فاستنجد كل فريق بجهة سنده من حكام حبل و لترون ممّا أعطى الخلاف طابعاً شاملاً بسبب سياسة الوالي هي إصدار المرممات بطريقة تساعد على بدر الشقاق بين الأقرباء على العكس ممّا لو أعطى الوالي حلع الولاية إلى أشخاص عرباء، فمن شأن ذلك ترسيخ التقارب والوحدة بين أبناء الجماعة لمواجهة لخطر لأجنبي وهذه قاعدة عامة ترعى في الأحوال والظروف جميعها، ففي المثرة نفسها كان الخصام بين لإخوة الشهابيين ملحم وأحمد ومنصور هو محور السياسة في حل الدروز منذ أعوام طويلة، كما أن يوسف بعد أن أصبح حاكماً سيصفي إخوته وعدداً من أقاربه جوداً من مباحسته على النموذ والسلطة.

2 - الشقاق بين الموارنة والشيعة، عندما فشل المراع الذي بدره الوالي بين الحماديين في الوصول إلى نتائج هامة عمد إلى حظه أكثر حطراً، وأبعد أثراً وذلك بإيقاد الفتنة الطائفية بين الموارنة و شيعة، فعمد إلى استقدام مشايخ القرى الدين أحامهم الحماديون متسلمين من قبلهم فكانوا بطبيعة الحال من أنصارهم وأتباعهم، وأعراهم بالمساعدة و مال والحكم ووعدهم بأن يوثقوا الأحكام مكان شيوخهم الشيعة وأعطاهم الترام البلاد وترك عنهم نيري ورودهم بالسلاح والعسكر وطلب منهم الاشتراك في مقاتلة حكامهم السابقين مشجعاً إياهم بأن من يقتل شيعياً فلا جناح عليه بل يرث ررقه وأملاكه كما أن أملاك الشيعة تكون لهم في حال مقتلهم أو تهجيرهم. فكان من الطبيعي أن يسعى كل مسيحي إلى الاستحواذ على ما قد يتركه لشيعة من أملاك ما دامت الدولة هي حاسهم تشد زرعهم وتشرع لهم ما قد يقومون به في هذا السبيل.

(1) المحتصر العيظوري، ص 132

لا شك أن عثمان باشا وجماعته كانوا لا يجهلون عجز الأهالي عن مواجهة الحماديين في القتال، ولكنهم سعوا لتوريحهم فيه لحلق المشاحبة والبعضاء والأحقاد بين الطرفين مما يخدم بالنتيجة المحطوط الموصوع وإذا كان تأثير الأهالي الموارنة في القتال محدوداً، فإن المهمة سيقوم بها العسكر النظامي في الوقت المناسب إلا أن لجوؤ النفساني الذي أحدثه هذه الفتنه المصطنعة قد ساعد حتماً في وصول المحطوط إلى هدفه المشود خصوصاً وأن كثيرين من بين مشايخ القرى الموارنة المدفوعين إلى المواجهة قد سقطوا قتلًا وحلّهم من عائلات مرموقة وكثيرة العدد. مما رسّخ الحقد في الصدور ودفع المشايخ الحدد إلى حشد أكبر عدد من جميع أهالي البلاد وأقسموا اليمين في كنيسة إهدن على الضرب والإجبار بأن يقاتلوا لطرده المتأولة واستئصالهم بعد أن (مسكوا) واحداً منهم وشارك الجميع في قتله.

3 - بيلوردي⁽²⁾ بالختم الكبير بهدر دم المتأولة والاستيلاء على أملاكهم

بيلوردي مع الختم الكبير هو تعسر إداري عن الأمر الصادر من ديوان الصدر الأعظم⁽³⁾ ويحمل حاتم هذا الديوان. وهو كما لا يخفى - أمرٌ محالف بمضمونه وطبيعته ليس للصابون والعرف العثماني محض وإنما لشريعته الإسلامية وللقانون الطبيعي وسائر القوانين الوضعية، فلا يكون إهدار لدم عامٍ مطلقاً دون حصر أو تعين ولا يعلم إذا كان بيلوردي آخر مشابه قد صدر عن الدولة العثمانية في مناسبة ما بإهدار دم شعب أو طائفة أو جماعة بدون حريمه أو معصية سبب اليها⁽⁴⁾، وهي عاب قاصر أو عالم رأى لها مبرراً أو مصلحه شرعية وقد حرص عثمان باشا على إصدار هذا الأمر ليلقي الحسرة والشجاعة في قلوب من دفع بهم إلى القتال بحاجب جنوده وبث الرعب في قلوب الشيعة من جهة ثانية ليركعوا إلى المراز أو الانتقال إلى مكان آخر، فتتم غايته هي تهجيرهم، لأن هذا الأمر لا يمكن أن يكون نه معقول في منطقة أخرى خارج المناطق المستهدفة وليس من المعقول أن يطبق هذا الأمر على المتوالي في حل عامل الخاص مع لولاية صيدا أو في بعلبك الحاصصة لولايه دمشق. كما أن من شأن هذا القرار الجائر

(1) الجامع المفصل. المطران دهن، ص 274

(2) مختصر تاريخ جبل لبنان، الميخائيل، ص 135

Bouyouurldi واللمظة تعني كل أمر صادر من صدر الأعظم وعن الوالي (معهم الدولة العثمانية،

ص 37)

(3) الصدر الأعظم في حينه هو محمد رابع باشا، 1756م - 1762م، في عهد السلطان مصطفى الثالث

(4) هذا البيلوردي يختلف عن المتأولة الشرعية التي كانت تصدر عن المراجع الدينية في اسطنبول بموجب قتل الشيعة عموماً بسبب هرطوتهم فهو محصور بالشيعة لقيم في منطقة معينة ومحددة بدون ذكر العلة الشرعية

أن يدفع الشيعة إذا احتاروا لمواجهة إلى الاستماتة في الدفاع عن أشخاصهم وأملاكهم، والمبادرة إلى الهجوم للدفاع عن النفس، وهذا هو بالفعل ما قاموا به في عدة حملات على البلدات والقرى المستنصرة لقتالهم كما فعلوا سنة 1761م. إذ قامت جماعة منهم بعد أن انصم إليهم أناس من حصرون وأهل بشري «فدخلوا بشري وبقرقاشا وخرّبوا قاطع حصرون وأحرقوا ايطو وكر مسده وسبعل»⁽¹⁾.

كما أن تمليك أوراق الشيعة لغيرهم بدون أي تصرف باطل للملكية هو محال لكل القواعد المرعية حتى في أقصى عهود الدولة العثمانية، لأن أحكامها تقضى في شأن الأراضي التي استولى عليها عبوة - من الأعداء - أو التي حلا عنها أهلها أو مات المنصرف بها دون وارث أن تعود بحسب الشريعة الإسلامية إلى بيت المال وتقوّم إلى متصرف جديد يحييها ويررعها⁽²⁾.

يقول صاحب تاريخ بشري:

«وضع المشايخ أيديهم على مكائيك المتأولة واستمروا على ذلك نحو مئة وسنتين إلى سنة 1861م الزمن الذي كُفيت فيه الإقطاعات بحكم نظام لبنان الذي سنته الدول السب مع الدولة العثمانية ومن ثمّ صالح المشايخ أهل المرى على حموقهم فيها وابتاعوا منهم تلك الحموق»⁽³⁾.

إن الأراضي التي استولى عليها بموجب بيوردي عثمان باشا، أو تصدر الأعظم في أيامه بقيت تثير مشاكل شرعية وقانونية مدة طويلة لا زالت بعض آثارها محل نقاش وخلاف حتى اليوم.

4 - فتوى من الشرع الشريف: سعى عثمان باشا فاستحصل على فتوى ناهدة من لدن الشرع الشريف تمكّن من يشاء من الملك بالتأولة والتقصاء على حياتهم قياماً بالمهمة الموكولة إليهم من أصحاب الشأن أو بدون توكيل وبمجرد الرعية الدائنية وحدها. قام عثمان باشا - تشبهاً للبيوردي - بدفع المعنيس لإصدار فتوى بالمعنى نفسه تؤكد على هدر دماء الشيعة والاستيلاء على أملاكهم⁽⁴⁾. وتدكّرنا هذه الفتوى بفتوى أخرى

(1) العنطوري، ص 136

(2) أشكال الملكية، عبد الله سعيد، ص 162

(3) تاريخ بشري، الأب رحمة، ص 361

(4) تاريخ بشري، ص 356

لم يصل البحث عن مثل هذه الفتوى في سجلات محكمة صراييس الشرعية إلى العثور عليها

أصدرها الإمام ابن تيمية قبل أكثر من أربعة قرون وكانت مقدمةً وبتبريراً لحملات الجيوش المملوكية على كسروان، والتي انتهت بهجير الشيعة منها أو قسم كبير منهم. إن هتوى ابن تيمية تستند إلى اعتبار الشيعة كفراً مرتدين خارجين عن السنة والجماعة مشارقين للشرعة والطاعة⁽¹⁾ ولكن لصوى الجديدة لم تعلق أهمية كبيرة على المجرى الشرعي والرأي الملزم الذي أوجب صدورهما.

لا ندرى ما بصّت عليه هتوى والي طرابلس ولكن لعاية منها بدون شك إعطاء بعد شرعي وديني لحملة تهجير الشيعة من جبل لبنان، وذلك منعاً لما قد بثّره القيام بها من تساؤلات واعتراضات عن سبب قتل مجموعة من الرعية وحرّاحهم من ديارهم والاستيلاء على أموالهم وأموالهم وهي هذه مخالفة صريحة لمبادئ الشرع وسياسة الإسلام.

قد تصدر الصوى الشرعية بإعلان الجهاد تدعو المسلم إلى قتال الكافرين دفاعاً عن مصلحة شرعية أو سعياً لتحقيقها وقد سبق وصدرت مثل هذه الصوى هي عاصمة لسلطنة تعبّر شيعة جبل لبنان كمارا وأرفاضا وهزلناش، بوجب على ولي الأمر قتالهم واستئصالهم وتطهير الأرض منهم⁽²⁾. أما أن تصدر هتوى تسيح دماءهم وأموالهم لمن يعبرهم الشرع العثماني دميين يخصعون لأحكام خاصه، فهو أمر له دلالة البالغة خصوصاً وأما لا يعلم إذا كان قد صدر هي لبنان أو هي غيره من البلاد الخاصة للدولة العثمانية هي تشابه هذه أو تماثلها هي مراميها وأهدافها وظروفها طيلة القرون الأربعة التي استمر فيها الحكم العثماني

مهما بلغت سلطة الكرّحى وأولاده وقوة بمودهم، فلا يمكن أن يصدر بيلوردي عن الصدر الأعظم وهوى شرعية من الجهات الرسمية يهددان للعائنه نصها هي أمر خطير مثل هذا، إذا لم تكن الأوساط البائدة على أعلى المستويات هي دار السلطنة تشرب على تنفيذ هذه السياسة وتدعمها وتوافق على إمدادها بأسباب النجاح والاستمرار

5 - تعاون الولاية الثلاثة، لا بدّ من تساؤل هنا عما إذا كانت الصدفة وحدها

هي التي وضعت عثمان باشا وولديه محمد ودرويشاً على رأس الولايات الثلاث التي يدخل لبنان بدرجة متفاوتة ضمن المناطق لتابع لها وهي وقت واحد⁽³⁾ هو الوقت الذي

(1) إن عقابهم في هذه الحالة يمحصر بولي الأمر وهو من المسلمين ومنصفهم

(2) راجع فصل الحرب المقدسة بين الشيعة والعثمانيين.

(3) ربما كان وجود آب وولديه على رأس الإدارة هي الولايات ثلاث التي يدخل لبنان هي نطاقها هو وضع غير مسبوق هي تماثل الإدارة

يفقد هي أثنائه مشروع دولي ديني تدعمه أهم القوى البائدة في عاصمته السلطنة وقوى محلية أخرى لها وجودها المؤثر وامتد بها النفوذ في الولايات الثلاث. إن عثمان باشا هو الذي استقبل يوسف الشهابي في دمشق بدون مقدمات وألقى عليه ظل حمايته ووضعه على أول الطريق نحو الهدف وولده محمد هو الذي منحه ولايات لبنان الشمالي قبل أن يمنحه في ما بعد الولد الآخر درويش ولاية جبل الدروز. جعل الثلاثة منه أول أمير مسيحي أو متظاهر بالمسيحية يصر إلى رأس هرم السلطة وأول من حكم جبل الشوف وجبل لبنان بعد ذلك في آن معاً وهي لصدة وحدها هي التي وضعت الناشوات الثلاثة بمواجهة لمصائب الشيعة في جبل لبنان وجبل عامل في الوقت نفسه تقريباً فيصطر درويش باشا إلى الهرب من صيدا بعد معركة البحرة وكفر رمان ويفر والده ناحياً بنفسه بعد أن حصر كمر جيشه المؤلف من عشرة آلاف مقاتل على صماف بخيره الحوثة ويجمع محمد باشا ما قدر عليه من الحشد والعسكر لينشر القتل والحراب في ديار الشيعة في جبل لبنان.

6 - دور الدروز في تهجير الشيعة: إلى جانب لقوات النظام العثمانيه والمقاتلين الموالية الذين اعراهم والتي طر بس بالثغرات المادية ورؤدهم بالسلاح والبارود والتماده العسكريين لعب الدروز دوراً رئيساً وأساسياً في مماثلة الشيعة وتهجير المحطط التهجيرى وربما عن غير قصد. وذلك على امتداد فترة متمادية كان المقاتلون الدروز سواهدون فيها على شمل لبنان من الشوف والجرود والمناصف وبقية المناطق الدرزية للقتال تحت راية الأمير يوسف وسعد الحوري فكان على الشيعة محاربة تحالف ثلاثي مؤلف من القوات العثمانية والمفتين الدروز وما يمكن والتي طر بس والمجموعة التي تدير الأمور باسم الأمير يوسف من حقه من كرحال الموالية وخصوصاً من أهالي حبة بشري. ولا بد من التساؤل أيضاً عن سبب الحماسة التي اظهرها الدروز في الاشتراك في هذا المحطط ومشاركتهم في القتال منذ اللحظة الأولى وما هي القوة الدافعة التي كانت تقف خلف هذا الحماس وهل إن مساعي سعد الذي كان يرور الشيخ علي جنملاط والشيخين كليب وحطار الكديس معتمداً على حسن نيته وعدونه حديثه كافية لاستمالتهم إلى جانب معدومه كما يرى أحد المؤرخين⁽¹⁾ هي المختارة مقر الجنبلاطين وضعت المخططات التي أدت في النهاية إلى أن يستأنف يوسف الابن الأكبر للأمير ملحم حمل السلطة⁽²⁾

(1) ال السعد، جاطر، ص 42

(2) جبل لبنان، نشرشل ص 95

هي هذه المترة كانت السلطات التركية فرحة لرؤيتها نوعاً من الوفاق والوحدة بين الموارنة والدروز، لأن التعاون الماروني الدرزي كان ضرورياً لكسر شوكة المناوئة الدين كانوا حتى الآن يصرصون أوامرهم، ويوحدون أنصارهم حولهم⁽¹⁾. فهم ينظرون إلى الأتراك نظرة شك وارتياح وليس خصوصاً عليهم للسلطان إلى يومنا هذا إلا خصوصاً رجياً لا يؤمنون به⁽²⁾.

إن التعاون الماروني الدرزي كان ضرورياً لكسر شوكة المناوئة الدين كانوا حتى الآن يصرصون أوامرهم ويطلبون مساعدة كل من حولهم من أنصار لهم. وكانت السلطة التركية فرحة لرؤيتها نوعاً من الوفاق والوحدة بينهما⁽³⁾.

في طريق عودته من دمشق التقى الأمير يوسف بالشيخين النكديين الذين رافقاه إلى اللاذقية ثم دحلاً معه إلى حين برفقتهم عدد من رجال الدروز ما لست أن تريد بالجيوش التي كانت تعد إلى حبل من الشيخ علي حبلاط والمشايع النكديين، والتي سميت شوادة لمدة طويلة كما يؤكد الأمير حيدر في عمره والفصل المرسى في تماريره الدبلوماسية.

عاد النكديان مع الأمير يوسف من اللاذقية وبخلاً معه إلى حبل هاقماً بصعة أشهر مهداً له الأمور وبعد ذلك عاد إلى ديارهما وحلاً بمرسلان الرحال إليه شدة لأمره⁽⁴⁾ بدوره الشيخ علي حبلاط - وأكثرية معتمديه من المسيحيين - كان يرتاح وطمأن للامير يوسف⁽⁵⁾ وينعت له بأسراب وحيوش وبعده كثيراً في الرحال⁽⁶⁾.

وبعد وصول يوسف إلى جيل أتوا إليه أكثر مشايخ الدروز⁽⁷⁾

(1) جبل لبنان، تشرشل، ص 97

(2) المصدر السابق ص 101

أقام المناوئة في شمال لبنان أواخر القرن السابع عشر وتراجع الموارنة أمامهم تدريجياً ولكن في عام 1762م شن الموارنة بمساعدة الدروز حرب استقلال حقيقية لاستعادة مناطقهم مهاجر المناوئة إلى الساحل الأخرى من لبنان أو إلى الجنوب في منطقة صور

Traditions Françaises, P 203.

(3) المصدر السابق، ص 97

(4) الشهادة والأقطاعين الدروز، سيب بكت، ص 131

(5) لبنان وسوريا وقلعطين، القصص باريلى ص 64

(6) تاريخ الشهابي، ص 62

(7) نزعة الرمان حيدر شهاب، الجزء الثاني، ص 941

لم ترودنا المصادر المتوفرة بعدد الدروز الذين شتركوا في حرب التهجير والإبادة التي شنها التحالف الثلاثي على الشيعة ولكن انعماس أكبر زعماء الدروز هي هذا الصراع وطول المصرة التي كان المقاتلون ينوهدون فيها إلى ميدان المارك في شمال لبنان وقدره الدروز هي العادة على تحنيد عدد كبير من المقاتلين تدل على أنهم ربما كانوا من العوامل العسكرية الحاسمة في نتيجة لصراع الطويل ولا سيما في مراحله الأولى. خصوصاً وأن الأمير يوسف سيتمكن بعد أن أصبح أميراً على جبل الدروز من الاستعانة بأعداد كبيرة منهم. وقد كان عددهم - في معركة جرت في المصرة نفسها تقريباً مع متاوله جبل عامل - يتروح بين العشرين ولأربعين ألفاً⁽¹⁾.

لم يشتهر عن الأمير يوسف أنه كان من أصحاب ثروات الصخرة خصوصاً في أول عهده قبل تسلّمه مهام الحكم. وكان مستشاره سمعان البيطار هو الذي يقوم بدفع النفقات المتوقعة بسحاء ويسر وكان يدفع الأموال الأمرية سلفاً قبل استحقاقها⁽²⁾ وهذا يدل على توفر الأموال معه من مصادر غير محدّدة. وبينما كان الشيخ كليب النكدي في دمشق اتياً من حبل لشأن من شؤون الأمير يوسف، قاله البيطار أو أحد أقاربه وكان على علم بالعمارة من رباته هامة بمبلغ من المال على سبيل القرص قائلاً له: «إن القامة كبير منك في حاضرة كدمشق يقضي كثره النصفة ولما أن سمرك كان من خارج بيتك فلا شك أنه يعورك شيء من النمود فقبل المال شاكرًا»⁽³⁾.

هناك ما يشير إلى أن الدروز بمختلف عثاتهم بدعوا إلى المشاركة في القتال ضد الشيعة لأسباب غير واضحة تماماً، إلا أن رعاية لميئة من هذه المارك قد غابت عن مداركهم وتوهموا أنهم يشتركون في سرع محلي على الحكم بين الشهابيين والحماديين دون أن يكونوا على اطلاع على رعاية لعمدة لهذا الصراع ويدلنا على ذلك ما رواه الشدياق عرضاً عن أحداث سنة 1771م. «لما هاجت المشايخ الحمادية على الأمير بشير الشهابي وحاربته في العاقورة بهض أبو صعب برجاله مع مشايخ جبة بشري لمعونه فانهزمت المتاولة ولما كان الأمير يوسف في حدث الجبة استحسن الشيخ كليب النكدي والشيخ سعد الخوري ارجاع الحمادية إلى الولاية فأبكر أبو صعب ذلك وجرى بين المريفين بهذا الشأن محاورة أدت إلى الصور وأخذ أبو صعب يشدد مشايخ جبة بشري على عزمهم بعدم القبول برجوع الحمادية إلى الولاية وأقنع

(1) معركة كفر دمان، ص 1771

(2) إيدج سلامه، ص 191

(3) الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدروز، ص 132

الأمير يوسف بعدم الالتفات إلى رأي الشيخ كليب فأجابه الأمير معتمداً على رأيه لأنه كان من خواصه وكان صغيره لى عكء في المهمة عند الحزار الوالي⁽¹⁾.

المواجهة الأخيرة

دخل يوسف إلى حبييل في شهر رار من عام 1763م بعد حصوله على طلع الولاية على مقاطعات الحماديين، التي حكموها منذ أواخر العهد المملوكي قبل قدوم العثمانيين وبصحبته ممارر من العسكر العثماني روده بها محمد باشا طرابلس ومقاتلون من الدورر رافقوه برئاسة الشيخ كليب المكدي وأحرور واهو إلى المدينة أرسلهم على حنبلاط للقتال معه، بالاصافة إلى أعداد من المواربة نظّمها وحهرها والي طرابلس فقامت الحرب بين الفريقين أيّماً وحرّت فيها وقائع مشهورة استعمل فيها الأمير الشهابي وصحبه جميع الوسائل الممكنة بما فيها المال والعطايا والقاء بدور المتنة إلى جانب القتال بالنسيم ولكن جميع الدلائر تثبت أن هذا الصراع استمر بجميع أنواع الأسلحة سبع كثيرة امتدّت إلى عشر سنوات دون تحقيق نتجة حاسمة واستمرت بعدها فترة عسر محدّدة كانت الجهود في أثناءها منصرفة إلى تهجير من بقي من الشيعة بدون دفاع فعال والامتلاء على م تركوه من أرق وأملاك كان للكنيسة والرهاسات منها حصّة الأسد وقسم نأقى أصعب الخطوة من جماعة المدبرين والمحططين، وعلى رأسهم الجمعية الثلاثية وأعوانها، التي كانت تسيطر على جميع الأمور بالإصافة إلى الرهاسات التي نالت من العسمة النصيب الأوفر

لقد أغفل التاريخ المتحيّر تفاصيل هذه الممارك التي لا يدّ أن الشيعة قد استماتوا في حوصها دهاعاً عن وجودهم وأملاكهم بدليل المدة الطويلة التي استمرقها دون أن تحمد روح المقاومة، ولاستمرار المحدثات الدررية و المحلية المارونية والعثمانية حتى بعد أن أصبح يوسف أميراً على حل الدورر و سحائه أحياناً إلى السلطان العثماني نصسه طالباً المعونة والمؤازرة على استكمال مخطط جماعة التي بقيت وحدها تتمتع بالنفوذ الفعلي وبصع الحطوط العامة للسياسة المعتمدة والسير فيها بالاتفاق مع الكنيسة ومع الفئصلية الفرنسية التي شاركت بفعالية وثبات حتى في الأمور الإدارية والمالية ذات الطابع الرسمي في الدوائر العثمانية⁽²⁾ التي لم يعرف أنّها كانت من جملة مهام

(1) أخبار الأعيان الشدياق ص 104

(2) مثل تقديم الفصل الفرنسي كمانه مائية يضمن فيها مال جيبين عن الأمير يوسف.

الدبلوماسية واهتماماتها عادةً حتى وصل سعد لخوري صانع إلى أن يصبح الحاكم الفعلي الذي «رجف يوسف الشهابي أمدام عصاه لاعتباره إياه رجلاً عظيماً»⁽¹⁾ والمرجع المعتمد حتى للمشؤون، لإكلييركية واللاهوتية هي الكنيسة المارونية وأمام الدوائر الماتيكانية في روما وبعض كراتنة الكنيسة الفرنسية وصار البابا يحاط به بالابن الحبيب والرجل الشريف الحبيب⁽²⁾ قبل أن يعين ولده عبدور قنصلاً فرنسياً في بيروت مكافأة له بعد أن كان هذا المنصب حكراً على آل الحارث من خارج التابعية الفرنسية.

اكتفى بعض المؤرخين الأقل تعصباً بثرة حاطنة إلى الحرب التي شنها المقاتلون القادمون بمعظمهم من خارج المناطق التي هب الشيعة من أهلها إلى التصدي والمقاومة ووصفوها بالطويلة والمشهورة متعورين عن وحشية المذابح التي اقترعها المنتصرون بعد استتباب الأمر لهم صد بعض قواهم الدرحين في طريق هربهم نحو الشرق والشمال. وحاولوا إطلاق اسم المارك عليها، وهي في الواقع عروات تقوم بها العساكر العثمانية وحليط من الدرور المادمي من الشوف ومعجته وبعض أهالي حنة بشري وكباشيتها وأباعهم بقيادة الأمير يوسف نفسه أحياناً أو أحد مساعديه النافذين أحياناً أخرى. وتستهدف جماعات الهاربين بعائلاتهم ومتاعهم يفتشون عن ملجأ آمن أني أو دائم بمهم شراسه المذابح التي قد يتعرضون لها في حال النقاء في قراهم أو في مرارهم إن معارك دار بعشار وبريرا وأمبون والقلمون - التي حفل بها التاريخ المتداول والذي كنه حصرياً أحد الفريقين دون الآخر الذي لم يكن من أولويات اهتماماته في هذه الأثناء أن يكتب تاريخه الحقيقي - لم تكن هي واقع الأمر سوى مذابح قام بها الفريق المنصر المدعوم من السلطة الحاكمة واستند إلى دعم سياسي ومالي ودولي مؤثر صد بعض العائلات الهاربة⁽³⁾ وعائلتها من نساء والأطفال، لأن قسماً كبيراً من الرجال كان قد سقط في المعارك السابقة ولما كانت تحصل بعض الانتفاضات الشيعية المعروفة والمحدودة في إحدى القرى أو الوديان كن الاستمرار بعم ولايتي طرابلس وصيدا وقد تصل الانتفاضات إلى عاصمة السلطة طائفة المدد والعساكر للقضاء على المتمردين على السلطة ولعاصي الدولة، كما حصل إثر هوشة العاقورة التي لم تكن أكثر من انتفاضة احتجاج عاصب من بعض الملاحين - المتأخرين عن النروج - هي وجه شير الممين الذي كان يجمع الصرايب لحساب سلطة الدبح والتعجير في هذه الأثناء.

(1) باريلي، ص 60

(2) راجع رسالة البابا إلى سعد الخوري، ال السعد في التاريخ، ص 119

(3) الجدور التاريخية، ص 190

حتى تقارير القناصل المرسيين وعلى لأصح ما هو متوفر في أيدينا منها قد صممت هي الأخرى عن ذكر مثل هذه المدح وهي التي كان من عاداتها ألا تعمل عن حوادث أقل شأنًا خصوصاً إذا كان لموارنة ولشهابيون وصديقهم سعد طرفاً فيها. فآثرت الصمت غالباً إلا من إشارات عابرة أحياناً تأتي عادةً هي ديل هذه التقارير معتمدة التعميم والإيجاز ما أمكن

تكاد المصادر التاريخية اللبنانية تجمع على أهمية معارك العاقورة ودار بعشتار والقلمون وأميون واعتبارها معارك فاصلة حسمت الصراع لمصلحة الأمير يوسف وتروي كيميّة حصول هذه المعارك الثلاث المترابطة وكأنها معركة واحدة على الشكل الآتي

بعد رحيل الأسطول الروسي من بيروت إلى عكا، كتب الأمير يوسف إلى الباب العالي مسعياً فأرسلوا له محمد آغا، كاخية عثمان باشا - على رأس جيش كبير - فقتلاه الأمير بأحسن لقاء واشتدت به غيرته وظهرت همته⁽¹⁾، وهي تلك المترة، صيف 1772، اجتمع نحو حمادة أصحاب بلاد جبيل أولاً وداهوا الأمير بشير الملقب بالسمين عم الأمير يوسف وبأنبه في البلاد المذكورة وهو يوسند في بلاد العاقورة الكائنة في قمة جبل ملك البلاد. وكان قد توجه إليها لحماية الأموال المترية عليها،⁽²⁾

وبمول العنطوريني - الذي كان والده من المشاركين البارزين في هوشة العاقورة كما يسميها - في سنة ألف وسبعماية والثنين وسبعين صارت هوشة عظيمة في العاقورة بين الأمير بشير عم الأمير يوسف وبين المتاولة لأن المتاولة برلوا إلى الأمير بشير إلى العاقورة وعملوا معه شر عظيم واستمعه بينهم الحرب من شروق الشمس إلى غروبها وحين شاهد المتاولة أن الرجال عند الأمير بشير قد صارت رايدة ما هاد لهم قدرة عليه فالتزموا في الليل قاموا مع جميع حريمهم وسحتهم مشايخ وطوايف من جبة المنيطرة ووادي علمات وصدوا إلى قرية درب عشتار التي في الكورة،⁽³⁾

«في ذلك الليل وصل الشيخ سعد الخوري كاخية الأمير يوسف ومعه عسكر مغاربة وهي النحلة التي أرسلها الباب العالي إلى بيروت وعلق الشرف في ما بينه وبين المتاولة في درب عشتار من الظهر إلى غروب الشمس فقتل من عسكر سعد من

(1) تاريخ الأمراء الشهابيين، أحد أمرائهم (هني)، ص 119

(2) تاريخ الشهابي، ص 94

(3) العنطوريني، ص 69

المغاربة خمسة عشر قتيلاً ومن المتأولة قبيلان، فرجع الشيخ سعد بات ذلك الليل في بزيزا وطرح الصوت على الحبة فرلوا المشايخ الدين كانوا في حماطورة والدين كانوا في العاقورة، وصلوا إلى بزيزا منتصف الليل⁽¹⁾.

فحين عرف المتأولة بوصولهم هربوا في الليل وترلوا بحرا ثاني يوم لحقهم الشيخ سعد والعسكر الذي معه من المغاربة ومن الحبة ولا رالوا وراهم والشر بينهم مشتغل إلى حد القلمون وحين دخلوا لقرية المذكورة بعد أن راح منهم جملة قتلى ومحاريج غنم العسكر أسلحتهم وأسببهم وطرشهم. والمتأولة جاؤوا من القلمون إلى طرابلس وموضع الذي تبقى معهم شيء من السحت احده أهالي طرابلس⁽²⁾، ويقول الشهابي في غرره.

«تجمعت مشايخ بيت حمادة على الأمير بشير السمين فوقع الشر بينهما فقتل من أتباعه ثلاثة اعمار ومن المتأولة ثمانية ولما وصل الخبر إلى يوسف توجه كاخيته سعد مع المغاربة الذي حصرت من عند الحرار إلى بيروت وفي وصوله إلى جبيل بلغه أن الحماديه جمعوا اعيالهم ورحلوا من البلاد فالتحق بهم الشيخ سعد في القلمون وكانوا ألف نصر من بيت حمادة ومتأولة ملاذ جبيل وثار بينهم شر عظيم وحصر أهالي جبة دشري وهرموا المتأولة وقتل منهم نحو مائة قتل وكان الأمير يوسف قد جمع الدعص من جبل الدرور وتوجه من بيروت إلى أهقا ثم رجع الجميع إلى در الزهر والمغاربة إلى بيروت⁽³⁾».

إن أحداً من المتأولة المطاردين أو غيرهم من الشيعة المستهدفين لم يترك أثراً يصنف فيه معاشاة قومه هي أيهمهم، مفصية هذه، حيث تألفت عليهم قوات الدرور والنصارى وعساكر المغاربة المرسلون من والي دمشق أو جيش والي طرابلس المطبق عليهم في الشمال

ويبدو من تفاصيل هذه العداوات التي يورد روايتها غيرهم، أنها لم تكن أكثر من مطاردات وراء من بقي من الشيعة بعد أن مبيت قواهم، لماتلة بضربة قاصمة إثر

(1) المصدر السابق، ص 70

(2) المصدر السابق، ص 71

يلاحظ أن ما يذهب من المتأولة يشمل كل ما يضم من عدد الأسلحة وهذا ما يؤكد على أن هذه العداوات كانت تستهدف عائلات عزل تهيم بدخته عن مامن لا تجده حتى في طرابلس عاصمة الولاية العثمانية

(3) تاريخ الشهابي، ص 95 وهي مرة الأولى التي يشار فيها الحرار إلى مواجعة شيعية

معارك طويلة استمرت أكثر من عشرة أعوام، وانتقلت من العاقورة والحبال لتلاحقهم على طول الساحل اللبناني من جبيل في الشمال إلى دير بعشتار وحماطورة إلى بريرة وأنفة والقلمون حتى أبواب طرابلس حيث كست عساكر الدولة العلية تنتظر من نجا منهم من القتل وما بقي لديهم من متاع فتنقص عليه هي داخل المدينة.

يصف عيسى اسكندر المعلوف بإيجاز هذه المطاردات فيقول سنة 1771م اجتمع المشايخ الحماديون على الأمير بشير حيدر الشهابي الملقب بالسمين في العاقورة واستمرت بينهم نار القتال من مطلع الشمس إلى معيها، وكان مع الأمير رجال جبة بشري فحرقوا المتأولة الذين قتل منهم ثمانية ومن رجال الأمير ثلاثة. وهي اليوم الثاني حامتهم نخدة من الحبة فكثرت المقاتلون وحشي المتأولة بأسهم فقاموا ليلاً بميالهم من جبة المنيطرة ووادي علمات (وادي الصبية) حتى دير بعشتار (الحمل النور) هي الكورة فلاقاهم رجال الحبة إلى دير مار حرحرس حماطورة وكان الخبر قد نبي إلى الأمير يوصف الشهابي الوالي وهو في بيروت فنهض برحاله إلى جبيل فعلمه أن الحماديين نزحوا من بلادهم فأرسل مدبره الشيخ سعد الحوري ومعه عسكر المعاربة الذين كانوا مع مدبر وزير دمشق فوقعهم في دير بعشتار من الظهر إلى غروب الشمس فقتل من عسكر المعاربة خمسة عشر قتلاً ومن المتأولة قبلاً ورجح تلك الليلة إلى بريرة (ست عرير) مات فيها وأرسل يستمدد أهل الحبة فلباه من كان منهم محبباً في حماطورة والعاقورة فوصلوا إلى بريرة نصف ليل ولم يراى المتأولة كثرة جيش الأمير هربوا من وجوههم إلى الساحل وكانوا نحو ألف نصر فلاحقهم الشيخ سعد بعسكره في اليوم الثاني. وبدأ القتال من هناك إلى قرب أنفة واشتد لعراك إلى قرب القلمون فقتل من المتأولة نحو مائة ومن عسكر الشيخ سعد نصر، ثم خرج أهل القلمون وشفعوا بهم عنده فخرج عنهم وانكف عن قتالهم. وذهب المدولة إلى طرابلس وعاد الشيخ سعد إلى صرود (حرود) جبيل واستولى عسكره على غنائم كثيرة، وكان الأمير يوسف قد جمع الشوفيين وتقدم إلى قرية أنفة فالتقى بمدبره هناك فعاد إلى دير القمر والمعاربة إلى بيروت وسميت هذه الموقعة باسم (هوشة لعاقورة) وهوشة هي اللغة العامة بمعنى المناوشة وقد ذكرها صاحب مختصر تاريخ لبنان المعلوط¹

لا يكفي الاقتصار على ذكر هذه المصادرات وأمكنة وقوعها وعدد القتلى الذين

(1) دوسي القنطوف ص 255 يلاحظ من عدد القتلى من المريقبين وبوع الغنائم وأماكن القتال أن الأمر كان مجرد مطاردات بعائلات هاربة بدون مقتلات بدون سقوط معظمهم في المعارك.

سقطوا فيها، دون التطرق إلى حلمايتها وأهدفها وتناولها على أنها مرحلة هي خطوة سياسية وعسكرية متكاملة ترمي إلى بسف واقع ديمعراهي قائم وتأسيس حالة جديدة على أنقاضه تعود حتماً إلى إيجاد لمناح اللارم والمناسب لإيجاد وجه مستجد مختلف لهذه المنطقة من لبنان وتثبيتته وترسيخه كما فعل باحث معاصر.

إن الشيخ سعد الخوري كان ذا سلطة واسعة، يأمر ويمهى دون الرجوع للأمير يوسف، وكان يستحث القوى المسيحية على مساعدة قوى الوالي العثماني، للتخلص نهائياً من سيطرة المقاطعيين لشيعة آل حمادة فالشيخ سعد الخوري كان يخطط للقضاء على سيطرة هؤلاء المقاطعيين على مناطق جبيل والبترون والكورة وكسروان والراوية وهي المناطق ذات الأغلبية السكائية المسيحية التي لا زالت تروج تحت حكم المقاطعيين الشيعة وتؤكد بطلان الرواية بتوزيع تلك المقاطعات على الأسر المقاطعية المسيحية بعد عين دارة وترقي تلك الأسر إلى مصاف الأسر المقاطعية الإسلامية القديمة.

لذا اعتنم الشيخ سعد الخوري هذه الفرصة التي اقتصى حد واستغل وجود عساكر الحزار المعارضة للقضاء على الحماديين بمضاركة فعلية من القوى المسيحية سكان تلك المناطق، بحيث كانت المعركة قاصدة على يعود الحماديين فيها وبالتالي على الدواجد المقاطعيين الشيعي، إذ انحصر وجود آل حمادة في الهرمل وحبّة المنيطرة، وتملص معهم الوجود الشيعي في المناطق التي كانت خاضعة لهم ولم يكف سعد الخوري بهزيمة الحماديين وترحيلهم، بل حاول استغلال ظروف الهزيمة لضرب المقاطعيين المسلمين السنة في القصية لصمان حزام امني حول المناطق المسيحية هدفه الأمير يوسف للهجوم على هؤلاء دون أي سبب مباشر. وبعد أشهر قليلة على هزيمة الحماديين، جمع الأمير يوسف عسكراً من دياره عام 1772م وسار قاصداً مقاطعة القصية لقتال ولاتها بني رعد لأنه رأى منهم ميلاً وتوجهاً إلى مظاهرة الحمادية. وكانت القصية تابعة لولاية طرابلس. ولذلك سارع والي طرابلس للتدخل لوقف غزوة الأمير يوسف وعند وصوله إلى قرية «عصديق» في الكورة، وجه له والي طرابلس آنذاك أمراً بالامتناع عن الغزو وبمصالحة آل رعد الخاضعين لولايته تحت طائلة عزله من الإمارة، فاضطر إلى ذلك. وبعد نهوضه من القرية أمر بحريقها لأن صاحبها الأمير أحمد كردي كان من المائلين إلى الحمادية أيضاً.

هتحت ستار محاربة الحماديين وكل حلمايتهم السابقين، كان الأمير يوسف، ومن

ورائه مدبره سعد الحوري يخططان للبطش بالقوى المقاطعية الإسلامية، داخل المقاطعات ذات الأغلبية السكانية المسيحية أو حوارها وكان يسعى إلى تحديد خلعة الإمارة باستمرار وفي حال عجزه عن دفع ما يتعهد به، لم يتورع عن طلب المال من القناصل الفرنسيين⁽¹⁾.

وهكذا تم ضرب الحماديين عدة ضربات موجعة وجرى التخطيط لضرب آل رعد هي الكورة وال مرعب في عكار، وتم القضاء على نفوذ الأمراء الأكراد في رأس نحاش، والكورة وقد لعب تنصير الهرم السبسي الشهابي المسيطر والمديرون الموارنة والقوى الرهبانية الاقتصادية والإرساليات الأجنبية والدعم الأوروبي الضاغطة دوراً أساسياً في ذلك وهي ربطت تلك المقاطعات بامارة الشوف، ومنذ ذلك التاريخ كثر الكلام على هزائم متكررة لزعماء الشيعة في تلك المقاطعات⁽²⁾.

إن هذه المعارك المزعومة ليست في الواقع إلا عارات قام بها الأمير يوسف سمسه وشقيقه الأمير حيدر ومعهما مجموعة المستشارين والمحاملين الذين تتولون القيادة الفعلية لأن الحركات والأعمال التي كانت تقع من الأمير يوسف كانت جميعها من تدبير سعد الحوري وليس منها «للامير سوى الاسم فقط»⁽³⁾ ستعات الأمير يوسف بالباب العالي فأرسل له والي دمشق عسكرياً مصحبة الجزار إلى بيروت، وعلى رأسه كاحية الوالي مقام الأمير يوسف وحيدر وسعد الحوري على رأس هذا الجيش، بعد أن انصم إليه نصر من أهل الحية جماعة ناشط طرابلس هي مهاجمة بعض المخيمات والقرى الشيعية والتعرض لقوافل الهاربين بعد أن قدم بشير لسمين بمهاجمة بقايا الشيعة الذين لم يهاجروا بعد هي الميطرة، لإرهابهم ولتكيل بهم لدفعهم إلى البروج، ثم جاء الأميران يوسف وحيدر وعمرانها سعد على رأس معاربة ناشط دمشق إلى المنطقة الساحلية في ولاية طرابلس، واعتصموا القووس الشيعية النازحة وأعملوا في أفرادها السيف وسلبوا منهم ما يحملون من متاع وما يسوقون من مواشي.

إن تفاصيل المعارك كما وردت في هذه المراجع لا تتأقص الحقيقة فحسب، بل تحالف المنطق السليم وطبيعة الأشياء فالذي يريد الهرب من لعاقورة وجبالها - وهي المنطقة الجبلية الوعرة المجاورة للقرى الشيعية في المنصب الآخر من الحبل والتي لا تبعد أكثر

(1) راجع D D C T2, p 313-324 حول طلبات يوسف المساعدة المالية من القنصل الفرنسي

(2) الجذور الطائفية مسعود صاهر، ص 190-192

(3) اندر المرصوف هي تاريخ الشوف، الأب حنايا المير، ص 73

من ساعات قليلة - هي المكان الطبيعي الذي قد يقصده الهاربون، وهو المكان الذي يُدفعون إليه على كل حال. أما الهرب من قمم الجبال إلى السهول الساحلية، فلا يمكن أن يقوم به عاقل عارف بالمسالك والدروب. ومن يصعد إلى الحرب والقتال لا يمكن أن يصطحب معه عائلته ومناعه ومواشيه، لأن وجودها معه يمتعه من القتال والحركة ويجعل منه هدفاً سهلاً لأعدائه والمتربصين به، وإنما النارج والمهاجر هو الذي ينتقل عادةً مع كل هذه الموقوفات ليستقر معها في مكان آمن يشد فيه النجاة والحماية.

إن الشك في هذا الأمر قد حسمه شاهد رسمي معاصر لتلك الأحداث. إنه رأى بأم عينه العائلات الميكوبة التي وصلت إلى طرابلس بعد أن نجت من المذابح، ولكن مأساتها استمرت في المدينة بسلبها ما عمل عنه السالبون السابقون.

يقول الفصل الفرنسي دوتوليس في تقريره

بيروت في أول تموز 1772م

Le grand Emir tranquille du côté de Beyrouth a fait une incursion sur quelques hordes de Mutua is établis du côté de Gébail (Byblos) dans des lieux de sa dépendance et soupçonnés d'entretenir des intelligences avec compatriotes. Environ trois cents de ces malheureux ont été massacrés et une quarantaine de familles se sont retirées a Tripoli ou on leur a donné un asile

Signé. De Taulés

«بعدما ارتاح الأمير الكبير من بوحى بيروت قام بغارة على بعض محميات المتاوله الساكنين في بواحي حيل في أماكن المنحفة به ويشك بأن لهم علاقة بمواطينيهم نحو ثلاثماية من هؤلاء اتبعوا دبحوا وحوالي أربعين عائلة هربوا إلى طرابلس حيث حصلوا على مأوى»⁽¹⁾.

إنه شاهد عيان يروي عن كتب ما سمى بمعدرك العاقورة، دير بعشتار، لقلمون التي جعل منها المتحمسون ثلاث معارك متصلة حرب في يوم واحد والتي لم تكن في حقيقتها أكثر من استغلال الأمير الشهيدى لوجود العسكر العثماني في بيروت وقيامه بغارة على أسهم على محيّم لاحتين، أسمر عن ثلاثماية دبح وعدد من الأسر المنهوبة

(1) D.D.C., T2, P258.

من المعروف أن للاحتين وخدمهم يقيمون في محيمات و من الأربعين عائلة التي وصلت إلى طرابلس هي بقايا المطاردين الذين نجوا من مذابح القلمون وأب ودير بعشتار والكورة وغيرها

والمشردة التي لجأت إلى طرابلس، أو تفرصت إلى غيرها من النازحين وهم يهيمنون هاربين في الطرقات⁽¹⁾، والتي سببت قرع الأحرار و استقبال كباشية والي طرابلس الموارنة العائدين بالتهليل والرعارد⁽²⁾

إذا كان القنصل المرسى De Taulès قد عاد إلى هذه المعارك المزعومة حجمها الواقعي ومدلولها الحقيقي وكشف في ديل تقريره عن طبيعتها ومراميتها، فإن رميلاً له هو M Cousinéry سيكشف في تقرير آخر حقيقة معركة أميون التي أصبر البعض على إصافتها إلى سجل الأمير يوسف العسكري وصنفت بن انتصاراته على الحماديين رغم أن عسكر باشا طرابلس الذي طامنا قاتل الحماديين به كان بدعم الجهة المقابلة هذه المرة

لم يكن للحماديين في الواقع أو لأي فريق من الشيعة علاقة ما بهذه المعركة التي ليست في الحقيقة أكثر من مناوشة محدودة في داحن معسكر واحد يتناور أركانه ويتحاذون طرهي الحبل في مساومات مالبه محترقه تداخل في عمليات نصصة حسابات الدهق والقصص، ليس للحماديين فيها دور غير استعمال اسمهم بوصفه ورقة المساومة الراححة التي تلوح بها الباشا أمام يوسف ومن شفه وراءه، رعة هي ابتزار أكثر قدر ممكن من أموال المشروع الذي دخل مراحله انتميدية واستحققت الأحوال المتعلمة به، وبما أن الباشا بعسر نصسه عاملاً سياسياً في طلاقه وسميده، وقد يظن أنه لم يحصل على ما يناسب أهمية دوره وحظوته ولم يست أن حسم الفراع بإشارة من عثمان باشا الذي عتب ولده وطلب إليه عاصباً لا يعود لمثلها أبداً

وقع هد الإشكال بين يوسف ومحمد باشا، ثر الخلاف على دية قبيل سقط في قرية داريا، التي كانت إلى عهد قريب بكليكا لشيخ اسماعيل حمادة واستولى عليها الباشا بعد هجرة أصحابها وهم من ورثته

استقل يوسف الوصب الناشئ وتوجه على رأس عشرة آلاف مقاتل من دير القمر إلى اللقلق عن طريق الجرد، وكانت نتيجته حملته هذه أسر شيخ حمادي يتهمه بالسعي لاستعادة ولاية جبيل، هو الشيخ سليمان، وهو من لمرع لحمادي الآخر من جبة بشري، هالقي عليه القصص مع نحو خمسة وثلاثين من حمادته الشيعة وشنهم في شكل

(1) الجرد، ص 190

(2) تاريخ بشري، ص 367

مراسيمي واحتفالي⁽¹⁾. قصد من ذلك مرة أخرى إرهاب الشيعة الباقين في ديارهم بعد كل ما جرى ودفعهم إلى الالتحاق بهم سيقهم إلى خارج بلادهم

يقول القنصل الفرنسي في تقريره المرفوع إلى الدوق دو براسلان De prasin بتاريخ 28 أيلول 1769م عارضاً التحال العامة في البلاد وسبب الخلاف الحاصل بين الباشا والأمير وأنه يعود إلى أسباب مالية بحثة تتعلق بتقدير الخدمات التي قام بها الوالي وأتمابه عن جهوده السابقة ثم سرد بأسهاب وفائع الموجهة التي تمت في حصن داريا بين المصرة القادمة من طرابلس وشقيق الأمير يوسف ورحاله هي أميون⁽²⁾

تسود فوضى كبيرة في هذه البلاد. بن محمد باشا بن عثمان باشا دمشق أصطلى الحكم للأمير يوسف أمير الدرور ليسخنص من المتاولة او الحماديين الذين طعوا على القسم التابع لحكومته من لبنان.

كان الأمير يوسف يدعج جيداً ضمن إقطاعه ولأنه كان مسروراً من طريقة تصرف محمد باشا قدم له في العام الماضي هدية من ثلاثين نورصة وغب الباشا هي هرسها هذا العام أيضاً كحق وليس كهدية.

عرض الباشا على الحماديين توليتهم مقابل هدية من مئة نورصة معسداً أنه بهذه الطريقة سيخبر الأمير على دفع القيمة نفسها

رخص الأمير الدهج وعناً جيشاً قسّر بما يتراوح بين 10 و12 ألف مقاتل احتل بواسطته السبل الموصلة إلى بلاده ثم أرسل ممررة بقيادة أخيه الأصغر لتحتل أميون. فأرسل الباشا قوة مؤلفة من 250 من حملة البنادق ومثلهم من الملاحين في القرى المجاورة تمركرت في برج قديم في جوارها فهاجم رجال الأمير البرج واستمر القتال خمس ساعات حتى طلب عسكري الباشا الاستسلام بعد أن أصابهم العطش والجوع والتعب ووصلوا إلى طرابلس بحال يرثى لها بعد أن هلك أغلبية الملاحين وقتل ستون من حملة البنادق بينما لم تصفد مصرة الأمير أكثر من ثلاثين قتيلاً.

وقد انتهى هذا الخلاف بأمر من عثمان باشا إلى ولده بأن يصالح الأمير يوسف

(1) نصب المشايخ بين البحر والحد لاوراق سبانية معطوبة الاب أبي ابراهيم المذكورة سابقاً الجزء الثالث، ص 298

(2) D.D.C T4, P19-20

وأن يعيش معه بسلام وألا يقح مستقبلاً بمثل هذه الأخطاء وعاد الباشا وثبته مرة أخرى على ولاية جبيل¹ أنه خلاف أبي ومحدود بين أنباء المعسكر الواحد ويرجعون إلى السيد نفسه وهو عثمان باشا في دمشق

يتضح من تقرير الفصل الفرنسي أن معركة أميون جرت بين مصرزة من جند الأمير ومثلها من عسكر الباشا، ولم يكن للشعبة أي وجود أو تدخل أو علاقة بهذه القضية كلها غير محاولة الباشا ابتزاز الأمير بالتنازع بتوليبتهم، وغير أن البرج الذي حرت المعركة حوله كان في الماضي من أملاك الحماديين.

المدى البحري للرهبانية

ابتدأت الفكرة العنصرية على الشيعة في جبل لبنان منذ تولي عثمان وولده محمد على ولايات دمشق وطرابلس ومباشرتهما الحملة الشاملة الدؤوبة الهادفة إلى تمهيد الطريق أمام قيام الكيان المسيحي الموعود والتي بدأت بتأليب لسكان الموارنة المقربين من الحكام الحماديين عن طريق إغرائهم بالمال والسلطة والدعم غير المحدود وتزويدهم بالسلاح والعسكر والقيادة المتمرسية ثم هي هـ وم الحملة العثمانية المدروحة على المناطق الساحلية والحدودية مستهدفة عمق بلاد الشيعة في حبة المنيطره ووادي علمات رغم أنها لم تحقق نجاحات كبيرة بسبب عصف المماومة التي حوشت بها وكانت عابثتها الأساسية التمهيد لدخول يوسف الشهابي إلى جبيل بصحبة عساكر محمد باشا والدرور في العام نفسه 1762م. بد نقيت محاولات المصاء على المقاومة العقيمة مستمرة على الأقل حتى عام 1773م. تاريخ هوشة العاقورة ومدايح القلمون وجبيل ودير بعشمار التي قام بها الأمراء الشهابيون يوسف وحيدر وبشير تسمين على رأس جنود والي دمشق من المعاربة الدس أرسنتهم لدولة في الأصل للدفاع عن الساحل اللبناني بوجه الهجوم البحري الروسي، ولمقاومة أي عمليات إر ل كان الروس قد قاموا بإحداها على ساحل بيروت في فترة سابقة.

ستمرت مقاومة الشيعة على أشدها طيلة خمسة عشر عاماً الأخيرة (من عام 1758م. إلى عام 1773م) التي لم تتوقف هي أثنائها عمليات الهجرة الجماعية من القرى والمناطق الشيعية إلى خارج ولاية طراسر وحرور الهرمل، كما لم تنطفيئ جذوة المقاومة تماماً رغم أن القسم الأكبر من تلبية عسكرية أساسية، أو ما بقي منها بعد

(1) التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية - ص 128

هذا الصراع غير المتكافئ كان قد هاجر إلى مناطق أخرى يستلزم الظروف المناسبة للعودة ويقوم أحياناً بعارات حاطمة ويسبب من لم يهاجر بعد

بعد هذه الصرة استمرت عمليات التهجير ناشطة طيلة عهد الأمير يوسف وحلفه الأمير بشير، وكانت تتم غالباً على شكل موجات متباعدة تقتصر على مجموعات أو أفراد من إحدى القرى أو إحدى لعائلات أخرى، على معاداة قراهم هرباً من الضغط والتكيل، وسياسة معتمدة متبعة بفي يشارك فيها أكثر من طرف وهي مقدمتهم السلطة العثمانية بواسطة فرماياتها وعمكراها حتى سقوطها على يد الجيش المصري الفاري وتقلص صلاحيات الأمير بشير الثاني قبل سقوطه نهائياً عام 1840م.

في بداية حملات التهجير العسكرية العثمانية التزم الوزير بأن يعطي بيوردي بالحثم الكبير صادر عن الصدر الأعظم إلى مشايخ الجبة وأهاليها يهيمهم هه دماء المتأولة وأرداقهم كما صدر من لدى الشرع الشريف فتوى بأهدة ببيع قتل المتأولة بدور حرج أو مساءلة، وحينما بدأت قوافل المهجرين تتجه شرقاً هرباً من مداح الجيوش العثمانية ومن براهمها من المحططين والمحرصين، أصدرت السلطة العثمانية فرمايات تمنع بموجتها جميع الشيعة من العودة إلى أراضهم وبيوتهم المهجورة والدحول إلى جميع البلاد التي كانوا فيها⁽¹⁾، ومع أن الخصوع لفرمايات السلطان لم يكن من عادات الشيعة لمعروفه وشيمها المشهورة، إلا أنه من الواضح أن قوى هامة وفعالة كانت تبهر هي الواقع ليس على جعل هذه العودة مستحيلة بحسب، بل على استمرار وتيرة الهجرة المتواصلة باستعمال مختلف الأساليب لكفيلة بذلك وهي قوى تتمتع بمود طالع على أعلى المستويات هي عاصمة السلطنة حتى استطاعت أن تعلي على أصحاب القرار إرادتها ورعبتها، وندهمهم إلى إصدار هذه المراسيم والفرمايات واستصدار مثل هذه الفتاوى التي تحالف العرف والتقاليد وشرع معاً

إن نشر هذه الفرمايات التي تحظر على مجموعة كبيرة من رعايا الدولة دخول مقاطعات معينة عاشوا وولدوا فيها منذ قرون عديدة، يؤكد على أن وراء كل ذلك تحطيظاً معداً بعناية وتقدير ورع جهات بأهدة ومؤثرة لقد استطاعت هذه المستوى والتدابير الإدارية التي رافقتها والجيوش التي قامت بتعميدها وأخيراً الفرمايات التي

(1) الريمون والمؤسست الاقطعية توفيق توم بالمرسية لجره بشي، ص 515

Un Firman interdit à ces Hamadé tout retour au pays, Maronite.

يذكر القاضي على عهد لمانمقامين أرماسيوس فاجوري (مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية 956, 9T8). عنوانه تاريخ ما يقع في لبنان - لمرمات العثمانية التي صدرت في هذه لفترة تمنع الشيعة من العودة إلى مناطق جبل لبنان حيث كانوا يقيمون

أعقبها بالإضافة إلى الإمكانيات المادية والسبسية التي وضعت في تصرفها، أن تحقق هجرة جماعية لطائفة منتشرة في مختلف أنحاء جبل لبنان ربما كانت أكثر الهجرات القسرية التي عرفها لبنان في العهد العثماني.

بقيت القوى المؤثرة هي عملية التهجير متحالفة لمدة طويلة لاحقة منتهجة سياسة متكاملة ومنسجمة بسبب وحدة المصلحة التي تجمعها في منع عودة الشيعة واستكمال تهجير الباقين ومحاولة معالجة ديول كل ذلك من النواحي الواقعية والديموغرافية. ورغم تبدل الظروف والمعطيات، بقي هذا تحالف متماسكاً وناشطاً وفعالاً بأعمدته الثلاثة السلطة العثمانية والإرساليات الأحسية والكنيسة المارونية إلى وقت متأخر. ولا بد من الإشارة إلى الدور المتنامي الذي قامت به الرهبانيات اللبنانية معتمدة على فعالية تنظيمها ودقته، وازدياد مواردها المالية إلى حد كبير بعد أن أسست الصندوق العام للرهبنة سنة 1748م⁽¹⁾ وأورد انعكاسها في تقضايا السياسية والاجتماعية. ووضعت في رأس أهدافها جعل لبنان مدي حيوية للرهبنة المارونية أي للطائفة المارونية نفسها وعملت على إعادة الطابع الماروني الأصل للمنظمة في جبل والبترون والراوية من سنة 1766م. فصاعداً⁽²⁾ وكانت هذه الأهداف الشديدة الوضوح الركيزة الأساسية للوطن القومي المسيحي الذي سيصبح بعد حين شعار الرهبنة «لبنان بيت مارون أو المدي الحيوي للرهبانية»⁽³⁾ فقامت بجهود كثيفة متعددة الجوانب مالية وسياسية واقتصادية واجتماعية لاستئصال كل مظاهر الوجود الشيعي وأثاره في المناطق التي اعتبرتها قد استعبدت للمارونية. وحال الوقت لتثبت ماريونيتها الصافية⁽⁴⁾

(1) الجذور التاريخية، مسعود صاهر، ص 158

(2) الجذور التاريخية، مسعود صاهر، ص 166

(3) إرداد عبد أمعاء هذه الرهبانية إلى حد كبير بعد مستهل القرن الثامن عشر وكان الرئيس عبد الله قرالي يرحب بكل الرعبي دون أن يفرق بين المروني والرومي والكاثوليك ولأرثوذكسي والسرياني والأرمني والقيطوني وحتى اليهودي

مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، الأب محفوظ، ص 74.

(4) لا بد من الإشارة إلى عراية الوهم الكبير المتعمد بأن مناطق من لبنان كانت هيما مضي أكثر ماريونية مما أصبحت عليه في العهد العثماني وهذا قول باطل ولا يستند إلى أي ساس تاريخي بل إن لهجرة المارونية لتدرجية من وادي العاصي إلى بشري ثم إلى حبل و بيمرون هي التي عدت لوجود الماروني المتواضع في هذه المناطق حيث حلوا في جوار مجرهم من المذهب المسيحي والشيعة، وحافظوا على بعدهم حتى وصلوا إلى جريش وأطراف جبل عامل مروراً بكسروان ولشوف وليس في التاريخ اللبناني ما يشير إلى أية هجرة ماريونية حصلت في فترة ما حتى يعودوا أو يستعيدوا أية بقعة فيه وإن التعابير التي دأبت المصنفات المارونية على ترديدها مثل «لرحوع نى كسروان» أو العودة إلى جبل لبنان لا تعني أية واقعة تاريخية معلومة

«إن الرهبان خلصوا هذه المنطقة حلقة جديدة أعادوا إليها طابعها الماروني الأصيل من سنة 1766م فصاعداً وطبعوها بطابعها الرهباني المبره⁽¹⁾».

ويسدو من الرسالة التي أرسلها حيدر الشهابي شقيق الأمير يوسف إلى تبابا إقليموس الرابع عشر (1769م - 1774م) أهمية دور الرهبانية اللبنانية في العملية وبصماتها وقد عرّضها عليه كتبها عملية دينية بحثة من حيث التركيز على العناية المتوحّاة منها ونتاجها وتداعياتها وليست عملية سياسية ترمي إلى استبدال حاكم بالآخر

من أهداف كل ما جرى في شمال لبنان هو طرد أعداء المسيحية الذين جعلوا الكنائس مأوى للبهائم ومسكناً للثوم، وتعمير هذه الأماكن وتملكها إلى الرهبانيات المارونية. ويؤكد له أن هذه الرهبانيات قد نالت نصيباً وافراً من العوائم والأوراق التي حطمها الشيعة المارحون.

من حيدر الشهابي أمير جبل لبنان إلى جلالة البابا إقليموس الرابع عشر

بلغ مسامعكم الشريفة علي ما أعطانا الباري يسوع خاص عن عز بدمنا وهو أننا نملكنا على جبة بشري واليترون وحبير التي جعلناهم يسوع خاص من محل حكمنا وطردها معون الله مع حصره اخونا لأمير يوسف كبير بيتنا من هذه المماطلعاب أولئك الناس الذين كانوا متولين عسها. وقد افسدوها وجميع أماكنها وهدموا عمائرها وخاصة الأماكن المختصة بقديم ديارتكم مثل كراسي البطاركة والديورة وكنائس الشعب وجعلوها مأوى للبهائم ومسكناً للثوم، وشملناهم وتحركنا بالعبرة على قيام هذه الأماكن أولاً لأنها مختصة بعبادة الله وثانياً لأجل مراعاة رعايانا وقيام خيرهم وزيادة نموهم.

«ولكن بما أنه لم يسوغ لنا قيام هذه الأماكن وردها ونرجيعها إلى حالها القديم لكي ترجع تعمير البلاد، فاختار جناب خينا المشار إليه اعزازنا الرهبان الموارنة اللبنانيين لأنهم أولاً أكثر من غيرهم ولهم قوة على قيام الديورة والكنائس أريد من الغير ولهم خبرة على نموها وقيام ديارتهم وعبادتهم بنوع خصوصي عن جميع

(1) قصة الملكة هي لرهبانية اللبنانية المارونية، تأب مارون كرم ص 92 وهذا القول للبطريرك ميخائيل فاضل

ملتهم الموجودة في الشرق⁽¹⁾ ورغبتهم سوع خاص لأن عبادتهم وقانون جمعيتهم المقبول ومثبت من كرسيتكم الشريف فمن ثم طلبهم جناب أحيانا الأمير يوسف من حصرة عزيزنا البطريرك طوبيا الحارث الذي يؤمنه كان بطريركياً على الملة المارونية فالشار إليه لاجل تمام خاطربا ولأجل رعبته في قيام البلاد وعمارها ارتفع وأعطاهم رصاه خطياً مسجلاً.

كذلك عزيزنا المطران أنطوان مطران الرعية. فبعد أحدهم رصا البطريرك والمطران، حصروا ثعتدنا إلى مدينة جبيل رئيسهم لعام والمدبرون هأعطيتهم جملة أماكن ليعيموها. وهم دير مار أنطونيوس حوب. ودير مار دوميط قرب تنورين، ودير سيدة ميموق الذي كان كرسي البطاركة ودير مار قرياقوس كميما الذي كان كرسي. ودير سيدة المعونات فوق مدينة جبيل. وحيثهم على قيام كنيسة جبيل المشهورة في الشرق، فحملوا يعتنون في قيام الأماكن وحطوا لهم رهبان كنوا لقيامهم وكنيسة حيل، ووكلا في قيامها احد كهنتهم ومعه رقيق كاهن وواحد من المدرسين مناطراً عليهم وصارب أجمل من كاهن كنائس الشرق، والمدينة التي كانت محل الشرور صارت محل العبادة، والديورة التي سلمناهم انما فهم مجتهدون جداً هي قيامها، إنما بعدها ضعيفة بسبب محل المواسم والعلاب، ونقص الارزاق وعدم اقبالها وقد قطعنا منهم عوائد كثيرة ومطالب رابدة، ومع ذلك فلم نزلوا منعوبين⁽²⁾.

إن هذه الرسالة التي شبه تقرير يرسله مكلف بعد إنهاء مهمته ويؤكد على أنه بعد المنفق عليه، وبر معهوده ووعوده، وأعطى من بعبعة قسماً كبيراً إلى حبه أساسيه لقاء مساهمتها هي الوصول إلى النتيجة المنتعاة، وتمنعها برعاية وعطى القوة النافذة.

فالعاية من كل ما جرى هي إعادة إعمار الأديرة والكنائس، وطرد أعداء المسيحية منها وتسليمها إلى أتناع الكرسي الرسولي من دون سائر طوائف النصارى.

يعلق باحث ومؤرخ معاصر على هذه الأحداث فيقول.

(1) إن هذه الأديرة قديمة العهد قبل الهجرة الشيعية وقد وهبها 'تحكام السيرة بموجب عمود هبة وارد معظمها هي هذه الدراسة لصحة الرهبنة بنيانية مثـ دير مار أنطونيوس ودير مار دوميط ودير كميما ودير ميموق وغيرها، وكذلك كنيسة جبين وجميع الأديرة والكنائس الأخرى هأدالم يكن هبة من لعماديين فقد كانت بيوتهم التي يقعون فيها

راجع الترميم والمؤسسات الإقطاعية، توفيق توما ص 537

(2) البطاركة الموربة في القرن 18 الأب فهد ص 409. وبلاحظ أن هذه الأديرة هي نفسها التي مسجها النشيمة أوقافاً للرهبان.

من الأحداث البارزة في تاريخ لبنان الحديث، والتي تركت ذيولاً لا تزال بصماتها بارزة للعيان حتى يومنا هذا، سياسة تهجير العائلات الشيعية من مقاطعات جبة بشري وجبيل والبترون، وإحلال عائلات مارونية محلها. لا يزال عدد كبير من أفرادها يتوارث، إلى جانب الملكيات الزراعية الواسعة، الإقطاع السياسي والاقتصادي في تاريخها المعاصر.

كانت هذه المقاطعات الثلاث جزءاً من ولاية طرابلس، التي اشتملت على البلاد الواقعة على طول البحر الأبيض المتوسط ما بين اللاذقية ونهر الكلب. واعتاد والي طرابلس أن يفرض سلطته المباشرة على مدن الساحل وصواحيها، عن طريق إقامة متسلمين عليها من قبل. في حين كانت سلطته اسمية أو سطحية. وفي الأقاليم الجبلية أو البعيدة عن قلب ولايته كان يعترف بوجود رعيم يحكم باسم السلطان ويحافظ على النظام بين الناس.

وإذا بلغ الزعيم درجة من النمود أو القوة قد تهدد المناطق المحاورة، أو بدت عليه نطلعات استقلالية، تدرع أولياء الأمر هي الأسكانه بالصبر. لانهم كانوا على ثقة تامة، أن القضاء على جميع المتمردين في وقت واحد، عملية صعبة وتتطلب أموالاً وفيرة وقوات كبيرة. كما أن الاحتماق قد يؤدي إلى استمرار المتمردين في عصيانهم، وإلى روال هسة الدولة. ولذلك كان المسؤولون ينتظرون فرصة مناسبة للإيقاع بهؤلاء المتمردين، أو إثارة جيранهم وأقربائهم أو أسائهم أنفسهم، وجميع المتمردين يتبعون الأسلوب نفسه وتكون نهايتهم واحدة. وقد اتبع العثمانيون هذه الخطة في إدارة مقاطعات جبة بشري وجبيل والبترون، فقد قصوا على مقدمي البصاري⁽¹⁾ عن طريق ال حمادة الشيعية، ولكن مواربة لشمال لم يطلب لهم، أن يكونوا خاضعين لحكامهم الحدود، فبدأوا منذ أواخر القرن الثامن عشر يسطرون إلى الملك الفرنسي بأنهم يتعرضون لظلم من قبل مشايخ آل حمادة ويطلبون منه السعي لدى السلطان العثماني، بأن يكونوا هم الملتزمين لهذه البلاد المذكورة.

لكن النخمة ما لبثت أن تصحرت تمرناً بتأثير عاملين مهمين:

أ. تحريض والي طرابلس الذي كان يعاني، من امتثثار مشايخ آل حمادة بخيرات هذه المقاطعات الثلاث، وامتداعهم عن دفع العائدات المحصلة منها، كلما أفسوا من اليأشا ضعماً. وبما أنه كان عاجزاً عن التوغل في هذه البلاد الوعرة، فقد كان

(1) إن المدمين حرافه تاريخيه لم توجد يوماً

يحرص السكان على حكامهم، ويتطوع إلى قوة جديدة تستطيع طردهم من المنطقة دون أن يتكلف شيئاً

..... والي طرابلس كان يتمنى على فرد يصمن له بلاد جبيل أقله إذا راح شيء من الميري لا يكون بالقهر كما بيت حمادة.

2 - جهود المشريقين الأوروبيين وأنصارهم من الأحرار اللبنانيين، لتحويل لبنان إلى المسيحية ابتداء من أمرائه أعطت ثمارها فقد انتصبت النصرانية الأميرة سحر الندي روجة الأمير بشير الشهابي الأول، فضلاً عن أساء الأمير ملحم الشهابي كما نجحوا في تحريض نصاري بلاد جبيل والبترون وحنة بشري للتمرد على حكامهم مشايخ آل حمادة

وشهدت السنوات العشر الأولى من النصف الثاني من القرن الثامن عشر سلسلة من الثورات المتتالية، قام بها مواربه الشمال ضد سيادتهم آل حمادة. وتمكنوا في سنة 1759م من تحقيق بعض النجاح وامنوا السيادة على تلك البلاد، ثم ساروا جميعاً إلى والي طرابلس، والتمسوا منه أن يعهد إليهم بالنظر هذه المقاطعات عن تلك السنة، وذهبوا له الميري المسحمة عنها بتمامها بعدما فاسحاح الأحرار لطلبهم

أنهى الأمر ومستشاره حكم آل حمادة في بلاد جبيل، وقاما بإجراءات تأديبية صدهم حين كانوا يعطرون إيه معارضة وشجع عوده المواربة إلى أقاليمهم، وأعطى أملاك آل حمادة إلى أثناء الطائفة المارونية ورهبانها وحمل آل الظاهر في جبة بشري وال الدويهي في اهدن وبني عود الشدياق وغيرهم في حصرون وعين طورين وال الدحداح في بلاد جبيل والمقرون

وبالطبع لم يكن بإمكان آل حمادة الاستسلام بسهولة، والتخلي عن السيادة في هذه البلاد، هبدأوا هي معاوأة الأمير يوسف لإظهاره بمظهر العاجز عن إدارة الالتزام، وامتنعوا عن دفع الضرائب ووقف إلى جانبهم من تنفي من شعبة المنطقة الذين شعروا أن خطر التهجير يهددهم واشتتت الصريمان في معركة انتهت لصالح المحكام المحدد، واضطر آل حمادة ومن ناصرهم للهروب بعيالهم وأمتعتهم إلى الكورة.

(1) إن دور والي طرابلس أكثر أهمية من ذلك في تهجير الشيعة وهو دور فاعل وساسي ومعوري. وهو الذي أعزى بعض الأفراد المواربة بالاتصمام إلى قواته الممددة لقتال الشيعة وليس العكس

أرسل الأمير يوسف مستشاره سعد الخوري على رأس قوة من عساكر المغاربة، كان قد أرسلها ناسا دمشق بقيادة أحمد بك الحرار إلى بيروت، لحمايتها بعد صربها من الاسطول الروسي. وانضم إلى هذه القوة مشايخ جبة بشري برجالهم، وطردوا آل حمادة وشيعة جبيل من الكورة إلى القلمون ثم إلى طرابلس بعد أن أوقعوا بالمطرودين خسائر في الأرواح

وبذلك انتهى الأمير يوسف آخر خطوة في تبديل وجه لبنان الشمالي وظل أنه سيتمكن بعد ذلك من بيروت والحل'



قمم قمع الهرمل

(1) من بحث تهجير الشيعة لندكتور حسن سلمان سليمان، حبل عامل، السيف والقلم لأمن ص 342 ويلاحظ - بحث يكتفي بضم هـ الامور دون ان يبحث عن حلياتها.

الفصل التاسع

الشيعة في ظل الحكم الجديد

كان الشيعة مستشرين في كل لبنان، وكنت السموح والاودية والسهول التي تقع إلى الشرق من سلسلة جبال لبنان الغربية اهلهم من مسج نهر العاصم هي الشمال حتى مشارف جبل الدروز هي الحبوب ولم ينقطع التواصل والتماس بين المنطقتين في أي وقت، كما أن لهجرة الحمادية الكبيرة هي القرن الخامس عشر نشرت في جبال لبنان من كسروان حتى عكار، وهي سفوحها الشرقية من الهرمل حتى شمسطار⁽¹⁾ وحولهما فكانت البلدتان منذ زمن بعيد مكان امامه بعضهم ومن مناطق بمودهم وأملأهم، فكان من الطبيعي ان تنح انظار المهجرين اليها منذ اللحظة الأولى

كان آل حمادة يحكمون الهرمل و لقراءة وهم في الوقت نفسه هي حبل والصناعة وحبه شري⁽²⁾ وشمسطار بكليك لهم⁽³⁾ وسائر البلاد الواقعة بين حسر المعاملتين وحصن الأكراد

لا شك أن الحوار الجغرافي والتواصل لسكاني لسابق هما اللذان دفعوا المهجرين إلى بلوغ قمة الجبال والاعتماد على الجهة الشرقية لقيموا في قرى موجودة أحياناً ويشتتوا قرى ومزارع جديدة أحياناً أخرى. وقد كان لعامل القرى تأثير قوي في اختيار المهجرين للأماكن التي يرحلوا إليها ولأن لموجة الكرى كانت هي التي رافقت أو أعقبت مباشرة معارك العافورة وتداعياتها فقد تناعت بعد ذلك الهجرات على فترات طويلة فكانت كل عشيرة أو عائلة أو سكان قرية يلحقون بهم منهم من عشيرة أو العائلة أو

(1) أخبار الأعيان الشدياق ص 192

(2) مشاهدات هي سوريا بيوهر ص 24

(3) أخبار الأعيان الشدياق ص 193

القرية حتى أصبحت أعبية الصرى والمركز السكية والمزارع والوديان، خصوصاً في القسم العربي من بلاد بعلبك ومعظم حرود الهرمل وسهولها، مأهولة بهم. وأكثرهم ترك وراءه أقرباء وأملاكاً وذكريات لا زالت حية هي وحداهم وراثتهم وعلاقاتهم العائلية والاجتماعية حتى اليوم وبقي الاعتقاد لسائد والإيمان ثبات بينهم بأن هجرتهم مؤقتة وآية، وأن الظروف التي أجبرتهم على ترك ديارهم لا بد أن تتبدل ويتمكنوا يوماً من العودة إلى بيوتهم إلا أن المرميات العثمانية بمنع العودة والضغط، الشهابي المتواصل والتعصب الذي كان يهيه شكل دائم أصحاب المصالح من الدين وصعدوا أيديهم على أملاك الدرحين وبرز قههم، كانت تقف حائلاً دون ذلك وجعل لهجرات مستمرة باتجاه واحد وإذا كانت المدايح والعروات هي التي دفعت قسماً كبيراً منهم إلى الهجرة هي بدايتها لكن بعد معادرة الحماديين شيوياً وعشائر صمعت العصبية التي كانت تمتلئ القتال وشكل حماية لحمهور الشيعة، وحد الباقيون أنفسهم بدور حماية قتالية يامنون بواسطتها على كراماتهم وأملاكهم وعائلاتهم وأصبحوا مستضعفين ينمرون لکل أنواع السكل والهوان فمادروا صناً بكر متهم وغنمواهم وهربا من مرارة الدل والقهر، وبقيت قبول منهم في بعض القرى ورفضت معادرتها ولكنهم كانوا من الملاحين المقروء وفي سرايات حران نصيب قلة حمادية حتى أواخر القرن التاسع عشر رغم معاكسة الأيام لهم ظلت بموسهم أنية ولم بدلوا البس ولا حصلوا المقام وطلوا يحمون الى هذه المقاطعات وقد حاولوا العودة إليها هي ما بعد،

والواقع أن محاولة العودة لم تنقطع بدأ وبحميع الوسائل القتالية والقضائية والسياسية والشعبية

وقد بقيت هذه العودة المصرصة هاجساً دفع المستعبدین من الوضع الحدي إلى اتحاد كل التدابير السياسية والعسكرية التي نواجه مثل هذه المحاولات

فبالإضافة إلى حملة الاستقدام لو سعه لإملاء المراج السكابي الذي حلمه المهاجرون بأعداد كبيرة من الموارد زرعت في رصهم وأملاكهم لتقف حائلاً دون ذلك، تألفت كتائب عسكرية خاصة حمر أفرادها صادق حمر على بمصها اسم سعد الحوري⁽¹⁾ لتقوم بمهمة مردوحة هي موجهة عودة النازحين إذا أقدموا على ذلك وتهجير من طل متشكناً بالبقاء رغم كل شيء من جهة أخرى

(1) حبييل واليترون والشمال في لتريخ، عبد الله أبي عبد الله، ص 179

(2) آل السعد، حاطر، ص 55

كما حصص قسم مهم من أملاك الشيعة لعمومة ليورع على من قاتل أصحابها ومن هو مستعد لقتالهم في حال عودتهم أو مضتهم بها وورع على كل طامع يدعي القدرة على التصدي لهم فكان نصيب آل الخارن أرسى حاج ولحمد وترتج كما تقيد وثيقة حازنية جاء فيها

«أصل تملك الشيخ رامج في حاج بلاد جيل، وذلك حين أخذ أئندينا الأمير يوسف الحكم من المشايخ الحماديين، طارو وصاروا يخرطوا هي البلاد ويلجوا ويقتلوا، ومن الحملة قتلوا سبعة أعمار في حتون ليلة واحدة، فأمر جناب الأمير يوسف بشور سمعان الببطار بأن يقيموا جناب الشيخ رامج بوكاشي لكي يوقي البلاد من المشايخ بيت حمادة. فحاوله الشيخ رامج لجناب الأمير يوسف أمرت على راسي إنما أنا رايح أغالط وأفادي بروحي وأعادي ولاد اسماعيل حمادة⁽¹⁾. اعطيني مكان حتى أتملك وأعمر وأطرد الحمادية المتاولي فأعطاه الأمير يوسف حجة في أرض جاج منكأ، فحصر الشيخ رامج وراد يأحد السمي من حراج جاج كون السفي قسم من جاج وبيت الحاج يوسف المتاولي⁽²⁾ كانوا وقتئذ سكان كجاج. فلما طاروا بيت اسماعيل طاروا بيت الحاج المذكورين معهم⁽³⁾».

سنة 1788م عزل الحرار يوسف الشهابي عن ولايته للمرة السادسة والأخيرة وعين مكانه الأمير بشير قاسم فهرب يوسف من دير النمر إلى سكرنا ثم العاقورة ثم جيل وأخيراً جمع بعض الحماديين وزحاح حبة بشري ورابط في وادي الميخال حيث لحقه الأمير بشير ومعه ألف من عساكر المعربة والأرناؤوط الذين رؤده بهم الحرار هوجد أسعد عبد الملك كبير الحماديين أنها فرصته للانتقام من يوسف.

فلما وصل بشير إلى الوادي وصار الشر يكسب المعاربة والأرناؤوط وراح منهم مقتلة عظيمة وكان بجانبه الشيخ أسعد عبد الملك حمادة فرمق بالمتأولة رعدة ارتجت لها الحبال وأعاد الهجوم على عسكر الأمير يوسف فأكسر كسرة عظيمة⁽⁴⁾ وقتل الشيخ أبو دهيمن بن علي جنبلاط وكان بطلاً صنديداً⁽⁵⁾ غيوراً.

(1) هم عبد السلام وعبد الملك وأبو النصر

(2) لا يزال قسم من أبناء هذه العائلة الحمادية يقيمون في حن لسان، لكورة، والمسم لاجر ينتشر بين مربي بعلبك وجنوبي وعربي رحلة

(3) تاريخ حديون، حليلة، ص 133

(4) تاريخ لعاقورة لحوري نوبس الهاشم، ص 104

(5) أصدر الأعيان، لجره الثاني، ص 494

وهرب يوسف إلى جبه بشرى ثم إلى لحمد ثم إلى بعلبك فالزبداتي. وشنق بعد ذلك بمدة وجيزة

لم تقتصر مقاومة الشيعة المنمادية و مستمينة على القبة منهم التي تشبثت بقراها هي جبل لبنان بل جرت محاولات عديدة لعودة قدم بها المهاجرون من دار هجرتهم إلى مختلف ديارهم التي طردوا منها بعد عداوتهم المتكررة على بشرى شنوا غارة على كسروان سنة 1841م⁽¹⁾ وعلى قرطبا في 5 حزيران 1858م⁽²⁾ وقاموا بهجوم آخر على كسروان بعد تجميع صفوفهم في الميمري ولاسا فسقط عدة قتلى من النجاشيين وأحار البصاري أنفسهم أن يحصدو ررع المتدولة في لاسا وأفق والميمري وغير محلات سدا لمورهم⁽³⁾

لم تتوقف أبدأ محاولات الشيعة وسعيهم للعودة إلى ديارهم. كما لم يتراجع عزم الصامد بن على البقاء في قرهم وبيوتهم. ولكن بطش الولاة العثمانيين والتمرد الماروني المتستر بالشهابية المتصورة كانت هاهرين دائما للوقوف بوجه ذلك فإن محاولة حسين ابن حمود حمادة انتهت بقتله عذرا في حبل سنة 1810م بعد تواطؤ الأمير بشير هاسم وأولاد الأمير يوسف ومصطفى ربر وآل طرابلس

ثم أنه بهذه الأيام أناء الأمير يوسف حكام جبل قبلوا الشيخ حسين متوالي شيخ الهرمل وهذا هو غني وردي وعدو للأمير جهجاه الحرهوش هذا جاء يواجه الأمراء المذكورين استقام يومين وقصد لرحوع لمحله فمسكوه وخنقوه وأرموه في جب وصبطوا أمواله التي أغلها موشي واسلحة وامتعة وأما عرش فهو قليل. وسبب قتله انهم مسكوا كتابة منه إلى مصطفى بربر طلب منه حكومة حبل وأنه حالا يقتل جرجس بار وأخيه ويمسك الأمراء ويرسلهم لطرابلس بالقييد. فبربر أرسل المكتوب دانه للأمراء المذكورين وعرضوه على الأمير بشير هادس لهم يعدمونه متى وقع بيدهم فوق وأكل جراه لانه ردي جد وله عروة (حزب) كبيرة بالهرمل ودايماً يرغب تلاف البصاري في جبل⁽⁴⁾.

(1) رجوع البصاري، ص 25

(2) مقاطعة الكسروانية ص 277

(3) صفحات من ماضي لشيمة، ص 229

(4) حوادث لشم ولبس تاريخ ميخائيل لدمشقي ص 117 استدرج انشها بيون حسين إلى صياقتهم. وعبروا به أما كتابته إلى بربر فمماثلة فيها نظر لار مثل هذا لعر من عادة لا يقدم كتابة.

وبقي المتشبهون باحر معاقلهم يتعرضون إلى حملات منهجية من التنكيل والاصطهاد والقمع وهب البيوت عن اخرها وقطع الأملاك وتعطيل الأمتعة التي لا تقبل الهب⁽¹⁾. ورغم اجتماع كل هذه العوامل والمواقف عاد الشيعة إلى تولي جبل لبنان فترة وجيزة سنة 1840 عندما أسد عمر باشا النمساوي حكم بلاد جبيل والسترون والكورة إلى ثلاثة من المشايخ الحمادية وكان تشعل معظم الشمال اللبناني بما فيها حبة بشري. وذلك هي محاولة منه لوضع حد للانقسام الطائفي الحاد، وبهاء الاصطراعات التي عمت لبنان آنذاك ولكن مشروعه لجل الأزمة لم يعيش طويلاً لأسباب عديدة منها معارضة البطريرك هذه التولية⁽²⁾ وبعدها آلت الأمور إلى سقوط النظام الإقطاعي نهائياً في لبنان واعتماد نظام القائمقاميين الذي أثبت هشله بعد حين.

وبعد خروج الأمير بشير من الحكم وسقوطه وصل إلى كسروان معتمد من قبل متسلم بروت مع بعض المشايخ الحماديين لإقناع أهالي كسروان بقبول وألّي شيعي عليهم فرفض الشيخ رشيد الدحدح ذلك خوفاً من نو حمرة الحبشيين واصطر الدحدحة إلى معادرة كسروان واللجوء إلى بلاد البسرون⁽³⁾.

ورد في رساله موجهة إلى البطريرك الدرزي في 21 كانون الأول 1841م «مشايخ بيت حمادة الدين أنعم عليهم بمقاطعة جبيل ارتفعت عنهم بأمر الدهتردار ورجعت إلى خاطر سعادته. وهم الآن باقون في المدينة»⁽⁴⁾ وهؤلاء المشايخ الثلاثة هم احر حكام من الشيعة على جبل لبنان.

وقد حاول الشيعة على امتداد السنين بصمود في هراهم رغم كل الظروف لصاغة وحتى وقت متأخر كانت هذه المحاولات لا تزال تستدعي تدخل البطريرك يوحنا الحاج والمتصرف نفوم باشا لمعالجتها سنة 1894م⁽⁵⁾.

(1) المقاطعة الكسروانية، الحوري الحموي ص 257

(2) أصل بوارية المطران بريس، ص 202 والمؤسسات الإقطاعية، بوما ص 227 ولشدياق، لجره الثاني، ص 490.

(3) المقاطعة الكسروانية، حتوي، ص 300

(4) أرشيف بركي جارور البطريرك حبش وثيقة رقم F1

(5) تاريخ لصور، أبو صعب، ص 303

أملاك المهجرين

عندما ثبت الأمير يوسف سيطرته على شمال لبنان، لم تكن هي المرة الأولى التي يستبدل فيها حاكم باحر، فإن مثل هذه تبدلات كانت سمة بارزة ملارمة لطبيعة الأحكام وبضاليدها هي ظل سلطة العثمانية المتقنية وبصعل المناهسات والنراعات العائلية والعصية والتحالفات القبية والعشائرية وأمرجة الولاة ومدى سطوتهم وقدرتهم على التحكم في مثل هذه لأمرور وما تؤمنه لهم من هوائد ومنافع على الصعيدين المادى والسلطوى حصل مثر هذ التبدل في الأحكام مراراً في حبس الدروز على عهد المعيين والشهابيين، وعالياً على أثر براعات دامية وحروب وصدامات بين الطامحين في ما بينهم أو مع السلطات العثمانية، عندما ترى أن تفرص رغباتها مباشرة بقواها الداتبة أو بمساعدة فئة على أخرى وهي الحالين تكون النتيجة بصها، تنتهي بصصور فرمان ينقل الحكم من جهة إلى أخرى باسطار حوله قادمة مماثلة، فقد تبادل المعنبون وآل علم الدين لحكم أكثر من مرة وعندما النعا الشهابيون والمعيون برحالهم الى قمهر هرباً من حبوش أحمد باشا الكري، وقع حكم شوب على الشبع سرحان بن عماد، وملاذ العرب والحرر والمتر على أولاد علم الدين، وكسرون على محمد اعاء، وأعطي حكم وادى منهم إلى أولاد علم الدين والمقدم دين الدين وابن أخيه عبد الله" مع ذلك بعيت الأملاك لأصعبها رعم نمردهم واحتمائهم هي وجه السلطة، وقد حصل مثل ذلك في ولاية طرابلس نتيجة للصراع الطويل بين العسافيين ولسيفيين ولدي انتهى بعد بعاقب العائلتين على لحكم - بصراضهما معاً

وهي جميع هذه الأحوال وما يماثلها - وهي كثيرة مستحبة الحصر - لم يحدث أن راهو تغير الحكم وتبدلهم تحت أي طرف، الاستيلاء لكامل على أملاك الحاكم السابق وأملاك أقاربه وأنصاره وطائفته كئها والاحتماء بقسم منها وتوزيع ما يبقى بيعاً أو هبة تمديداً لموقف سياسي أو عسكري أو اسراراً لرصا جماعات محلية وخارجية دون مستند شرعي من بيع يبرر ذلك أو رث كما جرى في ولاية الأمير يوسف على بعض مقاطعات ولاية طرابلس، لقد حصل ن عهدت السلطة العثمانية أحياناً إلى مصادرة أملاك عائلة واحدة أو عدة عائلات كما فعل أحمد الحرار عندما احتاج جبل عامل بعد معركة يارون ومقتل ناصيف النصار فإنه صادر أملاك العشائر - علي الصغير - صعب - منكر ولكن خلفه سيمان اضطراً إلى حرء نسوية لتعليك العشائر

الثلاث قرى بديلة هي إهليم الشومر، كم صادرت سلطات ولاية دمشق أملاك الحرافشة لقاء راتب نقدي التزمت بدفعه حتى سقوطها وتابعت سلطات الانتداب الوفاء به حتى منتصف القرن الماضي⁽¹⁾ لا أنها - حسب علمنا - لم تعد يوماً إلى مصادرة أملاك مجموعة من الناس أو طائفة كاملها أو شعب برمته إلا عندما ساهمت بذلك وسهلت ما جرى برضاها النصمي أو لصريح هي ولاية يوسف الشهابي.

إن انقلاباً شاملاً على الصعد لسياسية والديمقراطية والعقارية قد حصل في الشمال بعد أن تولّى الشهابي مكان الحماديين، وتغيّر الطابع السكاني بسرعة وعمق وكانت جهود الرهبانية بحريتها وأموالها ومساعدة الوالي العثماني والنفصل الفرنسي ومن يقف خلفه تسهل كل الأمور الصعبة وتؤمّن العطاء السياسي والقانوني لكل عمل مهما كان مدى تناقصه مع الشرع والأصول ولأعراف ومبادئ الإنسانية.

أفرغت قرى كاملها بعد أن هجر أهلها، وحولت الكثير من بيوت المهجرين أو المقتولين إلى أديرة وكنائس، أو أعطيت إلى مالكي جدد، أفراداً أو رهبانيات وكانت صكوك التصرف تصدر عن يوسف أو أحد كواحيه بنون مسوّع شرعي أو قانوني أو إنساني أو عرقي يترز ابتزاز ملكية من صاحبها وإعطائها إلى المر لقاء منعة مادية أو سياسية يعود تقديرها للأمير وجماعته فقط لأنه استطاع أن يحصل من والي طرابلس على الترام هذه المعاملات لمدة سنة و حده بمبلغ عشرين ألف غرش وثلاثين بورصة رشوه ولو أن الملتزم السوي للمقاطعة عمد إلى بيع ملكيات من أصحابها وتمليكها لآخرين، لانهار نظام الملكية الساحق في القدام ونظام الالتزام معاً.

إنها المرة الوحيدة التي حصل فيها مثل ذلك في لبنان بهذا الشمول وهذا الاتساع. ولم يكن لهذه الصكوك التي صدرت عن يوسف وأعوانه وعرابيه أي قيمة شرعية، لأنها موقعة من غير أصحابها، ولأن التصرفات السابقة للملكية محدّدة عرفاً وقانوناً وشرعاً، ولم يكن يحقّ للحاكم أو لباسا الولاية وحتى لسلطان نفسه في أي وقت أن ينوب عن أصحاب الأملاك هي التفرغ عنها ومع ذلك، فقد استند إلى الواقع الطارئ بعض المنتفعين لوضع اليد والتصرف بانتظار المجهول الذي لا يمكن التكهّن به. وهذا ما سبّب مع مرور الوقت مشاكل قانونية وإسبابة معقّدة ومتشابكة لا يزال بعضها عالقاً أمام المحاكم حتى اليوم، ولا زال العديدون من أبناء المالكن القدامى يمرهون بالصبط موقع أملاكهم وكيف انتزعت منهم قهراً وغلبة، خصوصاً وأنّ قسماً كبيراً منها انتقل إلى

(1) راجع تفصيل ذلك في فصل الحرافشة.

الرهبانيات والمعظّمات الكنسية التي عمدت في ما بعد - لعلمها بعدم جدوى أوراق الأمير يوسف وأعوانه وعدم قانونيتها - إلى الاستحصال على تقطيعه شكلية - اعتقدت أنها كاهية من غير ذي صفة في معظم الأحوال أو بالاستناد إلى قوانين التصرف ووضع اليد في الأراضي غير المسجلة في الطابو الجديد التي تنص على حق واصع اليد بتملكها بعد مرور مدة معينة دون اعتراض إلا في حالتين شيوع الأملاك (الشراكة) والقوة القاهرة وهذا هو حال معظم الأملاك المعنوية، ومن ناحية أخرى فقد حصلت مشاكل كثيرة أيضاً بين الملاحين وأنسابهم الذين تعودوا زراعة هذه الأملاك واستغلالها وبعضهم من أيام مالكيها القدامى، وبين المنتصرين بموجب صكوك هذه المنرة التي كتب بعضها عمداً بالكرشوني الإجماع مصمونها وريادة مدلولها عموصاً والتباساً رغم أن موقعي هذه الصكوك وعلى رأسهم أمير يوسف نفسه - لم يكونوا يعرفون هذه اللغة.

إن عدداً لا يمكن الإحاطة به من القرى والمزارع هي سائر أنحاء ولاية طرابلس كان ملكاً لآلاف العائلات من الملاحين الشيعة الفقراء الذين كانوا يقيمون فيها منذ ما قبل المنح العثماني وكان بعضها محتلّ بقيم هيبة الشيعة إلى جانب الموارد وبعضها الآخر تقتصر ملكيته عليهم⁽¹⁾ وكان هناك أيضاً قرى شيعية صرفة قدم إليها أعداد من الملاحين الموارنة أقاموا بين الشيعة على وفاق تام ومشاركة في العمل⁽²⁾ وقد طاول التهجّر جميع هذه الأنواع هترك بملاحون الشيعة أراضيهم وبيوتهم وهي بعض الأحوال مواسمهم على أمل الرجوع بعد هدوء العاصمة واستتباب الأمن، الشيء الذي لم يحصل أبداً، ولم تنسبر لهم العودة بعد عشرات السنين ولم يحتفظوا من هذه الإقامة التي دامت قروناً عديدة إلا بأسماء تبين انتسابهم إلى قراهم الأصلية⁽³⁾ وصكوكاً قديمة لم تلب بعد.

أما المشايخ الحماديون، فهي جانب ملاكهم العادية أقاموا مزارع خاصة بهم على الأراضي الأميرية والموات عبر المملوك وأطلقوا عليها اسم «مكاليك» تشبهاً بأملاك الدولة الخاصة و«جمتليكات» السلاطين ولولاة العثمانيين⁽⁴⁾ فهي في الأصل أراضي

(1) حول الترمعات لغفاريه التي لا تزال قائمة حتى اليوم، راجع إيليح بين الماضي والحاضر، كميل سلامة حرهاني.

(2) لبنان في أرشيف سضمبول، عصام خليفة، ص 123-125.

(3) رجوع البصاري، لحوري رجب، ص 20.

(4) هناك عدلات كثيرة لا تزال تحمل أسماء القرى التي برحت منها في جبل لبنان مثل قهر بلوط، رشعيني، دليبي، شحيني الخ.

(5) أشكال للكية، عيد الله سعيد، ص 164 ومصدر الجمتليكات هو جمتلك.

أميرية لا مالك لها نشأت بفعل الحرثة والنشجير والإحياء والإعمار (تطبيقاً للقاعدة الشرعية: من أحيا أرضاً مواتاً فهي له)

وقد استعمل هذا التعبير «بكاليك» خصوصاً للدلالة على الأراضي التي استولى عليها الحماديون من الأراضي الأميرية عبر الملوكة، وتصرفوا بها بالعمل لحملها صالحة للزراعة وإقامة الأسباب اللازمة لتحويلها إلى أرض راعية قابلة للاستغلال ثم عمدوا إلى إدارتها أو تأجيرها إلى الراغبين من الملاحين أو الرهبان⁽¹⁾ . يقول لحد خاطر:

«كان الحماديون حين تولوا تلك البلاد قد صبغوا أملاكها بالقوة بحجة كونهم حكاماً من قبل السلطان وأطلقوا عليها اسم البكاليك وهي لمحة تركية يراد بها الأرض التي تخص حاكم الناحية وصاروا ينصرفون بها تصرف المالك بملكه دون قيد أو شرط» .

وحين انتصر عليهم الشيخ سعد ، كذلك تلك الأملاك أي ضبطها بمثل الحجة التي ندرعوا بها، وهي اعتبار سيف الأمير بمقام سيف السلطان وأحد يتصرف بها كما يشاء فحفظ بعضها للأمير وورع الباقي

وبعد أن توفي الأمير بشير وعمل على قتل يوسف ونكبه أولاده صبغ أملاكهم بحجة أنها بكاليك وورثت الحكومات الليبية البكاليك إلى أن باعنها حكومة الجمهورية من بعض الأفراد فأصبحت ملكاً خاصاً لهم وبذلك انقضى عهد البكاليك في ليبيا⁽²⁾ .

إن «البكلية» - وهي تعبير اصرد به المؤرخ - لم تنتج في الواقع أي أثر قانوني يعتد به، وإنما استمرَّ التصرف بهذه الأملاك بحكم الأمر الواقع وحده لذلك عمد مشايخ القرى هي حمة بشري إلى محاولة إحياء سند قانوني لاستيلائهم عليها بعد أكثر من قرن⁽³⁾ كما أقام الكولونيل تشرشل لدى مجلس المائتفمية المسيحية دعوى باسم أحمداد الأمير يوسف نفسه لاستعادة بعض البكاليك التي كنت تعود للحماديين، وهي «يب شلالا كفر حلد» ومزرعة الحاج عساف وكمر منه وعس كماع وكيمان وحران وإدنه وهي قرى قام برراعتها فلاحون بالنصرف بعد أن بعلكها الأمير يوسف قهراً وعلبة وهي الطريقة

(1) الريميون، توما، ص 573-577 .

(2) آل السعد، خاطر ص 55 راجع لوثائق F11 وهذا تقرير هو رأي شخصي للمؤرخ

(3) العبطوري، ص 165

وثائق F11



عقد بيع بين خمسة أخوة من الشيعة والاب
اعرام البشراي رئيس دير ميعوق سنة 1818 م

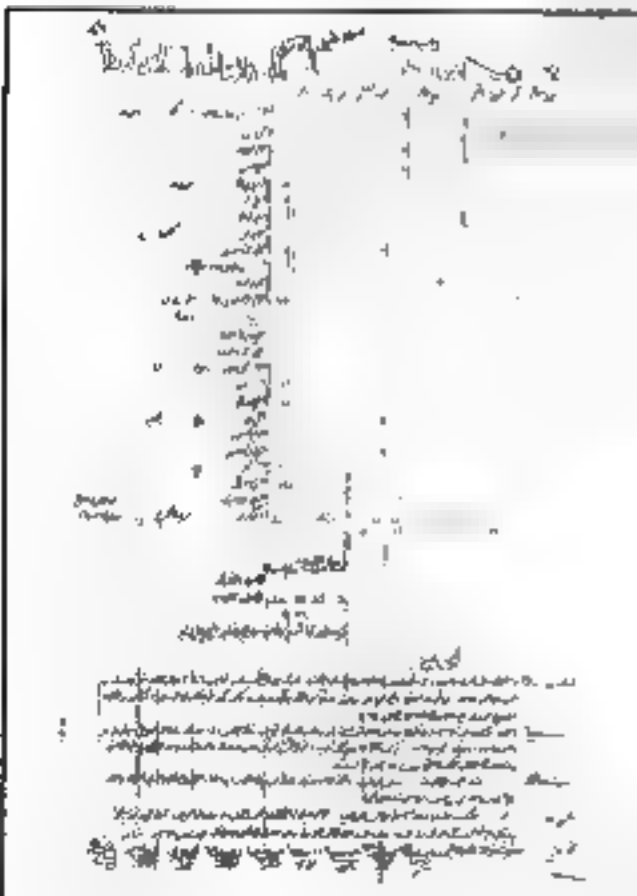


عقد بيع شيعي والمشتري المطران يوحنا
الحاج 1870 م

ملايي تحرير



عقد بيع بين شيعي والاب جبرائيل رئيس
الدير في 10 نيسان 1836 م



صورة عن سهل مساحة جبل لبنان يحد
ملكبة قرية ميعوق 25 سهما للمقاولة
و 45 سهما للموارمة

تاریخ	شرح	ملاحظات
۱۳۰۲	در این سال...	...
۱۳۰۳	در این سال...	...
۱۳۰۴	در این سال...	...
۱۳۰۵	در این سال...	...
۱۳۰۶	در این سال...	...
۱۳۰۷	در این سال...	...
۱۳۰۸	در این سال...	...
۱۳۰۹	در این سال...	...
۱۳۱۰	در این سال...	...
۱۳۱۱	در این سال...	...
۱۳۱۲	در این سال...	...
۱۳۱۳	در این سال...	...
۱۳۱۴	در این سال...	...
۱۳۱۵	در این سال...	...
۱۳۱۶	در این سال...	...
۱۳۱۷	در این سال...	...
۱۳۱۸	در این سال...	...
۱۳۱۹	در این سال...	...
۱۳۲۰	در این سال...	...
۱۳۲۱	در این سال...	...
۱۳۲۲	در این سال...	...
۱۳۲۳	در این سال...	...
۱۳۲۴	در این سال...	...
۱۳۲۵	در این سال...	...
۱۳۲۶	در این سال...	...
۱۳۲۷	در این سال...	...
۱۳۲۸	در این سال...	...
۱۳۲۹	در این سال...	...
۱۳۳۰	در این سال...	...

بعض عقود البيع لأملاك الشيعة لمصلحة إرهابيات بين 1756م و 1873م صادر عن مديرية الشؤون العقارية في أيار 1938م

۱۰
 ۱۱
 ۱۲
 ۱۳
 ۱۴
 ۱۵
 ۱۶
 ۱۷
 ۱۸
 ۱۹
 ۲۰
 ۲۱
 ۲۲
 ۲۳
 ۲۴
 ۲۵
 ۲۶
 ۲۷
 ۲۸
 ۲۹
 ۳۰
 ۳۱
 ۳۲
 ۳۳
 ۳۴
 ۳۵
 ۳۶
 ۳۷
 ۳۸
 ۳۹
 ۴۰
 ۴۱
 ۴۲
 ۴۳
 ۴۴
 ۴۵
 ۴۶
 ۴۷
 ۴۸
 ۴۹
 ۵۰
 ۵۱
 ۵۲
 ۵۳
 ۵۴
 ۵۵
 ۵۶
 ۵۷
 ۵۸
 ۵۹
 ۶۰
 ۶۱
 ۶۲
 ۶۳
 ۶۴
 ۶۵
 ۶۶
 ۶۷
 ۶۸
 ۶۹
 ۷۰
 ۷۱
 ۷۲
 ۷۳
 ۷۴
 ۷۵
 ۷۶
 ۷۷
 ۷۸
 ۷۹
 ۸۰
 ۸۱
 ۸۲
 ۸۳
 ۸۴
 ۸۵
 ۸۶
 ۸۷
 ۸۸
 ۸۹
 ۹۰
 ۹۱
 ۹۲
 ۹۳
 ۹۴
 ۹۵
 ۹۶
 ۹۷
 ۹۸
 ۹۹
 ۱۰۰

الهائم شهقي للمشتري المطران يوحنا مراد السنة 1891 م

التي اعتمدت بعد وصوله إلى ولاية حبيب، رعم الصكوك المأقدة القيمة القاسوية التي أصدرها وجماعته، ولكنه خسر دعوى رعم بموده الواسع ومحاولاته المتواصلة

في ردة على استعمار نظارة (لدفترخانة) عثمانية واستعلامها هي 7 تشرين الأول 1872م، برز مجلس إدارة متصرفية لبنان وحوود الأراضي الأميرية في الجبل من خلال «صورة مصبطة» جاء فيها

«وأما (ما) كان من أمر الأملاك المعروفة الآن بالبكاليك أو الأراضي الأميرية، فهذه لم يكن لها أصل بالحصل بالمداد لأولى شمر أنه بانتقال إمارته من الواحد للآخر بوجه التعلب، كان الخلف يصطط أوراق السلف وبعضها من أعيان البلاد وأهاليه بوجه الصطط أيضاً وتسقى هذه الأملاك بكلكا فورد حاصلاتها إلى كيلاراً حاكم الجبل لصروفاته وبقي الحال هكذا لحين انفصال الأمير بشير عمر عن إمارة الجبل ونصيب خلفه تحت رابطة المال المصطوع ثلاثة آلاف وحمسمائة كيس من أصل معاشه ومعاش سائر الأمورين المسماة بكلكا صارت في ذلك الحين تنلزم من طرف حرية إيالة صيدا وتورد قيمه بدلات الترامها لصدوق الحزينة خارجاً عن مال الجبل المقرر ومن ذلك اكتسبت الاسم الثاني أي أراضي أميرية أو ارراي همايوية، وجميعها بمعنى واحد، وهي هي أيدي الأهالي بمصصى حق مسد مسكتهم يدفعون عنها لجانب الميري تسع من المزروعات ورسومات معلومة على عدد الأشجار...»⁽¹⁾.

ولكن الدعوى التي أقامها مجلس ولاته بيروت 1890 م على ملزم بكاليك حبيب والترون هي عامي 1855م - 1856م لعدم تسديد ديونه المترتبة للحرية المركزية تحالف مطالعة مجلس الإدارة في ما سبق بوحود بكاليك عبر أملاك الأمراء الحاكمين في الجبل⁽²⁾.

إن نجاح المساعي بتولية الأمير يوسف على لمقاطعات الثلاث من جبل لبنان كان مقدمة لعايات مدروسة ومعدة بعناية برمي إلى إحداث انقلاب كامل هي كل مطهر الحياة بإحراء تبدلات مكانية فخرية عن طريق تهجير مجموعات شيعية متجذرة وإحلال أخرى مكانها. وذلك بهدف إعطاء هذه المناطق طابعاً طائماً معيناً وتأسيس كيان متماسك وموحد لجعله نقطة انطلاق إلى ما هو أعم وأشمل ولكن التطورات

(1) لفظة تركية تعني «المطبخ».

(2) شكل الملكية وأنواع الأراضي عبد الله سعيد، ص 165، 166.

(3) مصدر السابق، ص 166.

اللاحقة التي يبدو أنها لم تكن محسوبة بدقة عرقلت الانطلاقة وجعلتها تتعثر في أكثر من منعطف.

إن تهجير الحماديين والشعبة من شمال لبنان وبلاد جبيل والبتوح ومصادرة أملاكهم وتوزيعها على عائلات إقطاعية من الموارنة وعلى الأديرة والكنائس والملاحين هو عمل تعسفي جائر الهدف منه تقسيم لبنان واقتلاع الحمادية والشيعة من جذورهم الدينايية وطردهم إلى مناطق أخرى وكان رد آل حمادة بعد تسعين عاماً على هذا التهجير رداً وطنياً نبيلاً حيث طالبوا أن تكون بلاد الهرمل جزءاً لا يتجزأ من متصرفية جبل لبنان وتابعة لقضاء المتن منقسماً لبلدان إلى كيانات طائفية.⁽¹⁾

كانت الخطوة الأولى التي قام بها المستعمرون والمفتدون هي الاستيلاء على أملاك المهجرين وقراهم ومرارهم وبيوتهم ومبيكها إلى لنادمين الحدد حكاماً وتنظيمات ورعية

ارتبط اسم سعد الحوري بحريير المندطق الشمالية من الإقطاع الحمادي وقد استغل تردد الأمير منصور سنة 1764م⁽²⁾ وحصل على الدعم والأموال من الموارنة وتمكن بتأييد بعض المناصب من تأمين تعيين يوسف أميراً على شمال لبنان هزمت بلاد جبيل والمترون بالسكان⁽³⁾

بعد تعيين الأمير يوسف رفع تولي المشايخ الحماديين عن كامل معاملة طرابلس وأحدث النصاري قتالاً عليها لتوطئتها⁽⁴⁾

استقدمت عائلات من مختلف الانحاء حرج جبل لبنان خصوصاً من الشوف والمنش وكسروان حلت مكان المهجرين في بيوتهم، و ستولت على أملاكهم، واقطعت الأراضي والمرار والقرى إلى مستعمرين عرباء عنها. وبال كل من هائل لشيعة أو ادعى ذلك أو أبدى استعداداً للقيام به نصيباً من العبيدة.

ترك الشيعة أملاكاً شاسعة ورعت على ملاكين حدد⁽⁵⁾ ومنهم آل حنا الصاهر وآل عيسى الحوري في بشرى وآل عواد وآل الشهاب في حصرون وآل العاراذ في الكورة وآل اصطفا في كمر صعب وآل طرية في توريين⁽⁶⁾.

إن المدبرين والكبيسة استأثروا بأثرر لأراضي وأكثرها جودة ابتداءً بعد - وهو

(1) صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم في لبنان انقاصي الشيخ يوسف عمرو ص 234-235

(2) احتلّت سياسة الأمير منصور فلم تكن بعدى شيعة في شمال وكر يميل إلى خلف صاهر الأمير وباصيف النصاري في الجنوب

(3) إيلاج من الماضي إلى الحاضر، سلامة، ص 192

(4) المقاطعة الكسروانية، الحوري منصور المحتوي، ص 9

(5) الرميون ومؤسسات لإقطاعية توما ص 573

(6) آل السعد، خاطر ص 56

صاحب الأمر الحقيقي - بنفسه واستصدر صكوكاً تقضي بتمليكهُ عدّة قرى ومزارع منتشرة في جميع أنحاء الشمال ومن سنّها هذا الصك الذي ينقل ملكية بعض القرى الحمادية إلى الشدياق سعد الحوري صالح هبة من أمير يوسف.

سبب تحريره هو أنه أعطيا طورره الكائنة في بلاد الجبة في قاطع الحدث وتابعها مزرعة بيت مندر ومررعة قحاحا ومررعة الورق ومزرعة تنبور بجميع ما فيهم من كلي وجزئي وعامر ودئر وماء وهواء وهبناهم إلى عزيزنا الشيخ سعد وأولاده غندور وصالح وهبة وصار لهم لتصرف العام التام كيف أشوا. شاؤوا. وأرادوا وعلى ذلك أعطياهم قول الله ورأي الله لا تغيير ولا تبديل حرر ذلك وجرى سنة 1763م صحح والمزارع المذكورين كانوا يكتسبنا لأنهم كانوا إلى طوائف بيت حمادة⁽¹⁾ ودارسين ونحن اوهبنا وهبة لا ترد صحح ويلى ذلك توقيع يوسف⁽²⁾

ودخل في ملك سعد عسارات ومزارع كثيرة أخرى منها «كركحله» قرب عمثيت، والحمارة ونصف الدكاكين ونصف القهوة حتى كان أعطياها قبلاً لأخوته قاسم وسعيد⁽³⁾ كما جاء سعد بأسر كثيرة وأعطى كل أسرة مررعة أو قرية تستعمرها. وكانت قريتا إحدرا وسبينا من نصيب سيمان لبيطار⁽⁴⁾ وكان نصيب بيت الدحداح سابين العصي وهي أفضل المناطق الرديئة هي «اليثرون»⁽⁵⁾ وأملك كثيرة غيرها⁽⁶⁾. ثم سلّمهم في عام 1770م دخل إراق الحماديين وكنت أكبر قسم من أراضي لصوح منكم⁽⁷⁾ كان للرهبان المواربة حصّة الأسد فتي توزيع المعام إلى جانب يوسف وسعد وجماعتهم وكان ذلك مكافأة على دورهم في المساعي التي أدّت إلى الواقع الجديد وكان الرهبان كما هو معلوم من الدين ساهموا ومولوا تصد هذا المشروع منذ بداياته. فكان من الطبيعي أن يتلقوا حصّتهم في لعدّات المحققة

وكان سعد على اتصال وثيق معهم وقد أفصح يوسف عن نيّته في مكاهاتهم بإعطائهم قسماً كبيراً من المعام العقارية التي استولى عليها إلى قد منه البابا معدداً فضائلهم ورضى الكرسي الرسولي عنهم⁽⁸⁾.

(1) يقصد بطوائف بيت حمادة شيعة جبل بعل على لإملاق والمقصود بالطوائف جمهور الشيعة العاديين من غير المشايخ الحكم

(2) آل السعد، حاضر، ص 58-57

(3) بخصوص هذه الهبات مذكورة، في المرجع السابق

(4) آل السعد، ص 56

(5) تاريخ الكمور ص 81

(6) المصدر السابق، ص 86

(7) المقاطعة الكسروانية ص 189.

(8) راجع رسالة يوسف إلى البابا في بطرركة المواربة لقرن 18 ص 409 (مذكورة سابقاً)

تلقى الرهبان البلديون بين سنة 1765م - 1770م كثيراً من الأديرة القديمة الكائنة في البترون من الأمير يوسف ومساعديه سعد وسمعان، والتي كان الحماديون يستعملونها لمسكنهم الخاص في الناية سنة السابقة⁽¹⁾، كأطلال ميصوق وكصيمان وحتى الكنيسة الكبرى في جبيل وجميع الكنائس الأخرى الواقعة في بلاد جبيل جميعها؛ إذ كانت سيوناً يقيم فيها الحماديون، فأصبحت أديرة وكنائس⁽²⁾. وقد تحولت الأديار بمصل أملاك الحماديين كما قال لامانس إلى مستعمرات رهبانية تمتلك آلاف الهكتارات من الأراضي لتصبح كبر قوة اقتصادية في جميع المحالات⁽³⁾. لقد كان هناك كاهنان لخدمة المصارى الموجودين في يحشوش وغبالة، أما الآن فيوجد في هذه المحلات نحو 80 كاهناً⁽⁴⁾.

إن الرهبانية اللبانية صاحبة مشروع بيت مارون كانت صاحبة الشريحة الأكبر من المعام الشيعية المسلوبة، وربما كان ذلك بلا ريب مكافأة على خدمات سابقة وبمسكاً بخدمات منتطرة، ففي سنة 1766م. أقيم لأمر على الخوري بطرس رئيس دير سيدة الحقل بمحل دير سيدة مستيتا في بلاد جبيل بواسطة سميان السطار مع أن الأمير كان مسلماً ولا يعتبر الأديرة ديانة⁽⁵⁾.

في العام 1758م أسس راهبان متفصلان عن دير ميده الحملة ديراً جديداً في أملاك المشايخ الحماديين في محل يُسمى 'ممرري هنة' من الأمير كما وهب القس إقليموس رئيس عام رهبان مار انطونيوس لموارنة لبديين أديرة وعقارات عن طريق سعد الحوري وسمعان البيطار كما تبرع من نصيبك لأثنى المحفوظ في سجل الرهبنة

«علم الأديرة التي ملكناها إلى أعزائنا الرهبان اللبانيين رئيس العام القس إقليموس المرعاني ومديره حينئذ ولتملك بالديورة المذكورة ما تحوي وتعين أماكنها وذلك سنة 1179هـ»

دير ميصوق وما يتبعه حول الدير ومعروف هيه من توت وغروم وأراض وحراش برانية، حقله برناسا في حدودها وكرم لشيخ حدوده وطنى عيطا بحدوده إيليج حدودها من الحرب السالكة لعين الدار مقلب الماء صوب لحمد وللشرق ما عليهم حد

(1) الرهبان ولؤسبات الإقطاعية، بوعبي نوما، الجزء الثاني ص 537 (بالفرنسية)

(2) المصدر السابق، نقلاً (عن الحارث ومساعد)، ص 565 و 146

(3) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق، عبد الله أبي عبد الله الجزء الثالث ص 178

(4) المقاطعة الكسروانية، حوسي، ص 9

(5) المقاطعة الكسروانية ص 181 وكان الأمير لا يرى يتظاهر باسلامه

والنساء تبعهم تبع الصوفاني حقة لحمد المعروفة هي الدير المذكور. وقرية رام يعيشوا بقرهم فيها ويررعوا وتصل في يدهم حين ما ينحدوا أهلها وان ما انحدوا أهلها ورجعوا إليها ولا اصرارنا الرهبان اللبنانيين يتصرفوا فيها حدودها وتكون تبع ديرهم مار سركيس داخل التحديد المذكور.

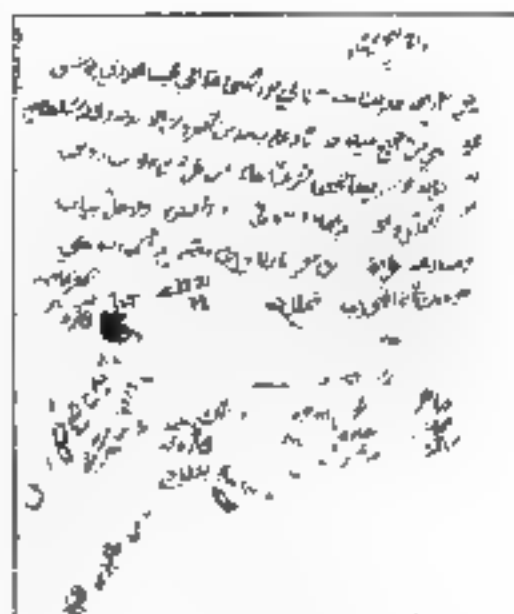
دير كفيصا حدوده انطوش مدينة جبيل حدوده ويتبعه دكاكين وعمار ويديتهم في الكنيسة وصيبت حسانتها ومداخلها وما يتعلق بها يكون بيدهم ورفعنا قلام الميري عن جميع ما يكون لهم في مدينة جبيل جوات الصور وجعلناه احسان عنا بوجه الله. وأعطيناهم دير مار سمعان العامود وجميع ما موجود كنائس في أرض مدينة جبيل ومن جهة وقوفاتهم وراضيتهم قد أعطيناهم من أراضي الشيخ موسى⁽²⁾ في كصر كخله مدار عشرة شابل نصيبة ومن رزق البكليك في جبيل نورد لهم مطارح تكون نصيبه للنصب وللزراع مدار عشرين شنلاً. دير حوب في قرية تنورين وما يعرف فيه ويتبعه مار بوميط حدوده وعين الراحة بحدودها وقصبة الدير المذكور ومار انطونيوس في بويرس النجني وكنيسة مار يعقوب. ومن جهة رام ان رجعوا أهلها تمشي لهم بقرهم في موضع مناسب. كذلك حدود الانطوش من الشرق الحسنة آخر العمار ومن العرب لطريق السالك من الضلة رفاق قبلي الكنيسة على ما يشهد إلى نحو كنيسة الكبيرة حده للدير ومن الشمال الطريق السالك والرفاق المذكور تبع الانطوش صح صح

وجه تحرير الأحرف هو انه وهبنا اصرارنا الرهبان اللبنانيين القس القليموس المزرعاني الرئيس العام ومديره القس عمويل الرشماي والقس مرقس الكماي والقس يعقوب البشراي والقس جرمانوس الديراني الديورة المذكورة أعلاه في أماكنهم المشروحة فرداً فرداً يصيبون ويعمرون ويقيمون أماكنهم وبقوا الديورة المذكورون وما تحواهم ملكهم من بعض أملاكهم يتصرفوا فيهم حيثما شاؤوا وأرادوا لا يعارضهم معارض ولا ينازعهم منازع وتمنع عنهم الشفعة والتبعة حررت لهم هذا السند الشرعي لأجل لبنان ولوقت الحاجة إليه حرر ذلك في شهر شوال 1179هـ⁽³⁾.

(1) نلاحظ الطابع المؤقت لهذه السكوك فكان رجوع أصحابها الشرعيين منتظراً وبملاك الرهبان النهائي لها مشروط بعدم عوده أو معرفه أصحابها. ولعل هذا كان من حمة أسباب جهود جهات كثيرة للحصول دون عودة المهجرين إلى ديارهم لأن هذه التبعات مشروطة بعدم ظهور أصحابها الشرعيين وعودتهم إليها وتصفيط عندما يرجعوا أي يتعمق وجودهم

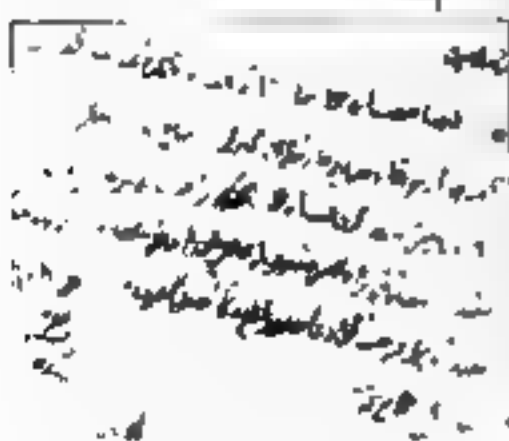
(2) الشيخ موسى حمادة الذي يقوم الأمير بتوزيع أملاكه على الرهبان بلا حساب إحساناً لوجه الله.

(3) المقاطعة الكسروانية، ص 182-183. راجع ودائق مشابهة F12

وثائق F²

صك بيع أملاك شيعة بدون تعيين
موقعها إلى متبعا الفوري يوسف عيسى
من أحمج 1260 هـ - 1843 م

عدد من الشيعة يهوصون المشتري
بالنصرف بأسلاكهم لمدة «مائتين
من السنين القمرية» ويختتم الشيخ
الشيعة «بمع هكذا قيلنا» 1252 هـ
1836 م



ويتصرف مار صوط
يوسف شهاب 1765 م



وصح أملاك
مهجرين من
الشيعة يتصرف
دير سيدة الحلة
يوسف شهاب
1765 م

تثير هذه العينة من العمود التي جرت في هذه الصورة انحصار به شكوكاً حول مدى شرعيتها وجديتها
أن نحو العقد العقاري من نقيض موضوع نعمد ومحدده كما حرب إعادة هي كل العمود النمطية الدائمة بحماية نفسها بغير
لحامله وصح اليد والسيطرة على أي عمار بشأن من ملاءمة «سبعة» لأن سجلات الطابو الضعيف تكفي بذكر سالمة «تلك»
دون اسمائهم في معظم الأحيان. لاحظ الوثيقة F¹¹ وفيها صورة عن نفس مساحة حيل ليلال بعد ملكية قرية ميموني
25 سهماً للمأولة و 45 سهماً للمؤسسة

كما أن تعين مدة نعمد بمائتين من السنين القمرية هو نمو بدع لا استحالة المعاقلة لمدة تزيد عن سبع وتسعين سنة في جميع
القوانين والأعراف ونشرع ويبدو أن المشتري خطأ في تأويله لتعريف البيع من غير ذي صفة «فصل إلى شراء» حقوق
التصرف بهذه المدة المستهجمة ويعبر هذا الضمان الحاكم بشيعة صادق على هذا العقد مستملاً «تعبيراً غير معناد بقوله
بمع فليلاً ذلك» أما العقود الأخرى فهي صادرة عن من لا يملك حق البيع أو النصرف لأن يوسف الشهاب لم يكن حينها
أكثر من ملزم لجديده الضرائب على إحدى مقاطعات مدة عام واحد تنتهي هي دار من نفس العام قبل وصوله إلى إمارة
حيل الضرر بعد ذلك وهذه النصمة لا تكونه سرعاً وغالباً وعرفا يتصرف بمالاند الآخرين.

في العام بعينه أنعم الأمير على رهبان دير سيدة الحقبة في دير مار ضومط في أرض البوار ومحل القديسة صوفيا بأرض الصمر، وعلى دير مار الياس الراس في مزرعة بمهريين في بلاد حبل ومطحنة شتوية في مدينة البترون وتابعها بستان ثوت وخان داخل المدينة وأربعة حوايت⁽¹⁾.

هذه بعض الأمثلة على الطريقة التي ورّعت بها أملاك المتأولة في جبل لبنان. وإن كثرت تواريخ القرى والعائلات وسجلات الرهبانيات تحتوي الكثير من أمثال هذه الصكوك والهبات فيمكن مراجعتها لمن يرغب في الاستزادة كما يمكن مراجعة سجلات الأديرة التي لا تقل عنها تفصيلاً وتسميات.

أما سجلات السكان وتقاسم أملاك لدولة وما نتج عن ذلك من تعبيرات ديمغرافية وسكانية، فهي متشعبة ومعقدة ولا يمكن حصرها بر من قصير معين أو بمنطقة واحدة. فقد استغرقت عقوداً طويلة وأحدثت تسديلاً حاداً في الحالة السكانية العامة في شمال لبنان في النصف الثاني من القرن السابع عشر بحيث إن من يطالع تواريخ العائلات وهي كثيرة ومتعددة، يلاحظ أن أهم المراكز السكانية قد استقرت على حالها الراهنة منذ هذه الفترة. ويمكن أن يذكر بعض الأمثلة التي لا يمكن أن نعطي صورة ولو محدودة عن عمق التعبير السكاني الذي حدث عندئذ.

وحه للأمير يوسف عايتة هي محاربه لحمايين المتأولة وصيبت أرز قهم وملك أغلب المحلات لأنباء الطائفة المارونية فجاء على أثرها الشجع سعد بأسر كثيرة وأعطى كل أسرة مزرعة أو قرية يستمرها وقد حلت قرى كثيرة بعد أن هجرها أهلها، واستقدم أسراً عديدة من مناطق الشوف والمث وكسروان وجاء بيت العنداري من عين داره وبيت شلالا من بكس وأقطع الأمير لبعض "ل" لحارر سقي رشمبا بحوار لحمد وعدداً من المزارع والقرى في إهمج وترتج⁽²⁾.

وقد امتلأت القرى التي هجرها لحمايون بالسكان القادمين من هذه الأبناء، وأبرز تلك القرى حدثون، راشي، شيطين، العلال، أسيا، بقسميا، دريا⁽³⁾.

وبملك سعد إحدى عشرة قرية حربه في بلاد البترون وحبه بشري وأحصر إليها

(1) المقاطعة لكسروانية، ص 184

(2) آل السعد، ص 57-56

(3) إسبيج، ص 192

أناساً عمروها⁽¹⁾. وجاء بأقربائه بني صعب من المتين و سكنهم في مررعة الحاج حسن مع عدة قرى ومرارح بحوارها وكلفهم بحماية المناطق المطلة على الكورة لمنع عودة الحماديين⁽²⁾

وبما أن المناطق الساحلية لم تكن ذات ثقل سكاني ولم يكن فيها عائلات كبيرة العدد، فكان لا بد من دفع موجات بشرية جديدة إليها لتستوطنها منعاً من عودة النفوذ الشيعي إليها، فكانت سياسة عرس العائلات في هذه المناطق القليلة السكان وانتدأ الإعلام بالتوجه لتحقيق ذلك. كانت منطقة شكا سهلاً رراعياً حصصاً تكثر فيها المياه والينابيع فأصبح بسبب ذلك محطة الأنظار ودفع آل أبي صعب عائلات من قنات لتنتقل إليها كما استقدم آل العارر مهاجرين من عرور ليسكنوا فيها⁽³⁾، فامتدح الطريق أمام العائلات الأخرى أما المدبر الآخر سمعان البطار، فقد استقر في مررعة بسيتا هي التبرون وفام بجهود حثيثة لتمليك الملاحين لمورة الاراضي المتروكة من الحماديين هي حبيل والبترون في الوقت الذي نال فيه المدبر منصور الدحداح دير البنات شرقي مدينة حبيل وعقارات وفيرة تابعة له وهي مزرعة كفر صياد وكمرقوق وخمسة دكاكين هي حبيل، وسلمهم دخل أوراق الحماديين⁽⁴⁾

وأهل الملاحون المواردية من كل صوب واقتسعوا أملاك الشيعة غصباً كعنائم. ففي سنة 1767م تملك منصور إلياس طريه من كسروان 16 فيرامطاً من أرض بوقسميا في بلاد التبرون أي ثلثي القرية والثلث الآخر تقاسمه رجل من بجة وآخر من أسيا وتملكوه⁽⁵⁾.

كانت أملاك الحماديين منشورة في كل أنحاء حبة بشري وكان لهم بكاليك معروفة إلى الآن مثل مريارا وسبعل وسرعل ووطى نرامات هي جوار إهدن - وكمرقو وبار وحوها وسلوقيت وثلث سرعل مع بنيادر المقدم هي رشمين ودير بهرا ونقرقاشا والحدث ومرارعها وطوررا ورشدبين ونيحا ومتريت وسهران⁽⁶⁾

كان من عادة الحكام الشيعة في حبة بشري أن يجتاروا متسلمين من قبلهم من

(1) آل السعد، ص 56

(2) إيليج ص 192

(3) شكا برديان طريه، ص 95

(4) المقاطعة الكسروانية، ص 189

(5) القرية والملكية العقارية، ميشال أبي فاضل، ص 160 مله عمرو ص 227

(6) المختصر، مرجع المذكور سابقاً

الأشخاص والعائلات أصحاب المقام و لحظوة عندهم لتكليفهم ببعض المهام الإدارية والأمنية والصرائحية في مزارعهم ويضيقون عليهم اسم مشايخ القرى ومجموعهم مشايخ الجبة. وقد استمرّوا في مهامهم بعد معدرة المتاولة على التقسيم بنصه الذي اعتمده الحماديون إبان حكمهم وقاموا باستغلال هذه البكاليك وراعتها حتى ألغى الحكم الإقطاعي بموجب بروتوكول 1861م فصالح المشايخ أهل القرى على حقوقهم بها أو باعوه هذه الحقوق⁽¹⁾.

التزوح

شهدت بلاد جبل وكافه قرى الحس حركة نزوح هائلة باتجاه المقاطعات الشيعية التي كانت بيد بني حمادة، ويمكننا أن نشير على سبيل المثال إلى موجات النزوح الآتية

1 - النزوح الحمادي: على أثر رحيل الشيعة، وبدعوة وتشجيع من الأمير يوسف وسمعان البيطار نرح من معاد إلى بلاد البترون ألوف من الملاحين عبر وادي صربا الواقعة في أسفل معاد وقد عطي هذا النزوح إلى بلاد البترون القرى المشرفة على الجهة المقابلة لوادي صربا امتداداً من راشانا إلى حربنا وصغار وصولاً إلى شكا والكورة حتى عكار⁽²⁾ وقد عبر الملاحون الموارد بعد نهجر الشيعة سنة 1771م وادي صربا والمدفون الماصل بين بلاد جبيل والبترون باتجاه الصمة بالمقابلة فانتقلوا من معاد إلى راشانا، عوما، جران، مراح الريات، صغار، حربنا، كيمان البترون، الكورة، بشري، وعكار. كما انتقل الكثيرون منهم إلى لقرى الحسة حيث قطن الملاحون المتاولة منذ عصور ثم إلى كافة المناطق اللبنانية الأخرى

ويقول التقليد إن أول نازح إلى راشانا رجل يقال له أبو حمعة مع أولاده الأربعة، وأول

(1) الملكية سميد، ص 165 يرى أحد الباحثين أن لرهبة المارونية هي تاريخها الطويل في جبل لبنان وشماله كانت تقوم بالأعمال الإنسانية كالتعليم والطبيب لأبناء النعمان الحمادية، ولما أثر الملاحين، والعمال المقيمين، وهذا ما دفع بشيوخ آل حمادة بالهجرة وهجرتهم وعشرات كثيرة كجاء لأولئك الرهبان وأما الأراضي والعقارات الأخرى لآل حمادة والتي استولت عليها لرهبة المارونية في عام 1771م بإذن من الأمير يوسف الشهابي في منطقة نسوج، وبلاد جبيل والبترون، وشمال لبنان، فهو مال حرام يجب إرجاعه إلى بقايا العائلة الحمادية الكريمة في بلاد جبيل والبترون، والهرمل، حسب الأصول القابولية المرعية للإجراء». صفحات من ماضي الشيعة، الماصي عمرو، ص 234

(2) جبيل والبترون والشمال في التاريخ، ص 216

مهاجر إلى غوما الحوري وهبة المعروف ببعمة الله المعادي، وأول مهاجر إلى مراح الزيات كان ديب بركات مع أولاده الخمسة⁽¹⁾

2 - النزوح البجائي: استماد أهالي بعة من تهجير الحماديين وانطلقوا إلى الجانب الآخر المواجه لبلدتهم من وادي المدفور ثم انتشروا في القرى الآتية العلالي، تولا، صهر أبي ياعي، حدتون، مار ماما، درب شطس، اصيا، كميما، بقسميا، وسواها. أما أهالي العلبون فقد انتقلوا إلى جهات مسرح الدوق مار ماما، احديرا، البترون، سسينا.

3 - النزوح الفغالي⁽²⁾ انتشر أهالي محال في بلاد حبل كما انتشروا في المناطق الساحلية المقابلة لبلدتهم: البترون، كمر عيدا، سلما

وتناقلت السروحات المعادية والبجائية والمعدنية و تعلقوبة للحلول محل الحماديين⁽³⁾

حكاية قرية بين الموارنة والشيعة

ليس من السهل الإحاطة بظروف تهجير الشيعة في كل قرية بين مئات القرى التي هاجروا منها في مختلف أنحاء جبل لبنان والتي يمكن بجهود معينة أن تكون كل منها موضوعاً لدراسة مستقلة في حال توافر الحد الأدنى من المصادر والمعطيات التي يمكن التوكل عليها في هذا الموضوع وقد يكون من المحدي الاكتفاء بالإشارة إلى قرية يمكن أن تشكل إلى حد معين نموذجاً لما حصل في العديد من القرى غيرها نظراً لبعده أوجه الشبه في وضعها السكاني والاجتماعي أو في الظروف والأحداث التي دعت الشيعة إلى الرحيل عنها في حقبة تاريخية محددة⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها (عن بشرة معاد صومط ص 130.127)

(2) طلب عيسى حمادة من موسى لياوحي أن يبيّن له جامعاً مستوفياً شروط الهدمة فجاء آية في دقة الصنع والإبداع مما أثار رضا الشيخ واعجابه فأحب موسى وعبد مونه حصر عيسى دقه ببعمة وأقطع أولاده قرية محال التي كانت مع ما جاورها من قرى مكاناً للمناوبة وقد بنى موسى الجامع في قرية تولا في البترون.

حنا الحوري المعالي، تاريخ العائلة المخطوط ص 8 تاريخ الكمور، ص 250

(3) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق، ص 180

(4) بروي هذه الحكاية لحوري جرجس دعيب خدام كيسة جراجر 1701م-1729م

في مقابل التوهم الذي يردده الموارنة حول عودتهم إلى كسروان بعد هجره سابقه هناك وهم آخر تردده لمصادر نفسها أن الشيعة هدموا إليها من الخارج

ترك الحوري حرحس رعب من كمرديين وهو حادم رعية قرية حراجل هي كسروان من العام 1701م إلى تاريخ وفاته هي العام 1729م. تاريخاً دون فيه بعض الأحداث التي عاينها أو سمع بها من سكان القرية. وأكمل الكهنة الدين خلموه على الرعية ندوين الأحداث بعد وفاته بعدة عام 1900م وبما أن هذا التاريخ من المصادر النادرة التي تطرقت إلى وصف العلاقات القائمة بين الشيعة والمسيحيين من أنشاء القرية الواحدة، فإنه يمكن بعدد شديد نابع عن موقع المؤرخ وعن مدى نجاحه في التقيّد بالأمانة التاريخية التي صرح بحرصه عليها في أكثر من مكان، رغم ما قد نجره إليه بساكنه لقروية وعواطفه الدينية من زلل في التحليل والاستنتاج، أن يستخلص بعض دلالات من علاقة الطائمتين ومحاولات التهجير والاستيلاء على الأملاك، التي بدأت مبكراً في كسروان نظراً للطروف التاريخية التي حكمتها وفصلتها عن حرس لبنان وولاية طرابلس في تاريخ سابق

اشدري المشايخ بيت حمادي هذه القرية من أصحابها السنة في العام 1505م واستقدموا أربع عائلات شيعية من بعلبك للإقامة فيها، وهم بيت مشبك وبيت رعرور وبيت ياسين وبيت موبدان. ثم بكثروا حتى أصبحوا 370 بيتاً إذا اعتبرنا أن البيت الواحد يتألف من خمسة أشخاص على الأقل، فكان عدد سكانها آنذاك حوالي الالفين شخص وهذا يجعلها من المراكز السكانية الكبيرة بالنسبة إلى ذلك الوقت وعاش المتأوله في هذه القرية مائة وأربعين سنة، ما حدا دخل لعندهن غريب أبداً،⁽¹⁾

وهجأة يأتي إلى ريادة القرية أبو نادر الحارر وهنا تبدو بعض الوقائع المثيرة للدهشة والاستعراب حول ريادة المريية وحول الرائر بمسه وولده أبي نوفل

سافر أبو نادر وابنه أبو نوفل إلى توسكانا بإيطاليا سنة 1635م. وكان الشيخ أبو نادر مشهوراً عند الإفرنج فمائله ذوق توسكانا بالعمزة والإكرام ولما تولى الأمير منحم سنة 1638م. ردهم إلى إقطاعانهم وجعل أبو نادر مديراً له كما كان قبلاً. في أول تموز 1647م. توفي الشيخ أبو نادر بعد أن كان مديراً لحكومة بني معن عدة سنوات وحاكماً بكسروان وحبيبل والبترون والحبه والمرقب وخلفه بوجاهته ومساكنه

(1) نواحي لبنان، عصام حبيمة، جدول قرى كسروان، ص 155.

(2) رجوع النصارى، رغب، ص 19

الحميدة ابنه نادر المكنى أبا نوفل،⁽¹⁾

هذا الشخص الخطير، الذي حملت بعض المؤامرات الرهبانية أسرته وعددت أمجاده وأهميته والمناصب التي تبوأها، براه في زيارته لمتأولة حراجل كما - يصوره الكاهن المؤرخ - مرابطاً مهيب الحناج مدعوراً يسعى إلى تملق بعض الملاحين الممراء ليتمكن من حداثهم والسطو على أملاكهم لحقيرة ثمن يحس فيعود حائثاً بعد أن يلقي الاحتقار والإهانة بدون أن يجرؤ حتى على الاحتجاج.

«طلع الشيخ بو نادر الخارن وجا لعند المتأولة لحراجل وعمل هوي وياهن صدق فما عملو له اعتبار المتأولة وانبعص هانوه في الكلام وهي الآخر سرقوا له المشلع وما سأل عنها وعاول فل من الضيعة»⁽²⁾

من المروص - حسب الروايات التاريخية المنشوثة هي كثير من المصنمات - أن أبا نادر كان في هذا العام الذي يعنيه الكاهن 1648 م حاكماً على كسروان، وقد تعود الحكم والإمرة والقيادة وعاشر الأمراء والحكام، وليس من المنطقي أن يصع نفسه في هذه المواقع المهيبة ويسعى إلى مداهمة بعض الملاحين البسطاء لاكتساب صداقتهم بدون أن يكون بينهم شيخ أو وجيه يعامله بما يليق بأمرائه.

كان من الواضح - من كلام الكاهن - أن الشيخ الخارني كان بطمع في تنف من أرراق بعض المتأولة المحباحين عن طريق إعرائهم بالاسديانة منه

«صاروا يدينو من عنده - بسندنووا - وعاول اشترى من لمحباحين هوبيك شمعين ررق قلال»⁽³⁾

كان أبو نادر - كما هو واضح من الحادث - دموي الذي يسرده كاهن رعية حراجل بعد احبه وعمويته - يرمي إلى وضع خطة جهنمية طالما اتسعت في حالات مشابهة وعلى امتداد سنوات كثيرة مقبلة نرمي إلى الاستعانة ببطش العساكر العثمانية وحرها بأساليب رهيبة إلى قتال المتأولة وإكراههم على ترك بيوتهم وأرراقهم مقدمة للاستيلاء عليها بدون تكبد أي جهد أو مشقة أو ثمن

كيف يمكن لحاكم كسروان ومعظم مناطق جبل لبنان - بالإضافة إلى المرقب الذي

(1) الجامع المفصل، المطران ديس، ص 215

هذا قول باطل وليس له أية مصداقية تاريخية وهو من إسم صاب بعض رهبان المؤرخين فلم يكن أبو نوفل حاكماً على أية قرية في لبنان وليس كما يقول صديقه ومعاصره مؤلف هذا الكتاب أكثر من مراب عادي يسعى إلى الحصول على قطعة أرض تافهة هي قرية ثانية ثمن يحس وهو «عاباً» قرية بارودة ويتعمل في سبيل ذلك الكثير من الإهانات دون تدمير وليس ذلك من شيم أهل تحكم ولسطان.

(2) رجوع النصارى، ص 11

(3) المصدر نفسه، ص 19

تمنق الماطعات التي تحت حكمه تلك التي يحكمها الأمير ملحم مساحةً وسكناً - وللشخصية المعروفة محلياً وفي أوروبا أن تسعى وحيدةً إلى قرية جبلية نائية يسكنها فلاحون فقراء هيواحه بالإمامة والاحتقار بدور أن يهتم به أحد، ثم يترك الصيغة مطروداً بعد أن سلّبت ثنائه أمام بطريه، ثم يعتمد رعم ذلك إلى تسليم بعض المحتاحين حتى يتمكن بعد جهد ومشقة من شراء «شقتين رزق للال»⁽¹⁾.

إن الفخ الذي نصبه أبو بدر بإحكام لاستدراج بعض الملاحين، السطاء والاتفاق معهم على سلب حيالة الوالي، ثم اسدراجهم باصطحابهم إلى المكان المتفق عليه، ودهانه حصّة بعد ذلك إلى دمشق لإطلاع والي على نتجة ما حطّط له ودفعه إلى التكل بربائه من المستلمين لناوله لا تسمح أبدأ مع الصورة التي تقدّمه فيها بعض الروايات الرهبانية عن قدره وأهميته ومناصبه الرفيعة.

عندما علم أبو نادر بوصول خيابة باشا الشام لجمع الأموال الأميرية، سارع إلى حراجل واستدرج بعض ثر حال من أهبا إلى لهجوم على عساكر الدولة وقتلهم وسب ما يحملون من أموال

يمتد الشيعة كما يعلم أبو نادر أنهم يسيطرونها أموالاً مملوكة وأن قتال لعثمانيين واجباً شرعياً والحرب قائمة بين الفريقين ومتو صلة ودائمة منذ عهد بعيد هدير مكيدة تفصي باستدراج أهالي امرية وأعرثهم بقطع الطريق على الحبالّة وسلبهم، بعد أن رسم لهم الحطة كاملة، وعين مكان الكمن، ثم هاد الجنود مظاهراً بمراقبتهم إلى المكان المرسوم.

بعد قتل الجنود وإمام عملية السب بحصوره ومشاركته، توجه مسرعاً إلى دمشق باقلاً تفاصيل ما جرى إلى الوالي قاصداً تحقيق هدف مردوح يسعى إليه

1 - أنحصل من وراء هذا العمل على ثقة الوالي وثوابه

2 - الإفادة من حملة القمع لعثمانية على بقرية فيصطر الأهالي إلى الاستدانة منه لتأمين مستلزمات القتال أو بمرور إلى أماكن بعيدة للهواء من المطاردة، وفي الحالتين سيفصطر الملاحون إلى بيعة بعض أملاكهم المتواضعة

وهذا ما حصل فعلاً فقد الحاربي الممرره إلى المكان المنفق عليه حيث تمّ القضاء على جميع أفراد العساكر وقال المدونه للشيخ «لا تحاف بما لك طاوحت قولنا ما نحكي معك وان جيت سيري نقتلك»⁽²⁾ فتركهم الشيخ وأسرع إلى الشام مع بعض جماعته حيث قابل الوالي وأحبره بما حدث ثم أرسل بعضاً من جماعته مع رجال الوالي ليعاينوا مكان الحادث حيث ناكّدوا من رويته فأثنى عليه الوالي وقال له «أطلب مني

(1) رجوع انصاري ص 19، ومتى كان هذا نعم من شيم وعادات أهل لوجهه ولحكم

(2) المصدر نفسه، ص 12

ما تشاء لأنك أعز من الإسلام عسدي⁽¹⁾ ثم عاد الشيخ إلى منزله بعد أن قاد الخيالة إلى حتفهم في جبل فيتروون حيث تواجد مع مناولة على اللقاء الموعود ثم اصطحب رجاله جماعة الوالي لإثبات حدوث الجرم أي أنه قاد المرقاء الثلاثة إلى المكان الذي عينه، وهم الصحابيا والقاتلون ثم الدوة وسحب هو إلى منزله ينتظر إلقاء أهل القرية ليتمكن من الاستيلاء عليها بدون ممانعة بعد القضاء على أهلها قتلاً أو فراراً والتأكد من الحصول على رضا والي دمشق ومساعدته في إتمام مشروعه المتقن.

ولم يعرف جات الحكومة خياله الصارحية من الشام ما تجمع مال العشر والفرد والخيالة كانوا خمسة عشر خيال ومعهم أحد يقول عليهم، وجامعين المال، وبدهن يأخذو من حراجل العشر والفرد ومن بعد ما يأخذو المطلوب من الصيغة، بدهن يروحو لمرج الوسط، مثل فيتروون وبارل. وقت ما عرف فيهم الشيخ بو نادر، جا إلى حراجل، واشتق على كام واحد من المتاولي من يعملو رأي بدهن يقشطو الحيالي المال، ويقتلوه إلى الآخر حكبو للشيخ عن الرأي، ما قلن شي. في الآخر صملو رأي انهم سلاقو الحيالي إلى جبل فيتروون، وهولك يعملو مثل ما قالو. وقالو المتاولي إلى الشيخ، أنت روح معهن متدلهم على العرب هي جبل فيتروون، وانهي بعملو هذا العمل هي جبل فيتروون، وفي هوي سيدوهن هيها ويكون الشعلي بعيدة عن الصيغة هحين راحوا الخيالي من الصيغة، قالوا للشيخ روح معنا نتتراقق نحنا وياك الشيخ اهتكرانه بيروح مع الحيالي حسن عليه مشبو تا وصلوا لنصف جبل فيتروون، شافو جمهور على العرب جايين نحو ثلاثين رلي وقت ما وصلوا ليهن لاقوهن مثل اصحاب، وأنهم من يودعوهم، تا كل رلنين كمشو خيال وهوبيك قتلوهن وقشطوهن واخذوهن على الهوييه وديوهن فيها.. الشيخ بوقته جاب 15 رلي بصاري وقلن تسلحو بريد روح أنا وياكم على مدينة الشام لعند الوالي، ونحبره عن المتاولي، يكون في سرکم، وفروح هي السر ورجع في السر فقالوا الرجال للشيخ. أمرک راحو ووصلو للشام لعند الوالي وطلب الشيخ موجهة الوالي بالسر بعد السعب واجهه الوالي. خبره مثل ما صار وطلب من الوالي السر⁽²⁾ قال الوالي للشيخ انت ابقى هوي تحت تحفظ، وأنا برسل ناس، رسل ناس معهن يدلو على محل الجرمي جو من الشام لقيو كل صحيح ورجعو لعند الوالي وخبروه عن كل شيء وعن المقتلي. لمن

(1) المصدر نفسه، ص 13

(2) من الواضح أن الحوري رعيب بور أن بدری یۆرج مکیدة محکمه التديير حیک حیوطها الحاربي وقام باندور الرئيسي هي تمبيدها

الوالي صدق الشيخ ويحب الحكومي، وجاء من بلاد لبلاد تا خبر الوالي، حبه واعتبره قال للشيخ طلاب مي كل شيء تريد، لآنك أعر من الاسلام عندي،⁽¹⁾

كانت نتيجة هذا الصلح المحكم أن أتت وحمصاية من عسكر الوالي هاجموا القرية، هاجتمع لصدّهم حمصاية مقاتل شيعي من المزرع وكمرديان وفاريا وميرونا ومنعوا العسكر من دخول القرية بعد أن هربت الحرير والأولاد والطرش صوب جرد العاقورة،⁽²⁾ واستطاع الأهالي الصمود ثلاثة أيام قبل أن يقوم العسكر بهجوم على القرية من جهتي الشرق والغرب ويدخلها، بعد أن سقط من المدافعين سبعة عشر رجلاً تحقّق الكاهن من أسماهم، ثم أحرق بقية القرية بأوامر من الحكومة وهرب المتأولّة إلى وعر حرس الهرمل وحمص والبواحي المحيطة، وطاردت الدولة أهالي حراجل فتشردوا كالوحوش وكانوا ينفذون فريتهم فيجدونها حراً وأبيوتهم رماداً⁽³⁾

«وكان يحصر لعدهن الشيخ بو نادر يسلّطهم ويعطيهم حرجيه وكنوا يعطوه مصاطعة ررق في عبا ومقاطعة في بارودي ومصاطعة هي وقفة بارود،⁽⁴⁾

رغم ما حلّ بهم من مصائب، استمرّ أبو نادر في إصراره المحب على الإيقاع بهم والسطو على أراقيهم رغم نكباتها، ووجد أنه لم يستمد شيئاً من شرايته أبداً، رجع الشيخ صار يدينهم قيعمروا بيوتهم ويشدري منهم ثاني مرة،⁽⁵⁾ ثم حصر أبو نادر وزاد في الشراء عن أبيه ومشتراه كان في مزرع حراجل وكمرديان وبقعاتنا (قرب عشموت) وسهل قنع الوطا (فوق حراجل شمالي القلع) ومرونا.

مكن حراجل أول مسيحي سنة 1664م وهو هارس شفير الذي شجّع النصارى على القدوم واحداً واحداً إلى القرية حتى أصبحوا خمس عائلات يعيشون تحت أمر المتأولّة وشركائهم وبنارسون جميع طقوسهم الدينية ويميمون قداس الأحد في مررعة كمرديان حتى سمح لهم المتأولّة بعد لتزجاية بعمار أول كنيسة هي حراجل سنة

(1) المصدر نفسه، ص 13

(2) كان من عادة المتأولّة أن ينفذوا ساءهم وعائلاتهم من موضع تقال وخطر حوماً عنهن من أسبي في حال الهريمة، والعاقورة كانت حبيها مذهبها بالمتأولّة وشمع ولاية الشام تحت حكم أمير بلبك لعرفوشي الشيعي أنصاً وهي على بعد ثلاث ساعات شمال حراجل هي مناطق الكتافة الشيعية جرب هذه المعركة في الوقت الذي كانت فيه بو جهاب عن أشدها بين الشيعة والحيوض النصارية

رجع ثورة أولاد العرب في نفس التاريخ

(3) المصدر نفسه، ص 15

(4) نفس النص

(5) المصدر نفسه، ص 15

1671م.

ورغم أن الشيخ أبو نادر بقي يعمل على تأييد كل القوى ودفعها إلى الضغط على المتأولة لترك قراهم هبدا عسكر الدولة، راح عند مشايخ الدرور وحكى لهم عن شغل المتأولة فالمشايخ الدرور سعضوه وسلموه الحكومي واخبروا الحكومي عن كل شيء عملوا المتأولة مع الإسلام والنصارى ويدهم ياكلوا ررق الناس⁽¹⁾. حصر بكباشية من الحكومي وبدو يلقطو من المتأولة ويكتموهم ويأخذوهم على الحبس كل يومين ثلاث يأخذوا شوي والباقيين سكتو وقعدو في بيونهم⁽²⁾.

استطاعت القوى الحصية كما فعلت في المرن التالي هي سائر المقاطعات التي عاش فيها الشيعة الاستعانة بالعسكر العثماني وقدرات الدرور والنصارى على إنزال أشد أعمال القمع بالملاحين المتأولة لدفعهم إلى هجر أرقاقهم بعرص الاستيلاء عليها وتهجيرهم منها إلى الأبد.

أحضر شيعة حراجل متأخرين بما كان يصحب لهم أبو نادر وأولاده وجماعته من أحابيل وأشراف، وما استطاع إنزاله بهم من المحن والخطوب على يد العساكر العثمانية والعملاء الدررية، وذلك بالنظر إلى قصد قتلهم ولتودد إليهم، فصاروا يبعصون النصارى وكل من يحضر الشيخ⁽³⁾ وسقط أول قيل تصرائى في القرية بيد الشيعة وكان وكيل الشيخ فيها وأحد شركائه وكان اسمه يوسف الحجيلي الذي جاء إلى القرية سنة 1630م.

المتأولي اهتقروا والحكومة حطت عليهم وصار يجو للجرد النصارى ويقعدوا في ميروبا وبقماتا وفي أيام الخوري الرابع يوسف عقيقي الذي جاء من مزرعة كهرديان 1696م فلو المتأولي وما بقي ولا واحد في حراجل، راحوا لجهات بعليك⁽⁴⁾.

إن آخر ذكر للشيعة في تاريخ الخوري رعيب هو في سنة 1841م. عندما يتحدث عن هجوم شيعي على القرية فاده أحد المشايخ الحماديين⁽⁵⁾.

ويعلق الخوري بولص قرالي على حكاية حراجل فيقول لا يرال المتأولة المطرودون

(1) المصدر نفسه، ص 17.

(2) المصدر نفسه، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 22.

(4) المصدر نفسه، ص 22.

(5) المصدر نفسه، ص 25.

من هذه القرية يزورون سيدة اللوزة ويعتمدون بمصدرتها ويعلقون على جدرانها القديمة قطعاً من ثيابهم أو ساديل ملونة كما أنهم ما زالوا يعرضون أمالهم الضعيفة بالعودة إلى هذه الديار مركز محدهم 'قديم'

المرجعية الجديدة

لم تنجح مساعي يوسف الهادفة إلى الاتصال عن ولاية طرابلس والالتحاق رأساً بالباب العالي ربما بسبب تعبر الظروف السياسية الدولية وانعكاساتها على العلاقات الفرنسية العثمانية وكان فرحين - الذي أصبح حينها (1777م) وزيراً للحارحية - قد فشل في الحصول على معاهدة مع السلطان تتعلق بتسهيل التجارة الفرنسية في البحر الأحمر وكان المراع للسيطرة على مصر من فرنسا وبريطانيا قد أثار حواف الباب العالي وحذره من الأطماع الأوروبية رغم حال الصيق وتدهور التي كانت السلطنة بتحتبط هيها وكان سفير فرنسا في القسطنطينية سان - برييه⁽¹⁾ Saint Priest قد فخر على حكومته احتلال مصر منتهراً حرصه ليشغال الدولة العثمانية بالحرب مع روسيا ومرور اطماع الدول الأوروبية باقتسام أشغالها. تصاف إلى ذلك أن العلاقات بين الدولتين القويتين فرنسا وبريطانيا كانت في غاية التوتر مما حد من إمكانية تدخل فرنسا لمعرض بدمر محلي ثابوي على السلطات العثمانية برضاء لأصدهائها هي روما وهي لبنان، لأطماع وخصوصاً أن لأوضاع في فرنسا نفسها قد وصلت هي حية إلى حال من الاضطراب دفعت رحل 'سياسة إلى التفكير حدياً باحتلال مصر كوسيلة لإلهاء الشعب لفرسي وصره عن المشاكل الداخلية الشائكة التي كانت يرمي بثقلها على كاهل فرنسا وفي هذا لحو السياسي الفرنسي المكشور داخلياً وحارجياً، امجر زلزال الثورة بفرنسية وسقط النظام الملكي القديم بكل سياساته ليقضي على أمل جماعة يوسف وحلمائه - أنصار لمشروع المدم - بتحقيق أحلامهم حتى تبدل الظروف

حقق مشروع تأسيس كتاب ماروني في حل لبنان نجاحات هامة حتى الان؛ وقد تمكن أصحابه من الحصول على ولاية ماطق حيل والبترون والحببة للأمير الشهابي ابن ستة عشر عاماً المنتصر سر⁽²⁾ أو المأمول بتتصره قريباً⁽³⁾، مع أن الحكم الفعلي بقي

(1) رجوع النصاري، مقدمة الأب فرالي، ص6

(2) لسياسة الدولية إميل حوري وعادل اسماعيل، ص35.

بيد المجمع الماروني بأعمدته الثلاثة الحوري البيطار الدحداح. وليس للأمير عملياً غير استعمال اسمه والتستر وراءه أمام المصنوب العثمانيه أو أي جهة أخرى قد تعارض تولية حاكم مسيحي لأول مرة على مقاطعة لبنانية. فإن الأسر المسيحية - حتى الباردة منها - لم تكن قد توصلت بعد إلى أن تصح نراً مقاطعة لبنانية وإن كان أمير الدرور يكلف بعض أفرادها القيام بمهمة جمع الضرائب في قرأهم كال الحارر وآل حيش أو الأسر الشمالية التي كان الحمادون يوكلون لها بعض الأعمال ذات الطابع الإداري أو الضرائب كال طرييه والدحداح وعيسى الحوري والصاهر وكبرور والدويهي هي المناطق التابعة لولاية طرابلس إن جمع هذه الأسر كانت لا تزال بعيدة عن هرم السيطرة على الحكم، ولم تتول أسرة واحدة منها حكم أي مقاطعة لبنانية إن كان في جنوب جبل لبنان أو في شماله أو هي أي منطقة لبنانية أخرى ولم تكن حتى هذا التاريخ قد نالت اعتراف الدولة العثمانية الحموقي بها ولم يصدر أي فرمان توليتها على أي منطقة لبنانية، وإنما كانت تمارس بعض الشؤون نسلطوية باسم الحاكم وسكليمه بدون أي أساس قانوني أو إداري وكان فرمان التولية هو الشرط الأساسي للترقي الحموقي لصدوره عن السلطة صاحبه الصمة و لصلاحيه بإصداره⁽¹⁾

تتعدد الآراء حول تاريخ تنصير الأمير يوسف وصحة هذا التاريخ، والغالب أنه كان لا يزال مسلماً في هذه الفترة على الأقل إن المنحلل الفرنسي المطالع حمداً على نماصيل هذا الموضوع لا يحرم بهذا الأمر، وإن كان يبدو أنه يعتبره مسلماً ومسيحياً في الوقت نفسه، فهو يقول في تقرير دبلوماسي أرسله إلى حكومته بتاريخ 28 أيلول 1769م أنه لاحظ أنه كان في معسكر الدرور عدد كاف من رجال الدين لاقامة القداس كما في مخيم للمسيحيين وأن الأمير يوسف كان يقيم في حممه كل يوم مع أنه يمارس الديانة المحمدية في الظاهر على الأقل⁽²⁾

إن يوسف - في حال تنصيره - يكون أول أمير مسيحي يصل إلى سدة الحكم ويتولى رئاسة الوزارة⁽⁴⁾. فبعد تهجير الشيعة ومصادرة أملاكهم والنحس من وجودهم لقوي وخطرهم، لم يبق إلا الحصول على فرمان سطاني يفصل المناطق المستهدفة عن ولاية

(1) كان الأمير يوسف حتى وقت الوقت يظهر إسلامه أمام العثمانيين ويدرور ومسيحيته أمام الأوروبيين ونصارى البلاد، المنحلل الفرنسي Cousinery، حوري 181 مصدر مذكور

(2) الجذور التاريخية، مسعود صاهر ص 98

(3) D.D.E. T4, P21

(4) مباحث تاريخية الحرة الثاني، ص 342

طرابلس ويلحقها رأساً بإسطنبول دون أن يبقى للباشوات الأتراك سلطة عليها. ويكون الحكم فيها وراثياً في سلالة الأمير فيستكمل الكيان الجديد أهم عناصر بروره وامتيازاته واستقلاله على الطريقة العثمانية، وبذلك يتحقق الهدف المنشود الذي بدأ العمل لتحقيقه منذ سنين كثيرة

كان الممول هي الوصول إلى هذا الهدف والحصول على موافقة السلطان وورثته هي العاصمة يقع كالعادة على النموذج "مركبي عن طريق اقتناع الملك المرسبي واستعداده لتبني الفكرة، والإيعاز إلى ممثليه في دار السلطنة بالسعي لدى السلطات العثمانية لاستصدار القرارات اللازمة لإقرار ذلك، كما حصل قبلاً بشأن تولية يوسف والاستمرار في دعمه حتى الآن.

جاء في تقرير دبلوماسي أرسله المارس De Laidet فحصل فرنسا في طرابلس إلى الدوق دو لورن De Luzerne في أول كانون أول 1788م

«من المستحيل أن أعمر لكم كم أن ملكنا هو محبوب في هذه الجبال ورغم أن سكانه ليسوا فرنسيين فإنهم يكونون كل الحب لملكنا»

كلصي الأمير بعد اجتماع طويل معه أن أتشرف بالكتابة إليك ليرجوك أن تطلب من جلالتك أن يمسحه عن طريق الباب العالي الترام مدينة بيروت التي اغتصبها منه الحرار في عام 1777م وكذلك الشواطئ البحرية الواقعة بين هذه المدينة وطرابلس التي يدفع ميرتها إلى باشا طرابلس، وهو يعرض زيادة الضرائب وأن يدفعها سلماً إلى من يعينه الباب العالي

لقد وعدت الأمير بإبلاغ السفير وإرسال كل المعلومات اللازمة له حول هذا الموضوع بعد أن أتلقي أوامرهم وأتشرف بأن أرسل لكم ربطاً لائحة «UN ROLE» بالمقاطعات التي يطلب الأمير التزامها رأساً من الباب العالي

لائحة بالقرى التي يدفع أمير الدرور حقوقها والمقاطعات التي للسلطان عن طريق باشا طرابلس سوريا والتي يرغب في الترامها

اسم القرية أو المقاطعة	قيمة الضريبة
جبيل ومقاطعاتها	11555
البترون ومقاطعاتها	5500
جبة شري ومقاطعاتها	11500

ملاحظة ان الضرائب الثلاث تبلغ 28000 غرش يرفعها أمير الدروز إلى ثلاثين ألفاً إذا وافق السلطان على تلاميها له رأساً.

إن مدينة بيروت توجد بين يدي الجرار ناشا منذ 1777م ويدفع عنها من 60 إلى 70 ألف غرش يرفعها الأمير إلى 80 - 90 ألفاً ويعفى الفرنسيون من نصف الممارك⁽¹⁾.

إن هذا التقرير الدبلوماسي يؤكد الدور الفرنسي في إيصال يوسف إلى ولايته وأن مرحفيته الحقيقية كانت في باريس وليس في اسطنبول وأن مراسلاته في الشؤون الهامة كانت تتم معها ولا بد أن هذه الرسالة واحدة من كثير غيرها تسأل موضوعات هامة هي في الأساس من اختصاصات الدولة العثمانية وصمم صلاحياتها، بالإصانة إلى المراحعات الشخصية التي تتم عبر رسل ورسائل مباشرة في شؤون محبته، خصوصاً وأن اتصال فرنسا في بيروت في ذلك الوقت كان هو عبور من سعد الخوري الذي ورث عن والده بعد وفاته داره مهتم الإمارة وشؤون الأمر، فقام بوطيستي الضبط والمدير هي أن معاً.

هناك وثيقة أخرى أكثر دلالة واشد تأكيداً على أن فرنسا هي التي أوصلت يوسف إلى حكم شمال لبنان ثم جبل الدروز بعدها ليس عن طريق الدعم والمساعدة والرعاية محسب، بل عن طريق التدخل الشخصي المباشر والقيام بالمعاملات الإدارية والمالية الأولية والأساسية لكل حاكم مقاطعه عثمانيه لا بد أن تكون في أساس ممارسته منصبه والقيام بأهم موجهاته وهي دفع الصريه المستعنه عن المقاطعة التي التزمها

إن وثيقة هامة مسجلة في السجل رقم 26 الصادر للعام 1789م، الصفحة 132 لمحكمة طرابلس الشرعية⁽²⁾ هي عبارة عن كتاب موجه من الأمير يوسف إلى والي طرابلس يذكر فيه تعهد فتصل فرنسا أمام الوالي درويش حسن ناشا وكهالته بهمال

(1) D.D E T4, P49-50

(2) المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس، العاصمة اللبنانية، ص 155

الترام مقاطعات بلاد حيل وما يليها

إن كماله القنصل للأمير يوسف بمبيع الالتزام عن المقاطعات التي يطلب ولايتها، وهي حيل وما يليها (البترون وحبّة سنري) لا يمكن أن يقوم بها القنصل بمبادرة شخصية، بل لا بد أن تكون بتكليف رسمي من حكومته، وهي خطوة هامة وخطيرة ذات دلالة قد تكون غير مسبوقة هي أصول التعامل بين القناصل والسلطات المحلية؛ فإن كماله القنصل لحاكم من أهل البلاد المعتمد فيها هو مناقص بدون شك لكل الأعراف المنتعة، ولكنه يدل في جميع الأحوال على نوعية العلاقة والصلة بين هذا الحاكم ودولة القنصل ومدى تقيها للأمير المحلي ونوعية تصنيفه لديها، فلا يكفي أن تدفع فرنسا يوسف إلى سدة الولاية بعملية أدت إلى انقلاب سكاني واجتماعي في شمال لبنان وأن تثبته وترعاه وتحقق له كل مشاريعه السلطوية وإنما تصل إلى حد دفع المستحقات عنه أو كمالته والعرب أيضاً أن تمثل لولاية لمعية بهذه الكماله لدولية التي تكشف بدون عناء عن مدى تدخل هذه الدولة بواسطة قنصلها في أمور ليست ضمن مهماته واحصاصاته وربما ليسب هذه المسألة الوحيدة التي تكتمت فيها لدولة الفرنسية بموجب يوسف الفرنسية، بل من المرجح أنها عمدت إلى ذلك منذ اليوم الأول لولايته ولم يصل إلى علمها حتى الآن إلا هذه الكماله التي تعود إلى آخر مئة حكمه، والتي تسمى بشير السباؤل حول أمرين مستهجنين لأول هو تدخل القنصل الفرنسي في أمور الكفالات والالتزامات والثاني العلاقة حميدة التي ربطت بين كل من القنصل والأمير علماً أن الأمير يوسف نفسه سيضطّر بعد تغيير الظروف الدولية والداخلية إلى دهر أقرب الناس إليه وأحبهم إلى نفسه «روحه سياسية» سعد الخوري ويتركه مسجوناً عند الجبر «تأميناً لعمال الأميري» لمرتّب عنه وربما كان هذا السجن هو الذي عجل في وفاته بعد فترة لقد كان من المألوف ونعناد أن يرهن الأمير الشهابي ولده أو أحد أقربائه ضماناً لمنع الالتزام ويبقى عند والي سحياً حتى إتمام التمهّد ودفع المبلغ المتفق عليه وقد دهن يوسف ولده حسن ومدره عبدور بن سعد واستبدله بعارس الشدياق سنة 1790م. (١) بعد إطلاق سعد ووفاته.

إن هذه الوثيقة الموحودة في سجلات محكمة طرابلس لشرعة لها بالإضافة إلى معناها التاريخي البالغ الأهمية قرعة سياسية واضحة وقوية تؤكد أن الدولة الفرنسية

(١) إن كماله القنصل لم تعد ممكنة بعد تغيير لولاه والظروف السياسية السابغة

(2) أخبار الأعيان الجزء الأول ص 150

تقدمت إلى المرحع الرسمي العثماني لصالح وهو والي طرابلس بطلب رسمي عن طريق ممثلها الدبلوماسي الذي هو قنصلها في طرابلس بتبريم مقاطعات جبيل وملحقاتها إلى شخص معين. وقد قبلت الولاية هذا الطلب واستجاب له ووثقته في سجلاتها الرسمية واعتبرت أن كماله ممثل الدولة الفرنسية كافية لضمان حقوق الخريفة السطانية على هذه المقاطعات. ولا يملك المعنومات اللازمة أو المستندات الكافية لمعرفة كيف جرت الأمور في ولاية صيدا. في ما بعد عندما أصبح يوسف حاكماً لجبل الدروز ومقاطعاته التابعة لها وما إذا كانت حصلت بالطريقة نفسها وبضمان الكفيل نفسه الذي قد يكون عندها الفصل العربي في صيدا.

الحنين إلى العودة

حاول المحططون لهذا الانقلاب المستهون كن تمصيل حواه أن يمنحوا ولاية يوسف مسحة من الشرعية وتبريراً يفسر تنفاد لأهيو الشهابي من المقاطعات التي تولاهما والده وأعمامه قبله وسر اسقاله إلى مقاطعات مدحقة بولانه أخرى لم يسبق أن مارس عليها أحد من أسلافه أي نوع من السلطة والحكومة. وسعوا إلى ذلك بسريه مقولة ردّها المصادر التاريخية بصد بأن مسلماً همام يوسف بحكم مقاطعات الشدال اللبناني والاسسلاء على أملاك المداوة منه يستمد شرعيته ومبررانه من تنازل قام به أحد الحماديين عن حموهه بالحكم وملاكه لمصلحة يوسف

يقول مؤرخ قديم وتبعه في ذلك آخرون

«تنازع أحد الحماديين الشيخ فاعور مع اسائه على الحكم فصمّموا على اغتياله ولكنه شمر بذلك قصر إلى وادي شحرور مستعيناً بالأمير يوسف شهاب ومستنصراً إياه عليهم وعرض عليه سح حقوقه بالحكم في المقاطعة التي اترعوها منه وهي جبيل والبترون والحبّة فقبل الأمير منه ذلك واستكتبه بها صكاً موقعاً بإمضاءه

على الأثر جهر الأمير عسكرياً لمحاربة الحماديين واستراع الإيالة منهم وكان النصر حليفه فاستظهر عليهم ومن سلم من الحمادية هز إلى بعلبك والهرمل ولم يستبق الأمير منهم إلا فاعور وعائلته»⁽¹⁾.

استند بعض المؤرخين المحدثين على هذه مقولة الموصوعة و لمناقصة للواقع والمنطق

(1) معطوطة الحوري روحنا سبق ذكرها

باعتبارها تعطي يوسف براءة ذمّة⁽¹⁾ وتمنحه حقاً في الاستيلاء على أملاك الحماديين وشرعية في الحكم مكانهم، وكان فاعور⁽²⁾ أو أي شخص آخر يملك توكيلاً لبيع أملاك الحماديين شيوفاً وعشائر وعائلات يبيع تعددهم الآلاف، أو كأن الحقوق في الحكم سلعه تباع وتشتري، عيماً أنه لا يوجد بين حكام الحماديين في ذلك الوقت وقبلة بقرن على الأقل من حمل هذا الاسم مع أنه سم شائع عندهم، وأن العلاقة الوحيدة التي أمادت بها الوثائق بين الأمير يوسف والشيخ فاعور حمادة هي دعوى أقامها الأخير مع أخويه سلوم وحسين أهادوا فيها بأن الأمير يوسف صبط قرية أصيا ظلماً في وقت حكومته في البلاد، وهي واحدة من أعد لا يمكن حصرها من الدعاوى التي أدلى بها الشيعة في فترات محتلمة يطالبون باسترجاع أملاك معصوبة من الأمر وجماعته وأصحاب الخطوة عنده هي ذلك التاريخ.

فصل في هذه الدعوى القاضيان لكهنا موسى السكتناوي⁽³⁾ ويوحنا الناصري⁽⁴⁾ وكان الحكم في عبر صلح المدعين كما حصل في دعاوى كثيرة مماثلة بالاعتماد على صحة وقانونية اعتصاب الأملاك الذي جرى أيام يوسف على يد سيمان لبطار وغيره من أعوانه وهذه وثيقة توضح ماهية هذه الدعوى وحيثيات الحكم فيها

«الداعي لتحريره حصر، مامنا جناب الشيخ فاعور حمادة بالاصالة عن نفسه وبالوكالة عن جناب المشايخ اخوته الشيخ سلوم والشيخ حسين وادعى المشايخ بأن قرية أصيا ملك لهم من زمان والدهم وجدهم وانهم كانوا متصرفين بها من قبل حكومة حياة الأمير يوسف لأنهم كانوا يحدون منها كل سنة حريراً وغلّة معلومة الكمية بنوع صمان وأن الأمير يوسف صبط هذه القرية ظلماً في وقت حكومته في البلاد وفي ما بعد، قد حلم عليهم سعادة القديس المصمخ أيده الله⁽⁵⁾ ورجعها لهم فأجاب الخوارنة أنهم واصعور اليد من زمان مديد قبل حكومة الأمير يوسف وهم يتصرفون ويتملكون بهذه القرية وان أجدادهم قد كسروا التي كانت عطلاً وحرثاً وصاروا بعد ذلك ينصبون ويحدون غروساً من توت وغيره وكان المشايخ المذكورون

(1) عبد الله بي عبد الله، فصل عنونه براءة ذمّة للأمير ورأي أن ما جاء في الخطوة تعطي الأمير يوسف وسواه حقاً في الاستيلاء على أملاكهم. جيل لترون، ص 179.

(2) موسى لسكتناوي عيه الأمير بشير قاصياً مهمته ستماع الدعاوى في بلاد جبيل والجهات الشمالية، أصبح سقماً على إرثيه بيروت سنة 1819م تحب اسم المطران بطرس أبو كرم توفي سنة 1844م.

(3) يوحنا لناصر، أمين لسكتناوي صبح اسعف ناصره باسم مطران جبرائيل توفي 1838.

(4) المقصود هو الأمير بشير قاسم.

حكماً ومتصرفين في كل البلاد و... كيما تحسن عندهم وكانوا في كل مدة يريدون عليهم المطالب إلى أن قام الرزق فرتبوا عليهم كمية حرير وغلة معلومة وصاروا يستوردونها منهم كما ياحدون أيضاً من غير قرى وصياح فالبعض نقود والبعض بنوع ميري والبعض بنوع مقطوع من دون ترتيب نوع واحد إلى الجميع كما صار في ما بعد. ثم حكم الأمير يوسف وأبقى لول القرية على عادتها بيد أهلها تحت شيء معلوم من دون ديون. وفي ما بعد أعطاهم المرحوم سمعان البيطار حجة تملك كما أعطى لبقية أهل البلاد حسب التمييز أعطى له من جانب الأمير يوسف. ثم بعد وفاة الأمير يوسف صار ديموس شسي من جناب أفندياتنا الأمراء أولاده المحترمين وحبسوا هذه القرية على أهلها المذكورين وسلموهم منداً ثانياً متصمناً تملكهم إياها وصاروا يدفعون خراجها بقوداً إلى العام الماضي حين حلم سعادته بترجيئها إلى المشايخ المذكورين وقدم لنا لخوارنة أولاً السندين المذكورين أي الذي من سمعان والذي من جناب الأمراء.

وحررنا هذه الحجة الشرعية لبيان سنة 1811م

هذه الدعوة حالة يعود حجة طالب اعترضت الشيعة عند مطالبته بإعادة أراضيهم المنصصة إليه بعد انصاء حكم الأمير يوسف وأولاده. وكان لقصة فيها من رجال الدين الموارد وهم أكثر العتات استعادة من أملاك الشيعة المهجرين والمهاجرين

وهو بقي انصاء من الرهبان حتى عهد لقائمقاميتين والمنصرفية فكانوا الحصص والحكم في وقت واحد، لذلك قلما استطاع شعبي عامر بمراجعة القصاء من الحصول على بعض من أملاكه الصلبة أو أملاك أهله ومورثيه

فكما حصر فاعور دعواه على الرهبان باعتبارها باطله شرعاً حصر الكثيرون أمثاله من أبناء طائفته على مر السنين كل محدوداتهم لاستعادة بعض ما انتزع منهم في ظروف معلومة وبعد نصف قرن على تاريخ هذه الدعوى لم يكن حظ شعبي آخر بأفضل حال بعد أن ادعى على حصرة القس اعناطيوس الحارث الوكيل الشرعي عن فقراء الرهينة البلدية المستفادة وكالنه من رئيسه نعم الأب إفرام البشراي عن عقارات في قرية كفر شلي في البترون، وأصدر لحكم في هذه الدعوى الخوري عبد الله العقيقي وثبت ملكية الرهبانية لهذه العقارات⁽¹⁾

(1) راجع الوثيقة رقم F13

ولا بد أن عدداً كبيراً من تداعوي المشاهدة وصلت إلى النتيجة نفسها خلال الخمسين عاماً التي انقضت بين هذين الحكمين وقبلهما وبعدهما وحتى عهد قريب

شعر بعض الدين انتمت إليهم أملاك الشيعة عن طريق التسلط والاستيلاء سواء كانوا من الرهبانيات والأديرة أو من الأفراد بوهن وضعهم الضابطي والشرعي وعمدوا من أجل تصحيح أوضاعهم هذه إلى لقام بحملات منتظمة من التفتيش على بعض الوارثين والشراء منهم بأثمان ناهية معظم الأحيان وقد امتنعت بعض الكهنة والأساقفة هذه المهمة ومارسوها عشرات السنين، ولا تزال محفوظات عدد من الأديرة تحتفظ بالمئات من مثل هذه العقود وليس من النادر أن نجد عند مراجعة بعضها أن شيعياً باع أملاكه بعشرة قروش، أو أن أسقفاً شهيراً قد اشتري عشرات العقارات مقابل صفات الأكل والكسوة التي قدمها إلى بعض منكوين من الشيعة الذين هاجروا أو كانوا على طريق الهجرة⁽²⁾ ولم يعد لديهم ما يكفي لمعاشهم بعد أن انتزع منهم أملاكهم⁽³⁾

وقد وجد آخرون من الشيعة المطردين أن حبس أذرائهم على أوقاف درية أو دينة قد يحميها من مصير مشابه⁽⁴⁾

نصف أحد الكهنة اسيطان الموارنة في كسرون ويشي على جهود هذا الأسقف همول وأحد الموارنة يزعمون رويدا رويدا إلى السواحل ويصفدون إلى الجرد حتى تمكنوا منها نهائياً في أواخر القرن الماضي (تاسع عشر) وقد جاهد البطريرك يوحنا الحاج في إبان توليه لأمرشية دمشق لامتلاك أراضي لاسا قبلي العاقورة ورحلة بقية المتأولة عنها فصح وأول من فكر بهذا المشروع أبو نادر الحارثي في أوائل القرن السابع عشر فصادف مشروعه بعض النجاح واستمر فيه ولده⁽⁵⁾

(1) حجة أبو يوسف إلياس من كمر صباب

(2) أصبح الأسقف بطريركاً 1860م - 1866م صوره عن لاصي والمسوغ الشرعي لبيع لأجل وفاء دين شرعي ثابت بدمتهم لأجل النعمة للارمة بهم من طاعة وكسوة وثيقة F14.

(3) إيليج من الماضي إلى الحاضر سلامة الجزء الأول، ص 163

(4) وثيقة مرفقة ونفيد أن مرحان حمدة وقف وأبد وحبر ومصدق تقرراً إلى المولى جميع لمساتين لكثنة في لبترون وجميع قريه الكراسي وحصنه في مررعة ياريد ومررعة كمر شلي ومررعة بشنلاص لا بيع أصل ذلك ولا يورث ولا يرهن ولا يحل لأحد حبسه التوقف عن بيعه ثم عن دريته المذكور دون الاتاها إذا اقرضوا وحت الأرض منهم عاد ذلك وقفاً على الحرميين لشريعين مكة والمدينة يجري ذلك إلى أيد الأيديين ودهر الدهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سنة 1202هـ راجع صورة أصل عن هذه العقود وثيقة F14

(5) مجلة المصرية، سنة 1925 ص 411

وقد أتم يوحنا الحاج ما بدأه أبو نادر، فأصبحت كسروان بعد طرد المتأولة والترك كلها كاثوليكية وكلها فرنسية، كما يرى أحد الرحالة الأجانب¹

والواقع أن هذا الرحالة يبائع في ما ذهب إليه، فهم أصبح كسروان كلها فرنسية، وإنما تبدل طابعها السكاني تدللاً حديقاً، فهاجر معظم أهلها الذين سكنوا في ربوعها منذ قرون عديدة لا يمكن حصرها، وربما قس شوء المداهب والأديان في هذه النقطة من الشرق وهم البقية الباقية ممن سلموا وعصوا على حملات المماليك لإجلائهم منها، ويرى باحث معاصر أن هجرة من نوع آخر كانت هذه الأرض مسرحاً لها.

«نتج من نزوح الموارنة من الشمال إلى كسروان تهجير الشيعة من هذه المنطقة، على مدار سنين طويلة، نتيجة أعمال عنف واصطهاد دهمت فئة كبيرة من أهلها إلى النروح القسري باتجاه بعلبك وجبل عامل ولا تقل حالات التقية التي مارسها بعض السكان، الذين رغبوا في البقاء في موطنهم عن عمديات التهجير، وإن كان تهجيراً يتم في صميم الإنسان»².

تباينت المعارك في هذه المنطقة وحوارها وعملت عمليات التهجير، وأخذ الموارنة يتوافدون بكثافة من الشمال إلى بلاد جبيل ومنطقة كسروان، بدعم ونشجيع طاهرين من الأمراء المعنيين ومن ثم من خلفائهم الشهابيين، وبخاصة في أيام الأمير يوسف شهاب، حاكماً في جبيل، وأميراً على الحبل، وكان لمدرسه الشيخ سعد الخوري دور فاعل في عملية التهجير ولا سيما بعد أن أنزل بالحماديين هزيمة، كان في أثنائها على رأس قواص الأمير يوسف شهاب، حاكم جبيل حبيدك، وقد حمل هذا النزوح أبعاداً سياسية ذات اتجاهات طائفية، إذ طبعت كسروان، تحديداً، بطابع خاص منذ ذلك الزمن، وأصبحت منطقة مارونية، ولم يعد لسكانها الأصليين، وجود يذكر،³

(1) الحقيقة حول سوريا، بوجولا ص 52 La Verité sur la Syrie B pol, ou at, P52

(2) ليس هناك وقائع تاريخية ثابتة تعيد عن حصول تحولات ديمية، ومذهبها حصص أثناء التهجير وبعدم، وربما كان هناك حالات فردية لا دلالة لها

(3) لبنان في القرن الثامن عشر، ميمر اسماعيل، ص 93



الفصل العاشر

الأمير المتنصر

يصرّ بعض المؤرخين المحدثين المتحمسين - وخصوصاً من رجال الدين - على رسم صورة تاريخية معاصرة للواقع عن يوسف الشهابي ، واحتلاق شخصية وهمية له واهمة الصلة بحقيقته التاريخية حتى أن بعضهم وصمه بالعدل ومالك بتمجيده باعتباره رعباً تاريخياً⁽¹⁾، وكل ذلك لأن الأمير الذي لم يكن حادقاً في سدير الأعمال⁽²⁾ تسلطت عليه جماعة عامصة جعلت من عهده سلسلة متواصلة من العتق والاضطرابات ستر لها منجسبه وموهمة بث الدسائس والأحماد بين مختلف المجموعات السياسية الطائفية والعشائرية إشباعاً لنهمها الدائع إلى المال والسطوة والملك، واندفاعاً سادحاً ومتهوراً إلى تحقيق أهداف سياسية حيالية مبطنّة ومهمة انتهت به بعد إمارة مهترّة وقلقة ودموية إلى الموت حائقاً ودليلاً وهي عنقه مديد نبيصر شعار الحصوص المطلق الذي لم يفارقه طيلة فترة حكمه مشوقاً على باب بشابي مهووس كان قد احناره يوماً ليكون من بين خدمه ومساعديه

مهما بلغ الحرص والحذر والالتزام الدقيق بالموضوعية وقواعد التاريخ والانصاف، فإن ذلك لا يمنع التأكيد على أن عيوباً أخلاقية وإسبانية عديدة قد لارمت تصرفات الأمير طيلة الفترة التي أمضاها حاكماً في لشمال أولاً ثم على جبل الدروز هي وقت لاحق وامتدت طيلة سبعة وعشرين عاماً في منطقتين يمر منه خلالها جميع أقربائه الشهابيين وفركوا دير القمر، وكذلك جميع أصدقائه الذين آروهم وقاتلوا معه وعلى رأسهم النكدي والجنسلاطي وإذا اقتصرنا على من رّح سيرته من المعاصرين له أو

(1) تاريخ الكمور، أبو صعب، ص 81

(2) الدر المرصوف المنير، ص 577، 73

القريبين من عصره والموافقين له هي سياسة و لمعتقد وحتى الولاء والقربى، لوحيداً شبه إجماع على أنه كان «أميراً ظالماً عشياً حشعاً ديباً لا يراعي رحماً ولا حواراً ولا عهداً، عديم الأنفة والإباء والحكمة والإردة»⁽¹⁾. وهذه صفات قلما اجتمعت أو وجدت في شخص واحد خصوصاً إذا كان ينتسب إلى بيوت الشرف والحكم التي تبقى محتفظة عادةً بحد أدنى من الالتزام بالاعراف و لتقاليد وما اصطلح الناس على اعتباره من شروط الرئاسة والتقدم، كان وحشي الطباع قتل أخاه الشاب الأمير أفندي، وطفى، عيني أخيه الأمير سيد أحمد والد الأمير سلمان والأمير فارس المتوفى قريباً بقرية الحدث من ساحل بيروت، وقتل خاليه الأمير اسماعيل والأمير بشير، فإذا كان تصرفه مع أخوانه وأخواله وهم أقرب الناس إليه هكذا، فكيف يكون مع البعيدين عنه؟ ولهذا ترك جميع آل شهاب ووطنهم دير القمر وسكنوا في الخارج بعضهم في ساحل بيروت وبعضهم في دردوريت ومعدل الموش وشملاق وعبيه وذلك احتساباً من عصره⁽²⁾.

تولى الأمير يوسف السلطة ونفسه فعج نروح الانتقام فمبص على حليفه الشيخ محمد الماصي وقطع لسانه وسمل عينه ولم يكتب بالانتقام من حاله الأمير اسماعيل والمولين له بل عمد في السنة التالية إلى التخلص من جميع مناهسيه على الحكم وكان الأمير بشير حاله الثاني قد فر إلى حوران ثم إلى دمشق فلحقاً بعد سنتين إلى الحيلة للتخلص منه فبعث له برسالة يدعوها للصلح ولما حصر إلى دير القمر ودخل إلى محلمه غدر به يوسف وقتله كما قبل مديرة عبد الله مالك بعد أن سلب أمواله، وأرسل في الوقت نفسه الأمير بشير قاسم إلى حاصبيا للاستيلاء على أموال خاله وصبطها. وكان أخوه سيد أحمد قد رجع إلى البلاد بعد أن أصابه ضيق شديد في حوران فوصل إلى قرية صليما حيث تسكن عائلة الأمير يوسف فاستعانت بهم فأعطاه الأمان وأمره أن يسكن في حمدون وسلمه جميع أملاكه ولكنه بقي حذراً، فلما خرج إلى الصيد في أحد الأيام قبض عليه رجال يوسف واقتادوه إلى دير القمر حيث سمل عينيّه انتقاماً⁽³⁾، ولكن رهبة يوسف في قلوب الناس بقيت دون رهبة

(1) بمص ما وصفه المؤرخون، منهم قريه الشهابي، الجنود صاهر، ص 198

(2) مبتغيات من الجواب على اقتراح الاحباب، مشافة، ص 13.

والدر المصروف المير، ص 58

(3) تاريخ الشهابي، ص 142 جزء أول

(4) التاريخ السياسي للإمارة الشهابية، أبو صالح، ص 147

الجزائر في قلبه إذ بات لا يستطيع مخالفة 'وامر عك' ⁽¹⁾ مهما كانت غريبة وشاذة.

«قام الأمير يوسف بأعمال إحرارية من قتل وسمل العيون وفتح الأسر والإحبار على النزوح ومصادرة الأموال والتحرير وفهد فعلاً هائلة حتى أربب البلاد، كما قال قريبه الأمير حيدر في عرره² غدر الأمير يوسف بجميع أصدقائه الذين أرووه وأوصلوه بسيوفهم وأموالهم ورجالهم إلى موقع الحكم وأولهم أقاربه الشهابيون، وأشد أعوانه قبل وصوله إلى السلطة المكديين والحبلاطين».

في عام 1778م «جعل الأمير يوسف يوصل القهر والمدلة بالمشايخ أن نكد وكان أكثر ذلك على الشيخ كليب همر من دير الصمر بأولاده وحواسه هاربا إلى جبل عامل والبعث إلى الشيخ باصيف البصار الوائلي فاستولى لأمير يوسف على مأكه ومساكنه وعقاراته رغم أن كليب كان اليد اليمنى للأمير يوسف وقلما أكرم أمرا إلا وكان لكليب فيه صلحا عظيما فلا يرد له قول ولا يصدر إلا عن رأيه⁽²⁾ وقد رافقه في حروبه في حبل وأمدته برحاله وقاتل معه المدولة في جبل عامل وبصره في وحه عمه منصور وبقي مساعدا له في أسمى الظروف»

ولم ينجُ حليفه الثاني على حبلاط من عدره وحملته، ففي سنة 1777م أحدث يوسف مالا على البلاد هاجت الرعايا والتمسوا من الشيخ علي أن يلتزم من الأمر انطاله، فأتى الأمير فدفع له الشيخ مالا بقدره وأبطله هارداًب محبته عند الرعايا وارتفعت مكانته عند الجميع فخشي الأمير منه، وأوقع الفتنة بينه وبين الشيخ عبد السلام العماد فالكشف لهما دوره الخبيث في إشعال الفتنة بينهما فاتفقا على المناداة بأحبيه أميراً، ولكنه استقوى عليهما بعسكر الحزائر وأرغم المشايخ الجابولادية على الهروب إلى جبل عامل عند الشيخ حيدر الصعبي الخوالي فصبط الأمير أملاكهم وهدم مساكنهم⁽³⁾ ووضع لأمير يوسف يده على أوراق بيت جنبلاط وأتلف عقاراتهم وهدم عماراتهم وجرم كل من يعترئ إليهم وثقل بالمصاوص عليهم⁽⁴⁾.

إن الدمج بين الخصومة السياسية و تشكيل الاقتصادي سمة أساسية من سمات حكم الأمير يوسف ويشمل هذا التكنيل بأفراد الأسرة الشهابية كما يشمل غيرها

(1) تاريخ الشهابي، ص 140

(2) الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدرور، فسيب نكد، ص 141

(3) أخبار الاعيان، ص 143

(4) تاريخ الشهابي، ص 130 جزء أول

ولذا تتكرر العبارات الدالة على التلبص و الإدلال حيال المفاطعيين الدروز والشيعة والسنة على السواء⁽¹⁾

«وجه الرسل إلى الأمراء بيت أبي التبع بأن يصرفوا له مالا لأجل نفقة العسكر والا يدهمهم بالعتساكر. ويجعلهم عبدة لتبصر ووجه كنية إلى ساحل بيروت لإتلاف ما لهم من العقارات والاملاك فاصطروا لدفع خمسة وعشرين ألف قرش له ووجه إليهم طائفة اللاوند فاحرقوا المكسر و لحديده و لدكوانة وصادف جماعة من أهالي الشوف فقتلهم وفعلوا أفعالا ردية»⁽²⁾

«هي عام 1776م شاور الأمير أرياب تديره بأمر تحصيل المال الأميري فأشاروا عليه بأن يصنع يد على ما للامراء الشهابيين من القرى والمزارع ويجمع ريعها فاستصوب ما أشاروا به ووضع يده على القطاع جميع الأمراء واستورد ما يرد منها»⁽³⁾

بلغ الجشع سيوسف إلى حد تعاطي الربا والادعاء زوراً وانتزاع أقاليمه «فادعى على الأمير منصور الشهابي أمير راشيا بألف قرش كاتب دينا عليه للمشايخ الكنديين وصم إليها رباها منه فسمه فسلمت سبعة آلاف وثمانمائة غرش فوجه في طلبها عمه حسين إلى راشيا لكنه توفي هيها فدعى على الأمير منصور بأنه دس لعمه السم وامانه به وأظهر المحيط والحق وأشاع أنه يريد الأحد بنار عمه وأرسل كسبه واهرة إلى راشيا لتحصيل ذلك المال فأرسل الأمير منصور كتابا إلى الشيخ سعد الخوري يطلب منه إصلاح الأمور فاصطلحت على خمسة عشر ألف غرش يدفعها منصور لسيوسف»⁽⁴⁾ فسقط الدين والدم بهذا المبيع،

لم يورع يوسف عن الصيام بأي عمر مهما كان يعتز في العرف السائد هي كل العصور مدموماً ومستكراً ومن ذلك ما تقدم عليه من تسليم جماعة من بني علي الصغير الشيعة المطرودين والهاربين من حرار بعد معركة برون ومقتل الشيخ باصيف و حتياح حبل عامل «وكانوا قد لتحاوا إليه وبرزوا عليه وأقاموا في قرية مشفرة بإدنه وتحت دمامه (حمائته). وكان الجرر قد كتب إليه عن يد سعد الخوري الذي كان رهينة عنده يطلب منه القبض على بني الصغير وإرسالهم إلى عكا فقبض

(1) لجور التاريخية، مسعود صاهر، ص 193

(2) تاريخ الشهابي، ص 120

(3) مصدر السابق، ص 116.

(4) تاريخ لشهابي ص 105

عليهم وأرسلهم إلى سليم نائب الحرار ولم يحفظ الجوار ويرعى الدمام. وهي وصولهم إلى الباشا المذكور قتلهم ولام الناس الأمير يوسف على ذلك⁽¹⁾. ويصيف الشدياق على رواية الشهابي أن يوسف دكث بهم ونقص عهده لهم⁽²⁾.

ويعلق باريبي مستعظماً ما يشككه هذا العمل من حرق لاسط اعتبارات القيم والشرع، أن هذا التصرف الأخرق لحقوق لصياغة مقدسة ترك عند الناس انطباعاً أسوأ من انطباع إراقة دم الأخ المملوكة به يد الأمير يوسف⁽³⁾. وقد كان آل علي تصغير وشيخهم ناصيف ملجأ لكل مطاردين من الحبيلاطس والنكديين وإخوة الأمر يوسف أنفسهم. وطالما كان ناصيف مسعماً له في موافق حرجة دعم تاريخه الطويل في استعداداته خدمة لولاية أمره من الباشوات الأتراك.

كان المبيع المقرر على جميع مفاصمات حسن الدرور والمتى وكسروان، والتي بلغ من أمير الدرور بدفعها إلى والي صيدا، هي 150 كيساً أي ما يعادل خمسة وسبعين ألف عرش⁽⁴⁾. وكان مجموع لمري المصروف على مفاصمات الثلاث جبل والمثرون والحصنة لا يزيد عن عشرين ألف عرش لم تنعمر من أول القرن الثامن عشر ومتنصمه وأجره⁽⁵⁾. ولكنها ارتفعت في أيام يوسف وولاه أحمد الجرنج إلى ستمائة ألف عرش⁽⁶⁾. وبهذا دفعه إلى مورية بلغت حياً مليون عرش. فكان على يوسف أن يلجأ إلى جميع الوسائل والأساليب ليتمكن من دفع هذا المبلغ الهائل. فارداد الصرب في شكل هائل وقام سعد الحوري وزير مالية الأمير وعمله المدبر وروحه السياسية برسم سياسة مالية جديدة وكما في كل البلدان الاسيوية، كانوا يعرفون فقط الصربية المباشرة المدفوعة عن المروعات الحرير والريشون وغيرها من منتجات لبنان الأساسية⁽⁷⁾.

في البداية عرض الأمير الصربية على ترسة دود القر ثم صربية على الر من ثم صربية الدواجن وصربية حيوانات لفرون ثم صربية لطاخن فقامت الثورات وتوالى

(1) تاريخ الشهابي ص 141

(2) أخبار الأعيان ص 348 لجزء لثامي

(3) سوريا ولبنان وفلسطين باريبي، ص 93

(4) تاريخ لبنان لحديث منير وعادل سمعين، لجزء لأول ص 80

(5) المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس، ص 79

(6) الفصل باريبي ص 95

(7) المصدر السابق، ص 92

(8) المصدر السابق ص 91

المتن وأدكى الأمير ومديره الحلاقات و لأشقاقت، وأصبح البلص والنهب وتدمير البيوت وتحريب الأرزاق من الأمور الشائعة⁽¹⁾. ومع كل تبدل هي الحلقة كانت تضاف صرائف جديدة وترداد المصادرات وهدم مسارل والتتكيل، وبالتالي الإضعاف السياسي والاقتصادي، فتفنن يوسف في مستناب وسائل تعذيب لم تعرف في هذه البلاد حتى في أشد عهودها ظلاماً فقد أوكل إلى أعيانه من المعارضة مهمة تعذيب أخصامه وأسراه ومن يريد عقابهم أو استخراجه الأموال أو الاعتراف عبوة منهم فكانوا بعد تجويعهم يقومون بقطع أجزاء من أجسادهم وقلبيها وتغديبها للمساكين طعاماً⁽²⁾.

كان يوسف قليل التدبير وأهل برأي ضعيف الشخصية، فاستند بالحكم جماعة من المدرسين والأعوان والمنتمين والمندسين وعلى رأسهم سعد الحوري صالح يحتارهم من المطيعين له يرسم لهم السياسة التي يراها ويحدد مراميها فكان هو الحاكم الفعلي وكانوا هم منفذو أهدافه سلطتهم على الناس فاستدحوا معه الحرمات وهتكوا لأعراف حتى عم الاستياء منهم ومن أمرهم وكرهتهم للناس، فتألب عليهم الجميع وطرد يوسف من دير القمر والحكم مرات من الصعب حصرها ولكن عساكر الحرار من اللاوند والأرباؤوط كانت تعدد عبوة إلى كرسي أمارته على حثث الثائرين عليه وأنفاص أملاكهم لماء ثم معلوم يستعمل لتحصينته من سكن مقاطعة كل أسباب الغيب والمهر على شكل صرائف ورسوم

«هاج العامة ضياجا شديداً وأظهروا لامساع عن ذلك الراتب (دفع صربية برر المر عام 1779م)، فنهضوا ونجمهروا بإزاء دير القمر وانحدوا على أن يطردوا الأمير يوسف عنها ويمتلوا الشيخ سعد لأنه كان هو مدير الأمور. وكان كل ما يحدث من الأمير يوسف ينسب إليه وكانت عند الجميع أئمة من ذلك»⁽³⁾.

أعلم أن جميع الحركات والأعمال التي كانت تقع من الأمير يوسف كانت جميعها بتدبير الشيخ سعد الحوري⁽⁴⁾.

كان من أهم خصائص الأمير يوسف ضعف شخصيته وبعده عن العقل والحكمة وحسن تدبير الأمور. وكان بطبعه حياءً متردداً وحاهلاً للأصول العسكرية والإدارية

(1) لحدود لتاريخية، صاهر، ص 200

(2) تاريخ الأقطار المربية الحديث بوسكي ص 40 وأيضاً باريلي، ص 92

(3) تاريخ لشهبي، ص 127

(4) الدر المرصوف في تاريخ الشوف، المنير، ص 73

التي تؤمّله لممارسة الحكم بدور الحصوع لنوحيات مدبريه ودرعاتهم.

«كان الأمير يوسف شاماً سادجاً ملتجياً ومحضاً لإهراق الدماء ولكنه كان يرجف أمام عصا سعد لا اعتباراً بإياه رجلاً عظيماً»⁽¹⁾

«إن الأمير يوسف كان في طبعه كالمساتات المتوحشة لا يقدر أن يعيش دون وصي»⁽²⁾.

«لم يكن الأمير يوسف حادقاً في تدبير الاعمال وكان سعد الخوري حكيماً بصيراً في الأمور»⁽³⁾.

كان الأداة الصارخة للعثمانيين هي كل المنطقة⁽⁴⁾. ولم يتوقف عن طلب المال من القناصل الفرنسيين⁽⁵⁾ مدهوعاً بنصائح مدبره سعد المكروه ورجل الممتنة⁽⁶⁾

يبرز جهل الأمير يوسف بأصول قيادة جيوش وحوص الحروب هي المعارك التي حاصرها هي حل عامل وخصوصاً معركة كمرمان السطية 20 تشرين الأول 1771م حيث تمكن عدة مئات من المرساں العامين من إزال هزيمة حاسمة بالأمير يوسف وحيشه البالغ بين عشرين ألفاً وأربعين ألفاً⁽⁷⁾

سقط منه عدد يفوق عدد المهاجمين من عدائه. و بهرم الباقون دون أن يتمكنوا من الصمود ولو للحظة فولّوا هاربين بانجام نجاح من ملاحمة المناولة وعاد يوسف إلى دير القمر ملطخاً بعاره⁽⁸⁾ أما حيله وقرّده في تحاد المواقف الحاسمة. فقد عبّر عنها الأمير حيدر في عرره «بلغ الأمير يوسف فرار أخيه حيدر من البصاع وانكسار جيشه فزاد هلعه ودخله الخوف والارتباك في أمر شانه وحصل الاحتياط في أركانه»⁽⁹⁾.

(1) إدوار لكرواء، تعريب مسرة ص 60

(2) المصدر السابق ص 72

(3) الدر المصنوع في تاريخ الشوف المبهر، ص 73

(4) D.D.C. T2, P 186-188

(5) D.D.E T2, P 361 و لحدود التاريخية ص 191

(6) D D C. T2, p365., No7

(7) التاريخ العسكري، ياسين سويد، الجزء الثاني، ص 120

(8) القنصل باريبي، ص 76

(9) تاريخ الشهابي، ص 146

إن شخصية يمثل هذه المواصفات شكّت بالنسبة لمجموعة المدبرين - وعلى رأسهم سعد الخوري - فرصة ذهبية تسمح لهم باستعمال عنوان شهيدٍ استطاعوا من خلاله الوصول إلى تسلطه وتمير ما يشاؤون من سياسات ومحطات لأنهم كانوا يدركون تماماً استحالة الوصول إلى الرئاسة و تحكم إلا عن طريق أحد أفراد العائلات أو العشائر التي اعتمد الناس على الانقياد لها فكان يوسف أطوع من بابهم «يقيمونه ويقعدونه كما يريدون» دون أن يخشوا منه معارضة أو معارضة تدخل البلاد في شمال وبعد ذلك في الشوف في فترة مضطربة من حكم المدرّين المواربة وهي مرحلة تاريخية طويلة تمتد من بداية حكم الأمير يوسف حتى عروق أولاده نهائياً عن المطالبة بحصة الإمارة بعد أن دخل لشمال في حكم الأمير بشير الذي أبعدهم عنها بعد أن سمل أعينهم وعين ابنه فاسم حاكماً على جبل 1807م

إن الوحة الطائفي الماروني وبصود المدرّين رافق إدارة يوسف النهائي منذ أن أسند إليه والي طرابلس حكم المقاطعات الشيعية الثلاث، وبعد أن أصبح أميراً على جبل الدروز حيث ظهر كر عجم ماروني يستعصب معظم قوى لطائفه، وتركز سياسته على دفع القوى المسيحية الممنعة للعلم ثورة هامة على مسرح السياسة واصفاً الأسر الإسلامية الشيعية والدرزية وحتى التسمية بها فيها الشهادية أنفسهم إلى أقصى الحدود وقد كان المدرّون هم الممدون لجميع أوجه هذه السياسة التي رسموها في الأساس وطاولت جميع لأصعدة الصربية والتعليمية والسلطوية وبوسيع أملاك الكنيسة المارونية ورهباياتها وأديرتها وعمائها من الصرائب وتحرير السكان المواربة من سيطرة الشيعة في جبل والعترون والراوية والكورة وكسروان¹ وإدخال تغيير أساسي على طابع هذه المناطق ونسبتها

هي هذه المرحلة نرايد تنصير العديد من انقيادات الشهابية وال أي اللع ممّا خلق المحاوف والهواش عند بقية الطوائف ودرادات لانتماءات والتحرّكات التي أدب أحياناً إلى هروب يوسف واضطرار المحضطين له إلى الاستعانة بقوات مستعارة من ألوالي العثماني عادة ورحها في الصرع على لحكم لإعادة التوازن المقصود إلى لجانبين المتصارعين

وبالخشية نفسها كانت العائلات الشيعية المقاطعية تواجه التبدلات السياسية الحاصلة في الهرم السياسي ولقبادة المتسلطة هي الشمال والجنوب. ولكن النوائب

(٦) الجدور التاريخية، مسعود صهر، ص 196

التي حلت بهم جعلت قدرة هذه الأسر على مقاومة محدودة، فقد نالت الصربات على الحماديين، وتمدد المواربة أكثر فأكثر إلى مناطقهم وهدد الأمير يوسف وجماعته نفوذهم نحو بعلبك، بعد اضطراب الأمير حيدر الحرفوش إلى ترك الإمارة والالتجاء إلى جبل عامل ونسلم مشايخ لقرى السانقين سلطات صرائبية وإدارية من والي طرابلس والأمير يوسف، مما حدا بالمطران بطرس ديب إلى القول عن هذه الفترة إن التبدلات الجديدة في الهرم السياسي الميراثي كانت الدافع الأساسي للقيادات المارونية كي تكثف نشاطها من أجل تحقيق انضمامها في الوصول إلى السلطة السياسية في الإمارة اللبنانية⁽¹⁾.

يقول القنصل باريلي حول نهاية يوسف:

في عكا أسدل الستار على الأمير الذي أهرق دماء إخوانه، وأدخل الباشاوات الأتراك في مصاعب السياسة اللبنانية وساعد أكثر من كل أسلافه على الفساد السياسي لشعبه. تراعات لم تتوقف أثناء حكمه فقد كان يمثها باحتيال هو ومديروه وقد عبر اس عمه إلى السلطة تحت جثته المعلقة متبعاً نفس أساليبه اللئيمة وما الصراعات والبراكات الدموية هي أياماً⁽²⁾ ولوقت طويل كذلك سوى ممرات هذه النركة⁽³⁾.

حكم الأمير يوسف البلاد وهوى حينه في المتاعب والمحاصمات مع إخوانه وأعيان البلاد ومن سوء رايه ومشير دالته تلاشى نظام البلاد وبدد شأنها ووجع خدلتها من أردل قوم ورفع الأسافل وحمص مكان عيلته وأعيان البلاد وبالشوشى المحال والإغراء الكاذب قد ركب مطية الفسوة الباهظة وقتل أخاه ظلماً مع أن أخاه المعتدل كان جامعاً كمال الاوائل والآخير ثم بعد برهة قلع عيني أخيه وقتل حاله اسماعيل وخاله شبير عمداً مع كونهما حكم جبل الشوف والغاية أن الأمير يوسف المذكور كان رجلاً طامحاً فاضماً أندع للظلم مهادج لم يسلكها حاكم سواه⁽⁴⁾.

هذا الانطباع الشامل عن أعمال يوسف وشخصيته نني تكوّن لدى أحد المسيحيين الأتقياء من معاصريه وأقاربه والمطلعين على حمايا لأمر السياسية وحملياتها بحكم

(1) الحدود التاريخية، مسعود صاهر، ص 198

(2) عدش باريلي 15 سنة هي لبنان وسوريا وكان قنصل روسيا في بيروت سنة 1839م

(3) سوريا ولبنان وفلسطين، بريس، ص 95

(4) تاريخ أحمد باشا الجزار، شهابي نقلها الحدود التاريخية، مسعود صاهر، ص 161

موقعه العائلي والثقافي والسياسي، يختصر الآثار المدمرة التي حلّمتها فترة حكم هذا الأمير الدمية الذي حرب البلاد وأكمل تحريب ما تبقى منها حلمه فعرس الاثنان بدور شر في لبنان، ما لبثت أن أسست كتناً طائفية وحروباً وخراباً إثر سقوط الشهابي الأخير وربما بعد ذلك بوقت طويل⁽¹⁾.

يعتبر الكثيرون أن ولاية يوسف على لشمال اللبناني وصراعه مع الشيعة هي التي جعلت منه رعيماً ماروياً كبيراً، ومهدت أمامه الطريق للوصول إلى هرم السلطة هي الشوف بعد أن تنازل له عمّه الأمير منصور دون أي صدام مسلّح بينهما وبعباب أيّ تصرف إداري عثماني ملزم وحاسم في مركز الباشوية، مع أن الأمير منصور دخل في الماصي في براع طويل مع أحبه وشريكه أحمد، وتمكّن بعد صراع عنيف من إبعاده والتفرد بالإمارة أمّا مع ابن شقيقه، فقد كان عديم الحيلة وفاقد المهمة وهذا أمر يثير التساؤل والاستعراب خصوصاً وأن الظروف السياسية في الولاية كانت في صالحه بعد أن ظهر التحالف الثلاثي بين ناصيف البصار وظاهر العمر وعلي بك الكبير على مسرح الأحداث وكان الأمير منصور على علاقة حميمة وصلات طيبة معهم بحيث أظهر متاوله حسن عامل، بخيارهم الوصح وتأييدهم المصريح له⁽²⁾.

لقد كان يوسف ان يشنّ حرباً سريعة على حصومه من أجل سعادته بعودة السياسي المتداعي عمر أن تسي والي دمشق للأمير يوسف وحرته جعله يربّث في هذا الأمر⁽³⁾ ولا ننهي جهود المدير البارع سعد الحوري مهما بلغت رلاقه لسانه إلى إحداث انقلاب يؤدي إلى استبدال أمير بآخر مما يرجح أن يكون المخطّط نفسه الذي أوصل يوسف إلى ولاية حبل والمقاطعات المحاورة عن طريق عثمان باشا وولده محمد باشا هو مرحلة ومقدمة للوصول يوسف إلى إمارة الشوف عن طريق ابن والي دمشق الآخر درويش باشا الذي كان حينئذ والياً على صيدا. ولا ر ل موقع هذه العائلة المحظوظة هي السلطة يمكنها من إسناد ولاية الشوف إلى يوسف كما جهدت قبل سنوات في إيصاله إلى حبل بإصرار كبير وثمن هادح وجهود متعددة الحواسب.

إن السياسة التي مارسها المدبرون المستترون وراء الأمير الشهابي أوجدت محوريين من محاور الصراع هي الشوف⁽⁴⁾

(1) سوريا ولبنان وفلسطين، ماريلي، ص 95

(2) تاريخ الشهابي، ص 85

(3) التاريخ السياسي للإمارة الشهابية، أبو صالح، ص 88

(4) التاريخ العسكري، سويد، ص 167

المحور الأول هو محور الأمير يوسف ومدبريه الذي تساعده القوى المارونية والرهبايات ويعتمد غالباً على مناصرة الوالي والدعم الفرنسي الذي وصل إلى حد تسمية مدبره غندور قنصلاً فرنسياً في بيروت.

المحور الثاني هو محور الشهابيين لاجئين والعائلات الدرزية البائدة وكان يعتمد على قواه المحلية. لذلك كان الأمير يلجأ كلما اضطرت إلى ترك دير القمر إلى عمق المناطق المارونية هي المتن وجبيل وكسروان بينما يلجأ معارضوه في أيام محنتهم إلى جبل عامل والبقاع كما فعل رعماء درور ثلاثة علي حنلاط وكنيت النكدي وعبد السلام عماد وبعض الأمراء الشهابيين أنفسهم حتى أصبح جبل عامل خصوصاً ملجأ الهاربين من تدابير يوسف وانتقامه كلف أعاده أحرار والياً بحماية الجيش من الأرناؤوط واللاوند.

وقد بوشر باكراً بتسخير هذه القوى المستعدة واستعمالها لتثبيت الوضع الجديد في الشمال وترسيخه، فقام يوسف بعدة عارات على جبيل وفقاً والعاقورة في السنة الأولى من إمارته الشوبية كما قام شقيقه حيدر في نفس العام بالقضاء على بعض الانماصات الشيعية المتفرقة والمعارضة، بينما كانت مهمة سعد الحوري قياده أو على الأصح مرافقة بعض الممارر العثمانية والقيام بمدائح ومطاردات تستهدف بعض المهاجرين الشيعة وهم يحملون متاعهم ويسوقون مواشيهم في طريقهم إلى مأمس يلتجئون إليه.

بعد انحسار المقاومة الشيعية الماعلة حول تهادون الحدود القضاء على بعض لقوى السنية القليلة العدد في ولاية طرس خوفاً من بصامتها مع الشيعة أو معارضتها لما يجري. فقام الأمير يوسف شخصياً مدشرة بعد مدحة جبيل والقلمون بقيادة حملة عسكرية، وسار قاصداً مقاطعة لطننة لقتال ولايتها في رعد لأنه رأى منهم مهلاً وتوجهاً إلى مظاهرة الحمادية¹ ولم يرل سائراً بحيشه إلى أن بلغ قرية عمصديق التي هي من قرى مقاطعة الكورة ودمرها

تدو هذه الحملة التي استند إليها يوسف واهية ومجبرة، لأن آل رعد كانوا في صفوف الحملة التي أرسلها والي طرابلس لتمهيد الطريق أمام ولاية يوسف وبعاد الحماديين وكان شيخهم باصيف رعد يقاتل على رأس مشايخ الفرى المدهوعين

(1) الإمارة الشهابية في جبل لبنان، أبو صباح، ص 84-95

والمسلحين من والي طرابلس صدهم^(١) فإن اتهمهم بالميل إلى أحصانه في غير محله مما نعت على التساؤل إذا كان يوسف ومدبروه قد استندوا إلى هذه حجة لتبرير حملتهم العسكرية على لصبيه والتي يقصد منها إضعاف بني رعد أو إرهابهم على الأقل لمنعهم من الوقوف في وجه المحطات المرسومة لهذه المنطقة، ولكن آل رعد كانوا من السنة، فأرسل والي طرابلس أمراً سريعاً إلى يوسف يمنعه فيه من المضي في حملته، فاضطر إلى الرضوخ ولكنه لكي لا يعود خارج اليمين أقدم على حرق قرية عمصديق محتجاً بأن صاحبها أحمد الكردي هو من المائلين إلى الحمادية أيضاً^(٢)، إن الواقع يؤكد أن يوسف عمد بهذا العمل إلى إيصال رسالة إلى حمد المذكور عاينها إضعافه وإرهابه لمنعه من أي تحرّك في وجه محطاته القديمة، ولأن أمر والي طرابلس لم يشمل أحمد لجهله بوياء يوسف وأهدافه الحقيقية وهي صرب العائلات المسلمة في الشمال والحد من فعاليتها العسكرية والسياسية ولكن تدخل والي طرابلس في الوقت المناسب أهمل هذا التوجه.

إن والي العثماني بدعم يوسف في الانصاء على الشيعة بالطريقة التي برها إما أن يصل به جهاده إلى تعرضه لنفسه فذلك محظور وهو خارج عن المحطات والاتفاقات الملائمة له، هذا حل الوالي سريعاً لردعه عن ذلك، لأنه يحاور بهذا العمل حدود دوره المرسوم مع الملاحظة أن آل رعد وكره الكورة والمراغة هي عكاك كانوا جميعاً على سائر مع شيعة قبل صربهم.

ولا يحى أن وصول يوسف إلى ولاية الشوف لا يسمح فقط بامتداد المحطات إلى مدى الحيوي الواسع لجبل لبنان وكما السياسة التي مورست هناك على المقاطعات المحددة وحسب، وإنما تسمح له ولبن وراءه باستعمال موارد العسكرية والسياسية الهامة لإمارة الشوف لاستكمال تحقيق لأهداف المرسومة لجبل لبنان، والتي دخلت حيز التنفيذ العملي.

عند انتقال الأمير يوسف إلى الشوف أميراً مع مدبريه وأركان حربه، الذين هم في الواقع الشركاء الحقيقيون في الحكم، كان يبدو لهم أن المحطات الموصوع لشمال لبنان قد أصبح واقعاً ملموساً على الأرض وقد حقق معظم مراميه وأهدافه، وأن استكمال

(١) تاريخ بشري، رحمة، ص 356

«وأجمعهم والي طر بلس بالشيخ ناصيف رعد في الصبية لعداء مستطير بينه وبين المتأولة»

(2) تاريخ الأمراء الشهابيين، أحد أمرائهم، ص 124 و تاريخ الشهابيين ص 95-96

هو مسألة وقت فقط بعد أن تأمنت له جميع الوسائل، اللارمة لمناصرة التمسيد حتى النهاية. إلا أن القسم الأكبر من العايات لأساسة تأسيس الكيان دي اللون الطائفي الواحد والعناصر اللارمة لتثبيت أركنه وتأمين انطلاقه وربما كسوة لدى حفراهي وبشرى أوسع وأرحب قد تحقق، وأصبح من الممكن الانتقال إلى الخطوات اللاحقة لتدعيمه وتوسيعه ليشمل كل المناطق التي اشترهها التواحد الماروني سكناً وأملاكاً ورهبانيات بعد أن تحققت الأهداف الالية

1 - إبعاد الشيعة عن الحكم في جميع مقاطعات جبل لبنان وتولية الأمير يوسف عليها.

2 - نهجير الشيعة من هذه المناطق ودفعهم إلى خارج جبل لبنان وخصوصاً نحو سهل البقاع الذي كان يعتبر حبسها خارج نطاق جبل لبنان وولاية طرابلس بكاملها وملحقاً إدارياً بوالي الشام وإلى منطقة الهرمل الواسعة لوعورة مسالكها وتواجد الشعبي لتكثيف والصرف فيها، ولصعوبة ممداد المحطط إلى حرودها وسهولها من الناحية العملية

ورداً على موقف أمير بعلبك السلمي حيدر لحرهوش مساعدة المهجرين إلى بعلبك والنصامدين هي جبل لبنان قام يوسف بناء على أوامر تلقاها من اسظمبول بمساعدة حسن شميح حيدر على الحلول مكانه ولجأ حيدر إلى شعبة جبل عامل "

3 - الاستيلاء على أملاك الشيعة وتوزيعها على المدثرين وأقاربهم والأديرة والرهبانيات ونقص العائلات المارونية المستعدة ولاحتياط بحره منها كمصدر جذب وإغراء داعمين في خدمة هذه الأهداف وتمويلها

4 - استقدام مجموعات سكابية ملاحية من خارج المناطق المذكورة، وإجراء تنقلات في داخلها لتكثيف التواحد البشري في المناطق نهجوره وخصوصاً في المراكز الساحلية الممتدة من كسروان حتى مشارف طرابلس (المتوح، حيل، البترو، شكا، إلح ..)

5 - إنشاء قوة مارونية مسلحة لأول مرة في هذه المناطق بالاعتماد على القوات التي أسسها والي طرابلس محمد باشا هي حبة بشري، وعلى بعض الوافدين مع وصول يوسف الشهابي عند قدومه إلى جبيل بالإصافه، نى ميليشيا أسسها سعد الخوري وسلح أفرادها لمواجهة عودة المتاولة وقمع الماقي

6 - تواصل نشاط مجموعة المدبرين المواربة لاستكمال أهداف محطّتهم بكلّ ماضيته وجرئياته، وخصوصاً باستفادتهم الملاحين المواربة وإحلالهم في القرى الشيعية المهجورة وبمليك الأديرة ولرهديات قسماً كبيراً من أملاك النارحين الشيعة والعمل معها على تغيير الطابع السكّاني لكل المناطق التي أطلق يدهم فيها عثمان الكرجي وأولاده، وإعطائها صانعاً طائفيّاً مميراً عن باقي المقاطعات اللبنانية

7 - الاعتماد على المساعدة العثمانية العسكرية والسياسية الجاهزة للتغلب دائماً والمقيدة بمراسيم وفتاوى وبيوردي ومراميات صدرت كلها في وقت سابق ولا بدّ أن معمولها لا زال مستمراً وباعداء.

8 تأسيس طبقة مقاطعية مارونية مستحدثة تتألف في غالبيتها من المقربين سابقاً من المشايخ الشيعة ومن عدد قليل آخر من العائلات المشتركة في الجهد العام أو المطلوب اشتراكها لاحقاً

في حضم هذه التطورات المتتالية برز في هذه الفترة أشخاص من الدين كانوا هلاًّ متسلعين عند المناولة وهم غالباً من العائلات التي كانت باهده عند الحماديين ومتحالفة معهم بفلاحه تتجاوز الود وولاء إلى نوع من الرباط العشائري الذي يسميه التقليد الشائع «رباط حمالي لدم» فظهرت في الجبة عائلات عواد، إلياس، أبو حظار الدويهي، «صاهر، عيسى الحوري، ميم، كيرور، كرم، وفي خارجها تقدمت عائلته لندجاح وهم من المدبرين الأثريين عند المشايخ الحمادية لعدة أجيال وآل هاشم هي العاقورة وهي عائلة قديمة ووثيقة «نصه بالحماديين، فكان الإحاء محكم العري، بين الهاشميين والحماديين منذ توطن هؤلاء لبنا» وهو أمر متواتر وشائع حتى أن بعض المؤرخين توهم لهذه الأسباب «نهم من رومة و حدة»¹ وآل أبي صعب على القوسطع وآل طرييه على شورين، الدين كانوا «مكهنين متصامنين مع الحماديين يدفعون دية القتل بالاشتراك في ما بينهم»²، ويضالون مشتركين بالدم ويشكّلون مع آل الهاشم السلطة الموارية لسلطة الحماديين³ وسمعان البيطار على البنرون وهو الذي تولّى عند

(1) تاريخ لعاقورة، الأب لويس الهاشم، ص 492.

(2) صاعو، لتاريخ اللبناني، طوني معرج، الجزء السابع، ص 131

(3) آل طرييه هي التاريخ، بردليان طرييه، ص 76

البداية تمويل كل الخطوات التي تطلبها الوصول بيوسف إلى ولاية حبل. وهو الذي دفع في دمشق النفقات المختلفة كما كان يتولى الدفع مسبقاً لوالي طرابلس، ثم تولى جباية الضرائب عنده وقام بجميع أعمال الديمويس في سائر المناطق ثم أقام في البترون يوزع أراضي المناولة على نفسه وعلى الأديرة ولصالح المواردة المتعطشين للملك. ويبدو أنه كان قبل ذلك مصرّباً من المشايخ الحمادية كزملائه وقد عمل ناظراً على أرزاق الشيخ عمر حمادة ثم كلف بأعمال جديّة في مقاطعة البترون⁽²⁾ ولكن الشيخ الحمادي المؤمن بقداسة دير كهيما وشماعته بكنشف عند مراجعة دفتر دين الدير المعروض من رئيسه القس الياس إن سماعاً حاول الإصرار بأوراق الدير فيعنه على سوء أمانته وقلة دينه ويطلب من جميع قومه وسي عمه لتنازل عن الأملاك التي اساء فيها سماعاً إلى الدير ولو كانت في وسط ارض فهم تقرّباً وتبركاً⁽³⁾

حلف يوسف عمه منصور في حكم الإمارة شهابية بتدبير الجهات التي أمّنت له قبلاً ولاية حبل لبنان. وبدعم درويش باشا وني صيد، وبأيّد معظم القوى السياسية الدرزية سياسياً هي الداخل من الحسلاطنة واليربكية والتكديبة الذين ما لبثوا أن تمرّقوا عنه وعارضوه بعد أن بدأت أهده ومراميه تتضح وبعد أن تبين لهم أن الحاكم الفعلي هو سعد الحوري وجماعه المحبطين به، فمضوا وكرهوا الاتس وبدب المحاولات تتوالى للتخلص منهما إلا أن الأموال التي كانت تُدَل لإرصاء الحرّار كانت تحول دون نجاحها حتى قصى يوسف ومديره الأول⁽⁴⁾ على مشيخته ولم ينقد المدبرين الناهين من سجنه إلا الأموال التي دفعها حلفه بشير ثمناً لاطلاق سراحهم

لم تحرر سياسة يوسف وجماعته في إمارة نشوف بعض النجاح الذي عرّفه هي شمال لبنان. ووصل الجميع إلى نهاية مأساوية عبيمه ليس بسبب الظروف الداخلية المختلفة في إمارة دير القمر عنها هي ولاية جبر فحسب، بل وربما قبل أي شيء آخر للوصول أحمد الحرّار إلى السلطة هي ولاية صيدا أولاً، ثم امتدّاد بعوده إلى سائر بلاد الشام حتى أصبح العثماني الأقوى فيها، وممثل سلطان الأكثر بعوداً ورغم أن يوسف استطاع إرصاء مراحه المتقلب بإشباع همه الداع إلى المدل بين الفيه والأحرى، إلى أن

(1) إيدج سلامة ص 191 وقد منح الحماديون لعظم هؤلاء ومنهم شدياق وصريه والهاشم والدحاح لقب شيخ، لشدياق ص 90 نا يخ تويرين ص 87 فلان المرجان بطرس كرم ص 161

(2) حبل والبترون والشمال، أبو عبد الله، ص 121

(3) راجع وثيقة دير كهيما، F10

(4) الإمارة الشهابية، أبو صالح، ص 197 وبرهة الزمان، ص 267

حات النهاية المصجعة لأنّ الرعاية التي كان يحيطه بها الولاة السابقون قد تلاشت والسياسة الدولية التي كانت تشكل له عطاءً فعلياً قد تبدلت، وخصوصاً بعد الثورة الفرنسية التي أطاحت بالنظام الملكي من أساسه وأصبحت فرنسا دولة علمانية تحسرها عنها بمود الكنيسة بعد تسدّل الكثير من المعطيات

كان الحلف الشهابي الدرزي البعادي للأمير يوسف قد دعم الشاب الشهابي بشير باسم بدفعه إلى تواجده السياسية ليكون بديلاً عنه في حال إسقاطه، وكان بشير فقيراً ومغموراً، ولا يملك من حطام سوريا سوى حمار وحش. ولكنّ دعم الشهابيين ورضا الحزّار كانا كفيين لإيصاله إلى إمارة في دير القمر. فيرر مدثر ماروني آخر هو جرجس بار أبو شاكرا ابن أخت سعد لحوري وسارع إلى اصطحاب أولاد الأمير يوسف المنوحي إلى حبل كما فعل حاه مع والدهم وضمّوها سنة 1792م، أو صممها باسمهم فأصبح هو وأخواه عند الأحاد وفرسييس لحكام المقلين، واستمروا في السياسة نفسها التي سار عليها خالهم من قبل، وأكمل حبل في ظل آل بار وتحت عنوان أولاد الأمير يوسف بتطبيق الأهداف التي وضعها سعد

كان أولاد يوسف قاصرين في السن والرأي وبحسب امر هدمهم في كل ما يفعلون ولم يكن في انديهم أمر ولا نهى حتى ولا خاتم لأنّ حواتهم بس جرجس بار يكتب ويختم كما يشاء بحبر إذن لهم ولا عيب⁽¹⁾.

لم يكن للأمير بشير الحاكم حرمه عند آل بار، فحكموا كما أرادوا متمتعين بدعم غير محدود من الكنيسة المارونية ورهبايتها حتى تمكن بشير من رسم مؤامرة محكمة، نجحت في قتل الإخوة بارو لماء المبيض على أولاد يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم، وسمل أعينهم فأصبح هو الحاكم المطلق في المنتطيين (دير القمر وجبيل) ووقع رهبته في قلوب الناس وراقب له الأيام

كان الشيعة هي حبل لبار قد قاتلو إلى جانب الأمير بشير في معركة الميخال الماصلة صدّ الأمير يوسف حول شيخهم أسعد عبد الملك لذلك ربّما اعتقدوا أنّ معاناتهم قد تنتهي في حال انتصار بشير، ولكنّ آمالهم تلاشت عندما سار على سياسة حلفه ماعياً إلى تحقيق عاينه نفسه، واستمرت أعمال المصادرة وتوزيع الأملاك كما تواصلت حملات القمع والارهاب التهجير لقلّة التي بقيت في قراها وأهمّها الحملة

(1) الإمارة الشهابية، أبو صالح، ص 197 (برهة الزمان، ص 267)

التي أرسلها بقيادة ابنه خليل إلى حبة المييطرة سنة 1825م. واستعمل فيها كل وسائل «تشدة والقسوة والمهانة». وأحرى عليهم قوائم محكمة لأرغامهم على الهجرة.

فبعد أن كانوا أسياد الشمال اللباني كُتِبَ حكم الأمير بشير على متاولة المييطرة وسائر المناطق والقرى مشحواً من حديد عريض اسمه عقل الرمار ويلقب بعقل الكسرواني. وقد توفي عقل نورثهم إلى ولده فارس ثم إلى حبيب بن فارس حتى عام 1840م. تاريخ سقوط بشير وبنيه إلى مملكة¹، فأعيد تعيين ثلاثة من المشايخ الحمادين ولاية على شمال لبنان ولكن هذا لم يبر لم يعمر طويلاً بسبب التدخلات الدولية مرة أخرى².

(1) المقاطعة الكسروانية، الحوري حنوي، ص 214

(2) حول هذا الموضوع، راجع فصل الشيعة تحت الحكم الجديد.



الفصل الحادي عشر

الأيام الصعبة

توالت النكبات على الشيعة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ولم تكن عناصر قوتهم ومنعتهم واستملاهم هي المستهدفة وحدها، بل تحاور الأمر ذلك إلى استهداف وجودهم وكيانهم بذاته. هتألت عليهم جهات متعددة وقوى متحالمة وقاعة يعدّوها دعم سياسي وعسكري ومالي محلي وتولي شهر محدود. شنت عليهم حروب شرسة في ظلّ موارد قوى عبر متكفئة هدفت إلى القضاء على تواجدهم في مناطق معينة ومحدّدة، والاستيلاء على بلادهم وأماكهم بدفعهم شرقاً نحو المسموح والسهول إلى خارج ما كان يعتبر في ذلك الوقت من لسان وتوجيه صريحة تهرّ عمواهم وإرادة الصمود والمقاومة لديهم لإكمال أيّ طريق قد يحرّجهم من هذا النمق المظلم ويبعث في نصوصهم أمل الخلاص والمودة.

دخل جبل عامل في أقسى فترات تاريخه وشدها مرارة ومأساوية بعد معركة يارون ومقتل ناصيف النصار الوائلي الرعيم الشيمي التاريخي في أيلول 1781م. والذي فقد العاملون بعده استقلالهم الذاتي واستقرارهم الاقتصادي والعسكري وكلّ ما نعموا به ودافعوا عنه بتعبت وعباد طيلة قرون ماضية، فاحتاحتهم عساكر الجرّار لتتشر الموت والدمار حيث مرّت فتىسي بساء وفتياتة، وتعثّر أهل وسكانه في كلّ أرجاء الأرض حتى وصل بعضهم إلى أقاصي الهند والأفغان، وبيع أطفاله وسائته في الأسواق بيع العبيد الأرقاء بعد أن قتل وأسر معظم شيوخه وأعلامه وعلمائه وهرّ الناقون هرباً من المصير المرتقب. فضبط الحرّار أملاكهم واستولى على مفتياتهم ويسطّ يده على أراضي الدولة ومنها «حفتك رام العين» وقسم كبير من بساتين صيدا ومطاحن جبل عامل وكرومه وريثونه ومعاصره، ووصل بعض أعلام العاملين إلى حبال حلب والأناضول،

ومنهم من طلب الحماية هي عكار وعلبك والهرمل. وتعرضت القرى باستمرار للنهب والسرقة والتعديات من جانب رجال الحرار ومماليكه وعساكره الذين كانوا يمرضون حوالت كبيرة ويعنون الصرائب عدة مرّات في السنة ويعتقلون ما بقي من شباب وهتيا ليلقوا بهم في حميم السحرة أو لسحر

لم يختلف كثيراً مصير بعلبك مدينة لشبعة وملجأ شيوخهم وقادتهم وعلماهم مما ابتلي به جبل عامل بعد ان استقلت المطردين والمأريين من ديارهم أمام مظالم الحرار وأعوانه، فأكرمب وهادنهم وحفمت ما أمكن من مصائبهم وكانت قبل مدة وحيرة بقيادة أميرها حيدر قد ساهمت في دعم مقوم الشيعة الآخرين في جبل لبنان أمام حملة التهجير والإبادة التي تعرضوا لها فعاء دورها لأن لتدفع ثمن ما قامت به وتواجه غضب الولاة العثمانيين بعد أن اتفق الحرار مع محمد درويش باشا والي الشام فأرسل جيشاً قوياً إلى بعلبك وصلها سنة (1784م) وحاصرها بوحشية وألقى القصر على أميرها مصطفى وأخوته وأقاربه وساقهم إلى الشام حيث أعدم مصطفى وثلاثة من إخوته وكما فعل جيش الحرار في جبل عامل نزل عسكر محمد درويش باشا إلى المدينة وأرياعها وسى الحرم ومنهن حريم الأمير نفسه وهرب الحرافشة وأعوانهم وبناروا عن الانظار ولم يبق في بعلبك إلا الأسر المسألة من الشيعة هكل بها وطوردت وصودرت دورها وأراضها وتشتت شملها ومنعت من الاجتماع بالمر هو العامة، وقُصي على لحكم السبي ورحاله قصاء مبرمة وعين رمضان اعد مسلماً وحاكماً على بعلبك قبل أن يتمكن الحرار من الحق المدينة سيطرته ويحكمها بواسطة أحد مماليكه سليم اعا

في جبل لبنان تعرض كل من بقي من الشيعة لأبشع ممارسات التكيل والإدلال فأملاكهم تعصب أمام أعينهم ويطردون من بيوتهم وديارهم ويرغمون على معادرتها إلى حيث لا يعلمون. سحكم هي مصيرهم جماعة من المعامرين المعمورين بعد أن مكن لهم الاستعانة بسيف السلطان وهم من سيدن ش معطمهم وتدريب على أمور الحكم في بيوت حكاهم السابقين من الشيعة في نوقت الذي كانوا يحططون فيه لسأليب كل القوى وتحنيدها للاستعانة بها على لتكرهم و لانقلاب عليهم

وأرسل الحرار حملته إلى بلاد المتاولة هدت قبائلها بشحاعة تحت قيادة الشيخ الحكيم والمقاتل القديم ناصيف المنصر الذي سقط في المعركة. مشايخ المتاولة

الدين كانوا يعمون صيوقهم الشهابيين في فترات مختلفة لجأوا يستشون عن مساعدة عند الأمير يوسف، لكنه قام بتسليمهم⁽¹⁾.

أدرك القنصل الروسي دقه هذه المرحلة التي مرت على الشيعة وعلى لبنان بوجه عام قال:

سنة 1786م⁽²⁾ تمكن درويش باشا من طرد الأمراء الحرامية وتعيين متسلم من قبله يدير المنطقة مباشرة، «وفي جيل اصعب الأمير يوسف آل حمادة المتأولة الذين كانوا يملكون هذا السحق وهكذا فإن المتأولة في سوريا دخلت فترة انحطاط منذ ذلك التاريخ وبالرغم من أن أحفاد آل حرهوش يطهرون الآن من وقت لآخر حكماً لبعثك، فإنهم يقومون بذلك من قبل الباشا وباسمه أما الحقوق الإقطاعية والسلطة المرافقة لها، فقد فقدت منذ عهد بعيد لما فقدت المائلات والقبائل اللبنانية سلطتها وخرجت عن المسرح السياسي فاسحة هي المجال أمام الحكم التركي المباشر لكل لا أخلاقية الموروثة»⁽³⁾.

يختصر الفصل باريلي حال المتأولة كما يراها بعد الهزائم المتكررة التي لحمت بهم ولم يكن المصائل والمراقبون الآخرون يعمدون عن الصورة القاتمة التي رآها رملهم الروسي، فإن القنصل المرسى هنري عبر بندو أكثر، «بما لا حيز رأى أن المتأولة قد طردوا من بلاد جبيل، فتراح بعضهم إلى صواحي بعلبك أما الآخرون، فاحتفظوا ببعض المرى في مصاطبي جبل وشري وكبوا فيها، وى هوة وبأس بند أن الحرار أتى عليهم بهائياً، ثم قتله رعيمهم إن هذا الباشا جعل منهم فلاحين مقابل أجر معين يتقاصونه. ومد داك أصبحوا يعيشون بؤساء ثم ارهمهم تعبت الحكام المسيحيين والآتراك الذين باهصوهم فاردادوا فطاطه وخشونة⁽⁴⁾، ويرى القنصل غير أن أقاليم اللان والخروب والتماج والريحان والشحر كانت تحصر المتأولة غير أن الشهابيين استولوا عليها بتشجيع من الحرار لذي صابقه موقف المتأولة التهديدى لهذه الأقاليم التي كانوا يعيشون فيها فساداً كلما شب خلاف بينه وبين الطائفة⁽⁵⁾.

(1) باريلي، ص 93

(2) التاريخ الصحيح، 1783م - 1784م

(3) باريلي، ص 93

(4) بيروت ولبان، هنري غير، ص 50 الجزء الثاني

(5) المصدر السابق الجزء الأول، ص 222

في هذه الفترة العصيبة التي حسر فيها الشيعة كل مظاهر قوتهم وسلطانهم وعناصر استقلالهم الذاتي واستقرارهم الاقتصادي، لم يبق منهم في مدينة صور وقراها سوى حتمسية عائلة لاجئه تقطن لبنان المقابل⁽¹⁾.

هي فترة رمنية لا تتعدى العقد الواحد (1773م - 1784م)، تساقطت الكيانات الشيعية الثلاثة، وهي الوحيدة في بلاد الشام، واحدة إثر أخرى بعد أن واجهت قوى ظاهرة ومستترة داخلية وعثمانية وبولوية، وكانت صعبة هجمة عالية بمدت عايتها حروب الإحضاع المألوفة في الإمبراطورية العثمانية وسوريا خصوصاً حيث كانت عائلاً محدودة الأهداف والنتائج وقد اجتهد انبهاحهم في تدمير البنية الأساسية لهذه الكيانات بكل عناصر تواجداتها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وخصوصاً البشري للحيلولة دون بروز إمكانية ما هي مستقر قريب أو بعيد لاستعادة بعض معالم الحياة والبهوض المحتمل من كيوتها الحاسمة ومن أهم لتدابير للوصول إلى هذه الغاية كان القيام برزع تواجد بشري هجين، ولا سيما في مراكز السلطة والقرار الإداري والمسكري وترسيخها على أنقاضه وكانت هذه مهمة المسلمين الأتراك الذين حكموا هي بملك وبلادها وحل عامل وتحت تصرفهم مزارع من الأرباؤوط والمعارنة ثابتة ومقيمة لمنع محاولات العودة من جهة، والاستمرار عمليات النهب والضعف والتفكيك من جهة أخرى

أما هي حل لبنان فقد فرض الوضع لديممر في والسكابي المحتلف أن يتحكم في عساكر الولاية مديون محليون بدون حرة مابفة يمارسون السلطة باسم صبي ضعيف الشخصية وشرس الطباع. هم يكن عربياً أن يتكهن لامارتين بانقراض المتأولة السريع⁽²⁾ عندما عاين أحوالهم في هذه الفترة ووفهم الكثيرون من مواطنيه على هذا الرأي لأنهم كانوا في كل زمن هدفاً لاصطهاد العثمانيين وإن اقتارهم إلى حماية دولية كبقية الطوائف اللبنانية ساهم في إضعافهم وانهيائهم السريع⁽³⁾.

في الفترة السوداء التي أعقبت هذه لسكنات متلاحقة كلها والتي عصفت بالشيعة في مختلف ديارهم، كان من الطبيعي أن تصاب بالشلل ونو إلى حين جميع أشطنتهم

(1) مشامدات في لبنان Laorty لوردة ص 178

لبنان المقابل قد يكون المقصود به الحين الشرقي أو بلاد بعبك.

(2) رحلة إلى مصر والشام بالمرمسي قولي، ص 247 وربما كان لكاتب يعبر عن وجهة نظر الإدارة التي كلفته بهذه الزيارة وكان فرجين على رأسها

(3) سوريا اليوم شارم G Charnes، ص 41 تاريخ المورة أبو عبد الله، ص 162

السياسية والاجتماعية التي عادةً ما تبرر في الأحوال العادية والمستقرة وتحتفي في أيام المحن والأزمات، لأنَّ الجهد و لهم سيسرفان في العقود المصلة إلى ثلثة الجراح البليغة التي أصيبوا بها بدون أن تصيب مقتلًا منهم، وامتصاص الضرر التاريخية التي حلت بهم بدون أن تكون كاهنة لتحقيق بؤات لامارين وشارم و سياسات يوسف الشهابي وأحمد الجزار وعثمان باشا الكرجي

إنَّ الحياة الفكرية والأدبية المردهره مد فرون في حل عامل رحلت عن مراتع تألفها مع المهاجرين العاملين من لمقهاء و لشعراء والعلماء، ولارمتهم لتردهر حيث حنوا في المناهي والمهاجر شعراً ينطق بالحبس إلى أيام العر والهناء هي ربوع الصبا ومهد الذكريات تكي الأندلس المقودة وفيصاً من المكر والادب حملة المشردون معهم إلى ديار ترحالهم حيث أصيب إلى سجن عطاءات العاملة صفحة مجيدة من الفكر المهجري الذي لا تزال اثاره وتأثيراته حية في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي وخصوصاً الشيعي.

لم يكد ينطوي القرن الثامن عشر حتى بدأت تفوح في مستهلته بهمة سياسية وعسكرية واحدة أعده شيعه تاج على استعادة مكانتها السابقة في ديارها الطبيعية التي اضطرت إلى هجرها

بعد أن تماقم الاصطهاد على الشيعة في بعلبك وبشتب شعلهم وصودرت دورهم وأرداقهم ومنعوا من الانتفاع بالمرفق لعامة قام بعض المتمردين على ما حل بهم من صك وشدة واتصلوا بأمير حرفوشي من مرسانهم وحصوه على رفع الظلم والحيف عنهم واستعادة بلادهم وحكم أنائه فدم الأمير جهجاه إلى العراق حيث أمده عشيرته الحراغل بالمال، فعاد لبشعل ثورة عارمة مديها من رحلة إلى الهرمل وخاص على امتداد سبوت طويلة حروباً ومعارك عديدة^(٦) وكان الأمير بشير الشهابي هي دروة قوته بعد موت الحرار هتدخل في المرع وصار تدخله تقليداً راد من اضطراب الأمور في المدينة وملحقاتها التي فشلت كل محاولات عساكر الشام لإخراج الحرافشة من مركز الحكم فيها وسيسمه إلى أعما تركي بحكم باسم والي الشام ولحسانه حكماً مباشراً ومركزياً

بعد اكتساح الحرار جبل عامل ونهيه وتدمير بهجر بعض أهله وجميع شيوخه

(٦) تاريخ رحلة الطوف، ص 109 لتفصيل في فصل الحرافشة

وأعلامه، واصل العامليون حرب عصابات له محمد طيلة ربع قرن، اضطراً سليمان باشا والي عكا سنة 1804م إلى عقد ثمان معهم اعترف لهم فيه بنوع من الحكم الذاتي لحبل عامل، فعاد الشيوخ المهاجرون إلى بلادهم وبقي الاتفاق قائماً حتى عام 1821م، تاريخ الاتفاق الجديد الذي عقده لعاملون مع والي عكا عبد الله باشا أعاد إليهم حكم بلادهم كما كان في السابق قبل معركة بيروت ومقتل ناصيف واعترفت الدولة بأنه فارس شيخاً على مشايخ حبل عامل فتحد ببدء الترابية مقرأً له وبني فيها داراً للرئاسة على نمط الدولة ولم يعد لموطني لولاية من سلطة على الحبل بل انحصرت الاتصالات والمسؤولية في عميده فارس

عاد المنازحون إلى حبل عامل وتحرر الناس من الخوف وتلقوا عهداً إلى ازدهاره القديم في الاقتصاد والثقافة والحرب وبع أرمي عهوده الأدبية والفكرية هي عهد محمد محمود حاكم حبل عامل وشيخ مشيخه بعد فارس الناصيف.

الفصل الثاني عشر

دار الهجرة

الهرمل منطقة واسعة يحترفها وادي العاصي الخصيب حيث يقع مسعاه في معارة الراهب، ويتجه شمالاً وسط سهول ميسطة حتى يصل إلى عين التور هي قصير حمص وإلى الغرب ترتفع أعلى قمم لبنان هي السلسلة العربية لتشكل في وسطها خطاً وهمياً يفصل بلاد الهرمل وبعض بلاد بعلبك عن شمال لبنان حتى الأطراف الشمالية لقضاء المتن على قمم جبلني الميصره والمكمل ملاحساً أقصى بلاد عكا بمحاذاة الساحل المعتد من جونية حتى النهر الكبير شمالاً.

أما بلاد طرابلس فحدها من الشمال حد لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الأسل حيث يمتد نهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر⁽¹⁾

هذه هي منطقة الهرمل وسهلها وحرودها حيث تقع أهم أحراج لبنان وتعرف باسم «حرش الهرمل» على مساحة تتراوح بين 42000 هكتار و54000 هكتار، أي ما يعادل أكثر من ستين بالمائة من أحراج لبنان القديم العمومية وخمسة وأربعين بالمائة من أحراج لبنان في عهد الامتداد⁽²⁾

تنمو أشجار السديان والملول في الأودية والأراضي المنخفضة وأشجار السرو والدراب والوعر وبعض أشجار الأرز في الجرود والقتال العالية ورغم أن هذه المنطقة تقع على الطرف الشمالي للبقاع فإنها كانت دارجاً ومنذ زمن قديم لا يمكن تحديده،

(1) ابن فضل لله العمري، التبريد بالمصطلح لشريف ونعظة الأسل قد ترد الأسد في بعض المصادر ومنها الفرار، نياية طرابلس، المطار، ص 45 و 161

(2) أشكال الملكية، سعيد، ص 142-166

تتبع جبل لبنان وتعدّ جزءاً من لحبة وتشكر مع سهلها وجردتها الواسع ناحية المناصف التابعة إدارياً للواء طرابلس⁽¹⁾ وقد اعتبرت ناحية مستقلة في فترات كثيرة بعد أن حلّ بها بعض الحماديين منذ قدومهم إلى حرّ لبنان، ويبدو أنّه كان لآل سبعا أملاكاً فيها قبل انقراضهم⁽²⁾. ثمّ دخلت في إقطاع المشايخ الحمادية المقيمين في حبل وجبة شري⁽³⁾ إلا أنّ السائح الدانمركي بيوهر الذي زارها من ضمن بعثة علمية تحت إشراف ملك الدانمرك سنة 1761م. قبل فترة وجيزة من بداية تهجير الشيعة من جبل لبنان، عدّد أسماء أربع أسر شيعية تمتلك منذ بضعة قرون مناطق عديدة من لبنان، هي ناصيف⁽⁴⁾ وحرهوش وحمادة وأسرهم رابعة تحكم الهرمل والقيراية هي القواصة Kuanza تدفع الحرية إلى بيك حمص وعاد عنه أنّ القواصة هم أحد فروع المشايخ الحمادية وأنهم كانوا يترمون الهرمل هي السنين الأخيرة قبل الهجرة باسم فاصوه حمادة من والي طرابلس كسائر مقاطعات جبل لبنان⁽⁵⁾.

إنّ الموارد يعملون كواخي عبد مشايخ المتوالة، نادراً ما يطلون بمعيتهم سجن طويلة. وهم يمتلكون منذ قرون مناطق عديدة، إلّا أن حرهوش الذي يسمى رعيهمهم أمراً يسكنون في بعلبك ويدفعون مباشرة إلى المسطنططية حزية هذه الناحية هي صور وفي المناطق المجاورة المسماة بلاد بشارة هناك سبعة أو ثمانية مشايخ من آل ناصيف يتولون عليها ويؤدون لحرية إلى والي صيدا

وهناك أيضاً مشايخ متاوله من آل لقو بصة (Kuanza) الذين يحكمون في القيماية (Kerrenie) وفي الهرمل وهي مدينة تقع على نهر العاصي ويدفعون الحرية إلى بيك حمص وفي الوقت نفسه يوجد آل حمادة في جبيل والقصية وجبة شري وهي مقاطعات في شمال البلاد على جبل لبنان ضمن ولاية باشا طرابلس⁽⁶⁾.

(1) بوحي لبنان، عصام حبيقة، ص 120

(2) تاريخ الصمدي، ص 77.

(3) أخبار الأعيان، ص 190

(4) المقصود آل ناصيف النصارى وكذا يسمون ببني بصر من العائلة التالية.

(5) عند زيارة الرحالة كان يحكم لهرمل راجح بن قاصوه بن حمادة م. طاش سجل رقم 6، ص 5، والعشيرة ص 178 وذلك جميع مقاطعة الهرمل وتوابعها من إيالة طرابلس بالبرام من والي طرابلس حسين باشا ولم يكن لسجن حمص علاقة إدارية بها هي أية فترة وقد يكون لقرية القيماية تحديداً علاقة عقارية مع لواء حمص

(6) مشاهدات في سوريا، كارست بيوهر، ص 24

شكّلت الهرمل والسموح الواقعة إلى جنوبها حتى ما بعد شمسطار دار الهجرة المقصودة والمصّلة للباحين من مختلف أنحاء البلاد التي كانوا يهاجروا إليها. وذلك لأنها بقيت هي حكم الحماديين وملك بعضهم، ولأنّ علاقات القرى والمودّة والمعرفة كانت تربط معظم المهاجرين ببعض سكّانها. ولا بدّ أنّ لعمل الحمراحي لعب دوراً مهماً؛ فكان من الطبيعي أن تتكفّ هجرة الكسروانيين إلى شمسطار وجوارها وبازحي حبل إلى المنطقة الوسطى بين بعلبك والهرمل، بينما كانت وجهة دارحي الحبة وعكار والمناطق القريبة منهما إلى حرود الهرمل وسهولها المحاورة. أمّا كبر الحماديين صاحب السمية فقد اختار الهرمل مكاناً لهجرته ثمّ بإقامته بعد معركة الميخال سنة 1788م، وتوزّعت عشيرته في شمسطار وحدث بعلبك والنسي رشادي وحربتا⁽¹⁾ وغيرها، وتوزّعت بقية المهاجرين في السموح الجبلية والسهول الواقعة بين شمسطار وأقصى حرود الهرمل⁽²⁾

في جبل لبنان، شغلت الأحرار المشاعية قبل الحرب الأولى أيام المتصرفية حوالي 480 كلم² أي ما نسبته 30% من الأحرار الدّمة و13,71 من مساحة الحبل الإجمالية مقابل 420 كلم² من الأحرار الأميرية العائدة لتاحية الهرمل وإذا امتدّينا الأحرار الصنوبرية التي تبلغ مساحتها 60 كلم² تبقى مساحة الأحرار المشاعية للسديان والمثلّول هي جميع أنحاء الحبل حوالي 420 كم² أي ما يعادل مساحة أحرار الهرمل الأميرية وحدها⁽³⁾.

لم تكن تمصّي عمود قبلّة على توّقد المهاجرين إلى ديارهم الحديدية واستقرارهم فيها حتى استعادوا مسيرة حياتهم لعادية وبنّوا بأمور معيشتهم، هضمت هي السموح والسهول قرى جديدة، وامتلأت الوديان هي حرود الهرمل الوعرة والمرتفعات المشرفة على سهول بعلبك بمجموعات عديدة من أسر تنتمي إلى عشيرة واحدة تقيم هي و د أو هي عدّة أودية متجاورة حسب ما يقتضيه تأمين لأرض الكافية للزراعة والمراعي الصالحة للمواشي، ثمّ أحيوا تقاليدهم الاجتماعية والعائلية والعسكرية الموروثة، هبّيت رابطة الدم والولاء التي طالما وحدّت بينهم في ديارهم السالمة وحدّت نواويس شريعتهم في البرور والفعالية وقادتهم إلى لتمسك من حديد بعصبيتهم القديمة التي تمحورت حول الشيخ الحمادي في الهرمل، وعاد اقتناء السلاح لكلّ صبي في الأسرة

(1) الأمير محمد الدين، المعلوم، ص 71

(2) حيث لا يزالون حتى اليوم

(3) أشكال الملكية، ص 167

الهجرة الشيعية من جبل لبنان



من أقدس الأعراف المنتهة وعلامة بلوغ لني لا بدّ من احترامها والتقيّد بها حتى أصبحت العشيرة تحسب بعدد البنادق التي يحملها أفردها. يقال إنّ هذه العشيرة تعدّ بمائة بندقيّة لا مائة نفر⁽¹⁾.

واستمرّت المشاعر والتقاليد ستي ورثوها هي موطنهم الأول محلّ احترامهم والتزامهم وبقيت العلاقات التي سادت بين لاسر والعشائر هي موطن الآباء هي نفسها النظام القائم والمتبع بينهم. وأصبح الانتساب إلى الموضع الذي اضطروا إلى هجره هو المقياس الذي يحدّد العلاقات في الموطن الجديد. بقيت العشيرة ترد إلى بيرق لاسا أو بيرق أفقا، وهذا الاصططاف ليس من بفايا التراث الشفهي المتناقل فحسب⁽²⁾، بل يلعب دوراً هاماً في تحديد نوعية العلاقات وتحديدها بين عشيرة وأخرى، والإطار المتعارف عليه لتحديد الانتساب أكان إلى بيرق شمصر أو بيرق رعبتر⁽³⁾ ولم تقتصر العلاقات مع الأهل الذين نحلّموا عن الانفصال لسبب أو لآخر بدءاً، بن بقيت متواصلة ومستمرّة رغم اختلاف الدار ومثقة التواصل ولا زالت على تواصلها الاجتماعي والعائلي والأسري حتى اليوم.

كانت الاراضي التي استثمرها المهاجرون الحلبيون والقرى التي حلّوا فيها تمتع كصبة بلاد بعلبك تحت حكم الحراشنة أما الهرمل وحرودها فكانت في حكم الحماديين منذ قرون سابقة، وكانت العلاقة بين الحماديين وحرراشنة تتجاوز التحالف المألوف إلى نوع من الوحدة العسكرية التي تستدعي اشتراكهم معاً في أيّ مواجهة عسكرية تتعرّص لها إحدى المملكتين وهذا ما حصل في المعارك الأخيرة التي حاصها الحماديون قبل التهجير ولكنّ كثافة الهجرة التي أعقبت هذا التصرع وحلول المهجرين على أطراف إمارة بعلبك الجنوبية في الهرمل وهي عتقها في الوسط والعرب أفرز وصعاً حديداً غير مسبوق؛ إذ أصبح قسم كبير من سكّان بلاد بعلبك يصنفها يتألف من المهجرين الذين أقاموا في وسط السكّان الأصليين وشكّلوا وحدة متميّزة بطباعها ولحماتها وولائها. فاستغلّ الأمير بشير الشهابي هذا الواقع الجديد لإثارة حلاف بين الحليفين القديمين وفي نيّته أن يحقق من وراء ذلك أكثر من هدف واحد في الوقت نفسه، فاصداً أن يمنع القوتين الشيعيتين من الاتفاق على قتاله وحصومته من جرّاء ما يبرله شيعة الجبل من

(1) العشيرة، ص 96

(2) مشيرتان، بحث عن العشائر الحمادية، جريدة المستقبل عدد 2617 18 أيار 2007

(3) مشاهدات في سوريا، كارمنش بيبهر، ص 24

عنّت واصطهاد، ومن جهة أخرى يتحصن من الهرمل. وقد أصبحت مركز تجمع للمهجرين الناقمين والمنمردين وذلك بإسناد ولائها إلى الأمير جعاه الحرهوش. ولكن أصحابها آل حمادة لم يدعوا له عذرهم وقتل من أعوانهم أربعين رجلاً وأحرق حصن القيرانية في شهر تموز من عام 1792م⁽¹⁾

كانت أراضي بعلبك تخضع لسيطرة الحراشنة قبل أن يدارعهم على أخراء منها الحماديون المستقلون من كسروان وحبر، فكانت العلاقات بين العائلتين تشهد أحياناً بعض التوتر خصوصاً بسبب التدخل الشهابي ليعود سريعاً إلى طسعتها التحالفية كما حصل مراراً في مواجهة هذا التدخل⁽²⁾.

كان الشيعة في الهرمل وبعلبك أو في الحبر يتحجبون المرص للثورة على الأمير بشير. وقد سبحت المرصة في العام 1820م عندما سعى الأمير بشير لدى والي الشام بمرل الأمير أمين الحرهوش عن إمارة بعلبك وتولية بصوح بن جعاه مكابه فبعد الوالي ذلك، هرحل الأمر أمين وأخوه الأمير سلطان إلى الهرمل. ولما كان بشير في حوران بظاهر بالحياه من أهالي تلك البلاد الأميران سلطان وأمين الحرهوشيان والشبح حمود حمادة تعصباً منهم للمشايخ الحمادية⁽³⁾.

أرسل الأمير بشير لبي وصل إلى همدن حبشاً بقيادة ملحم الشهابي لقتال المتمردين وسار معه الأمير بصوح الحرهوش ونكرّ المواجهة لم تحصل لأن الأميرين الحرهوشيين عادرا إلى بلاد عكار. وقد وصل الأمر بشير إلى بشري قدم إليه الأمير ملحم راجعاً من بعلبك ومعه الأمير بصوح الحرهوش والشيخ حمود حمادة فرحب بهم وطيب خاطر الشيخ حمود وأكرمه⁽⁴⁾.

تصامن من بقي من الشيعة في حبر وكسروان مع إخوانهم في الهرمل فأعلنوا الثورة والمصيان على الشهابيين والعثمانيين فكث الأمير بشير إلى عبد الله باشا والي عكا مستنجداً ومسترشداً فأجابه.

اطلعنا على تحريراتكم الأول والثاني وكامل ما أوصحنموه من الهرور والمجاسرة التي حصلت من رعايا حبر وكسروان وطايمه الحمادية ورفعهم لواء العصاوة

(1) تاريخ بعلبك 295 بملاً عن تاريخ شهابي

(2) تاريخ ميخائيل الدمشقي ص 131

(3) تاريخ الشهابي، ص 693 وبرهه الرمان، ص 1184

(4) أخبار الاعيان، الجزء الثاني ص 412

وتعريق رؤوسهم من قلادة الطاعة وترددتهم عن أداء الأموال وتجمهرهم. مهما اقتضى لكم من المساعدة.

من طرفنا فكونوا مطمئنين البال والخاطر ومضطحين⁽¹⁾

ولكن في حبة المنيطرة حيث لم تنقطع أعمال التهجير لم يكن الأمير بشير وعساكره على الدرجة نفسها من التسامح والرحمة عند تقديم التشكي إلى الأمير بشير الوالي مبينين له من أعمال المتاولة الصالبة للراحة والأمنية، فاحتدم الأمير عليهم غيظاً واحتفى غضباً وأرسل ابنه الأمير خليل ومعه شردمه من الرجال وكتب إلى المشايخ الخاربيين أن يجمعوا رجال كسروان ويذهبوا بهم إلى قصاص المتاولة الموجودين في كامل قرى حبة المنيطرة المتأكد عليهم جميعهم الأعمال العادمة الأمنية. فاجتمع من كسروان نحو 400 رجل وذهبوا مع المشايخ والأمير المذكور. ولما بلغ المتاولة قدوم العسكري إلى قراهم جميعها حاولوا الفرار جمعباً عند ذلك أمر خليل بنهب بيوتهم جميعاً فذهبوا عن آخرها ثم أمر بقطع أملاكهم فقطعوا جانباً منها وعطلوا الأمتعة غير العابلة للنهب،⁽²⁾ سنة 825 م.

إن سبب هذه الحملة كما يذكره الأب بحتوي أن مسجداً من عرمون وُحِدَ مقتولاً بالرصاص قرب قرية «قمهر» هاتهم ثلاثة من المتاولة بقتله بغصد سلبه، هذب النفر في بلاد كسروان للثأر من جميع المتاولة في كل قرى المنطقة وساربت الحملة إليهم، ومهمتها هي الاقتصاص من كامل قرى حبة سيطرة المتواليّة. هرب المستهدفون وربما لم يعودوا إلى بيوتهم أبداً لأن قصد تهجيرهم واضح في كل ظروف هذه الحادثة وأعمال خليل ورحاله من الخاربيين وأهالي كسروان عندما نهوا السوت عن آخرها وقطعوا الأملاك وعطلوا كل ما لم يتمكنوا من حمله ولم يذكر المزارح ولا غيره كيف عرف الأمير وأعوانه الخاربيون والكسروانيون هوية قتلته والدفع إلى القتل إليه، وكيف يمكن تثبيت الأمن بطرح الصوت على أهل القتل وعصبته والاستعانة بهم لمطاردة القاتل وأهل ملته جميعاً، وهدم بيوتهم وقطع أشجارهم ونهب كل مقتنياتهم كي تستحيل عودتهم إلى ديارهم بعد انسحاب الحملة،⁽³⁾

(1) للعرر الحماون، الجزء الأول، المجلد الثاني، الشهادي، ص 690

(2) المقاطعة الكسروانية، بحتوي، ص 257 تحولت جموعهم إلى لفتوح اقطاعهم القديم وبنوا على بعض مشايخهم من أبناء ملتهم وغيرهم من القائمين في مزارعهم لمروثة (تاريخ عبالة، ص 167)

(3) أدى تكرار مثل هذه الحملات إلى استعزاز الهجرات الشيمية على امتداد سنوات طويلة وربما كانت هذه عازتها بالإضافة إلى إبقاء الأهالي اليافين في حالة من القلق وعدم الطمأنينة.

يقول ناخذت أجنبي من تلك المرحلة. كان لهم محيطهم الماروني بالمرصاد، وكان غامراً وسريع الانقلاب عليهم ولا سيما في فترات التوتر ثم إنهم كانوا مديونين لتجار المدن المسيحية الذين انزعوا منهم أراضيهم تدريجياً ولذا طل الشيعة في هذه المنطقة وحتى القرن التاسع عشر يعدون تيار الهجرة الذي حملهم إلى شمال شرق السلسلة اللبنانية أي إلى الهرمل والرسالة المؤرخة في 9 حزيران 1858 الموجهة من قبل آل الخازن الموارنة هي غسقا إلى بعض أقاربهم في صعلتون تشير إلى أن المتاولة هي منطقة أمقا هادثون وأن متاولة المنيطرة اضطروا إلى اللجوء إلى مناطق مرتفعة وأنهم يطلبون الصلح⁽¹⁾

لئن استطاع المهاجرون الشيعة إلى الهرمل والنقاع إعادة بناء بيوتهم السكانية والعشائرية وبرورهم كوحدة مترابطة فرصت بعضها بوصفها قوة يحسب حسابها في مختلف الأوضاع السياسية والإدارية وعسكرته منذ مستهل القرن التاسع عشر في كل ما يتعلق بأوضاع المنطقة التي حثو عليها فإن أحوالهم المتحلص هي الحل اللبناني استمرروا يعاون من بعض المدارس العممية كانتى تعرضت لها لميطرته من قبل السلطة الشهابية وأعوانها ومدربها بمساعدة وتشجيع من والي طرابلس سواء في أيام الأمير يوسف وأولاده ثم طيله عهد بشير فاسم الجديد. وكان المتاوله الذين لم يتركوا أملاكهم وقرىهم يعاون الكثير من المصديقات لئى لا يمكن حصرها وتمدادها، لأنها أصبحت السمة البارزة في السياسة الجديدة وأحدى أهم بنودها وأهدافها يحدثنا الأب لويس بلييل عن «معاينة الرهبان في هذه الحقة، فيقول إن الأمير يوسف يسمى من سعد الحوري وسمعان البيطار ملك دير سيدة ميصوق قرية إيليج بما هيها من توب وبيوت في جميع تحومها وما بها من ماء وهواء ويتألم لما قاساه الرهبان من المتاعب والمشقات من تعدّي المتاولة «أصحاب ثبوت والبيوت المملوكة» الذين لم ترق بهم هذه الأعمال، لأن ما كان شغلونه لرهبان بهاراً من بناء وبصليح أملاك، كان الحماديون لمتاولة يتلمونه ليلاً لذلك كان الرهبان يقصون ليلهم في المقامر والكهوف متّحدين منها متراساً ويستأنمون العمل بهاراً، لأن الرهبان أصرّوا على بناء ديرهم في داخل بيوت المتاولة لمعهم من التفكير بالعودة⁽²⁾، وأصرّ أصحاب البيوت على منع تحويلها إلى أديرة قهراً ولطالما سب أسبلاء الرهبان على بيوت المتاولة وأملاكهم بوحودهم

(1) مجمع جبل لبنان شوالية ص 69

(2) لويس بلييل تاريخ لرهبيه المروية، مجلد الثاني، فصل 12، عدد 69، والملاحظ أن الأب لم يفتت إلى عدد أصحاب الأملاك وهم يرون من يهدم بيوتهم عدم نظارهم ويقسم مكانها دير

وأمام أعينهم وإقامة الأديرة مكانها لتثبيت هذا الاستيلاء وتكريسه بعض المتعصب، خصوصاً بعد أن تكاثرت أملاك الرهبان لى درحه أنه لم يعد بالإمكان استغلالها وإدارتها، إلا بتقسيمها على أديرة جديدة يتم شأها حصيصاً لمثل هذه المهام⁽¹⁾.

ويقول الخور أسقف يوسف د غر، تبعاً لما توافر له من نقولات شصوية، كان الحمادية يعيشون في البلاد هساداً ولثواً من سنة 1763م يشنون العارات ويحرقون القرى وكانت تنورين من جملة المراكز التي أقام فيها حكامهم ومنها كانوا يبتون الجواسيس ويعرقلون الأحكام. فأشار سعد لحوري وسمعان البيطار على الأمير يوسف بأن يمكن الرهبان من البناء في حوب ويعصدهم بقوة، لأنهم قوة معسوية لا يستهان بها ولما ناشروا في البناء كان المتاولة آل حماده يهدمون في الليل ما يبنيه الرهبان في النهار ولكن في آخر الأمر فاروا وبقي المتاولة في تنورين وهي بلعا حتى عهد أنطون بو طريبه فأحد أملاكهم في سعا وتنورين التحت⁽²⁾

وقد سببت هذه الأمور أحياناً مشاكل وصعوبات بين السلاحس المتاولة والرهبان واعوانهم وأحرقانهم أوقعت بعض القتلى من الطرهبس، وهادت إلى إحراق دير المسولي على الأملاك المصادره بموجب صكوك وهبات سمعان البيطار، أو عزم من جماعة الأمير يوسف أو بصكوك مشابهة ولا حقة⁽³⁾

الشيعية والأمير بشير

لم يكف الأمير بشير بعلاقه قربه يوسف في حكم بلاد الشوف، بل استطاع أن ينتزع من أولاده بعد مدة حكم المقاطعات شمالية واستمر فيها حاكماً حتى انهيار الحكم المصري ونفيه إلى خارج البلاد وقد رتمعت مبالغ الانترام على هذه المقاطعات ارتفاعاً هائلاً تعود أسبابه إلى التفاهس الحد بين الأمراء الشهابيين على شراء رصا الوالي العثماني وفرمان الولاية بمبالغ خيالية انعكست على الأهلس فقراً وسحقاً فحر ثورات يائسة ومثولية استدعت تدخل العسكر العثمانية التي دأب الشهابيون على الاستعداد بها فرادت من معاناة الناس بما كنت تقوم به من اعمال النهب والتدمير.

(1) إن ملك بعض الأديرة يوسف وتكاثر حتى لم يعد يتمكن برهبان من ضبط مداخلها فاتعد هذا التدبير في مجمع دير طاميش سنة 1847م. إبلنج، ص 174

(2) تنورين في الحقبة العثمانية، شريل داعر، ص 26

(3) مثل حادثة حريق دير عسايا على اثر خلاف بين سكرس شيعية من أهل حجولا مع الرهبان في هذه امرة.

عام 1803م، تلقى بشير خلع الولاية على أن يدفع للحرار مائة ألف غرش في مدة أربعة شهور وخمسة وعشرين ألف غرش كل شهر وعشره آلاف غرش عن بلاد جبيل كل شهر⁽¹⁾ بعد أن كان المبلغ المعروض على لطفطة نفسها أيام الحماديين لا يتجاوز نصف هذا المبلغ عن عام كامل، ومع ذلك، فبدراً ما وصل هذا المبلغ إلى حريضة الوالي رغم محاولاته المضنية. وفي سنة 1820م طلب عبدالله باشا والي عكار من الأمير بشير صكاً يتمهد فيه بدفع مليون غرش تدفع في مدة شهرين، فوجه الأمير بشير أنه قاسم إلى بلاد جبيل لنحبي الأموال الأميرية عنماً وصل إلى لحمد، رفض الأهالي دفع الأموال مسبقاً أو دفع أكثر من مأل واحد في العام⁽²⁾ ثم تحرب أهالي كسروان وجبيل والبترون والحية وأظهروا العصيان وعدم الطاعة ونحّموا بهكان يقال له لحمد⁽³⁾، فوصل بشير إلى هناك على رأس حملة لتأديب العصاة وقمع التمرد.

وفي أثناء ذلك اجتمع إلى حافل أهل بلاد جبيل وبلاد البترون وبعض أهالي كسروان واجتمع إلى إهمج أهل جبة بشري واجتمع إلى رام مشمش متاوله بلاد جبيل وأقاموا لهم وكلاء يدبرونهم⁽⁴⁾.

وفي أثناء الماوصات بين الطرفين ظهر على صبح الحبل المايل لمسكر الأمير نحو ألي نصر حصروا من حافل. وظهر مقابلهم إلى لحبوب جماعة من المتاوله وبدأ إطلاق الرصاص، واستمرّت المعركة حتى الليل قبل أن ينسحب الأمير إلى عمشيت ينتظر النجدة ليقوم بالهجوم الساحق على الثوار ويغرم الأهالي 250 ألف غرش نطقه عسكري كما فرض مبالغ كبيرة على سائر المقاطعات حتى اضطروا الملاحون أن يبيعوا أملاكهم من الأديرة لتسديد الضرائب والقرامات الباهظة⁽⁵⁾.

شارك المتاوله في هذه الانتفاضة بدفاع وحماس وقاتلوا عساكر السلطة الشهابية لأول مرة ربما بالتعاون مع إخوانهم الملاحين من المواربة، إلا أنهم كانوا مستقلين بتشكيلاتهم القتالية ويحاربون كمجموعة واحدة في معظم الحالات. لقد عانوا من قساوة السلطة وضرائها وغراماتها وتكبيها قبل إخوانهم الثائرين من المواربة، لذلك،

(1) الانتفاصات اللبنانية مسعود صاهر، ص 64

(2) أخبار الأعيان، الجزء الثاني، ص 407

(3) الانتفاصات اللبنانية، مسعود صاهر ص 72 وهي الحركة المعروفة بعمية لحمد

(4) أخبار الأعيان، الجزء الثاني ص 408

(5) الانتفاصات، ص 74 كان رجال الكنيسة المارونية يملكون أراض كثيرة ويسلمون الفلاحين على عرار

الإقطاعيين الديويين، تاريخ الاقطار العربية الحديث، لوتسكي، ص 16

كان اندفاعهم وحماسهم متقدماً وعسياً بعد أن وقع مشايخهم بدءاً يطلبون هبة من الجميع الانضمام للثورة، ويتعهدون بالحفاظ على جمهور العامة يداً واحدة ودماً واحداً وصيانة عرص واحد وصالح واحد كأيام من كان⁽¹⁾

أحد الشيعة، المبادرة بالدعوة إلى مواجهة السلطة الشهابية في عامية لحشد وتعهدوا بمناصرتها وحفظ مشاركين فيها، لأنهم كانوا في مقدمة المعانين من ظلمها وتسلطها وهم الفئة المسحوقة التي احتسبها شهابيون بما لم يحسنه خيرا لهم الموارنة من الاضطهاد والتكيد فكانوا يسطرون أي مأساة لتمرّد و لمواجهة والدفاع عن وجودهم المهدّد في الوقت الذي كان هبة لتهديد لا يطاق أكثر من أموال الباهين وأموالهم

الشيعة ونابليون

كان المتأولة مستعدين للتحالف مع أي كان يعادي العثمانيين خصوصاً في عهد تكتهم أيام الحرّار وحياته يوسف وشهير، لذلك لم يكد نابليون يصل إلى أسوار عكا، حتى نقاطروا ندون دعوى من صافيههم وأرض الشبات التي تحموا فيها، وخرجوا إلى معسكر المرسيين للقتال معهم إن لم يكن حبا لهم، فكريها بالحرار⁽²⁾، فهاضوا نابليون بكافة نه⁽³⁾ أما الموارنة فلم يحرروا على حمل السلاح إلى جانب المرسيين بل اكنتموا بمددهم بالمؤونة في أثناء حصار عكا⁽⁴⁾، وكان يوجد أساس من الحيل وغيرهم يبيعون المسكرات لأجل ربحهم لحاص بهم⁽⁵⁾

ولو فعل الجميع مثل ما فعل المتأولة، لوصل نابليون إلى حلب دون أن يكون للدفاع عن عكا فتحة حاسمة⁽⁶⁾

الشيعة في عهد المصريين

من البادر أن يجتمع الشيعة والعماليون على موقف موحد مثل ما فعلوا في مواجهة الحكم المصري الذي اعتمد الأمر بشير حاكماً على معظم المقاطعات اللبنانية، وربما هذا هو السبب الرئيسي في وقوف الشيعة في جميع ديارهم ومناطقهم في مواجهة

(1) راجع الوثيقة F15

(2) باريلي ص 98

(3) المقاطعات اللبنانية، سويد، ص 222

(4) لبنان في تاريخه وبرثه، ص 323

(5) مستحبات مشافة ص 30

(6) باريلي، ص 99

الحكم المصري والمبادرة إلى الثورة عليه ومقاتلته قبل أي فريق لبناني آخر.

قاتل الشيعة المصريين هي حبل عامل و سقاع و لهرمل وحبل لبنان بعد أن تفرد الأمير بشير بحكم لبنان حكماً استبدادياً مطبقاً وجاء الحكم المصري يطلق يده في جميع المناطق، ويحصع لبنان بشقيه وحبل عامل و بعلبك و تدمع إلى سلطته وتسلط أفراد أسرته الذين كانوا مكروهين جداً من سكان الحبل، ويتعينون الفرصة للتخلص منه. فكان الشيعة أول من ثار بوجهه وقتله، وتعتهم بقية الطوائف قبيل انحسار الحكم المصري وبعد بدء التدخل الدولي لإعادة حكم لسلطان إلى كامل مقاطعات بلاد الشام، ووقع الأمراء خنجر الحرهوش وعلي فارس وعلي قايدبيه على الشروط العشرة المرسلة من الأمير بشير إلى محمد علي باشا، والتي يرصون عند تحفيظها الرجوع إلى طاعة الدولة، والتي تنص على عدم إحد السلاح والعاء التحديد من جميع الطوائف وتحفيظ الصرايب. إلقاء السخرة هوافقه محمد علي ووزراء دول الإفرنج وحرى الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية،

كان أول من ثار ضد الحكم المصري وأعوانه من أسرة الأمير بشير هو الشيخ حسين شبيب^(١) وأخوه محمد أولاد فارس الناصف أنصار شيخ مشايخ حبل عامل وقائد الثورة علي الحرار وحلماوه من الولاة العثمانيين في عكا. وقد تمكن حكمدار دمشق المصري من القيص على الشيخ حسين وشقيقه قبل اندلاع الثورة هي سائر المناطق هذه الثورة العامة التي كان الشيعة من أول الفاعلين بها فئة ومقاتلين

هذه الثورة هي حبل عامل حمد المحمود بعد نقصاء على ثورة حسين الشبيب والأمير خنجر الحرهوش هي بعلبك والسقاع يعاونه شقيقه سلمان وأبناء عمه مجيد ومحمد وحواد ومحمود وكان الاتفاق المبرم بين عبد الله باشا والي عكا والشيخ فارس الناصف والذي أعاد إلى عاملين حكم بلادهم كما كان هي السابق ساري المفعول إلى حين احتلال إبراهيم باشا كامل بلاد الشام 1832م فدخل حبل عامل عندئذ هي الحكم المصري الذي ألحقه بالامارة الشهابية تحت حكم بشير وأولاده. وكان هذا الإلحاق أحد أهم الأسباب التي دعت العاميين للثورة على المصريين وحليفهم الشهابي^(٢).

ثم قاد خنجر معظم معاركها في بعلبك ووطا الجوز ضد مجيد ابن الأمير

(١) المقاطعات اللبنانية سويد، ج 2 ص 454

(٢) تفاصيل هذه الثورة في حصار بني وائل

(٣) لبنان في تاريخه وتراثه، ص 331

بشير ورحلة وجبل لبنان، وأرسل رجالاً لدعم الثائرين في جبل عامل⁽¹⁾، وسيطر على بعلبك حتى نصبت الدولة العثمانية رأساً على كامل أمراء مشايخ ورجال مقاطعات بلاد جبيل والكورة وجبة بشري ونواحيها⁽²⁾.

كتب أهالي جبل لبنان (دروراً وبصارى) إلى مشايخ الحمادية وباقي طوائف بيت حمادة يحرضونهم على الثورة ضد الحكم المصري والحصوع إلى أوامر الدولة العثمانية الرؤوفة⁽³⁾.

ولكن الحماديين لم ينتظروا هذا البدء العام للتحرك، لأن ثورهم على المصريين والمواحيات معهم قد بدأت قبل ذلك مع دفع برهم باشا إلى الكتابة في 5 حزيران 1839م إلى الأمير بشير يطلب منه إرسال ألف من اللبنانيين، وكتب في الوقت نفسه إلى اللواء عثمان بك في كلس يأمره بالقبض على طرابلس بحراً لتعاون هو وبشير في ضرب الحماديين وأنساعهم بعد أن قتلوا منسجم عكار وبهوا بيته واستولوا على حرية عكار⁽⁴⁾، وامتدت ثورة الحمادية إلى جبل لبنان، فاحذر مشايخهم بمائتي بشر من جماعتهم المتأولة ومعهم أبو سمرا عديم من جنبه المنيطرة إلى حيل، فاحتجع اليهم رجال من تلك البلاد وحاولوا العبور لمصر في زمرتنا ثم في يعال ثم انمض اللبنانيون عن أبي سمرا بعد انتصارهم فصار بعشرين زمرأ من المتأولة إلى الصصة⁽⁵⁾. قام الحماديون بالاشترال مع الحرشة بعصيان في وجه الحكم المصري⁽⁶⁾. وقامت الدولة العثمانية باتصالات سرية معهم تحثهم على تحرير بلادهم من هذا الحكم. وقدمت لهم اعراءات بالحكم ووعوداً بالمساعدة العسكرية.

وقع في يد المصريين وثائق صادرة عن محمد رشيد باشا، والهواري باشي موجهة إلى الأمير سلمان الحرفوشي وثلاثة من أعيان بعك الحماديين بدعوتهم إلى مقاومة المصريين وقتالهم.

جاء في رسالة أحمد أغا الهواري باشي إلى المشايخ الحماديين الثلاثة سعد الدين وأبي نصر ومحمد كنج.

«أقدينا دستور الوقور محمد رشيد باشا صار عنده تصهيم الذي يخصكم.

(1) إلى حسين الشبيب، سبق تفصيل ذلك.

(2) بيورلي صادر عن عرب محمد باشا من عسكر الشام في 1 تشرين أول 1840.

(3) المقاطعات اللبنانية، الجزء الثاني، ص 451، نقلاً عن رستم.

(4) بشير بين السلطان والعزير أسد رستم ص 162.

(5) أخبار الأعين، ج 2، ص 460.

(6) الإمارة الشيعية ص 177.

وبلادكم وما جدّ بها من أمور وصلت إلى مسامعهم.

فأعطانا سعادته قولاً على بلادكم وردّها عليكم وهو ضّ أمورها بيدكم.

المتراد منكم يا اخوتنا تشدوا همّتكم بالمحاصرة على بلادكم أسم وأهل بلادكم ولا يكون لكم تمكّر في شيء، فمسعادة الدستور الوقور عن قريب يهض لكم بالعساكر المشهورة⁽¹⁾.

صدر حكم بالإعدام على الثائرين الشيعة وكى رسالة من محمد علي باشا إلى ابنه إبراهيم لم تر مرراً لتصيد هذا الحكم، وهو يرى ان رسائل محمد رشيد باشا مرورة، ويترك الأمر إلى ولده ليصنع بهم ما يشاء⁽²⁾.

وفي رسالة جوابية حول هذا الموضوع يبلغ إبراهيم باشا والده أنه أحلى مسيل المتهمين⁽³⁾.

بعد فشل المفاوضات بين الثوار والحكومة المصرية والأمير شير، تم انعقاد مجمع هي انطلياس استفت عنه لجنة من اثني عشر شخصاً شكّو ديواناً عسكرياً أقسم أعضاؤه دعم اختلاف طوائفهم على مديح القديس مار الياس انطلياس على عدم الحباة والامناق على الراى والقول وممّن عرف من الأشخاص الموقعين اثنان من المتأولة، وهما أحمد داعر⁽⁴⁾ وقاعور حكماً⁽⁵⁾.

شارك من بقي من الشيعة في حبل لسان، وهم أخصيه مشردمه معثرة استطاعت الصمود هي قراها رغم ما تعرّصت له من محن وعسف واكراه لدهمها إلى الهجرة هي معظم الانتماسات والثورات التي قامت صدّ لسلط الشهابي المرتكر على المرمباب العثمانية هي الدانة أو الجيش المصري المنتصر بعد ذلك.

إن سياسة الشهابيين المنتصرين ومسعى الفحص الفرنسي وجهود التنظيمات

(1) المحفوظات الملكية المصرية أسد رستم المجلد الثاني عدد 3915 - ص 499

(2) المصدر السابق عدد 3924 وص 501

(3) المصدر السابق عابدين محمطة 250 رقم 410 ومحمد رشيد باشا وهو قائد الحيوث العثمانية في مواجة المصريين والهواري أحد مساعديه

م.م.م. المجلد الثاني أسد رستم، رقم 3915 ص 498

(4) أحمد داعر ثائر متولي من برج البر حة كبر من رؤساء عامية، 1840م وأحد أعضاء مجلس قيادتها قاتل في جنوب بيروت ومع ثوار المش ودير بقر قاد امأومة هي صيدا حتى 24 تموز 1840م يوم مقننه على يد حسين السلطان خليف بصريين وصديق الأمير بشير

(5) المقاطعات اللبنانية عنام ص 145 وهناك من يسكر في صحة هذه الوثيقة لا هي مصنوعة راجع انصلا على الناصي، عدل اسماعيل، ص 70

الكهوتية والإرسالية حاولت بعد نجاح تحريرتها في الشمال، تعميمها على الشوف أيضاً مما ساهم في ما بعد بانهيار الإمارة الشهابية، وقيام المماليك الطائفية على أثرها وبشوء تنافس دولي حاد على التدخل في لبنان ومساهمة طوائف وبمؤدّ وسياسات ودخول البلاد في دوامة من الانقسام الطائفي والتعاضب الدولي جعلت منه مشكلة دولية، سارعت الدول الأوروبية بمشاركة الدولة العثمانية إلى البحث عن حل لها في ظل الأحقاد الحلية والأطماع الدولية فكانت لأمور تسير في اتجاه صدام دموي ما لبث أن انصهر بين الموارنة والدرور

الشيعة والفتنة الطائفية

لم ينورط الشيعة بشكل عام في الأحداث الطائفية الحظيرة التي عصمت لبنان في أواسط القرن التاسع عشر وإن كانوا يميلون غالباً إلى مساندة النصارى ضد الحراشنة في بقاد رحلة من الهجوم الكبير حمط كافة النصارى ومنع الدرور من إدلائهم⁽¹⁾ وشارك بعض المشايخ الحمادية وهرسائهم في الدفاع عن دير نصر إبان حصارها المشهور، كما شارك ثلاثة من المشايخ الحماديين في مجتمع النصارى هي بعيداً مع هرسائهم للنظر في أمور الدفاع عن النصارى المهددين وكان هرسا الحمادية في مقدمه النصارى هي هجومهم على الشويعات⁽²⁾ ومنع كواب بيت على الصغير حدوث قلاقل في بلادهم وحلوا دون كل شر على النصارى⁽³⁾ وبالرغم من ذلك فقد تعرض بقايا الحمادية في جبل لبنان إلى اعتداءات شاملة نتج عنها هجرة شيعية شبه كاملة معظمها نحو البقاع ولصيل من المهاجرين كانت وجهتهم نحو جبل عامل.

إن ما يهمنا من هذه الأحداث الدمية هو إلى أي حد ساهمت في تهجير البقية الباقية من الشيعة الحماديين الذين تحصوا عن سبقهم من إخوانهم في السنين السابقة إذا وضعنا المصادر والمرويات وكتابات التي تمصل أحداث هذه الفترة بين الحمادية الحبلية وخيرائهم من نصارى حسباً فإن الوثائق الرسمية التي صدرت في الفترة نفسها كثيرة جداً تكفي بعضها لاحتلاف الجهات التي صممتها رأياً ووصفاً

(1) حول حصار رحلة راجع فصل مارة بعثت وهذا انقول لشاهين انكاريوس حصر الشام عن بكتات الشام ص 12

(2) لشدياق، ص 483 و 487 و 488

(3) حصر الشام انكاريوس ص 209 طبع مصر، 1895

يمثل كل الأهراق.

الوثيقة الأولى عريضه مرفوعة إلى السطاب وموقعة من طائفة الحمادية المتأولة أهالي بلاد جبيل تتحدث عما تعرض له موقعوها من أعمال العدر والتعدي والسلب من أهالي كسروان وحبل الصنوح بهدف كراههم على تغيير الدين والملة⁽¹⁾.

والوثيقة الثانية رسالة من والي صيدا إلى البطريرك الماروني جاء فيها.

«هذا السهار تسامح وتحقق وقوع لتعدي من طائفة النصاري أهالي جبل كسروان وأهل مضاطعه الصنوح وباحية جبيل بحق طائفة المتأولة الساكنين بتلك النواحي، ومد يد الاعتصاب إليهم، وطردهم من محلاتهم وإحراقها بالنار الأمر الذي أوجب حضور أكثر أهل الإسلام المقيمين في جبل لهذا الطرف بميالهم وأولادهم»⁽²⁾.

وتنتهي الرسالة بالحصص على ترك الأمور للبع وقوع رداب فعل في أماكن أخرى وهو أمر حذر منه الكثيرون وخصوصاً لقائهم بشير أبو اللمع فهو يبدأ إحدى رسائله إلى البطريرك محدراً من أن «قصبة المتأولة صافيتها وخيمه على النصاري المشننين في بلاد بشارة بسوع لا يحد وأن يمي النصاري في محلات مسمية (مستتره) عن المتأولة ويعطوا قول للمتأولة بأنه لا يصير حرب وإبلاغ طانيوس شاهين بعودة الأمير محمد الحرفوش إلى بلاده»⁽³⁾.

ولا تسعد عن هذا المعنى رساله كنخدا ولاية صيدا إلى قائممقام النصاري اللمعي.

«ان طائفة النصاري أهل كسروان ومضاطعه جبيل استدروا لإجراء التعديات بحق طائفة المتأولة الساكنين بتلك النواحي بطردهم من محلاتهم وبهبتها وإحراقها بالنار ويومياً تزداد جموعهم بقصد بية السوء بحق الطائفة المرقومة».

أما الوثيقة الأخيرة فهي رسالة من لأب بطرس نسي صعب إلى البطريرك، ويدو أنه أحد مبعوثيه لمعالجة المسألة، وإبلاغه عن حقيقة الأوضاع والمسحقات وتاريخها 26 حزيران 1860 م.

(1) وثيقة E1

(2) رسالة والي صيدا إلى البطريرك مؤرخة في سريين ول 1860

(3) رسالة بشير احمد حول التعدي على متبنة مؤرخة في 27 حزيران 1860 أرشيف بكركي أوراق البطريرك الحويك

«حصرنا عن أمر قبضتكم إلى بلاد جبيل لمداركة منع أسباب الفتنة فيما بين
النصارى وطائفة المتأولة، ومنع حرق المحلات و لقرى المختصة بالطائفة المذكورة.
وبوصولنا لزرعة كمرشلي وجدنا جميع محلات المتأولة الذي بمقاطعة بلاد
جبيل محروقة من محلات بيت عمر وبيت بطوط وصاعدا وانتهى الحال ولم يبق
للمتأولة محل بلا حريق، وجميعهم نزحوا وهذا بأكدنا من الذين كانوا مع جماعة
النصارى كهنة وعوام. فلأجل ذلك بطل كل عمل قصدنا إغراضه لديكم. وبتاريخه
مبوحين لملاننا بالمرعة لمداركة الاشياء حيث يوحد بخيرتنا بيت الحاج يوسف
وخلاهم من الطائفة المذكورة، كي لا يحصل عليهم مثلما حصل هنا⁽¹⁾

من الواضح من خلال هذه الوثائق، وخصوصاً تقرير الموحد البطريركي، أن الشيعة
الجنبيين كانوا في هذه الأرملة محترمين بين أمرين كلاهما مر وهما القتل أو لهجرة،
بعد أن أحرق قراهم، وسلبت ممتلكاتهم. فلا بد من أن يكون لما جرى في منظمة حيل
صدي نسخ الأثر عند أقاربهم وأحوائهم في النفاق والهرمل وسائر بلاد الشيعة ومع
ذلك وليس هناك ما يدل على حدوث أكثر من أعمال قردية مبرقة لا أهمية لها جرب
هي مدينة بعلبك وعدد قليل من القرى

إن شاهد عيان أرسل إلى البطريرك تقريراً عن أوضاع المسيحيين في بعلبك وكذلك
أحوال المهجرين والشيعة الجنبيين ومعاليتهم

«في 27 أيلول من نصر العام وكان وضع المتأولة في الحبل قد رداد دقة وحرراً
واردات أعداد المهاجرين منهم إلى بلاد بعلبك، أبيض بمسعود النظارة الحليلة عمر
باشا بتسوية مهام مسيحيي بعلبك بواسطة المطران المحلي ملاينوس وإعادة بعض
المسلوبات إليهم، ومباشرة تعمير القرى المنصورة، أما المهاجرون الحمادية والمتأولة،
فقد صرف لهم إحسان من حنطة الميري وبحري تدير محلات في لواء بعلبك يمضون
فيها فصل الشتاء الذي يبدأ عادة في مثل هذا الوقت وقد تقدم حسن همدان⁽²⁾ بعريضة

(1) راجع صورة عن أصل الوثائق الأربع، F16

(2) حسن صالح همدان من وجهاء الشيعة في بلاد حبير والمستشار في مجلس قانقامية النصارى
(1845م)

مرارة الظروف على الحب والسلام ومع المتننة وتقترح حلاً متوازناً وموضوعياً ومتسامحاً بإرسال رسولين من وجهاء النصارى الذين شاركوا في المداولات التي سبقت إرسالها.

«غير خافي الجناب التعدي بسلب بعض مواعيم الساحل خاصة البعض من بيت حمادة من بعض جهال كسروان والفتوح بدون سبب. وكل ذلك انعرف من حصرتكم ورجع الجواب. ويتاريخه تقرر لنا على أن البعض من الفتوح تعدوا على أولادنا وأولاد عمنا مشايخ بيت عمر وبنوط⁽¹⁾ وأخذ منهم سلاح ودحاير ودراهم وحاجز بينهم عن الخروج بدعوى أن جمهور بيت حمادة يعقدوا رأي لأجل مهاجمة طائفة النصارى. والحال إن هذا التصور صدر لسبب أمور عباد الله.

وجمعية بيت حمادة مجردة للحب والسلامة ومع المتننة فيما بين المتنين ورأيهم على - لك صالح لطالمتهم

إن المشايخ لحود البحمدوني ومنصور الترك⁽²⁾ انظروا على الجمعية ذاتها. وأكدوا العمل لأجل يتصح لديكم الكمية وبصديق ما وضحنا منهم واصلين. ولحود المذكور من عمدة طائفة النصارى فلا يصل العن فهو وكيل من طرفنا وطرف المشايخ بيت حمادة وكل ما يربطه قائلين فيه يكون بوجه السلامة ومنصور كذلك أحد أولادكم النصارى.

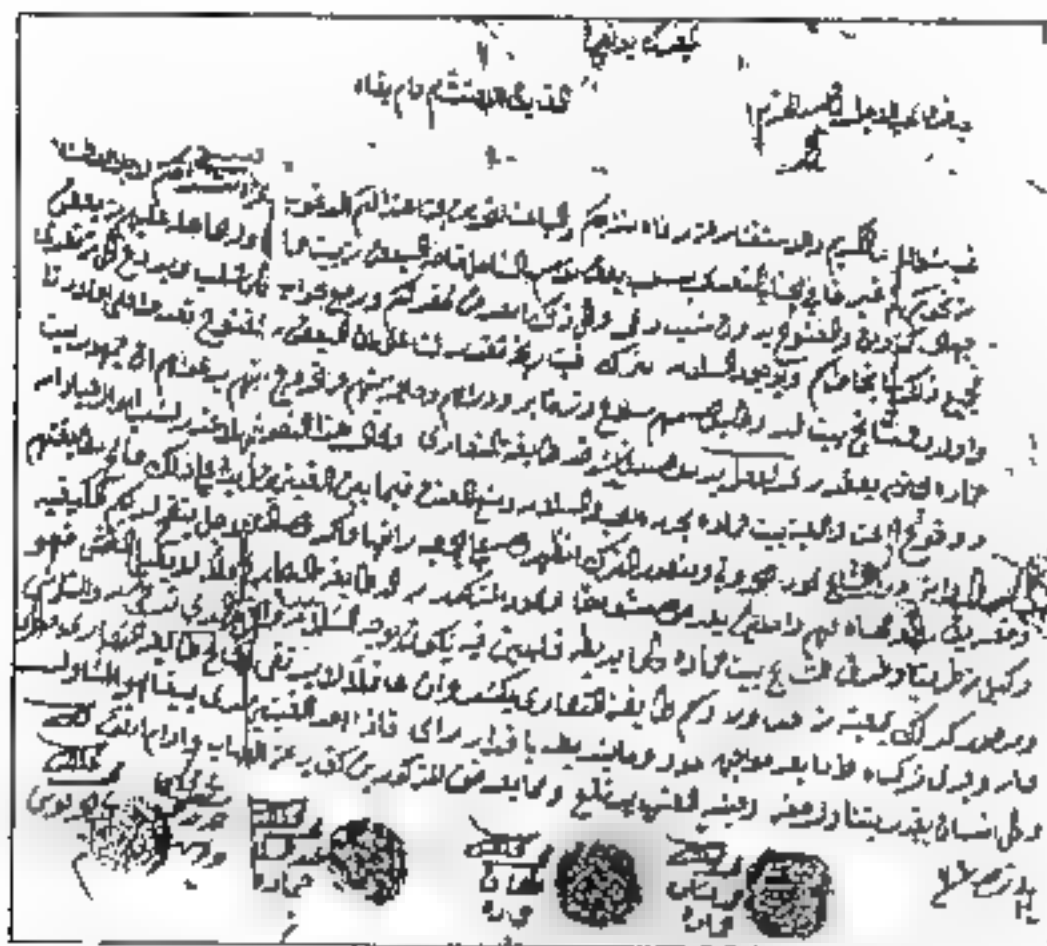
أما بعد مواجهة لحود وما يتربط إقرار رأي - حينئذ العتب يرتفع⁽³⁾ وما يعرض المذكورين كناية عن الإسهاب

إن هذه الرسالة هي وثيقة تاريخية هامة، تنبئ عن أسلوب تماطي الشيعة بوجه عام، والعشائر خصوصاً، مع الأحداث المصيرية ولهامة، التي تتطلب معالجتها الاستعداد عن الانفعال والتسرع، وتسلم قدرأ معيناً من الوعي الإنساني والسياسي والواقعية الحكيمة والمتسامحة هي معادية مواقف مماثلة، إن الاجتماع الذي عقده زعماء الشيعة، وربما كان له صفة العمومية والشمول كما جرت العادة هي مثل المناسبات، قرر أن يكون بين الحضور بعض وجهاء النصارى - وهم على الأغلب من أعيان رحلة - وذلك لتوضيح الأمور والحد من التكهن وسوء التفسير، وكلف العسبرانيين بتمثيل من حصر

(1) عشيرتان من الحمادية أحرقت محلاتهما ونهبتا وهجروا منها كما جاء في تقرير الحوري أبي صيب إلى البطريرك.

(2) يبدو أن الرسولين من وجهاء مدينة رحلة

(3) المقصود أنه إذا لم يصل الماوصور، في قرار ملائم فلا يحق لبطريرك أن يلوم المتصررين على ما قد يصدر منهم من أعمال. (الوثيقة رقم F18)



وثيقة F18
رسالة مشتركة
من الحماديين
والعرفشة إلى
البطريرك حور
أوصاع المتأولة
في الحبيل
والعلاقات بين
الشيعة
والموارنة

الاجتماع وإبلاغ البطريرك وأصحاب الشأن غايته الحقيقية، ومقرراته العملية، والقيام بمعاوصات لإقبال أبواب العنتة المشروعة والسعوة إلى الحب والسلام، رغم كل ما عايناه الشيعة الجبيليون وما يتهددهم من أخطار وأن اللة التي صيغت فيها هذه الرسالة تؤكد على سليفة دبلوماسية وتهذيب عميق لم يمارقها حتى هي لسطر الأخير عندما تؤكد للبطريرك أن مرسلتها يحسبون لعتبه حساباً كبيراً

إن الحرص على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع البطريكية ورعيتهما لازم الحمادية جبلاً وسهلاً في جميع الظروف.

إن رسالة كتبها إلى البطريرك شيخ حمادي آخر في الفترة نفسها تؤكد بمرارة على هذا الشعور حشية أن تؤدي الأوصاع المتردية والمواصف المتأحجة إلى مس العلاقة التاريخية القديمة بين الطرفين.

ومن بعد تقبيل أياديكم الكرام والدعاء بدوام بقائكم على الدوام. فعرض لديكم بخصوص الحادثة التي وقعت فيما بين لحمادية والمسيحية من المبتدئ إلى المنتهي. فليس لنا إرادة بعملها ولكن شيء لا يقدر على ردعهم من الطرفين. وأصحاب العمل طعان وحمد من عباس وعظماهم فما قبلوا منا الوصل. لا هم ولا ترصية الحمادية.

نترامى على غيبتكم لا تحطونا في عمل عاقل، ونحن بعدنا ماشيين حسب أسلافنا مع أسلافكم وأطال الله بقاءكم".

إسماعيل كنج حمادة

أثار ما تعرض له الشيعة الجبيليون شعور إخوانهم في البقاع، ومعظمهم ينتسبون إلى العشائر نفسها، فحصلت بعض التمديدات لتفرقة على عدد محدود من القرى المسيحية مما أثار خوفاً واهتماً عند جمهورهم.

إن رسالة وصلت إلى البطريرك من أهالي رحلة وأكبر البلدات المسيحية في البقاع. في ذلك التاريخ تذكر بعض المناوشات التي حرت بين طائفة الحمادية وأهالي البلدة والتي وضعت حداً سريعاً وحاسماً لها ريانة قام بها أهالي المدينة إلى الأمير الحرفوشي⁽¹⁾.

بعد كل ما تعرض له شيعة بلاد جبيل وكسروان حافظ الحماديون بشكل عام على حسن العلاقات بينهم وبين البطريرك وسائر البطاركة رعم كل ما جرى، ففي بعض العام الذي وقعت فيه كل هذه الأحداث الخطيرة، لم تنقطع المراسلات بين البطريرك وبين الشيخ الأكبر للحمادية، حتى في أحلك الظروف، ففي 16 تشرين أول 1860م كان الرحلان يتبادلان الرسائل الودية يعرب فيها الشيخ الحمادي عن امتنانه على الحماية التي قوبل بها من النصاري في ريارته إلى بيروت لمعالجة مؤاد باشا رئيس اللجنة الدولية المكلفة بمعالجة الوضع اللبناني العصيب ويأمله كبير الموارد مشاعر الصداقة الحقيقية، وعن استعداده للقيام بكل ما فيه حيركم وتوفيقكم⁽²⁾.

الشرعة الشيعية الاجتماعية الشاملة لسكان

بلاد جبيل وبعبك والهرمل، الرقيمة الشرعية،

تمسك الشيعة اللبنانيون بحريتهم و استقلاليتهم المذهبية والسياسية والاجتماعية، وخاضوا من أجل ذلك حروباً قاسية في وجه جيوش امبراطورية عاتية، لعدة قرون متواصلة ولم يتراجعوا أمامها، أو يحصوا لتحكمها يوماً فكما أجبرتهم جيوش الشام

(1) الوثيقة رقم F19، والأمل في أرشيف بكركي

(2) راجع الوثيقة رقم C3 أرشيف بكركي، وبصها في فصل لمرافقة

(3) رسالة متبادلة بين الشيخ والبطريرك تاريخ 25 ربيع أول 1277هـ الوثيقة رقم F20

مسجدكم جيد المرافق عن الشبه سبله
عظيم دامته ام
من بعد تبديل اليكم اكلوكم والتملكه بديام بخكم عن الدوله بفرصت اليكم خضعت للحا دله الذي توفعت
فينا بين الحاديه والسجيه من المبتدئ المنتهين فليس لنا اراء عليها اذ هي شئ لا نقتدر على رد عنهم ما اطلعوا به
واختل الماطنه وجبنا عنكم مضافهم من قبلنا ما الوض لا هم ولا الرضا لانه نزلنا على عبيتكم لا نخلط
في حل غلط نحن بديا ما شئ حسب اسفناح اسلافكم ومطابقه بكم في شئ غلط



وثيقة F19 رسالة ود حمادية إلى بطريرك تبدي الرحمة في استمرار العلاقات القديمة كما كانت أيام الاحداد رغم حوادث 1860

ف. ٢٠
رسالة متبادلة بين الشيخ محسن حمادة و بطريرك
عظيم دامته ام
من بعد تبديل اليكم اكلوكم والتملكه بديام بخكم عن الدوله بفرصت اليكم خضعت للحا دله الذي توفعت
فينا بين الحاديه والسجيه من المبتدئ المنتهين فليس لنا اراء عليها اذ هي شئ لا نقتدر على رد عنهم ما اطلعوا به
واختل الماطنه وجبنا عنكم مضافهم من قبلنا ما الوض لا هم ولا الرضا لانه نزلنا على عبيتكم لا نخلط
في حل غلط نحن بديا ما شئ حسب اسفناح اسلافكم ومطابقه بكم في شئ غلط



وثيقة F20 رسالة متبادلة بين الشيخ محسن حمادة و بطريرك

هي الماضي على اختيار البوادي لتحصن في مرتفعات لبنان، أكره القسم الأكبر منهم على الانحدار إلى السفوح الشرقية بعد ذلك ولم تتمكن هذه الحروب من إفنائهم كما تنبأ الكثيرون، رغم كل معاناتهم وحسائثهم خصوصاً بعد ما تعرضوا له في أواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر، وما جرى فيها من ملاحم ومذابح. وهي جميع هذه الظروف حافظ هذا الشعب الشبه قبلي على عاداته وتقاليده وأعرافه التي لارمته دائماً، ويكاد أن يصرد بالتعلق بها كما تنعق بتنظيماته العشائرية، التي فلما تجد لها نظيراً في الحبر الجغرافي الذي قدم فيه أو حتى في حوار.

حافظ هذا الشعب دائماً على تراث شرعي وأخلاقي واجتماعي وإنساني على قدر كبير من الخصوصية وتفاعل معه وأخلص له، حتى أصبح مع الوقت، وبعد التحارب الطويلة، الصمة الغالبة على شخصيته العمة وأسلوب حياته وتفكيره وتعامله في داخل مجتمعهم ومع الآخرين. وبقي هذا التراث مرعياً وحيّاً ومتحركاً، ينتقل من حبل إلى حبل في شكل مجموعة من المسمات والقواعد تحكم تصرفاته الخاصة والعامة، فرداً أو جماعة بصورة شمولية بلا حقل ولا ندوين، على تعاقب العصور، فيتعمق في أحكامه وروحيته بعض من أفراد المميزين، فيحمله مجتمعهم بحكم التقليد في مرتبة معرمة استثنائية لا علاقة لها بأي تصنيف اجتماعي أو عشائري أو سلطوي، فيصنعون بدون تسمية معصداً لهم، باعتباره من أهل الشرع، وهو عبر الشريعة، وأحكام المنهجين مختلفين رغم أنهما يتكاملان في أحيان نادرة، بما لا يحور بحكم العرف أن يكونا متناقضين، وحرية الاختيار بينهما مطلقة لا حدود لها، وإن كان الشرع يستأثر بفاعلية الحالات لبساطته ووضوحه ومروبه، ومن خصائص هذا التراث أنه يهاجر مع أصحابه حيث حلوا، وينتشر في محيط هجرته، مبرداً من المتأثرين به قليلاً أو كثيراً، اختياراً وطوعاً وبسبب قابليته وطبيعته، التي تسهر له التمدد والانتشار، ولا نعلم يقيناً ماهية البذور التي حملها معهم المهاجرون لأول مرة إلى لبنان، وإلى أي حد نما وترعرع في وسط بيئة إنسانية جبلية، إلا أنه من المؤكد أنه لا يزال مرعياً في مختلف مناطق جبل لبنان ولدى سائر طوائفه، وخصوصاً المواربه، بفعل الجور والاحتكاك والتعامل وتلوح فيه بصمات تحمل الكثير من سماته وملامحه بادية وجلية هي الأخلاقيات والأعراف والطقوس والمناسبات وسائر الطبائع والمظاهر الإنسانية والاجتماعية. أما هي سفوح البقاع وسهوله كما في الهرمل وحرودها ووديانها، فأصبح ولا يزال إلى حد كبير في مقدمة القوانين الوضعية والشرع الديني فاعلية وتأثيراً. ويشغل حيزاً مهماً في

السلوك الأخلاقي والاجتماعي لصائر العُدت و لطوائف.

إن كثافة الهجرة الشيعية إلى البقاع، التي أعقبت حرب التهجير في العقد السابع من القرن الثامن عشر وما تبعها من سياسة مبرمجة لتهجير الباقين، أوجدت طائفاً ديمغرافياً مستحدثاً، انقسم فيه السكان إلى فئتين كبيرتين، من حيث أصولهما الجغرافية، فأصبح هناك المهاجرون الذين يتكاثرون باستمرار وتعود أصولهم إلى مختلف مناطق جبل لبنان وكسروان والمثناة تشمل سكان بلاد بعلبك الأصليين. فاحتمل الأولون باسمهم القديم والحمادية، وهذا الاسم يصممهم مع كامل سكان الهرمل باعتبارها من جبل لبنان ومع الشيعة الجبيليين الذين لم يتركوا ديارهم الأولي. والآخرين هم البعلبكيون أو سكان قرى بلاد بعلبك

اجتمع كافة الشيعة على اختلاف بلادهم من جبل لبنان والهرمل ولواء بعلبك وتركوا لنا وثيقة موقعة، تتضمن مبادئ هامة من تراثهم الاجتماعي والإنساني، تعهدوا باحترامها، والعمل بأحكامها، وحددوا الأصول الواجبة لمراعاتها وتحققها. إن هذه الوثيقة سجل تاريخي واجتماعي وتشريعي، تبرز فيه أهم الملامح الإنسانية في سلوك هذه الجماعة وأهدافها وتطلعاتها نحو العدالة والرفق والتقدم، إضافة إلى هاندتها التاريخية والسياسية والوثائقية. و«مُلقوا عليها اسم «الرقيمة الشرعية» في 11 ربيع أول 1275 هـ 1858 م⁽¹⁾.

«نحن الواضعين أسماءنا وأختامنا بذيل هذه الرقيمة الشرعية عموم أمراء آل حرفوش وكامل مشايخ آل حمادة ووجوه وعمد واختيارية وعقلاء وأفراد طوائف بيت حمادة القاطنين في جبل لبنان، وقرى لواء بعلبك، وعمد ومشايخ ووجوه، واختيارية اللواء المرقوم، من رفيع ووصيع قد توافقتنا على بركات الله خاضعين من كلا الطرفين لحناب أهدياقتنا آل حرفوش وجباب مشايخنا آل حمادة في الإدارتين جبيل وبعلبك وتوابعهما، الواضعين أسماءهم وأختامهم بصحيفتنا هذه، المشتركين معنا بهذا الصنيع. وأنه بقوة هذه المعاهدة والراطة الشرعية المرعية أن تكون جميعاً كشخص واحد (لأجل؟ ..) المحدث والوطنية ولعيرة والمحبة منضمين بوحدة الإنسانية لما تقتضيه حقوق النصابة والأصول المرضية ما هو من عند الله جل وعلا صاهدين الأيامين الشرعية بالارتباط الضويم بأنه متى حصل مقدور أو تعدي من شخص على آخر بدون استثناء البتة، حمادياً أو بعلبكياً، في جبيل والهرمل

(1) الوثيقة F21.

وتوابعهما أو من ساكنين اللواء كبيراً كان أو صغيراً، فقيراً أو غنياً، فبدون الالتفات إلى الغاية والتعصب، ينظر ماذا يقتضي منع ورد ذلك المعتدي، وبالحال من طرف المأمورين المقررة أسماؤهم يجري إيجاب معه وترتيب جزاؤه حسب ما يقتضيه الحال والاستدلال. وهكذا من بعد الآن كمل الحقوق تحفظ بالتساوي، غير مجاز لأحد بأن يتميز بقوله حمادياً أو بعلبكياً، بل الجميع باليد الواحدة كما تقدم آنفاً كشخص واحد. كما وأنه إذا صار غير على أحد الإدارتين أو على أحد أفراد أهاليها أو من يلود بهما كبيراً أو صغيراً، فملزومون ومصطرون بحق الحقوق الدينية الشرعية الذي صار انتها وتأسيسها الآن. إن جميع الجمهور من كلا الطرفين معاضداً له ومؤازراً إياه لأجل استخلاصه..... مما هو فيه؟ ومكلمين أن تكون يد واحدة.... لصالح الجميع.....

بل مجتدين ومجدين، لكافة ما شأنه أن يصب جمهورنا المتفق نجاحاً وتقدماً وكمالاً واستكمالاً، حالاً واستقبالاً ولقد اقتزع بعونه جل جلاله من بيننا كل روح معاندة ومضادة ومماحكة وانقسام ولم يبق سوى المحبة والمودة والانضمام، تاركين كل تحيز وصعينة وتحزب وجمهورية، عند وقوع أمر ما كلي أو جزلي حتى لا ارتكاب جريمة القتل القطعية، فوص الأمر كراي وإفارة ولاية أمورنا جناب أئدهم الأمير سلمان المأمور حالاً. ولجناب المشايخ السابق الإيحاء إليهم، كي يتدبروا بما يروه موافق للعدل والاستقامة. ولا يحق لنا معارستهم بذلك، طالما هم يحكمون بموجب الحفائية الملتزمة وعندما أحد منهم يترضى بمأموريته، ويبطل من إجراء وطيفته السياسية، ولا يتدارك منع المهيجات والحركات الردية عند وقوعها، أو يستعمل عدم الراحة العمومية بوسائل تدخيل أساليب المتن المرعبة، فيكون جميعاً بوحدة الحال منعه ورفع من مأموريته.... قطعاً وقاطبة كما أنه يحق بعدل لجناب الأمير سلمان الحرفوش أحد مشاركي هذا الجمع الرضا بأنه عندما يحصل اختلاف ما فيما بين كلا الطرفين الذين هم نحن وبعضنا الواصمين أختامنا بديلها المتوطنين بلاد بعلبك أن يستعمل أمر السياسة مع الأشخاص لحنوحين بحسب عوايد أسلافه، دون مراعاة. ولجناب المشايخ المقررة أسماؤهم عندما يحصل من بعضنا الذين نحن تبعثهم من أحد أو تعدي فبدون فتور يقتضي ما عقاب، ذاك المعتدي غب الفحص المدقق عن مقدار استحقاق جرحه كي بهذا تدوم سلاسل المودة، المأثورة، والمحبة المرموقة، لا يحق التحشد والتعصب ولولاي كان، رفيعاً أو وصيماً. وهكذا الجمهورية

والهيجان المدموم بل حتى حصل سبب فيما بين البعض منا معضوض أمرها من سبق الإيحاء عنهم، ولهم الحق بترتيب الجزاء حيث إنه استندرم بشأن توطين وتحديد مألوف الطوائع الإنسانية، هو قلم بتوطيد أمر أساس المحبة، ولا سيما من الرفيع إلى الوضع. وهذا الأمر من خاصيته أن يرقينا لدرجة التمدن الممدوح فما يوجد أمر مهم بأكثر من انصراط الحركات المعاصرة أو المحازرة من الأسباب التي تؤمل بحمده تعالى مساعدة عز من الضعيف لإيجاد الراحة والأمنية والسلامة.

ولما تم الحال على هذا الموال، تحررت هذه الوثيقة الشرعية نسحتين لتحتفظ بيد كل من جناب أهدم الأمير سلمان، والنسخة الثانية بيد جناب المشايخ مأمورين آل حمادة. وبموجبه يكون نهج العمل الخالي من كل شين وملل حرر وجرى في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع أول الذي هو من شهور سنة خمسة وسبعين ومائتين بحضور شهود ذيله أدناه.

عموم آل إسماعيل وعموم الحمادية
سلمان الحرفوش وعموم أهالي لواء بعلبك
طعان حمادة - محسن حمادة

ويليه أحتام مشايخ المرى في المقاطعات المذكورة في الوثيقة ومنها بعلبك - بعل - طاريا - العين - الماكه - بريتال - الحدث الخ - وسائر التجمعات السكانية في بلاد الشيعة

ترحر هذه الرقعة الشرعية بأفكار متقدمة على أدبيات عصرها. وتبدو كأنها نتاج فكر مدني وحضاري راق ومتقدم، وهي أبعاد ما تكون عن خطاب عشائري يجمع بين تكتلات متباينة الأهواء والعصبية.

إن الوطنية والمساواة والمحبة والتقدم والرفق والنجاح والاتحاد ونمذ التمسك والتحزب والصفينة كلها عبارات لا تزال تتقدم أكثر الشرعات العصرية حتى في يومنا الحاضر.

إن هذه الرقعة بالمعنى العصري تعالج المشاكل القصائية وأصولها، والأمن الاجتماعي. وترتكز على المساواة بين الجميع والأحد بيد الضعيف، ووضع حد لصلف القوي

وهي تتكلم بثقة عن الطوائع الإنسانية وتوطيد المحبة من الرفيع إلى الوضع،



وثيقة F21 شرعة اجتماعية وقانونية وصعها الشيعة في مملكتك والهرمل وحبل لبنان سنة 1275 هـ - 1858 م.

والأخذ بنواصر المضطهد لتحقيق الراحة والأمن والسلامة للجميع.

إن غاية هذه الوثيقة الاستثنائية كما نعيد عن نفسها هي الارتقاء بهذه الجماعة وترقيتها حتى تصل إلى التمدن المدوح، وقد عيّنت بثبات الطريق المؤدية إلى هذا الهدف.

إنها بدون شك تراث عريق من الفضائل الفطرية، حولتها تحارب المعاناة والحروب والنكبات، وأيضاً السلطة والانتصارات إلى مشروع متكامل سياسياً وعسكرياً وتشريعياً للنهوض بجماعة ما هي الظروف والمعاهيم والمعارف التي كانت سائدة في العصر الذي وضعت فيه وفي النطاق الجغرافي الذي تنتمي إليه.

المحاولة الأخيرة

على أثر معاهدة لندن 15 تموز 1840 م، خرج محمد علي من بلاد الشام ضعيفاً منهزماً مكتفياً بعد آماله العريضة بالنقاء، حاكماً على مصر تحت راية السلطان، المدين باستعادتها لدول الحلف الرباعي وبريطانيا على الأخص⁽¹⁾ وهرض على فرنسا حليمة محمد علي القيام بتعديل جذري في سياساتها الخارجية وهي أجهزة الحكم هيها وخرج لبنان بعد نصف قرن من السياسة الطائفية والوصوكية التي كان يعتمد عليها الأمير بشير المعروف⁽²⁾ منقسماً على نفسه، نهزع كل من طوائفه إلى السحاب مع عروس الحماية المقدمة إليها من القناصل الأوروبيين تشبهاً بالحماية الفرنسية على الموارد؛ فاحتصن البريطانيون الدرور، وروس الأرثوذكس، وتأرجح الروم الكاثوليك بين النمسا وسردينيا.

وقد وصف القنصل الفرنسي في تقرير إلى حكومته بتاريخ 28 كانون الأول 1841 م، هذا الوضع بقوله: «إذا انحدر اليوم شيخ معمم أو غير معمم من قرينته الجبينة ودخل بيروت فكل إنسان يعرف إلى أي قنصل هو داهب ومادا هو أت ليقول»⁽²⁾.

كانت جهود المرسلين والرهبانيات ولاكبروس ماروني بوجه عام قد نجحت في دفع

(1) ذكر في عريضة موقعة من عدد من لأمرء وشايخ لبيانيين أن مجموع ما اعتصبه الأمير من المائلات الثرية يقارب 141668 كيماً أي 70834000 قرش، «قتل أعين ستة أمرء وقطع ألسنتهم. قطع رؤوس 67 أميراً وشنق أميرين وقتل حرقاً بالدار 70 من تحد في جبل لبنان شخصاً واحداً قادراً على القول أنه لم يصب بسوء من قبضة الأمير لبنان في سياسة الأوروبية، معير اسماعيل، من 23

(2) D.D.C. T7, P70.

باريس وروما منذ سبعين عاماً إلى تبني سياسة الكيان الماروني في جبل لبنان. وقد بدا أن هذه السياسة قد قطعت شوطاً بعيداً على طريق التحول إلى واقع قائم على الأرض بعد تهجير البنية الأساسية للوجود الشيعي وإسناد الولاية إلى شهابي متصنر يسير مجموعة من المدبرين الموارنة. فلما آلت الإمارة إلى الأمير بشير بقي الموارنة والقوة الدولية المساندة لهم يرون في وجود أمير متصنر على رأس السلطة في دير القمر وفي جبيل معاً ضماناً للمسير هُدماً في تحقيق هذا الهدف بعد إصفاة الطوائف الأخرى التي قد تقف حائلاً أمامه، وخصوصاً الدرور. ولكن بعد إلغاء الإمارة الشهابية، وجد لبنان نفسه وسط تجاذب دولي حاد تلعب فيه بريطانيا الدور الأول بعد تراجع النفوذ الفرنسي، وبرز مطامع دول أوروبية أخرى كالنمسا وروسيا. فتشظت الجهود لإحياء الحلم القديم الذي قوّست المستجدات الأخيرة كل أسسه السابقة. وقد حمل لواء هذه الدعوة القنصل الفرنسي بوريه (Eugène Bourée) ساعياً إلى قيام إمارة مسيحية في لبنان، تكون مرتبطة بفرنسا، وتؤمن بالإضافة إلى مصلحة المسيحيين وتطلعاتهم المصالح الفرنسية، وتضع حداً لانتشار النموذج البريطاني في بلاد الشام، الذي بدأ يشكل عن طريق الإرساليات الإنجيلية خطراً حقيقياً على مصالح فرنسا في الشرق⁽¹⁾. وقد تحمس لتنفيذ هذا المشروع كما هي لفرد المديني هريق من المرسلين اليسوعيين وهي طليعتهم الأب ريلو (بونا منصور) الذي راح يبحث زعماء الموارنة على إعلان الدولة المسيحية على أنها الصمان الوحيد لسلامة مسيحيي الشرق⁽²⁾. ولكن دعوات الأب ريلو وجهود القنصل الفرنسي والإرساليات الكاثوليكية بقيت الشكوك لدى المسلمين عامة والدور خصوصاً، وأثارت لدى الباب العالي والحكومة البريطانية نقمة كبرى تجاه السياسة الفرنسية وخطتها.

فرضت معاهدة لندن معادلات دولية جديدة وضعت بريطانيا في مركز الدولة الأكثر نفوذاً في الآستانة بعد وقفها إلى جانب سلطان في صراعه مع محمد علي، وكست روسيا والنمسا بوصفهما قوتين أساميتين في الصراع الدولي على لبنان. وقد أوجر

(1) نشب خلاف بين القنصل بوريه وهريق من المدبطين في عمل للكيان الماروني وأهمهم الأب جان عارار رئيس مدرسة عين ورقة وقريبه جوزف كوني (Cont) القنصل الفرنسي في صيدا والمطران عبد الله اليستاني. وكان الأب عارار من أصحاب النموذج في بعض الأوساط الملكية الفرنسية في باريس. وقد اشترك في الحملة الهادفة إلى توطيد الموارنة في نجر نر مجتمع جبل لبنان، دوميبيك شوهالييه، من

(2) الأب ريلو، Rillo، يسوعي لاتيني شارك في حملة بولونيا 1830م حكم بالإعدام في روسيا يقول عنه أحد القناصل إنه كقوة وبشيط، وحائز على كامل ثقة الأمير بشير D.D.C., V6, P30.

القنصل النمساوي العام في بيروت سياسة حكومته بإعلانه أن حماية الكاثوليك في الشرق أصبحت الآن من حق النمسا، أما فرنسا القوية في عهد نابليون الأول، فلم تعد سوى دولة ضعيفة منمرلة عن معالم الأوروبي تعصف بها أزمات داخلية مستعصية أفقدتها كل حق هي أن تستقل بحماية الكاثوليك في الشرق. واستطاع القنصل الروسي العام «بازيلي» أن يوجد عند الطائفة الأرثوذكسية عطايا للقيام بدور سياسي أكثر أهمية استناداً إلى عظيمة الكنيسة الروسية التي لا ملجأ للأرثوذكس في لبنان، إلا في حمايتها تحت راية القيصر. أما القنصل البريطاني العام في سوريا، المقيم في بيروت، فكان يعتبر أن مهمته الرئيسية هي محاربة النفوذ الفرنسي في الشرق والتقرب من رعاء الدرور والاستعانة بحجة حمايتهم لتكيد لفرنسا وجماعاتها في لبنان

إن الموارنات الدولية الجديدة في الشرق ذهبت تهاز رئيس الحكومة الفرنسية إلى استبدال القنصل بوريه - بعد أن اقترح عليه خلق إمارة مسيحية مرتحلة بفرنسا - بقنصل جديد هو دي ميلوار الذي هوحي لدى تسلمه منصبه في بيروت بعمق تعمل الإرساليات الكاثوليكية وخصوصاً جمعية اليسوعيين في الأوساط المسيحية في لبنان، ومدى تسلطها على الإكليروس المسيحي؛ فطلب من حكومته التدخل لدى الكرسي الرسولي لمنع هذه الإرساليات، من التدخل في شؤون السياسة وسحب الأب ريلو من لبنان لأنه بات يشكل خطراً على المصالح الفرنسية

إن انكفاء النفوذ الفرنسي أمام السياسة البريطانية في الدولة العثمانية وظهور دول أوروبية جديدة على مسرح الأرملة اللبنانية تعمر مصلحة كيانات مسيحية خاصة للطوائف المشمولة بحمايتها كالروم الكاثوليك والأرثوذكس، والمعادلات السياسية هي أوروبا نفسها أفضلت الجهود الإرسالية وفرنسية لبعث الكيان السياسي الماروني الموعود. وجعلت من سقوط آخر شهابي متصتر شير الثالث هشلاً كاملاً لمشروع إنشاء الإمارة المارونية في لبنان، وأعادت الحكم العثماني المباشر بشخص عمر باشا النمساوي.

وهذه كانت نهاية فصل في تاريخ التدخل السياسي الفرنسي والرسولي في لبنان. ابتداءً بتنصيب يوسف الشهابي حاكماً على شمال لبنان وانتهى بسقوط آخر أمير على الجبل من سلالاته، وابتداءً فصل جديد آخر في طر معادلات قوى دولية مختلفة سيكون ربما أشد تعقيداً وأكثر دموية.

المصادر والفهارس

مصادر ومراجع الكتاب

فهرس أسماء الأماكن

فهرس الأسماء

فهرس الوثائق

فهرس الخرائط

فهرس الصور والرسوم

فهرس الجداول

الفهرس



مصادر ومراجع الكتاب

- الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل، علي داود جبر، دار الهادي
- جبل عامل السيف والقلم، حسن الأمين، دار الأمير،
- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، دار المعارف
- عصر حمد محمود، حسن الأمين، دار التراث الإسلامي.
- صفحات من تاريخ جبل عامل، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي
- أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار المعارف للطبوعات.
- حطمت جبل عامل، محسن الأمين، دار المحجة البيضاء
- الشيخ أحمد رضا، فاهر ترحيمي، دار الافاق الجديدة.
- معالم الأدب العاملي، عبد المجيد الحر، دار الأفاق الجديدة.
- جبل عامل في التاريخ، محمد تقي العفية، دار الأضواء.
- صفحات من تاريخ جبل عامل، نوال فنان، دار الجديد.
- حسام الدين بشارة، جعفر المهاجر، دار الهادي
- التأسيس لتاريخ الشيعة، جعفر المهاجر، دار الملاك
- الهجرة العاملة إلى إيران، جعفر المهاجر، دار الروضة
- جبل عامل بين الشهيدين، جعفر المهاجر، معهد المراسي لشرق الأدنى
- جبل عامل 1516 - 1697 م، علي درويش، دار الهادي
- جبل عامل تاريخ وأحداث، رامي رزق، دار الهادي
- ميسر الجبل، رامي رزق، دار الهادي.
- تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام، هشام عشار، مؤسسة الأعلمي.
- نحو تاريخ فكري - سياسي لشيعة لبنان، حسن عريب، دار انكسار الأدبية
- صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم في لبنان، يوسف عمرو، دار المحجة البيضاء
- حسن الشقيف، عباس وهبي، المؤلف 2006.
- تاريخ جبل عامل، محمد حابر آل صما، دار النهار
- تاريخ الشيعة، سليمان الطاهر، مؤسسة الأعلمي
- قلعة الشقيف، سليمان الطاهر، الدار الإسلامية.
- الأمة القلقة، وصاح شرارة، دار النهار
- أمل الأمل، الحر العاملي، مكتبة الأندلس بعباد.
- تاريخ صيدا، أحمد عارف الرين، انطوان 1913.
- صيدا عبر حقب التاريخ، ميسر الحوري، المكتب التجاري 1966

- للبحث عن تاريخنا، علي الريس، المؤلف 1973.
- فصول من تاريخ الشيعة علي الريس، دار الفكر الحديث
- العادات والتقاليد هي اليهود الإقطاعية علي الريس، دار الكتاب اللبناني.
- تاريخ جباع، علي مروة، المؤلف 1967.
- تاريخ تينين، حسن محمد صائح، دار الجمال.
- الحركة المكرية والأديبة هي جبل عامل كاظم مكّي، دار الأندلس 1967
- مشفرة هي التاريخ، حسين الخفش، دار انقماطي.
- العقد المنضد، شبيب ياشا الأسعد، نزيه الأسعد 1990.
- جبل عامل في قرن، حيدر الركيبي، دار الفكر اللبناني.
- لمحات من تاريخ الأمراء الوائلي، أسطول شعبان، جمعية بني وائل 2003
- الحراشنة، فؤاد خليل، دار المأرابي.
- العشيرة، فؤاد خليل، دار الفكر اللبناني
- تاريخ بعلبك، ميخائيل ألوه، المطبعة الأدبية 1889.
- بعلبك هي التاريخ، هاسم الشماخ الرفاعي، مكتب الإسلامي.
- تاريخ بعلبك، حسن نصر الله، مؤسسة الوفاء
- تاريخ الأرملة (طبعة نوتل)، بطريرك البويعي، 'المطبعة الكاثوليكية 1951
- تاريخ الأرملة بطريرك البويعي، دار لحد حاطر.
- أخبار الأعيان في جبل لبنان، طنوس الشدياق، دار لحد حاطر.
- أخبار الأعيان في جبل لبنان، طنوس الشدياق، الجامعة اللبنانية
- لبنان في عصر نصر الدين، أحمد انصاف، الجامعة اللبنانية.
- لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، حيدر الشهابي، جامعة اللبنانية
- تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر تدمري، حروس برس.
- تاريخ سوريا الديوي والديني، المطران يوسف الدبس، دار حدود
- الجامع المنصر هي تاريخ الموارنة المؤصر المطران يوسف الدبس، دار لحد حاطر
- تاريخ سوريا، جرجي بتي، دار لحد حاطر
- تاريخ الرهبانية المارونية اللبنانية الأب لويس بليبي، الأب بطرس سارة 1959
- رجليات ابن القلاعي، بطرس الجميل، دار لحد حاطر
- تاريخ الموارنة ومسيحي المشرق عبر العصور، عبد الله بي عبد الله، دار ملحات
- حبل والنيترون والشمال هي التاريخ، عبد الله بي عبد الله، مطبعة دكاش 1987
- تاريخ الموارنة، الأب بطرس صو، دار النهار
- مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، الأب يوسف محمود، الكسليك 1968
- مجمع الليرة، عمان العياش، المركز الوطني للمعلومات والتدريس.
- البراهين الراهنة، المطران دريان، دار كنعان.
- أصل الموارنة، المطران دريان، دار بيلوس.
- انبطريرك ميخائيل فاضل، الأب بطرس صفيير، الكسليك 1994.
- مجموعة اللبودي، الأب توما اللبودي، الكسليك.
- التاريخ اللبناني، الأب عسطين زبد، الكسليك

- الموارنة في التاريخ، متى موسى، قدم من للنشر و شوريح
- مختصر تاريخ جبل لبنان، أنطونيوس أبي حنظلر القبطوري، دار لحد حاطر.
- لبنان مباحث علمية واجتماعية، لجنة من الأدباء بهمة اسماعيل حقي بك، الجامعة اللبنانية.
- المدن والقرى ولغات اللبنانية، ميشال أبي فاضل، مؤسسة المحفوظات الوطنية
- تاريخ بجة وأسرها، صقر صقر، دار عشتار
- تاريخ الكسور - كسروان، الحوري يوسف أبي صعب المؤلف 1985
- المقاضفة الكسروانية، الحوري منصور انخوبي، دار كلمان.
- فلاحو ناحية البترون في القرن السادس عشر، عصام خليفة، المؤلف 2003.
- لبنان في أرشيف اسطنبول، المؤلف 1996
- لبنان في القرن السادس عشر بلدان وأوصاف، عصام خليفة، المؤلف 2007
- الصرايب العثمانية في القرن السادس عشر عصام خليفة، المؤلف 2000.
- بواحي لبنان في القرن السادس عشر، عصام خليفة، المؤلف 2004
- شمال لبنان في القرن السادس عشر، عصام خليفة، المؤلف 1999
- المسلمون الشيعة في كسروان وحبييل، علي حيدر أحمد، دار الهادي.
- تاريخ حدوتون بالوثائق، شوقي خليفة، المؤلف 2006.
- تزيين، شربل دامر، دار الصرات
- تاريخ إهدن، سيمون معوض، جروم برص.
- تاريخ بيروت، صالح بن يحيى، دار المشرق
- تاريخ بيروت، صالح بن يحيى، دار الفكر الحديث
- ولاية بيروت، ربيع التميمي ومحمد بهت، دار لحد حاطر
- تحقيق في تاريخ عكار والصيحات، جورج عبد الله، مكتبة المباح
- عندفت وقرها الحمص، مطاويوس عزيبة، المؤلف 2004
- الإمارة المرحبية، خالد مصطفى مرعبي، دار البعاري
- تاريخ عكار، فاروق حبلص، دار لحد حاطر.
- تاريخ الصبية، قاسم الصمد، المؤسسة الجامعية
- تاريخ بشري، الأب فرسيس رحمة، سان باولو 1958
- تاريخ شمال لبنان، بطرس كرم، دار بيلوس.
- دير أنطونيوس قرحيا، الأب أنطوان مقبل، المؤلف 2000.
- غبايا الروايا في تاريخ سيدنايا، حبيب لريات، كرسى الملكي الأنطاكي.
- سلمية في خمسين قرنا، محمود أمج، المؤلف 1983
- شكا دراسة عامة، بردليان طرييه، المؤلف 1986
- آل طرييه في التاريخ، بردليان طرييه، دار لحد حاطر
- تاريخ بسكنتا وأسرها، الحورأسقف بطرس حبيقة لحركة لشافية - بسكنتا.
- تاريخ بشعي وصلما، الأب أسطمان انشعلاسي، دار صادر
- تاريخ العاقورة، الأب لويس الهاشم، مطبعة الملم 1930.
- إيليج من الماضي إلى الحاضر - كميل سلامة المؤلف 2005

- نياية طرابلس في عهد الماليك. الياس لقطار، الخدمة اللبنانية.
- تاريخ طرابلس، سميح الزين، دار الأندلس.
- طرابلس في التاريخ، محمد كامل يايا، جروس برس.
- انتشيع في طرابلس وبلاد الشام، الشيخ علي انطر بلعي دار لصاقي.
- فخر الدين المعني الثاني، الأب بولس قرأني، دار لحد حاطر.
- تاريخ الأمير فخر الدين، عيسى اسكندر المعلوف، دار الحمراء.
- تاريخ رحلة، عيسى اسكندر المعلوف، رحلة المنة 1877.
- تواني القطوف، عيسى اسكندر المعلوف، دار حوران دمشق.
- التوحيون تاريخ وحضارة، أبو مصلح، ملاعب، يحيى، المركز العربي للأبحاث والتوثيق.
- تاريخ الإقطاع في لبنان، عبد المجيد عبد الملك، المركز العربي للأبحاث والتوثيق.
- الإمارة الشهابية والإقطاعيون الدرزي، سيب نكد، دار النهار.
- التوحيون، ندب حمرة، دار النهار.
- بنو سبعا، جوزف اليان، دار لحد حاطر.
- المقاطعات اللبنانية، رياض عام، بيسان.
- مقاطعات جبل لبنان، رياض عام، بيسان.
- التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الآثار المخطوطة، الأب بطليموس شيلي، الكنيسة.
- لبنان من قيام الدولة العباسية إلى سقوط الدولة الأحمديّة، عمر عبد السلام التدمري، جروس برس.
- وثائق مادرة، عمر عبد السلام التدمري، مؤسسة المحفوظات الوطنية.
- أعلام في ذاكرة لبنان، عمر عبد السلام التدمري، مؤسسة المحفوظات الوطنية.
- مساهمات من الحواب على اقتراح الأحزاب، مهدي مشاقفة، المكتبة البوليسية.
- حوادث بلاد الشام، حسن آغا العبد، دار دمشق.
- حوادث لبنان وسوريا، الأب ميخائيل كرامة الحمصي، جروس برس.
- اندر المرموف في تاريخ الشوف، حسانيا الأمير، جروس برس.
- اندر المرموف في تاريخ الشوف، حسانيا أمير، دار نرشد، بيسان.
- حوادث الشام ولبنان، ميخائيل الدمشقي، دار قتيبة.
- الحركات في لبنان، يوسف أبو شقرا، تحقيق عارف أبو شعر.
- السياسة الدولية في الشرق العربي، إميل حوري وعادل اسماعيل، دار النشر للسياسة والتاريخ، الجزء الأول.
- تاريخ لبنان الحديث، إميل حوري وعادل اسماعيل، دار النشر للسياسة والتاريخ، القسم الأول.
- إنقلاب على الماضي، عادل اسماعيل، دار النشر للسياسة والتاريخ.
- لبنان في السياسة لأوروبية عبر اسماعيل، دار النشر للسياسة والتاريخ.
- أبو سمرا خانم، إبراهيم عام، دار لحد حاطر.
- الحملة الفرنسية على مصر والشام، نقولا الترك، دار العارابي.
- أزمة الحكم في لبنان، أحمد طريين، دار فكر دمشق.
- بيت بمانزل كثيرة، كمال الصليبي، دار نوفل.
- تاريخ لبنان الحديث، كمال الصليبي، دار النهار.

- معطلق تاريخ لبنان، كمال الصليبي، منشورات كار فان نيويورك
- الجذور التاريخية، مسعود صاهر، معهد الإنماء العربي،
- الانتفاصات اللبنانية، مسعود صاهر، دار المارابي
- تاريخ لبنان الاجتماعي، مسعود صاهر، دار المارابي
- تسريع الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، الأب هنري لامبس، دار التراث اللبناني
- الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي، محمد ترحيمي، دار الأفاق الجديدة.
- قراءة إسلامية في تاريخ لبنان، محمد علي الصناوي، دار الإيمان.
- أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، نقولا ريبة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، هليلب حتي، دار الثقافة
- مختصر تاريخ لبنان، هليلب حتي، دار الثقافة.
- التاريخ السياسي للإمارة الشهابية في جبل لبنان، عباس أبو صالح، بيروت 1984
- لجنة بيروت الدولية، الأب أنطوان صو، منشورات.
- حصر الثغام عن مكبات الشام، شاهين مكاربوس، طبع مصر 1895.
- بوادر الرمان في وقائع جبل لبنان، استنكر ألكريوس، رياض الرسي للنشر
- لبنان من العتج العربي إلى المتح الشمالي، محمد علي مكّي، دار النهار.
- العادات والتقاليد اللبنانية، نحد خاطر، دار لحد خاطر.
- لبنان في تاريخه وتراثه، بإشراف عادل سماعيل، مركز الحريري الثقافي.
- الأيدولوجية المحتمية، جان شرف، الجامعة اللبنانية.
- لبنان في القرن الثامن عشر، الجمعية اللبنانية للدراسات والتاريخ، دار المنحجب العربي.
- المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس إبان الحقبة العثمانية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية.
- لبنان والإمارة الدرزية، عبد الرحيم أبو حسين، دار النهار
- إشكالية الملكية وأنواع الأراضي، عبد الله سعيد، بيسان.
- العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، عبد الله سعيد، دار المارابي
- قصايا من تاريخ الممالك، أحمد حطيط، المرات
- دحائر لبنان، إبراهيم الأسود، المطبعة الشهابية بعبدا 1896
- مؤرخون من لبنان، الياس القطار، المؤلف 1998
- مؤرخو بلاد الشام في القرن الثامن عشر، حدة أبو علوان، المرات.
- معجم الفرق الإسلامية، عارف تامر، دار المسيرة
- معجم الفرق الإسلامية، شريف الأُمي، دار الأضواء.
- طبقات أعلام الشيعة (الحقائب الراهنة، هي ستة أثمانية - القرن الثامن)، أعا بزرگ الطهراني، دار الكتاب العربي.
- عودة المصارى إلى جرود كمروان، الحوري حرجس رعيب، حروس برس.
- التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، إينبا حريق. الأهلية للتوزيع والنشر
- أصدق ما كان عن تاريخ لبنان، هليلب دي طراري، بيروت 1948
- آل السعد في تاريخ لبنان، نحد خاطر، دار لحد خاطر
- معجم أسماء الأسر والأشخاص، أحمد أبو سعد، دار العلم للملايين.
- بطارقة المواربة وأساقفتهم، الأب بطرس مهد، دار لحد خاطر (القرن 15 - 16 - 17 - 18)

- علاقة الطائفة المارونية بالكُرسي الرسولي، الأب بطرس فهد، دار لحد حاطر
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية
- الخطط المقرزية، المقرزي، دار صادر
- السلوك لمعرفة دول الملوك، المقرزي، دار الكتب العلمية
- الصوء اللامع، الصفاوي، دار الكتب العلمية
- الدرر الكامنة، المسطاسي، دار الكتب العلمية
- سنك الدرر، المرادي، دار الكتب العلمية
- خلاصة الأثر، المحبي، دار صادر
- حوادث الرمان، ابن الحمصي، المكتبة العصرية
- حوادث الرمان، ابن الحمصي، دار الفعاش
- البدايه والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف 1966
- معككة الحلال، ابن طولون، دار الكتب العلمية
- اللعة لبرقية هي الكتب التاريخية، ابن طولون، دار ابن حرم
- اعلام النوري، ابن طولون، دار ابن حزم.
- صبح الأعشى هي صناعة الانش، الغنوشي، مؤسسة المصرية العامة 1963
- هوات الوفيات، شاعر الكتبي، دار الكتب العلمية
- بدائع الزهور هي ورائع لدهور، ابن اناس، دار احباء للكتب العربية الماهرة 1972
- نهاية الارب هي معرفة اسباب العرب العنقشدي، دار الكتب العلمية
- المختصر هي اخبار المشرك، أبي الفداء، دار المعرفة
- المحررات السياسية، هليلب وهريد الحارز، الطبعة الثانية 1984
- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، دار الرائد اللبناني
- حطام الشام، محمد كرد علي، دار العلم للملايين
- الكوكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين نوري، دار الأفاق الجديدة.
- مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية، دار إحياء لثراث العربي 1973
- شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجت البيطار، دمشق.
- المقود الدرية، محمد بن عبد الهادي، دمشق.
- تاريخ نظام المسؤولية عند العشائر العراقية، جامعة بغداد.
- أحسن التقاسيم هي معرفة الأقاليم، المقدسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة، المكتبة المصرية
- سمرقانة، ناصر حسرو، دار الكتاب الجديد
- ناصر حسرو وياقوتة بدخشان، اليس هريبيرغر، دار المدى.
- رحلة ابن جبير، ابن جبير، دار صادر
- رحلتان إلى لبنان، عبد العتي باللهسي، المعهد الأناسي
- الرحالة الشامية، محمد علي باشا، دار الرائد
- المنازل الحاسنية، ابن محاسن، دار الأفاق الجديدة

- الحقيقة والمجاز، عبد العتي النابلسي، دار المعرفة، القسم الأول.
- الرحالة العربيون في موطن الأرز، أميرة جبر، مؤسسة خليفة 1993.
- بين الدرور والموارية، جيراردو ثرفال، منشورات اسمار باريس.
- المحفوظات الملكية المصرية، أسد رستم، المكتبة البوليسية.
- الأصول العربية لتاريخ سوريا، أسد رستم، المكتبة البوليسية.
- بلاد الشام في عصر محمد علي باشا، أسد رستم، المكتبة البوليسية.
- بشير بين السلطان والغزير، أسد رستم، الجامعة اللبنانية.
- حروب إبراهيم باشا المصري، أسد رستم، المكتبة البوليسية.
- رسالة تاريخية، ناصيف النيارجي، تحقيق لباشا وعمام دار ممن.
- مشاهدات في لبنان، لويس لورته، دار عبود.
- مجتمع جبل لبنان في عهد الثورة الصناعية في أوروبا، دوميك شوفالييه، دار النهار.
- مصطفى أمانبر، الأب أعناطيوس الحوري، دار التحليل.
- تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، المعلم إبراهيم بعورة، دار لحد خاطر.
- تاريخ لبنان العام، يوسف مرمر، المؤلف.
- تاريخ لبنان الحضاري، يوسف السوداء، دار النهار.
- صدقة ومعامة، الأب بطرس عالب، المطبعة الكاثوليكية 1924.
- تقاليد مرصا في لبنان، ترجمة عبود.
- لبنان بين مشرق ومغرب، محمد جميل بيهم، دار طريحياني.
- مواهل العروبة ومواهبها، محمد جميل بيهم، المؤلف 1950.
- التراث الثمين في إمارة الشهابيين، جامعة الأمراء الشهابيين.
- تاريخ الأمراء الشهابيين، أحمد أمراهم، دار لحد خاطر.
- سوريا في العهد العثماني، يوسف الحكيم، دار النهار.
- لبنان واللبنانيون، يتكوفيتش، دار المدى للطباعة والنشر.
- فخر الدين أمير الدرور، هوسقند، دار لحد خاطر.
- تاريخ فخر الدين، جيوفاني ماريتي، الدار اللبنانية للنشر الجامعي.
- الدرور والموارية، تشارلز تشرشل، دار لحد خاطر.
- جبل لبنان، تشارلز تشرشل، دار العاداني.
- سوريا ولبنان وقلعطين تحت الحكم التركي، باريلي، دار الحد لل.
- رحلة إلى جبل لبنان، ماعري، دار لحد خاطر.
- بيروت ولبنان، هيري غير (ترجمة عبود) دار المكشوف 1950.
- الإقطاعية في مصر وسوريا، بولياك (ترجمة كرم) دار المكشوف 1948.
- رحلة في لبنان، جون كارن (ترجمة رثيف حوري) دار المكشوف 1948.
- مشاهدات في سوريا، كارست بيوهر (ترجمة لجميل والحوري) 1931.
- تاريخ الدرور، جان ميشال هنتور دي بارادي، دار ممن.
- تاريخ الأقطار العربية الحديث، لونسكي، دار التقدم موسكو.
- البدو، أبو سهايم، دار الوراق للنشر.

- آخره المائل، ابن رسل الرمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تاريخ ضروة السلطان سليم، الأشبيلي، دار الكتب العلمية.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، دار العلم للملايين.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد بك، دار النفائس.
- تاريخ الدولة العثمانية العلية، ابراهيم بك حليم مؤسسة الكتب الثقافية.
- العرب والعثمانيون، عبد الكريم رافق، مكتبة أطلس دمشق.
- المتح العثماني للشام ومصر، أحمد فؤاد متوبي، برهراء للإعلام العربي.
- معجم الدولة العثمانية، حسين المصري، الدار الثقافية للنشر.
- المتح العثماني للأقطار العربية، إيمانوف، دار المارابي.
- تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني عادل مسع مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- تاريخ أحمد باشا الجزار، عادل مناع، مكتبة أنطوان 1955.
- تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، عباس صباغ، دار النفائس.
- الأقليات والقوميات في السلطة العثمانية بعد 1516، مجموعة باحثين، الجمعية التاريخية اللبنانية.
- الشعة والحاكمون، محمد جواد مصرية، الجمعية التاريخية اللبنانية.

مصادر أخرى

- محكمة طرابلس الشرعية م ط ش، السجل الأول عام 1667.
- محكمة صيدا الشرعية، م ص ش، السجل الأول عام 1699.
- أموري مهمة دفتري، أ. م. د السجل الأول عام 1553.
- شكايه دفتري، أرشيف رئاسة مجلس الوزراء في اسطنبول.
- بعض البندات المفقودة عن مصادر عثمانية مكتوبة مثل تاريخ محمد أهدي راشد ومحمد أعا سحدار وعبد القادر أوركان، تاريخ راشد، تاريخ سحدار تاريخ أوركان.
- مجموعة عادل اسماعيل D.D.C.
- دار الوثائق القومية في باريس A.I.B.
- أرشيف ضفة التجارة والصناعة في مارسيليا.

مخطوطات

- تاريخ ما توقع في لبنان الفاضي أرماسيوس فاحوري، الجامعة الأميركية، مكتبة باغت Mi C.A 449/24.
- مختصر تاريخ البويهي، طنوس شدياق، خاص.
- باصيف النصر في جبل عامل، محمد سعيد بسلام، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، كلية التربية.
- مجلات وصحف مختلفة منها المشرق لمرقس أوراق لبدنية، النهار، الديار، المستقبل، ومواقع إلكترونية أشير إلى جميع هذه المصادر في الهامش.
- Arabica - Revue géographique du Lyon

- Les Traditions Française au Liban, René Ristelhaeber, Paris 1918.
- Histoire Du Liban G.Nantet.
- Voyage en Syrie et en Egypte, Volney, Paris 1959
- Voyage en Orient, Lamartine, 1903.
- Introduction à L'Histoire Urbaine de la Syrie ottomane. Antoine Abdel Nour, Librairie Orientale, 1986.
- Paysans et institutions Féodales chez les Druses et les Maronites du Liban, Toufic Touma, Librairie Orientale.
- Beyrouth et le Liban, Henri Guys, Dar Lahad Khater.
- Voyage de Syrie et du Mont-Liban, Jean De La Roque, Dar Lahad Khater.
- Memoires, Laurent D'arvieux, Dar Lahad Khater.
- Documents Diplomatiques et Consulaires relatifs à L'histoire du Liban, D.D.C, Adel Ismail
- La vérité sur la Syrie, B.Poujoulat, Dar Lahad Khater.
- Une Histoire du Liban à l'époque des Emirs, Michel Chebli, Librairie Orientale, 1984
- Un Lys dans des Epines. Maronites et Shuites, au Mont-Liban, Stefan Winter, Université de Quebec à Montréal
- Mémoires pour le roi relatif aux Maronites, aux Druses et aux Amédiens (Shiites) Habitants du Liban.
- La société de Bilad Jebayl à l'époque de Muttassarifiya رماح أبو حيدر
- La Syrie, précis historique, H. Lammens, Dar Lahad Khater.
- Recueil des traités de la porte Ottomane avec les puissances étrangères. Baron De Testa.
- Evolutions Historique de Liban, N Dadah
- Travels in Syria and the Holy land, John Lewis Burckhardt.
- The Shiite Emirates of Ottoman Syria, University of Chicago 2002, Stefan Winter.
- Shiite Emirs and Ottoman authorities The campaign against the Hamadas of Mt Lebanon, 1693-1694, Stefan Winter.
- Provincial Leaderships in Syria. 1575-1650, Abu-Hussayn, American University of Beirut.

فهرس أسماء الأماكن

المجلد الأول

حرف الألف

آسيا الصغرى: 18

استطبول: 199 - 252 - 268

أصمهان: 61 - 165 - 202

أفاميا 75

الأناصول: 276 - 281

إيران: 17 - 18 - 26 - 91 - 163 - 164 - 165 - 166 - 198 - 199 - 202 - 206

532 - 261

حرف الباء

بانياس: 113 - 160 - 277 - 284 - 290 - 408 - 413 - 414

بكتنا 185 - 219

بشري: 75 - 77 - 79 - 85 - 86 - 98 - 99 - 108 - 230

بشانا 230

البصة: 99 - 143 - 145 - 147 - 148 - 149 - 393

بصري: 157

بعلبك: 8 - 27 - 33 - 38 - 39 - 47 - 92 - 95 - 96 - 97 - 98 - 101 - 105 - 113

117 - 119 - 121 - 122 - 123 - 124 - 127 - 133 - 153 - 183 - 203 - 204

205 - 206 - 207 - 208 - 209 - 210 - 237 - 238 - 249 - 250 - 251 - 252 - 253

254 - 255 - 256 - 257 - 258 - 259 - 260 - 261 - 262 - 263 - 264 - 265

266 - 268 - 269 - 270 - 272 - 343 - 344 - 346 - 349 - 350 - 351 - 352

353 - 355 - 356 - 357 - 358 - 359 - 361 - 362 - 364 - 367 - 368 - 369

370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 376 - 377 - 378 - 379 - 380 - 381 - 382

383 - 384 - 398 - 399 - 408 - 413 - 414 - 415 - 422 - 511 - 522 - 525 - 528

541

بغداد: 23 - 24 - 165 - 423

- البقاع، 6 - 34 - 38 - 39 - 43 - 44 - 46 - 47 - 97 - 98 - 110 - 112 - 113 - 115 -
 118 - 119 - 120 - 121 - 123 - 124 - 126 - 127 - 131 - 252 - 253 - 254 - 256 -
 262 - 263 - 268 - 269 - 271 - 272 - 343 - 347 - 351 - 361 - 364 - 372 - 376 -
 378 - 381 - 383 - 389 - 399 - 401 - 405 - 415 - 422 - 527 -
 بلاد بشارة 122 - 124 - 125 - 145 - 153 - 387 - 408 - 411 - 413 - 414 - 416 -
 418 - 418 - 424 - 513 - 514 - 515 - 516 - 516 - 524 - 525 - 526 - 527 - 529 -
 531 - 535 - 538 - 547 -
 بنت جبيل، 123 - 393 - 408 - 411 - 414 - 416 - 423 - 539 -
 البندقية، 105 - 235 - 236 -
 بيروت، 27 - 31 - 47 - 73 - 84 - 87 - 94 - 103 - 105 - 112 - 115 - 116 - 135 -
 141 - 237 - 238 - 262 - 263 - 265 - 344 - 346 - 351 - 353 - 355 - 359 - 369 -
 418 - 514 - 540 - 541 -

حرف التاء

- تبرير 18 - 19 -
 تيمس، 27 - 151 - 158 - 220 - 231 - 387 - 390 - 392 - 393 - 397 - 398 - 416 -
 509 - 515 - 517 - 533 - 535 - 536 - 538 - 539 - 540 - 545 -
 تدعرا، 86 - 113 - 238 - 254 - 265 - 266 -
 إقليم النماح، 150 - 393 - 416 - 515 -

حرف الجيم

- جبا، 88 - 145 - 147 - 149 - 416 - 527 - 538 - 547 -
 حبة المنيطرة، 133 - 135 - 230 -
 حبة بشري، 197 - 229 - 230 - 269 - 345 -
 جبل الريحان، 393 -
 جبل الشيخ، 415 -
 جبل عامل، 6 - 8 - 10 - 34 - 38 - 39 - 40 - 43 - 97 - 98 - 100 - 110 - 113 - 121 -
 122 - 123 - 124 - 125 - 131 - 153 - 154 - 155 - 156 - 157 - 158 - 159 - 160 -
 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 343 - 344 - 345 - 346 - 352 - 355 - 361 -
 387 - 388 - 389 - 392 - 393 - 394 - 395 - 396 - 397 - 399 - 401 - 402 - 403 -
 405 - 406 - 407 - 408 - 409 - 410 - 411 - 413 - 414 - 415 - 416 - 417 - 419 -

420 - 421 - 422 - 423 - 424 - 507 - 508 - 509 - 510 - 511 - 514 - 515 - 516 -
 518 - 519 - 522 - 523 - 524 - 525 - 529 - 530 - 531 - 532 - 533 - 534 - 535 -
 536 - 539 - 542 - 543 - 547 - 548 -
 جبل: 27 - 47 - 114 - 123 - 124 - 128 - 135 - 141 - 216 - 218 - 229 - 230 -
 345 - 361 - 393 - 408 - 411 -
 جزين: 38 - 39 - 40 - 41 - 46 - 120 - 124 - 143 - 145 - 155 - 161 - 166 - 230 -
 393 - 538 -
 الجليل: 145 - 229 -
 جوبية: 123 - 344 - 345 -

حرف الحاء

حدشيت: 77

حردين: 77

حصرون: 77

حلب: 22 - 23 - 41 - 44 - 55 - 58 - 93 - 113 - 153 - 207 - 237 - 254 - 269 -
 270 - 399 - 423 - 512 - 531 -
 حماه: 23 - 44 - 102 - 113 - 238 - 282 - 283 - 270 -
 حمص: 44 - 112 - 113 - 115 - 254 - 257 - 262 - 263 - 265 - 268 - 524 - 531 -
 الحمولة: 143 - 145 - 393 - 422 -
 حومين: 123 -

حرف الخاء

خراسان: 119 - 165 - 202 -

حرف الدال

دمشق: 22 - 26 - 27 - 36 - 37 - 44 - 54 - 55 - 58 - 58 - 65 - 69 - 74 - 86 - 88 -
 95 - 96 - 97 - 103 - 105 - 109 - 112 - 113 - 115 - 122 - 127 - 130 - 131 - 153 -
 157 - 160 - 165 - 183 - 188 - 192 - 202 - 203 - 204 - 205 - 207 - 208 - 209 -
 220 - 221 - 226 - 227 - 231 - 232 - 234 - 237 - 238 - 249 - 250 - 252 - 254 -
 255 - 256 - 257 - 259 - 260 - 262 - 264 - 265 - 266 - 267 - 268 - 269 - 270 -
 271 - 272 - 343 - 344 - 345 - 346 - 347 - 350 - 351 - 352 - 353 - 356 - 359 -
 361 - 367 - 370 - 371 - 372 - 373 - 374 - 375 - 376 - 380 - 386 - 393 - 399 -

405 _ 406 _ 413 _ 415 _ 421 _ 424 _ 509 _ 510 _ 511 _ 518 _ 519 _ 521 _ 524 _
 525 _ 530 _ 535 _ 536 _ 538 _ 541 _ 542 _
 دير القمر. 128 _ 132 _ 133 _ 235 _ 389

حرف الراء

رأس بعلبك. 97 _ 203 _ 207 _ 210
 راشيا. 128 _ 381 _ 536
 رشعين. 77
 روم 143

حرف الزين

الراوية. 133 _ 135 _ 230
 الرهداسي. 113 _ 250 _ 257 _ 267 _ 524 _ 535
 الرراوية 123 _ 393 _ 408 _ 424 _ 518 _ 519
 رحلة 222 _ 229 _ 343 _ 346 _ 347 _ 348 _ 349 _ 351 _ 355 _ 358 _ 359 _ 364
 _ 366 _ 367

حرف السين

سرعين. 123 _ 124 _ 253
 سوريا. 22 _ 36 _ 41 _ 45 _ 54 _ 56 _ 58 _ 68 _ 70 _ 110 _ 116 _ 117 _ 145 _ 151
 _ 209 _ 255 _ 267 _ 356 _ 372 _ 373 _ 374 _ 376 _ 377 _ 381 _ 383 _ 398
 410 _ 421 _ 510 _ 512 _ 521 _ 523 _ 538 _ 540 _ 541 _ 543

حرف الشين

الشقيف. 27 _ 88 _ 150 _ 231 _ 507 _ 515 _ 518 _ 527 _ 530 _ 545 _ 547
 شمع. 149 _ 392
 الشومر. 125 _ 150

حرف الصاد

الصرفتد 155
 صفد. 26 _ 46 _ 47 _ 65 _ 66 _ 86 _ 125 _ 150 _ 227 _ 237 _ 238 _ 388 _ 399 _ 401
 _ 402 _ 405 _ 406 _ 408 _ 413 _ 414 _ 415 _ 418 _ 422 _ 513 _ 531 _ 532 _ 533

صور 27 44 47 57 98 150 152 161 231 262 387 388 393 -
402 407 415 416 418 508 509 512 518 522 538 542 545 -
547 -

صيدا 27 47 84 86 87 94 97 103 105 107 109 110 112 -
113 115 116 119 122 126 129 130 133 141 143 150 160 -
231 237 238 262 263 265 372 388 393 399 401 405 -
408 408 410 411 413 414 415 416 417 418 419 420 421 -
424 425 509 510 518 525 526 538 539 540 541 542 545 -
547 -

حرف الطاء

طبريا 160

طرابلس 26 27 47 65 69 70 71 73 87 88 96 97 109 113 -
118 119 123 124 129 133 135 160 222 226 227 228 229 -
230 233 254 268 269 270 345 372 510 -

حرف العين

العاصي، 75 271 272 372 -

العاقورة، 77 99 299 -

المراق، 18 26 49 55 56 69 139 155 163 164 165 166 198 -
199 202 261 380 -

عربستان: 115

عرمون، 103 234 -

عسقلان: 140

مكا 122 140 148 393 418 421 530 532 538 540 -

عنجر 229

عين جالوت، 31 250 -

عين دارا: 132 133 135 -

عين عكا: 70

عيناتا 98 123 125 543 -

حرف الغين

الفجر، 143

غزير، 85 - 123 - 270

حرف الفاء

فارس، 24 - 42 - 55 - 91 - 139

حرف القاف

القاع، 97 - 236

القاهرة، 112 - 380 - 525

قانا، 150 - 416 - 423 - 515

قصر، 77 - 117 - 236

قلعة الشقيف، 149 - 179 - 406 - 416 - 507 - 545

قلعة باسباس، 406 - 411

قلعة تينين، 387 - 397 - 416 - 509 - 533 - 536 - 545

قلعة جباج، 416 - 418

قلعة دويبة، 149 - 179

قلعة شمع، 149 - 179

قلعة مارون، 149 - 179 - 416 - 418

قلعة ميمس الجبل، 418 - 508

قلعة هوبين، 149 - 179 - 416 - 418 - 539

حرف الكاف

كربلاء، 56 - 164 - 199

الكرك، 96 - 124 - 207

الكرمل، 143 - 406

كسروان، 29 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 41 - 75 - 83 - 85 - 105 -

106 - 114 - 118 - 119 - 120 - 123 - 124 - 126 - 133 - 153 - 160 - 192 - 215 -

216 - 217 - 218 - 219 - 222

كفر رمان، 395 - 545

الكصور، 125 - 415 - 425

الكوثرية، 122 - 416 - 537

الكورة، 133 - 135 - 230

كهفون، 141 - 234

حرف الميم

المن، 83 - 218 - 219 - 424

المختارة، 145

المدينة، 23 - 36 - 55 - 58 - 155 - 158 - 230 - 251 - 253 - 254 - 261 - 269 - 272

- 343 - 344 - 345 - 347 - 348 - 353 - 358 - 364 - 367 - 368 - 510 - 541

مرج دابق، 22 - 24 - 44 - 58 - 112 - 410

مشجرة، 46 - 84 - 120 - 121 - 122 - 143 - 207 - 209 - 210 - 408 - 511

معرة النعمان، 79

ممارعة عرراثيل، 133

مكة، 23 - 155 - 165

المكمل، 75

المنيطرة، 83 - 85 - 133 - 135 - 230

مهبس الجبل، 155 - 166 - 412 - 416 - 515 - 525

حرف النون

النبطية، 145 - 158 - 393 - 415 - 416 - 425 - 525

النبطية انموفا، 155

النجم، 56 - 146 - 165

نهر ابراهيم، 183 - 185 - 215 - 218

نهر الأولي، 143

نهر الحاصباني، 143

نهر النبطاني، 143

حرف الهاء

الهند، 23 - 163 - 165 - 166 - 198 - 202 - 216

هونين، 145 - 149 - 150 - 392 - 393 - 408 - 416 - 418 - 515 - 517 - 539

حرف الواو

وادي النيم. 57 - 88 - 228 - 230 - 231 - 232 - 237 - 238 - 239 - 252 - 388 - 389
- 402 - 518 - 536

حرف الياء

يارون. 156 - 231 - 393 - 395
اليمن: 155 - 157 - 166 - 398
اليمنية 77

المجلد الثاني

حرف الألف

أدرسبحار 28
أرواد 108
أهمج 75 98
إبران: 24 - 26 - 28 - 31 - 139 - 166
اسطمبول. 72 - 100 - 135 - 136 - 167 - 179 - 189 - 279 - 357 - 373 - 395
الأناضول. 28 - 29 - 155 - 166 - 279 - 399
الأهواز 24 - 32

حرف الباء

بابياس: 24 - 41 - 58 -
البيرون. 68 - 69 - 70 - 73 - 75 - 80 - 82 - 87 - 90 - 94 - 96 - 97 - 98 - 99
- 102 - 107 - 109 - 112 - 114 - 118 - 1213 - 136 - 189 - 190 - 208 - 210
- 212 - 213 - 234 - 235 - 236 - 237 - 255 - 266 - 289 - 292 - 293 - 297 -
- 299 - 300 - 302 - 314 - 321 - 322 - 324 - 325 - 331 - 338 - 339 - 340 -
341 - 348 - 347 - 348 - 345 - 354 - 357 - 358 - 361
بسكتا. 75 - 296 - 329
بشري. 5 - 6 - 25 - 31 - 39 - 41 - 48 - 49 - 52 - 57 - 61 - 62 - 63 - 66 - 68
- 69 - 75 - 80 - 82 - 87 - 88 - 90 - 97 - 98 - 102 - 107 - 109 - 110 - 112

125 - 128 - 136 - 330 - 331 - 335 - 339 - 344 - 345 - 346

بشنتا 23 - 62 - 69 - 88

بعلبك: 8 - 20 - 21 - 25 - 39 - 41 - 59 - 61 - 75 - 97 - 100 - 101 - 102 -

124 - 303 - 328 - 330 - 348 - 353 - 359 - 365

بلاد مروحان. 6

بيروت: 5 - 8 - 12 - 35 - 65 - 75 - 80 - 87 - 88 - 90 - 91 - 107 - 110 - 116 -

118 - 119 - 121 - 123 - 125 - 133 - 135 - 190 - 2016 - 207 - 208 - 210 -

211 - 212 - 215 - 229 - 253 - 260 - 261 - 270 - 274 - 284 - 372 - 373 -

380 - 382 - 391

بيزنطية 12

حرف التاء

تمريز: 23 - 24 - 27 - 29 - 31 - 32

تورين: 75 - 101 - 112

تولا: 62 - 63 - 75 - 88 - 136

حرف الجيم

جاج: 66 - 68 - 69 - 75 - 88 - 98

حية بشرى: 62 - 68 - 70 - 75 - 80 - 82 - 87 - 88 - 90 - 93 - 97 - 98 - 102 -

107 - 109 - 112 - 123 - 125 - 128 - 302 - 306 - 308 - 310 - 312 - 313 -

317 - 322 - 324 - 325 - 326 - 327 - 329 - 330 - 331 - 335 - 344 - 345 -

357 - 407

جيل الدور: 5 - 6 - 36 - 52 - 53 - 76 - 84 - 86 - 87 - 99 - 114 - 117 - 121 -

133 - 296 - 302 - 306 - 308 - 309 - 312 - 327 - 332 -

جيل الشوف: 115 - 300 - 306

جيل عامس: 28 - 32 - 34 - 36 - 78 - 87 - 93 - 99 - 303 - 306 - 308 - 332 -

III

جيبيل: 5 - 6 - 7 - 12 - 17 - 18 - 21 - 25 - 26 - 39 - 41 - 44 - 48 - 52 - 55 -

65 - 66 - 68 - 69 - 70 - 75 - 87 - 93 - 96 - 97 - 98 - 101 - 104 - 106 -

107 - 109 - 112 - 115 - 118 - 119 - 123 - 126 - 133 - 289 - 292 - 293 -

294 - 296 - 297 - 298 - 299 - 300 - 301 - 302 - 307 - 308 - 309 - 311 -

312 - 313 - 316 - 317 - 319 - 321 - 322 - 323 - 324 - 325 - 327 - 329 -
 330 - 331 - 338 - 339 - 341 - 342 - 344 - 345 - 346 - 347 - 348 - 354 -
 357 - 358 - 359 - 365 - 407 - 411

جرين، 8 - 75 - 76

الجليل، 8

حرف الحاء

حراجل، 75 - 348 - 349 - 350 - 352 - 353

حردين، 62 - 63 - 101

حلب، 8 - 26 - 41 - 85 - 93 - 102 - 123 - 132 - 135 - 136 - 399 - 419

الحولة، 306

حرف الدال

دمشق، 8 - 34 - 35 - 42 - 63 - 64 - 76 - 79 - 80 - 91 - 102 - 110 - 115 -
 127 - 291 - 292 - 298 - 301 - 303 - 306 - 307 - 308 - 312 - 313 - 315 -
 318 - 319 - 326 - 333 - 350 - 351 - 353

دير القمر، 42 - 51 - 96 - 97 - 114 - 117 - 289 - 312 - 313 - 317 - 329

حرف الزين

الراوية، 6 - 41 - 48 - 59 - 88 - 102 - 106 - 124 - 127 - 131 - 298 - 314 -
 321

حرف السين

سد مأرب، 24 - 195

سوريا، 5 - 7 - 17 - 18 - 24 - 25 - 29 - 42 - 46 - 72 - 89 - 95 - 111 - 119 -
 131 - 356 - 402 - 403 - 407

حرف الشين

الشام، 5 - 6 - 13 - 28 - 29 - 31 - 34 - 41 - 53 - 64 - 70 - 84 - 87 - 89 - 90 -
 91 - 93 - 97 - 100 - 110 - 111 - 117 - 119 - 121 - 135 - 136 - 166 - 168 -
 169 - 170 - 171 - 172 - 173 - 174 - 175 - 176 - 183 - 184 - 204 - 212 -

218 - 219 - 278 - 279 - 282 - 291 - 292 - 298 - 299 - 350 - 393 - 397 -
 400 - 403 - 404 - 411 - 418 - 420 -
 شمسطار، 52 - 75 - 124 - 327 - 408

حرف الصاد

صافيّتا، 24 - 41 - 42 - 70 - 82 - 106 - 109 - 128 - 136 -
 صمد، 6 - 80 - 90 - 91 - 111 - 118

صيدا، 5 - 7 - 31 - 35 - 42 - 52 - 76 - 80 - 84 - 86 - 90 - 91 - 93 - 94 - 97 -
 102 - 110 - 112 - 115 - 116 - 119 - 132 - 133 - 135 - 136 - 189 - 207 -
 215 - 222 - 225 - 229 - 246 - 253 - 260 - 288 - 290 - 292 - 298 - 303 -
 306 - 310 - 338 - 359 - 375 - 385 - 390 - 396 - 397 - 399 - 407

حرف الضام

المسيبة، 21 - 27 - 41 - 48 - 57 - 59 - 61 - 62 - 63 - 69 - 70 - 80 - 81 - 98 -
 101 - 106 - 109 - 112 - 128 - 133 - 298 - 314 - 327

حرف الطاء

طبرية، 8

طرابلس، 5 - 6 - 7 - 8 - 12 - 26 - 29 - 31 - 35 - 39 - 41 - 42 - 44 - 45 - 47 -
 48 - 51 - 52 - 53 - 54 - 57 - 58 - 59 - 63 - 64 - 65 - 68 - 70 - 71 - 72 - 73 -
 75 - 77 - 79 - 80 - 82 - 84 - 87 - 88 - 90 - 91 - 94 - 95 - 97 - 98 - 101 -
 102 - 103 - 104 - 105 - 106 - 107 - 108 - 109 - 110 - 111 - 112 - 114 -
 115 - 117 - 118 - 119 - 121 - 123 - 125 - 126 - 127 - 128 - 130 - 131 -
 132 - 133 - 134 - 135 - 136 - 292 - 293 - 298 - 297 - 298 - 299 - 300 -
 301 - 305 - 306 - 309 - 310 - 312 - 313 - 314 - 315 - 316 - 317 - 318 -
 319 - 324 - 325 - 326 - 330 - 332 - 333 - 334 - 339 - 348 - 354 - 355 -
 356 - 357 - 358 - 359 - 370 - 371 - 372 - 374 - 375 - 388 - 389 - 391 -
 392 - 393 - 395 - 396 - 406 - 407 - 415

حرف العين

العاقورة: 21 - 75 - 93 - 101 - 293 - 298 - 308 - 310 - 311 - 312 - 313 - 315
 - 316 - 319 - 327 - 329 - 352 - 353
 عطلون: 75 - 418
 مكان: 5 - 6 - 39 - 41 - 48 - 52 - 70 - 71 - 72 - 73 - 75 - 80 - 82 - 88 - 90
 - 100 - 101 - 102 - 106 - 109 - 125 - 126 - 127 - 128 - 130 - 131 - 132 - 133
 - 135 - 138 - 315 - 327 - 346
 علمات: 26 - 42 - 75 - 87 - 88 - 90 - 93 - 94 - 98 - 123 - 311 - 312 - 319
 عين قمل: 124

حرف الفين

عسالة 25 - 73 - 75 - 87 - 88 - 121 - 341

حرف الفاء

فاربا 75 - 352 - 368
 الفسوح 25 - 26 - 41 - 42 - 57 - 73 - 78 - 80 - 87 - 88 - 122 - 123 - 283
 - 293 - 339 - 340
 فتوح بني رحال: 76
 فتوح كسروان: 123
 فرحت: 18 - 42 - 43

حرف القاف

قبا الياس: 91 - 93 - 296
 قمهز: 20 - 69 - 75 - 93 - 100 - 117 - 123 - 332 - 413
 قنوين: 95 - 98 - 138 - 213 - 216 - 218 - 219 - 221 - 225 - 226 - 238 - 240
 - 241 - 242 - 244 - 246 - 253 - 254 - 255 - 257 - 261

حرف الكاف

كسروان: 5 - 7 - 8 - 18 - 24 - 27 - 39 - 41 - 52 - 59 - 61 - 65 - 66 - 73
 - 76 - 77 - 90 - 91 - 93 - 94 - 100 - 123 - 126 - 134 - 136 - 184 - 190
 - 292 - 299 - 305 - 314 - 327 - 330 - 331 - 332 - 339 - 344 - 345 - 348

349 - 363 - 365 - 378 - 379 - 385 - 388 - 391 - 395 - 411 - 412 - 413 -
417

كمررمان، 306 - 387

الكورة، 6 - 41 - 48 - 52 - 59 - 60 - 80 - 87 - 88 - 101 - 106 - 107 - 109 -
110 - 124 - 125 - 127 - 132 - 346

حرف الميم

مجدل العاقورة، 21

المسيلة، 70 - 109 - 111 - 189

المسطرة، 21 - 23 - 41 - 52 - 57 - 59 - 61 - 69 - 70 - 73 - 75 - 80 - 93 - 97

- 98 - 107 - 123 - 125 - 298 - 313 - 314 - 315 - 319 - 348 - 347 - 348

345 - 354 - 357 - 358 - 361

ميموق، 323 - 341 - 415

حرف النون

نانس، 85

نهر العاصي، 12 - 327 - 406 - 407

حرف الهاء

الهند، 28

حرف الواو

وادي النصاري، 24 - 41

فهرس الأسماء

المجلد الأول

حرف الألف

إبراهيم الصادق، 395

إبراهيم الكضمي، 159

إبراهيم باشا 113 - 268 - 327 - 393 - 427 - 531 - 538 - 539

إبن الأقرع، 105

أبن بشاره 46 - 115 - 250 - 262 - 387 - 388 - 396 - 397 - 398 - 399 - 401 - 402 - 403

أبن بطوطه، 140 - 204 - 215

أبن تيمية، 29 - 35 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 41

أبن جبير، 158 - 181 - 213 - 215

أبن سباط، 110 - 115 - 116 - 234 - 235 - 236 - 396

آل أبي علوان، 129

الأثر الك، 24 - 27 - 32 - 47 - 61 - 107 - 254 - 543

أحمد الجرار، 161 - 475 - 476 - 481 - 486 - 495

أحمد المعني، 126 - 128 - 129 - 131 - 221 - 236 - 415 - 425 - 430 - 431

أحمد بن علي الصغير، 425

أحمد رضا، 143 - 153 - 424 - 425

النشاء اسماعيل، 17 - 18 - 19 - 28 - 54 - 58 - 61

الأكراد، 60 - 87 - 230 - 265 - 286

الأباط، 158

حرف الباء

بايزيد، 18 - 19 - 20

بشير جبلاط، 131 - 518

بهاء الدين بن الحسين، 41

حرف التاء

التنويحيون: 114 - 129 - 232 - 233

حرف الجيم

جان بردي المزالي: 103

جعفر الصادق: 91

جمال الدين ابن بشار: 402

حنان: 75 - 252

حرف الحاء

حافظ أحمد باشا: 276

حسن أبا الهارحي: 277 - 367

حسن درويش: 370 - 371

حسن همدان: 361 - 362 - 378

حسين الحرفوش: 287 - 288

حسين الصمصص: 414 - 423

حسين الهارحي: 122 - 238 - 277 - 282 - 413 - 422

حسين سبها: 276 - 277

حمزة أفندي: 51

حمزة بن محمد النصار: 392 - 509

ابن حنن: 86 - 396

الأمير حيدر: 110 - 132 - 133 - 135 - 412

حيدر الحرفوش: 98

حرف الدال

درويش باشا: 98 - 519 - 541

حرف الزاء

الرجل المريض: 89 - 91

الركيني: 148 - 220 - 412 - 508

حرف السين

السريان: 174

السلطان سليم 19 - 20 - 23 - 44 - 45 - 51 - 57 - 58 - 114 - 115 - 116 - 225 - 227 -
 235 - 396 - 399 - 410
 سليم الثاني، 19 - 20 - 22 - 23 - 45 - 52
 سليمان القانوني 64 - 66
 سليمان باشا: 547 - 548
 سودر، 87 - 122 - 150 - 231 - 403 - 408 - 409 - 410 - 411 - 412 - 413 - 414 - 416 -
 422 - 423 - 543
 آل سيما 73 - 113 - 123 - 230 - 277 - 287

حرف الشين

شبيب الأسعد: 397

الشديق 116 - 128 - 130 - 181 - 222 - 259 - 260 - 299 - 301 - 392 - 424
 شبيب الحرفوش 133
 شرف الدين التنوخي: 115
 شرف الدين بن مصير الدين، 41
 آل شكر 150 - 231 - 403 - 408 - 413 - 414 - 416 - 422 - 423 - 543
 شمس الدين الحريفي: 155 - 154

حرف الصاد

صلاح الدين الأيوبي: 397

حرف الضاد

آل ضاهر، 133

ضاهر العمر، 393 - 418

حرف العين

آل العارار، 133

عاملة بن سيا، 157

عباس المحمد: 98 - 545

عبد الساتر بن بشارق: 113 - 396

عبد السلام العماد: 101

- عثمان باشا: 100
 آل عساف: 73 - 230
 الإمام علي: 51 - 56 - 185
 آل علي الصغير: 125 - 150 - 180 - 387 - 411 - 413 - 414 - 421 - 422 - 423 -
 511 - 512 - 538 - 544
 علي بك الكبير: 390 - 392 - 395
 علي بن عبد الغال: 55
 علي بن علي الصغير: 283 - 392 - 397 - 398 - 399 - 401 - 402 - 403 - 404 - 408 - 412 -
 413 - 422 - 425 - 511 - 547 - 548
 علي بن موسى الحرفوش: 264 - 266 - 280 - 282
 علي صبيتي: 395 - 397 - 536
 علي علم الدين: 415
 عمر الحرفوش: 127
 عمر بن الخطاب: 52 - 261
 بنو المود: 41

حرف الفاء

- فارس الباصيف: 392 - 507 - 508 - 509 - 513 - 514 - 515 - 516 - 518 - 519 - 523 - 525 -
 528 - 529 - 544
 فارس شهاب: 126

حرف القاف

- قاصصه الموري: 112 - 399
 قبالان الحسن: 95 - 129 - 392 - 404 - 545
 قرقمار المنفي: 415
 القلقشدي: 31 - 205

حرف الميم

- محمد الأمين: 390
 محمد البالوشي: 155
 محمد الحرفوش: 98 - 343 - 345 - 348 - 355 - 356 - 357
 محمد المانع: 19 - 62
 محمد بن جمال الدين: 103
 محمد حابر آل صفا: 152 - 397 - 410
 محمد حمادة: 222
 محمود الأول: 60 - 392
 محمود التنصار: 392 - 523

مدحت باشا، 381 - 543

مراد الثالث، 52 - 265 - 279 - 423

مراد باشا، 86 - 237 - 276 - 280 - 281 - 292 - 303 - 307 - 406 - 415

مشطاح، 87 - 409 - 411 - 414

مصطفى باشا، 279 - 292 - 299 - 301 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306

مماوية، 155

المفول، 23 - 24 - 28 - 29 - 31 - 140

منصور العسافي، 115

المماليك، 31 - 32 - 33 - 36 - 41 - 44 - 45 - 46 - 47 - 49 - 51 - 57 - 58 - 65 - 69 - 73

- 82 - 84 - 85 - 86 - 112 - 113 - 140 - 159 - 160 - 161 - 162 - 191 - 194 - 204 -

205 - 219 - 225 - 228 - 230 - 231 - 233 - 235 - 262 - 396 - 399 - 402 - 410 - 411

آل منكر، 85 - 88 - 100 - 150 - 231 - 408 - 413 - 422 - 424 - 548

موسى الكاظم، 91

موسى بن علي، 269 - 270 - 271 الفديس مارون، 75

حرف التون

النبي نوح، 222

النبي يوشع، 143 - 145

ناصر الدين بن حنش، 84 - 103 - 112 - 115 - 235 - 263 - 396 - 399 - 410

ناصر الدين منكر، 121 - 122

ناصر بن خسرو، 216

ناصر الدين نصار، 145 - 147 - 156 - 231 - 390 - 391 - 392 - 395 - 421 - 523 - 535

نجم الدين بشارة، 159 - 191

الشيخ نوح، 20

حرف الهاء

آل هرموش، 129

هولاكو، 29

حرف الياء

اليمن، 155 - 157 - 398

يوسف المسلماني، 123

يوسف علم الدين، 132

يونس الحرفوشي، 120 - 122 - 238 - 271 - 422

يونس بن علي، 253

المجلد الثاني

حرف الألف

إبن تيمية: 8

أبي اللمع: 7 - 93 - 118 - 370 - 374 - 382 - 388

أحمد المعني: 6 - 94 - 97

اسماعيل حمادة: 49 - 234 - 255

حرف الباء

باريلي: 25 - 385 - 389 - 402

البروفنداء: 285 - 287

بولارد: 18 - 102 - 103 - 119 - 133 - 116

حرف التاء

تيمورليك: 28

حرف الجاء

الحراشنة: 34 - 99 - 234 - 333

الحسين بن علي: 24 - 27 - 31

حسين حمادة: 150 - 237 - 239 - 241 - 242 - 244 - 248 - 252 - 274

حيدر الشهابي: 7 - 93 - 114 - 118 - 161

حرف السين

مرحان بن قانصوه: 23

سعد الحوري: 373 - 374 - 379 - 383 - 385 - 386 - 387 - 388 - 389 - 395 -

397 - 415 - 416

سليمان الظاهر: 20 - 26

سمعان البيطار: 242 - 300 - 308 - 329 - 340 - 341 - 345 - 348 - 360 - 361

السمعاني يوسف سميان: 288

آل سيما: 24 - 45 - 52 - 58 - 70 - 72 - 82 - 126 - 128 - 136

حرف الشين

آل الشاعرة: 58 - 162

شديد الناصر، 133 - 134

حرف العين

عثمان باشا: 68 - 113 - 299 - 300 - 301 - 302 - 303 - 304 - 305 - 306 - 311
 - 317 - 318 - 319
 آل عساف: 24 - 45 - 52 - 58 - 72 - 73 - 82 - 93 - 99 - 126
 آل علم الدين، 6 - 52 - 338
 علي الصمير: 89 - 99 - 332
 علي باشا البفتردار، 93 - 94 - 100 - 101 - 104 - 130
 علي جنبلاط، 300 - 306 - 307 - 309 - 329
 الشيخ عيسى، 125 - 132 - 133 - 134 - 135 - 156 - 157 - 159 - 160 - 161 -
 162 - 164 - 170 - 172 - 173 - 174 - 175 - 179 - 180 - 192 - 237 - 254 -
 255 - 264
 عيسى امكندر الملوكة: 20 - 21 - 313

حرف الفاء

فيريح، 276

حرف القاف

قرفماز، 80 - 91 - 93 - 178
 قزلباش، 185 - 305

حرف الكاف

كليم الكندي، 306 - 308 - 309

حرف الميم

المحبي: 34 - 94 - 178
 محمد خان، 131 - 135

حرف النون

ناصر، 89 - 279 - 381 - 383 - 392

حرف الياء

يوسف الشهابي: 306 - 310 - 313 - 319 - 329 - 333 - 389 - 394

فهرس الوثائق

المجلد الأول

- 189 سياسة الحاكم الشيعي في جبل لبنان نحو التصدي وانوالي العثماني
- 355 عقد شراكة لأمهر حرفوشي
- 360 رسالة سرحال الهاشمي
- 363 رسالة العائمهام بشير أبو اللمع إلى البطريرك
- 365 عريضة أهالي رحلة إلى البطريرك
- 379 رواتب الحراشة بدل أملاك مصادرة
- 382 وثائق حرفوشية
- 537 عقد قسمة عقارية صميري بعصور الحاكم ورجل لدين
- 546 أملاك العشائر في جبل عامل محفوظات حاند رضا التامر

المجلد الثاني

- E1 اقدم من كافة المشايخ في لبنان
- E2 طائفة الحمادية
- E3 سلاح العشائر الحمادية
- E4 الشيعة القزلباش
- E5 عقد التزام جبيل والبترون والحبية 1686
- E6 عقد التزام جبيل وتوايها 1748

- E7 عقد الترام عكار والصنية وحية بشري وجبير والبشرون والكورة 1667 .. 81
- E9 إعادة إعمار قرى عكار .. 129
- E10 رسالة إلى والي صيدا 1715 .. 134
- E11 مرسوم ملكي صادر في أدرية 1685 .. 143
- E12 مرسوم الإعراف بسرحال حاكماً من جسر المعامتين حتى حصن الأكراد .. 146
- E13 التزام جبيل والبشرون وبشري و لصية من بهر ابراهيم حتى حصن الأكراد 1668 146
- E14 ثورة الشيعة في ولايتي طرابلس ودمشق 1687 .. 148
- E15 عقد انترام حبة بشري والصنية والزاوية وعكار وحصن الأكراد 1688 .. 150
- F1 رسالة بأصيف البحار إلى الملك لويس الرابع عشر 1195 214
- F2 رسالة البطريرك دويهي إلى لويس الرابع عشر 1700 217
- F3 رسالة الكونت بونشارتران إلى البطريرك 1700 220
- F4 رسالة من الحاكم الشيعي إلى اسطيريك 243
- F5 رسالة من أربعة حماديين إلى البطريرك .. 245
- F6 تسليم دير مار سركيس 1739 .. 247
- تأمين الحماية والرعاية لرهبان الدير 1747 .. 247
- F7 تسليم أديره مارليشع وهرحيا وحقاً إلى الأساقفة 1754 .. 249
- F8 رسالة البطريرك عواد إلى قنصل فرنسا 262
- F9 رسالة البطريرك الدويهي إلى أبي قاصوه البحار 265
- F10 الحاكم الشيعي ودير كسيفان .. 267
- F11 وثائق عقارية حاص 336 - 337 337
- F12 وثائق عقارية حاص 343 343
- F13 شكوى فاعور حمادة على يوسف شهاب .. 362
- F14 أملاك وأوقاف شيعية في جبل بيمان حاص 364 364
- F15 الشيعة في عامية لحمد .. 401
- F16 الشيعة في المتن الطائفة .. 409
- F17 بقايا الشيعة في جبل لبنان 1860 410
- F18 رسالة شيعية إلى البطريرك حاص 412 412
- F19 - F20 رسائل متبادلة بين الحماديين وابطريرك حاص 414 414
- F21 شرعة الشيعة الاجتماعية والقانونية 419 419

فهرس الخرائط المجلد الأول

25	الدولة الصغوية
30	لبنان في عهد المماليك
42	الدول الإسلامية الثلاث
50	الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر
80	هجرة الوارنة
104	جبل الدروز
111	حكام جبل الدروز ومناطق الحكم الشيعي
134	معركة عين دارا
144	جبل عامل
168	بلاد بعلبك والبقاع
Bibl. Not. Paris 178	جبل لبنان وكسروان في القرن الثامن عشر
184	كسروان في القرن السادس عشر
195	جبل لبنان وجواره
197	جبة بشري في عهد المماليك
214	جزين - إقليم التفاح
240	المقاطعات الشيعية الثلاث
248	إمارة بعلبك الشيعية
273	إمارة بعلبك في أقصى اتساعها
297	معركة عنجر

317	معارك وقلاع في إمارة بعلبك ..
400	بلاد بشارة ..
437	قلاع ومعارك في جبل عامل ..
464	معركة البحرة ..
474	معركة كفررمان ..
477	معركة صيدا ..
494	معركة يارون ..

المجلد الثاني

60	الإمارات الإقطاعية في لبنان منفتح العربي، في المنح الشمالي، محمد علي مكي
74	الحكم الشيعي في جبل لبنان
83	الحكم الشيعي في ولاية طرابلس
92	بعض المعارك والعلاص الشيعية في جبل لبنان
394	الهررة الشيعية من جبل لبنان

فهرس الصور والرسوم المجلد الأول

76	من آثار المواربة في وادي العاصي قرب الهرمل
E. Flandrin 1839 124	طرابلس
حاص	فرسان من الشيعة
حاص	قائد عاملي بين رحاله
Roberts + J.D Woodward 172	مدينة بعلبك
176	سهل البعاج
184	جسر المعاملتين
Flandrin 193	جبل
193	البترون
Bartlet 200	بيروت
200	صيدا
V. Guerin 211	صور
J.D Woodward 1856 222	مرار الكرك
297	معركة عنجر
334 خاص المؤلف	الأمير جهجاه الحرهوشي
W.H Bartlet 1830 354	قصر حرهوشي
V. Guerin 347	رحلة في القرن الثامن عشر
400	بنت جبل
404	جامع هوبين

417	قلاع جبل عامل
425	قصر علي الصغير
442	قلعة تبين
453	ناصر النصار
Lieutenant Warre 477	معركة صيدا
496	بلاطة ناصيف
534	بقايا مقر حكام جبل عامل

المجلد الثاني

38	ميرل حمادي في بشري، ليهان صور من التراث، ريشار شهاب
The chite Emirates winter 43	فرحت
120	الشيخ اسماعيل حمادة
Le Baron Taylor 188	قلعة المسيلحة وحسن الأكراد
Cassas 249	دير قرحيا
Bibl Nat. paris 276	الكويت دوفيرجين
Bibl. Nat. Paris 276	الكويت شوارول
286	يوسف سيمان السمعاني، قصر الجميل، مؤسسة المحفوظات الوطنية
328	قاموس الهرمل

فهرس الجد اول المجلد الاول

107	سكان جبل الدروز في القرن العثماني الاول
141	عدد سكان كل طائفة في لبنان في القرن السادس عشر
241	مصاحبة المقاطعات اللبنانية في العهد العثماني
242	نواحي الحكم الشيعي في البقاع
243	نواحي الحكم الشيعي في جبل عامل
244	نواحي الحكم الشيعي في جبل لبنان
245	نواحي الحكم المخني في جبل الدروز
246	نواحي الحكم الشهابي في وادي التيم
337	أمراء بعلبك الشيعية
384	سكان مدينة بعلبك في منتصف القرن السادس عشر
418	الضرائب في ولاية صيدا
434	شيوخ بني وائل (علي الصغير)

المجلد الثاني

37	مراجع البحث
50	حكام جبة بشري وعمار الشيعية
122	الحكام الشيعية في جبل لبنان

الفهرس

الباب الأول

4	الحكم الشيعي في جبل لبنان
5	حدود جبل لبنان
11	الفصل الأول: الأرض الموعودة
15	الفصل الثاني: بنو حمادة
33	الفصل الثالث: مصادر التاريخ الشيعي
41	الفصل الرابع: خصائص الحكم الشيعي في جبل لبنان
48	الحكم بالتعاقد
52	البحث عن الحماية
57	الفصل الخامس: بداية الحكم الشيعي
64	الحكومات المحلية
70	انقراض امثالات التركمانية الحاكمة
73	الانتشار الشيعي في جبل لبنان
76	كسروان
79	الفصل السادس: الشيعة في ولاية طرابلس
88	ثورة أولاد العرب
96	مؤتمر دير القمر
99	العلاقات الإقطاعية
119	الشيخ اسماعيل بن حسين
123	الشيخ سرحان بن قانصوه
124	الشيخ عيسى بن حسين
125	الشيعة في عكا
137	الفصل السابع: الثورة الشعبية العامة (1685م - 1700م) من خلال الوثائق الثمانية

138	السياسة والمذهب
144	بدايات الثورة في الوثائق والمصادر العثمانية
157	المواجهة الحاسمة
164	الحرب المقدسة في جبل لبنان
180	أحمد المعني والثورة الشيعية
187	الفصل الثامن، جمهورية العصاة الحرة

الباب الثاني

193	تهجير الشيعة من جبل لبنان
199	الفصل الأول، الاتجاه نحو التهيئة
207	الفصل الثاني، التحرك نحو الغرب
225	الفصل الثالث، إثارة الحمية الدينية
233	الفصل الرابع، الموارنة في ظل الحكم الشيعي
238	الكرسي البطريركي
246	الاذيرة والرهبايات
252	انتخاب البطاركة
259	الفصل الخامس، الخطاب المزدوج
268	أمراء الزيتون
272	الشيعة والشعائر المسيحية
275	الفصل السادس، اكتمال الملف
275	الوضع الدولي المناسب
280	الوضع الكنسي
285	الفصل السابع، الرجال الفاعلون
290	رجل الباب العالي
292	رجال الرهبانيات
295	الفصل الثامن، تأسيس بيت مارون - الوطن القومي
295	الأمير العنوان
309	المواجهة الأخيرة
319	المدى الحيوي للرهبانية
327	الفصل التاسع، الشيعة في ظل الحكم الجديد
332	أملاك المهجرين

346	النزوح
347	حكاية قرية بين الموارنة والشيعة
354	المرجعية الجديدة
359	الحثين إلى العودة
367	الفصل العاشر، الأمير المنتصر
385	الفصل الحادي عشر، الأيام الصعبة
391	الفصل الثاني عشر، دار الهجرة
399	الشيعة والأمير بشير
402	الشيعة ونابليون
402	الشيعة في عهد المصريين
406	الشيعة والفتنة الطائفية
	الشرعة الشيعية الاجتماعية الشاملة لسكان
413	بلاد جبيل وبعلبك والهرمل، الرقعة الشرعية
420	المحاولة الأخيرة



المصادر والفهارس

425	صادر ومراجع الكتاب
434	فهرس أسماء الأماكن
447	فهرس الأسماء
454	فهرس الوثائق
456	فهرس الخرائط
458	فهرس الصور والرسوم
460	فهرس الجداول
461	الفهرس